

# اعداد مكتبة الروضة الحيدرية المكتبة الرقمية

السر سائل  
حاسة داسا  
البحر مجمع  
حاسة داسا

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة القادسية / كلية الآداب  
فم اللغة العربية

# الرسائل والوصايا في نهج البلاغة (دراسة في ضوء علم لغة النص)

أطروحة تقدمت بها الطالبة

ورود سعدون عبد

إلى مجلس كلية الآداب / جامعة القادسية وهي جزء من متطلبات نيل درجة

دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها / نحو

بإشراف

الأستاذ المساعد الدكتور

تراث حاكم مالك الزبيدي

تشرين الأول ٢٠١٦ م

محرم ١٤٣٨ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي

أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ

صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ

فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ

صدق الله العلي العظيم

النمل: ١٩

# الإهداء

إلى...

مَنْ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَزِدُّادُ حُبَّهُ فِي قَلْبِي أَبِي نُرَابِ السَّلَامَةِ

قِرَّةَ عَيْنِي وَالِدِي الْغَالِيَةِ أَطَالَ اللَّهُ عَمْرَهَا

الْأَمَلِ الَّذِي طَالَمَا شَدَّنِي إِلَى الْأَمَامِ... رَفِيقِ الدَّرْبِ وَمَوْطِنِ

الْحُبِّ... زَوْجِي الْعَزِيزِ

ثَمَرَاتِ قَلْبِي وَنُورِ حَيَاتِي... أَبْنَائِي الْأَحِبَاءِ

أَهْدِي هَذَا الْعَمَلَ الْعِلْمِي حُبًّا وَوَفَاءً

الباحثة

## شكر وتقدير

أقدم شكري وتقديري لأسائذي في قسم اللغة العربية / كلية الآداب / جامعة القادسية والسيد رئيس القسم الدكتور حازم كريم الكلابي لما حباي به من توجيهات ونصائح لإكمال هذا البحث.

والشكر موصول للدكتور أحمد حسين عبد السادة لما قدمه لي من ملاحظات ومصادر أغنت البحث. وأقدم شكري وتقديري لأساندة كلية التربية الأساسية / جامعة المثنى وأخص منهم بالذكر الدكتور صاحب منشد عباس، والدكتور محمود عبد حمد اللامي والدكتور عبد المطلب محمود سلمان والدكتور ثامر نجم عبود الشمري والدكتور لؤي كريم عطية.

وشكري وتقديري لكل من الدكتور ظافر عبيس و م. م. فرقان محمد عزيز و م. م. جبران شاطي، لما اسعفوني به من مصادر في علم النص، وشروح نهج البلاغة.

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر الخالص إلى أمين مكتبة قسم اللغة العربية في كلية الآداب / جامعة القادسية، وأمين مكتبة كلية التربية الأساسية / جامعة المثنى وموظفيها لطيب أخلاقهم وسعة صدورهم.

وشكري وتقديري لكل من أهدى لي كلمة نصيح أو إرشاد أو دعاء، وفقهم الله جميعاً

وأسأل الله لهم دوائر الصحة والعافية.

## إقرار المشرف

أشهد أن إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ ((الرسائل والوصايا في نهج البلاغة

- دراسة في ضوء علم لغة النص)) قد جرى تحت إشرافي في كلية الآداب/ جامعة القادسية، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها.

الإمضاء:

أ.م. د. تراث حاكم الزينادي

التاريخ: ٢٠١٦ / /

بناء على التوصيات المتوافرة، أرشح هذه الأطروحة للمناقشة

الإمضاء:

أ.م. د. حازم كريم الكلابي

رئيس قسم اللغة العربية

التاريخ: ٢٠١٦ / /

## المستخلص

أن موضوع الدراسة الحالية هو ((الرسائل والوصايا في نهج البلاغة (دراسة في ضوء علم لغة النص))، وتتسم بكونها دراسة لنص نثري من عصر الاحتجاج مشهود لمنشئه بالفصاحة والبلاغة، وقد درست فيها المعايير النصية السبعة التي أقرها (دي بوجراند) وهي: ((الاتساق ، والانسجام ، والقصدية ، والمقبولية ، والإعلامية ، والمقامية ، والتناسق))، والغاية المرجاة من هذه الدراسة هي اثبات أن هذه المعايير ماثلة في نصوص الرسائل والوصايا.

وقد انظمت الرسالة في ثلاث فصول سبقتها مقدمة وتمهيد واعقبها خاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم ثبت بأهم مصادر البحث ومراجعته. أما التمهيد فقد تناولت فيه عرضاً لمفاهيم (النص، والرسالة والوصية) للوصول إلى أن الرسائل والوصايا هي نصوص، لذا صح دراستها على وفاق الدراسة النصية. أما الفصل الأول (الاتساق في الرسائل والوصايا)، فقد درست فيه الاتساق النصي على ثلاثة مستويات (الصوتي ، والمعجمي ، والنحوي). أما الفصل الثاني (الانسجام في الرسائل والوصايا)، فقد تكلمت فيه على مظاهر الانسجام وآلياته والعلاقات الدلالية والأبنية العليا. أما الفصل الثالث (معايير نصية أخرى)، فقد تناولت دراسة المعايير التي لها علاقة بمستعملي النص (المتكلم والمتلقي) وهي القصدية والمقبولية والإعلامية والمعايير التي لها علاقة بالموثرات الخارجية وتتمثل بالسياق والتناسق ثم ختمت البحث بالنتائج التي توصلت إليها ومنها:

- لم تكن نصوص الرسائل والوصايا على مستو واحد من حيث الإيجاز والأطناب فهي تقصر وتطول حسب موضوع النص والظرف الذي كتبت فيه وطبيعة العلاقة من المرسل إليه، وعلى الرغم من ذلك فإن سمة الأطناب تظهر عموماً في موضوع الوعظ والنصح.
- عدم استقرار بعض المفاهيم والمصطلحات التي دارت حولها هذه الدراسة عند الباحثين أو الدارسين في علم النص، مما يعكس تباين وجهات النظر لهذه المفاهيم واختلاف الخلفيات المعرفية لكل منهم.
- تعدد الإحالة من أكثر مظاهر الاتساق النحوي في نصوص الرسائل والوصايا، فضلاً عن أن الإحالة الضميرية كانت من أكثر أنواع الإحالات وروداً في هذه النصوص فلا يكاد يخلو نص منها.
- أن عناصر الاتساق والانسجام قد تضافرت في تشيد البنية الدلالية لهذه النصوص المدروسة، مما دفع إلى نوع من اليسر في تحليلها وهو ما يمكننا من الحكم عليها أنها نصوص مترابطة ومتماسكة.
- تعدد القصدية المعيار المهيمن على كل المعايير النصية، فكل لفظة يكتبها الإمام (عليه السلام) أو يختارها، وكل تركيب يذكره وكل نص يوجهه لا يخلو من القصدية التي يريها الإمام فيه التي تكون إما مباشرة وغير مباشرة.
- أخيراً أظهر تطبيق هذا النوع من الدراسة انفتاح النصوص والرسائل والوصايا على كل الأزمان والأمكنة، فأوامر الإمام (عليه السلام) وتعليماته ونصائحه صالحة التنفيذ في كل زمان ومكان شاملة لكل الأشخاص على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم ومستوياتهم.

## المحتويات

الموضوع	الصحيفة
المقدمة	أ-ب
التمهيد: في مفهوم (النص، الرسالة، الوصية)	٦-١
الفصل الأول: الاتساق النصي في الرسائل والوصايا	١٢٥-٧
مدخل	١١-٨
المبحث الأول: الاتساق الصوتي والمعجمي	٦٨-١٢
أولا: الاتساق الصوتي	٣٧-١٣
١- السجع	١٩-١٤
٢- الجناس	٢٩-١٩
٣- التنغيم	٣٧-٢٩
ثانيا: الاتساق المعجمي	٦٨-٣٨
مدخل	٣٨
١- التكرار	٥٨-٣٩
٢- المصاحبات المعجمية	٦٨-٥٨
المبحث الثاني: الاتساق النحوي	١٢٥-٧٠
مدخل	٧٠
أولا: الإحالة	٩٤-٧١
ثانيا: العطف	١٠٦-٩٤
ثالثا: الحذف	١١٣-١٠٦
رابعا: التوازي التركيبي	١٢٥-١١٤
الفصل الثاني: الانسجام النصي في الرسائل والوصايا	١٩٦-١٢٧
مدخل	١٣١-١٢٧
المبحث الأول: مبادئ الانسجام ومظاهره	١٣٢
أولا: التأويل	١٣٥-١٣٣
ثانيا: التكريس	١٣٧-١٣٥
ثالثا: ترتيب محتوى النص	١٣٧
رابعا: الحالة العادية المفترضة للعوامل (المعرفة الخلفية)	١٤٢-١٣٧
خامسا: البنية الكبرى وقواعد البناء	١٤٦-١٤٢
سادسا: وحدة الموضوع بين النصوص	١٤٩-١٤٦
المبحث الثاني: العلاقات الدلالية والأبنية العليا	١٩٦-١٥٠
أولا: العلاقات الدلالية	١٥٢-١٥١
١- علاقة الإضافة (الاستقصاء)	١٥٨-١٥٢
٢- علاقة الاستثناء	١٦٠-١٥٨
٣- علاقة الشرط بالجواب	١٦٢-١٦٠
٤- علاقة التضاد	١٦٤-١٦٢



الصحيفة	الموضوع
١٧٠ - ١٦٤	٥- علاقة إعادة الصياغة
١٧٦ - ١٧٠	٦- علاقة السبب بالنتيجة
١٧٨ - ١٧٦	٧- علاقة البديل
١٨٠ - ١٧٩	٨- علاقة التمثيل
١٨٧ - ١٨٠	٩- علاقة الإجمال والتفصيل
١٨٩ - ١٨٧	١٠- علاقة القسم والجواب
١٩٠ - ١٨٩	١١- علاقة السؤال والجواب
١٩١ - ١٩٠	١٢- علاقة التفسير والبيان
١٩٤ - ١٩١	١٣- علاقة التتابع المفاجئ
١٩٦ - ١٩٤	ثانيا: الأبنية العليا
٢٦٩ - ١٩٧	الفصل الثالث: معايير نصية أخرى في الرسائل والوصايا
١٩٨	مدخل
٢٢٦ - ١٩٩	المبحث الأول: معايير تتصل بمستعملي النص (القصدية والمقبولية والإعلامية)
٢١٠ - ٢٠٠	أولا: القصدية
٢١٤ - ٢١٠	ثانيا: المقبولية
٢٢٦ - ٢١٤	ثالثا: الإعلامية
٢٦٩ - ٢٢٧	المبحث الثاني: معايير تتصل بالموثرات الخارجية
٢٢٩ - ٢٢٨	أولا: السياق
٢٣٤ - ٢٢٩	- السياق وخصائصه
٢٤٧ - ٢٣٤	- ضروب السياق في الرسائل والوصايا
٢٦٩ - ٢٤٧	ثانيا: التناس
٢٥١ - ٢٤٧	مدخل
٢٥١	أنواع التناس في الرسائل والوصايا
٢٥٨ - ٢٥١	التناس الديني
٢٦٧ - ٢٥٨	التناس الأدبي
٢٦٩ - ٢٦٧	التناس التاريخي
٢٧٢ - ٢٧١	الخاتمة
٣١٢ - ٢٧٤	الملاحق
٣٣٠ - ٣١٤	المصادر والمراجع
a - b	المستخلص باللغة الإنكليزية

## مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الموصوف بالقدوم، أحمده وهو الممجود المحترم، وأشكره على ما أولانا من جزيل النعم، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله المفضل على سائر العرب والعجم، المصطفى من ولد آدم، صلى الله وسلم عليه وعلى آله أولي الكرم الذين باعوا أنفسهم لإبحررض وإلا درهم وأصحابه المبرئين من الوصم صلاة وسلاماً يحرسا قائلهما في يوم الندم.

وبعد...

لقد شهدت أواخر الستينيات وبداية السبعينيات تطورا ملحوظا في ميدان الدرس اللساني الحديث نتج عنه ميلاد فرع معرفي جديد عرف باسم (علم النص)، وموضوعه الأساس هو النص بوصفه أعلى وحدة لغوية في الدراسات النصية، وقد دفعتني رغبتني في دراسة نهج البلاغة إلى تطبيق هذا الفرع المعرفي على هذا المتن التراثي، ليس الغاية هي إخضاع هذا المتن لعلم النص، وإنما بيان بعض المعاني والأفكار المكتوبة وایضاحها في نصوص الإمام علي (عليه السلام)، من خلال تطبيق هذا الفرع المعرفي على بعض هذه النصوص، ولأجل هذا جاء اختيار هذا الموضوع ليكون عنوان البحث، فوسم بـ ((الرسائل والوصايا في نهج البلاغة - دراسة في ضوء علم لغة النص)).

أما سبب اختيار هذا القسم من نهج البلاغة دون غيره؛ فكان لسبق دراسة خطب الإمام (عليه السلام) وفاقا لهذا النمط من الدراسات النصية في رسالة الماجستير للطلاب (راشد مدفون مخيف) وكانت تحت عنوان ((خطب الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة مقارنة في ضوء علم لغة النص)) في كلية التربية/ جامعة القادسية.

فضلا عن أن الرسائل والوصايا قد واكبت مرحلة خلافة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكانت انعكاسا لها بكل أبعادها السياسية والاجتماعية والدينية، مما جعل لها قيمة إنسانية، من ذلك يمكن عدها من المصادر التاريخية والاجتماعية والدينية.

واقترضت طبيعة البحث أن يقسم على تمهيد، وثلاثة فصول فخاتمة بأهم النتائج، وتناول التمهيد عرضا لمفاهيم (النص، الرسالة، الوصية) اصطلاحا لتحقيق غاية مهمة من الدراسة، وهي إثبات أن الرسالة والوصية نص، لذا صح دراستها وقلقا للمعايير النصية التي أقرها دي بوجراندي.

أما الفصل الأول فقد اختص بمعيار (الاتساق) وعرض عناصره ومظاهره، فكان على مبحثين: الأول: الاتساق الصوتي والمعجمي، والآخر: الاتساق النحوي.

وكان الفصل الثاني في معيار (الانسجام)، درست فيه مبادئ الانسجام ومظاهره وعلاقاته والبنى النصية فجاء على مبحثين: الأول: مبادئ الانسجام ومظاهره، والآخر: العلاقات الدلالية والبنى النصية. على حين درس الفصل الثالث بقية المعايير النصية وعددها خمسة معايير، وقد توزعت على مبحثين: الأول: معايير تتصل بمستعملي النص (المتكلم، المتلقي) وتشمل (القصدية، المقبولة، الإعلامية)، والآخر: معايير تتصل بالمؤثرات الخارجية، هي (السياق، التناسق).

لابد في دراسة أي موضوع من ضبط المجال الذي يدور فيه، والمفاهيم والمصطلحات التي يعتمد عليها، فيتعين بذلك موقفه من الاختصاصات المختلفة والمتنوعة والمتداخلة، ويتمكن المستقبل من الولوج إلى المفاتيح القائمة على تلك المفاهيم؛ لذلك سوف نركز النظر ونسلط الضوء في ها هنا على ثلاثة مفهومات رئيسة وهي: (النص، الرسالة، الوصية)، إذ إنها المفاتيح التي تمكنا من ولوج أبواب الموضوع، والوصول إلى الطريق الصحيح في هذه الدراسة، وتحقيق الغاية المرجوة من دراسة نصوص الرسائل والوصايا في نهج البلاغة من منظور علم لغة للنص؛ لذا أرتأيت عرض التعريفات الاصطلاحية لهذه المفاهيم دون أن أعرج على معانيها اللغوية، لأنها لا تخدم النتيجة التي يصبو إليها البحث هنا، وفيما يأتي عرض لتعريفات هذه المفهومات.

## أولا تعريف النص . ص

توجد تعريفات عديدة للنص لا يمكن حصرها، وقد تنوعت بتنوع التخصصات المعرفية، وبتعدد الاتجاهات والنظريات والمدارس اللسانية، هذا ما أدى بالدراسين والباحثين إلى التباين في إمكانية وضع مفهوم للنص يجتمعون عليه، فكل تعريف يعكس وجهة نظر صاحبه والمنطلقات النظرية والخلفيات المعرفية التي ينطلق منها، فهناك من ابتدع تعريفاته من ثقافته وفهمه الخاص للنصوص، ومنهم من أضاف أو أجتزأ، فكلهم ساعون إلى توضيح هذا المفهوم، الذي يعد أساسا لا يقوم بدونه هذا العلم، وإيماناً بان تعريف المصطلح هو أول خطوة علمية لكل دراسة تالية له.

وسنعرض-هنا- لمفهوم النص من خلال مجموعة من التعريفات التي تتناسب وطبيعة هذه الدراسة، مما جاء عن بعض الدراسين والباحثين سواء الغربيين أو العرب.

لقد قدمت الدراسات الغربية والعربية الكثير من التعريفات لمصطلح النص، ومرد هذه الكثرة حداثة هذا الضرب من اللسانيات، فمفاهيمه ومصطلحاته لم تستقر بعد، علاوة على تناوله من غير نظرية لغوية، وتداخله مع النظريات النقدية الحديثة، فظهرت تعريفات تشرح مفهوم النص بصفة عامة، وأخرى تبرز الخواص النوعية الماثلة في بعض أ نماطه المتعينة، وسندرج تعريفات النص التي تتناسب مع طبيعة مفهومي الرسالة والوصية، وقد سارت في إتجاهين:

الأول: يرى أن النص مصطلح يطلق على المكتوب والمفوض، وتظهر ملامح هذا الإتجاه -على سبيل المثال- عند جان ماري سشايفر، جورج مونان، شلوميت، هاليداي ورقية حسن، وهيلمسلاف<sup>(١)</sup>. فيعرفه جان ماري سشايفر بأنه ((سلسلة لسانية محكية أو مكتوبة وتشكل وحدة تواصلية))<sup>(٢)</sup>، وذكر كل من هاليداي ورقية حسن أن كلمة نص تشير ((إلى أي فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها،

(١) ينظر: العلاماتية وعلم النص، منذر عياشي: ١١٩، معجم اللسانيات، جورج مونان: ٤٦٦، انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين: ١١، نحو النص، د. أحمد عفيفي: ٢٢، من لسانيات الجملة إلى علم النص (بحث منشور)، بشرير إبرير: ٢٣، ٢٨.

(٢) العلاماتية وعلم النص: ١١٩.

شريطة أن تكون وحدة متكاملة<sup>(١)</sup>، وغير بعيد عن هذا التصور فإن دايك يحدد اللص بأنه ((منطوقات لغوية مكتوبة ومطبوعة، تستند إلى وصف نحوي أكثر ثراءً لأبنية المنطوقات اللغوية))<sup>(٢)</sup>، فإذا أمعنا النظر في هذه التعريفات نجدها تطلق مفهوم النص على المكتوب، وقد يطلق على المنطوق (الشفوي) مع الاحتفاظ بتماسك أبنيته وتحقيق وظيفته الاتصالية بين المبدع والمتلقي.

والآخر: يتمثل في النظر إلى النص على أنه المكتوب فقط، ومن القائلين بهذا الرأي - على سبيل المثال - بول ريكور فقد عرف النص بأنه ((كل خطاب تثبته الكتابة))<sup>(٣)</sup>، وكذا الحال عند رولان بارت، فقال إن: اللص هو الكتابة<sup>(٤)</sup>، ومن تطبيقاته في الدراسات العربية قول رشيد بن جدو إن اللص ((ما تنقروا فيه الكتابة وتكتب فيه القراءة))<sup>(٥)</sup>، وقد اتخذ المسلك نفسه كل من بشير إبرير والدكتور محمد مفتاح<sup>(٦)</sup>، وسوف تقوم هذه الدراسة على تعريف للنص يوافق طبيعتها، أو على الأقل يتمتع بأكبر قدر متاح من الدقة والشمول، وهو تعريف سمير حجازي في الملحق الخاص بالمصطلحات الأدبية ضمن كتابه (المدخل في مناهج النقد الأدبي المعاصر)، فالنص عنده ((نتاج تاريخي للكتابة التي تم تنظيمها وفق بداية ونهاية، أو كل ما يبدي قابلية لبناء بنية داخلية تتميز بقدر من المتانة تمكنها من مقاومة الوقائع اللسانية الاجتماعية والنفسية، أما الكتابة فتتميز بالانفتاح والسيولة وقوة النفوذ أمام مختلف المؤثرات الخارجية))<sup>(٧)</sup>.

فهذا التعريف يركز على الطابع الكتابي للنص من جانب ويشير من جانب آخر إلى المعايير النصية التي أقرها دي بوجراند، وسارت عليها كل الدراسات في علم النص، فالنص عندنا هو المكتوب وكل ذلك ينسجم مع رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه في نهج البلاغة.

## ثانياً مفهوم الرسالة والوصية . ٤ .

تعد الرسائل والوصايا من الفنون النثرية التي عرفت ذيوها وانتشارا واسعا لدى العرب، واهتموا بها اهتماما كبيرا؛ وذلك لما تؤديانه من وظائف مهمة في حياتهم، وسنقف فيما يأتي عند مفهوم كل منهما عند القدامى والمحدثين لتحقيق الغاية المرجوة من البحث إلا وهي ربط مفهومي الرسالة والوصية بمفهوم النص.

(١) نحو النص، د. أحمد عفيفي: ٢٢.

(٢) علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، فان دايك: ٧٤.

(٣) من النص إلى الفعل (أبحاث التأويل)، بول ريكور: ١٠٥.

(٤) ينظر: لذة النص، رولان بارت: ٢٨.

(٥) من لسانيات الجملة إلى علم النص: ٢١.

(٦) ينظر: نفسه: ٢٨، تحليل الخطاب الشعري، د. محمد مفتاح: ١٢٠.

(٧) مدخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر مع ملحق قاموس المصطلحات الأدبية، د. سمير حجازي: ١٦٦.

## مفهوم الرسالة .

لقد كانت الرسائل ((وسيلة تواصل بين الأشخاص قد فرق بينهم الزمان والمكان وهذا التواصل يحققه الرسول الحامل للرسالة))<sup>(١)</sup> ، إذ إن لفظ الرسالة يعبر به ((عما يرسل به من موضع إلى موضع))<sup>(٢)</sup> ، ومن هنا كانت الرسائل ذات قيمة كبرى في المجتمع الإسلامي - ولاسيما الرسمية منها - نظراً لأثرها المهم في تنظيم الحياة للمسلمين في جميع المجالات.

فهذا الشيخ أحمد القلقشندي (ت ٨٢١ هـ) كان له كبير الاهتمام بفن الترسل ولاسيما الجانب الرسمي حيث خصص لها مؤلفاً ضخماً سماه ((صبح الأعشى في صناعة الإنشا))، ويرى أن هذا الفن وجد لخدمة المصالح العامة والخاصة للأمة وأهدافها المتمثلة في المكاتبات التي تهتم بالأمر الديني والدينيوية، فقال إن: ((الترسل مبني على مصالح الأمة وقوام الرعاية لما يشمل عليه من مكاتبات الملوك وسراة الناس في مهمات الدين وصلاح الحال، وبيعات الخلفاء وعهودهم، وما يصدر عنهم من عهود الملوك، وما يلتحق بذلك من ولايات أرباب السيوف والأقلام الذين هم أركان الدولة وقواعدها))<sup>(٣)</sup>.

وذكر أن مفهوم الرسائل الذي هو جمع رسالة يراد به ((أمر يرتبها الكاتب: من حكاية حال من علو، أو صيد، أو مدح وتقريض، أو مفاخرة بين شيئين، أو غير ذلك مما يجري هذا المجرى. وسميت رسائل من حيث أن الأديب المنشئ لها ربما كتب بها إلى غيره مخبراً فيها بصورة الحال، مفتحة بما تفتتح به المكاتبات))<sup>(٤)</sup>.

ويشير هذا الكلام إلى أن مفهوم الرسالة يطلق على المكتوب من النصوص، كذلك يهتم بذكر أطراف التواصل وهي: الكاتب، المرسل إليه، الرسالة، والغرض من كتابة الرسالة. وهذه أمور نجدها حاضرة في رسائل الإمام علي (عليه السلام)، وكان للمحدثين بالغ الاهتمام بهذا الفن وتوضيح مفهومه، فهذا أحمد الشايب يذكر أن المراد بالرسالة ((هو الخطاب المكتوب في غرض جزئي، يبعث به صاحبه إلى آخر))<sup>(٥)</sup>، ويقول جبور عبد النور إن الرسالة هي: ((ما يكتبه أمرؤ إلى آخر معبراً فيها عن شؤون خاصة أو عامة، وتكون الرسالة بهذا المعنى موجزة لا تتعدى سطوراً محددة، وينطلق فيها الكاتب على سجيته، بلا تصنع أو تأنق. وقد يتوخى حيناً البلاغة والغوص على المعاني الدقيقة فيرتفع بها إلى مستوى أدبي رفيع))<sup>(٦)</sup>.

(١) موضوع النثر في الشعرية العربية (رسالة ماجستير)، كريمة بوطران: ٦٨.

(٢) الديباج الوضي في الكشف عن اسرار كلام الوصي، العلوي: ٥ / ٢٠٩٩.

(٣) صبح الأعشى، القلقشندي: ١ / ٦٠.

(٤) نفسه: ١٤ / ١٣٨-١٣٩.

(٥) الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)، أحمد الشايب: ١١٣.

(٦) المعجم الأدبي، جبور عبد النور: ١٢٢.

ويذكر الدكتور محمد نبيه حجاب أن مفهوم الرسالة يراد به ((ما ينشؤه الكاتب إلى غيره في غرض من الأغراض))<sup>(١)</sup>. ويعرفها فايز القيسي بأنها ((ما يديجه الكاتب ويبعث به إلى غيره))<sup>(٢)</sup>. فلفظ (الكاتب) في هذه التعريفات يشير إلى أن الرسالة مكتوبة وليست ملفوظة، والدليل على ذلك أن بعض الباحثين يجعل لفظ (الرسالة) مرادفاً للفظ (الكتاب) فقال فيه إنه يشير: ((إلى النص المكتوب الذي يبعث به الكاتب إلى غيره في أي موضوع))<sup>(٣)</sup>.

ومن علماء اللغويين الغربيين زتسيسلاف وأورزنيك يعرفان الرسالة بأنها مثالي لنمط نصي مكتوب، فيذهبان إلى أنه ((نوع نصي مكتوب، يبدو بسبب أبعاد تحقيقه العادي... أنه قابل للتحليل إلى حد ما أكثر من أنواع نصية أخرى، وذعني هنا نوع اللغوي المسمى الرسالة))<sup>(٤)</sup>. نستشف من ذلك أن مفهوم الرسالة يطلق على النص المكتوب وهذا الرأي يتفق مع طبيعة رسائل الإمام (عليه السلام)، فقد جاءت رسائله مكتوبة جميعها.

## ٢- مفهوم الوصية.

من الفنون النثرية التي لها مكانة بارزة في حياة الإنسان، لأنها تركز على الوعظ والإرشاد والتوجيه والتسمك بالأخلاق الحميدة، التي تقود الموصى إليه إلى الراحة والسعادة والحياة الأفضل والأكمل<sup>(٥)</sup>.

وقد تكررت تعريفات عديدة للوصية منها ما قاله التهانوي في كشفه من أن الوصية ((هي أن يوصي الراوي عند موته أو سفره لشخص معين بكتاب يرويه))<sup>(٦)</sup>، وعرفها الدكتور أحمد مطلوب بأنها ((لون من الكلام فيه توجيه أو إبلاغ))<sup>(٧)</sup>، وعرفت أيضاً بأنها ((كلام مستخلص من تجارب الحياة، غالباً ما يتفوه بها من عرف بين الناس بالحكمة، لينتفع بها من تلقى إليه، ويتجنب الوقوع في الأخطاء))<sup>(٨)</sup>. نلاحظ في هذه التعريفات أن أكثرها تؤكد على أن الوصايا فن نثري يلقي شفاهاً كذلك تشير إلى الغرض من إنشائها وأركانها، وهي: الموصي، والموصى إليه، والشئ الموصى به، وتركز الأهمية على (الموصي)؛ لأنه هو الذي يريد إعطاء خلاصة مركزة عن تجربته الذاتية<sup>(٩)</sup>، فالوصية هي وسيلة ((إيصال

(١) بلاغة الكتاب في العصر العباسي، د. محمد نبيه حجاب: ٩٥.

(٢) أدب الوسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، فايز عبد النبي فلاح القيسي: ٧٩.

(٣) نفسه: ٨٠.

(٤) مدخل إلى علم النص (مشكلات بناء النص)، زتسيسلاف وأورزنيك: ٤٥.

(٥) ينظر: النثر في العصر الجاهلي، د. هاشم صالح مناع: ١٠٧.

(٦) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي: ١٧٩٤ / ٢.

(٧) معجم النقد العربي القديم، د. أحمد مطلوب: ٤٤٠ / ٢. وينظر: معجم مصطلحات النقد العربي القديم، د. أحمد مطلوب: ٤٤٥.

(٨) أدب الوصايا في نهج البلاغة (قراءة في خصائص الأسلوب)، بحث منشور، د. مزاحم مطر: ١٨٩.

(٩) ينظر: نفسه: ١٨٩.

الخبرة ونقل التجربة ومد جسور المعرفة التي يتناقلها البشر بغية تحقيق الخير لهم بصورة عامة أيا كان ميدان تلك الوصية، فالوصية تضمن اتصال السلوك السليم والرأي السديد عن طريق نقله للأجيال<sup>(١)</sup>. بعد هذا العرض لهذه المفهومات، قد يتبادر إلى الذهن سؤال مهم، هل الرسائل والوصايا نصوص؟ علماً أن الجواب على هذا السؤال يحدد صحة هذه الدراسة وعدمها. لقد استقر عندنا في ضوء التعريف الذي تبناه البحث أن النص هو المكتوب، ووفقاً لهذا الفهم، فالرسائل نصوص لا إشكال في ذلك؛ لأنها مكتوبة.

أما الوصايا فبعدها فنانشأ في العصر الجاهلي؛ لذا كانت تتصف بالشفاهية، إلا أن وصايا الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة كانت -على الأكثر- مكتوبة، وهذا الكلام يوجب أدلة، وهي عديدة أهمها: ❖ إن هذه الوصايا انتجت في العصر الإسلامي، وقد عاش المجتمع الإسلامي حياة تختلف عما كان عليه في العصر الجاهلي إذ بدأ الاهتمام باستخدام الكتابة بفعل الدين الجديد.

❖ وأشارت دراسة حديثة إلى إلحاق وصايا الإمام برسائله، ومن المبررات التي قدمتها هذه الدراسة:

- إن الوصايا سارت على آداب الكتاب المقررة وتلتزم بقيودها الموضوعية.  
- إن الإمام كان يكتب وصاياه ولا يلقيها شفاهاً كما كان الأوائل يلقون وصاياهم على أبنائهم وأقربائهم شفاهاً

- إن الوصايا كانت موجهة إلى الشاهد الغائب ولا يقتصر (عليه السلام) على من كان بحضرته وهذا وجه الشبه بين الوصايا والرسائل في كونها نصوص تدون إلى أولئك الغائبين<sup>(٢)</sup>. وهذا يتوافق مع الرأي القائل إن النص: ((هو التابع الجملي الذي يحقق غرضاً اتصالياً ولكنه يتوجه إلى متلق غائب، وغالباً ما يكون مدونة مكتوبة تمتلك الديمومة، ولهذا تتعدد قراءات النص، وتتجدد، بتعدد قرائه، وتعدد وجهات النظر فيه، وحسب المناهج النقدية المتعددة))<sup>(٣)</sup>.

ومن كل هذا يتضح عندنا أن الوصايا في نهج البلاغة هي نصوص أيضاً لأنها مكتوبة على الأكثر؛ لذلك يصح دراستها دراسة نصية في ضوء (علم لغة النص) وتطبيق المعايير السبعة التي أقرها (دي بوجراند) وهي: (الاتساق، الانسجام، القصديّة، المقبولية، الإعلامية، المقامية، التناص)<sup>(٤)</sup>، وهو ما سنتناوله في فصول هذا البحث، لكن تجدر الإشارة إلى أن وجود هذه المعايير جميعها في النص يحقق ما يسمى بالاكتمال النصي<sup>(٥)</sup>.

(١) الوصايا في الأدب الأندلسي، (رسالة ماجستير)، حذيفة عبد الله عزام: ٨.

(٢) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) (دراسة أدبية نقدية)، كامل حسن البصير: ١٥٣-١٥٤.

(٣) النص الغائب، د. محمد عزام: ٤٦.

(٤) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ١٠٣-١٠٥.

(٥) ينظر: في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم (دراسة نظرية)، (بحث منشور)، د. بشرى حمدي البستاني، د. وسن عبد الغني المختار: ١٨١.

## مدخل:

إن الاتساق النصي هو موضوع أساس في اللسانيات الحديثة التي أخذت على عاتقها في سبيل التكون والتأسيس والتطور، الانطلاق من فرضية التوسع، إذ توجب عليها الانتقال من دراسة الجملة بوصفها وحدة لغوية كبرى، تبنى عليها نظريات اللغة ومدارسها واتجاهاتها، إلى النص؛ بوصفه ممثلاً شرعياً للغة، يمتاز بكل خصائص ومميزات الاتساق والانسجام.

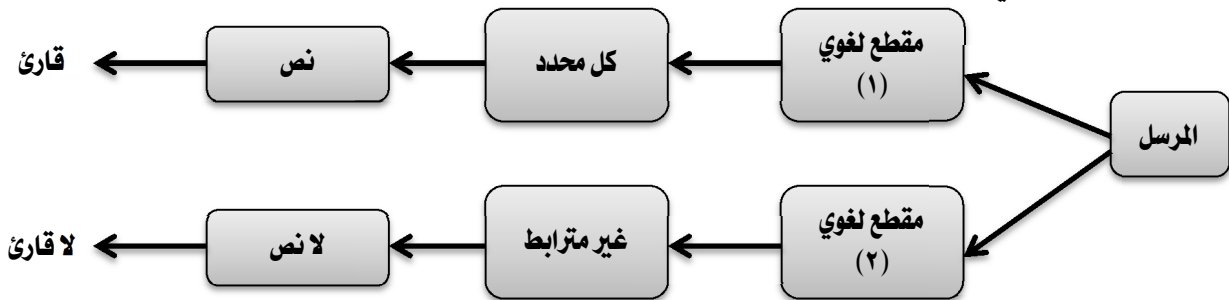
وهو ما تقوم عليه كل الدراسات الحديثة والابحاث اللغوية المعاصرة، لأنه بنية منتظمة متسقة ومنسجمة، تحتكم إلى علاقات معينة بين متالياتها الجمالية في أداء معناها، بالصورة التي تكون فيه قابلة للقراءة والفهم والتأويل؛ إذ يمثل الاتساق المعيار الأول من المعايير النصية السبعة التي وضعها (دي بوجراند) وقد نال هذا المصطلح عناية كبيرة من قبل اللسانيين النصيين، بتوضيح مفهومه وأدواته وإبراز عوامله وشروطه، ولم يتفق الباحثون والدارسون حول المصطلح العربي المقابل له. والجدول الآتي يوضح المصطلحات العربية المقابلة للمصطلح الإنكليزي (COHESION) التي وضعها الباحثون والدارسون.

المصطلح العربي المقابل	اسم الباحث أو الدارس	الموضع
الاتساق	☒ جبار سويس حنيحن الذهبي	الاتساق في العربية، دراسة في ضوء علم اللغة الحديث (رسالة ماجستير): ٢٦.
	☒ زاهر بن مرهون الداودي	الترابط النصي بين الشعر والنثر: ٣٧.
	☒ عبد الله خليف خضير عبيد الجنابي	الانسجام في النص القرآني مظاهره وجمالياته (أطروحة دكتوراه): ٤٢.
	☒ عثمان أبو زنيد	نحو النص (إطار نظري ودراسات تطبيقية): ١٠٥.
	☒ لبيبي عبد الرحمن، أكمل خزيري عبد الرحمن، شمس الجميل يوب	مظاهر الاتساق في النص القرآني دراسة وصفية لغوية (بحث منشور): ٥.
	☒ ليندة قياس	لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمذاني أنموذجاً: ٢٧.
الانسجام	☒ محمد خطابي ☒ محمد يحياتن	لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١١. المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: ١٢٧.
	☒ د. أحمد مداس	لسانيات النص نحو منهج التحليل، الخطاب الشعري: ٨٣.
الترابط	☒ د. محمد الشاوش	أصول تحليل الخطاب: ٢٥/١.
الترابط القواعدي	☒ د. موفق محمد جواد	أسس لسانيات النص: ١٥١.
التضام	☒ إلهام أبو غزالة	مدخل إلى علم لغة النص: ١١.



المصطلح العربي المقابل	اسم الباحث أو الدارس	الموضع
التماسك	☒ د. الأزهر الزناد	نسيج النص: ١٥.
	☒ راشد مدفون مخيف	خطب الإمام علي (ع) في نهج البلاغة مقارنة في ضوء علم لغة النص (رسالة ماجستير): ٢٠.
	☒ د. صبحي إبراهيم الفقي	علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٩٣/١.
	☒ د. فالح بن شبيب العجمي	مدخل إلى علم اللغة النصي: ٩٣.
التناسق	☒ بشير إبرير	من لسانيات الجملة إلى علم النص: ٢٣.
الربط	☒ نوال لخلف	الانسجام في القرآن الكريم، سورة النور انموذجا (أطروحة دكتوراه): ١٠.
الربط اللفظي	☒ د. عزة شبل محمد	علم لغة النص بين النظرية والتطبيق: ٩٩.
الربط النحوي	☒ د. سعيد حسن بحيري	علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ١٠٠، اتجاهات لغوية معاصرة (بحث منشور): ١٧٠.
السبك	☒ أحمد حسين حيال	السبك النصي في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة الأنعام (رسالة ماجستير): ٤٨.
	☒ د. أحمد عفيفي	نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ٧٥.
	☒ أحمد محمد عبد الراضي	نحو النص بين الأصالة والحداثة: ١٠١.
	☒ تمام حسان	اجتهادات لغوية: ٣٦٥.
	☒ د. جميل عبد المجيد	البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ٧١، ٧٧.
	☒ د. حسام أحمد فرج	نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري: ٧٨.
	☒ د. سعد مصلوح	نحو إجرومية للنص الشعري: ١٥٤.
☒ شريفة بلحوت	الإحالة دراسة نظرية: ٩٠.	

والحقيقة أنه لامشاحة في تعدد التسميات للمسمى الواحد، إذ كل تسمية تعبر عن وجهة نظر الباحث أو الدارس في النظرة الوظيفية التي يؤديها هذا المصطلح؛ لأنها تشير إلى معنى الترابط أو التماسك بين الكلمات أو الجمل وغيرها من أجزاء النص، إذ لا يتحقق ذلك في نص ما إلا باستعمال العناصر اللغوية التي تساعد في ذلك، فالمتكلم (المرسل) يهدف عند صياغته نصا لغويا إلى إرسال رسالة للمخاطب (المتلقي)، وقد تعبر تلك الرسالة عن انفعال أو شعور القائل تجاه أمر معين، وهو ما يوضحه المخطط الآتي<sup>(١)</sup>:



(١) ينظر: لسانيات النص، محمد خطابي: ١٢، من أنواع التماسك النصي (التكرار، الضمير، العطف) (بحث منشور): أ. م. مراد حميد عبد الله: ٥١.

ما يلحظ على هذا المخطط أن الاتساق شرط ضروري لتحديد ما هو نص وما هو ليس نصا، فإذا توافرت وسائله كان المقطع اللغوي كلاما موحدًا وإذا ما افتقر إليها أصبح جملا غير مترابطة (لا نص) وهذا يؤدي بالقارئ إلى رفضه لعدم فهمه وذلك لغياب الاتساق، ولعل هذا ما قصده ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦هـ) بقوله في باب النظم : ((إذا كان متنافرا متباينا عسر حفظه، وثقل على اللسان النطق به، ومجته المسامع، فلم يستقر فيها منه شيء))<sup>(١)</sup>؛ ففي المقولة إشارة إلى الاتساق في الكلام لكنه يختلف عن الوحدة العامة للنص التي تتوصل إليها عن طريق الانماط التنظيمية الكبرى لجميع الأفكار في النص. ويتبنى البحث الفهم الذي يجعل الاتساق مرتبطا بالجانب الشكلي للترابط النصي جاعلا الاتساق بوصفه أقدم مصطلح عربي مقابلا للمصطلح الانكليزي (COHESION)<sup>(\*)</sup>.

أما مفهوم الاتساق عند النصيين فهو ((ما يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على هيئة وقائع يؤدي السابق منها اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي، إذ يمكن استعادة هذا الترابط على هيئة نحوية للمركبات والتراكيب والجمل، وعلى أمور مثل التكرار، والألفاظ الكنائية، والإحالة المشتركة (Co-reference)، والحذف والروابط))<sup>(٢)</sup>. أو هو ((خاصية دلالية للخطاب؛ تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم في الجمل الأخرى))<sup>(٣)</sup>، وبذلك فالاتساق مظهر من مظاهر عملية إنتاج النص الكبرى التي تشتمل على عناصر أخرى سياقية.

ويرى أسامة عبد العزيز جاب الله أن الاتساق هو ذلك التماسك بين الأجزاء المشكلة لنص ما، ويكون مناط العناية فيه منصبا على الوسائل اللغوية التي تربط بين العناصر المكونة للنص مثل: الإحالة، العطف، والضمائر، والاستبدال، والحذف، والمقارنة، وغيرها من الوسائل.

ويرى أن الاتساق إحكام علاقات الأجزاء، ووسيلة ذلك إحسان استعمال المناسبة المعجمية من جهة، وقرينة الربط النحوي من جهة أخرى، واستصحاب الرتب النحوية حيث تدعو دواعي الاختيار الأسلوبية، ورعاية الاختصاص والافتقار في تركيب الجمل<sup>(٤)</sup>.

وفي إطار هذه المعالجات فإن البحث سيعتمد إلى الكشف عن وسائل الاتساق الموجودة في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه من خلال النظر إلى بنية النص من الداخل، وهذا يقتضي وضعاً وتحليلاً للنظام الذي تأتلف فيه البنى النصية، بحيث يتم تمحيص علاقات الارتباط الأفقية التي تنشأ بين مكوناتها، وبيان مقوماتها التي تحكم النص<sup>(٥)</sup>. وقد اختلف الدراسون في تحديد وسائل الاتساق

(١) العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، ابن رشيق القيرواني: ٢٥٧/١

(\*) إن أول من أطلقه هو د. محمد خطابي في (لسانيات النص) ويعد كتابه هذا من أقدم مصادر الدراسات النصية الحديثة.

(٢) الاتساق في العربية: ٢٧، ينظر: الإحالة دراسة نظرية: ٩٠.

(٣) بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل: ٢٤٥.

(٤) ينظر: نظرات في مصطلحات اللسانيات، د. أسامة عبد العزيز جاب الله، www.alfaseeh.com

(٥) ينظر: نسيج النص: ٢٥، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، د. مصطفى حميدة: ٢.

النصي، لذلك اعتمدت على نصوص الرسائل والوصايا في تحديدها. وهي تتوزع على ثلاثة مستويات (صوتي، معجمي، نحوي)، وكل منها يركز على وسائل عدة ومظاهر لغوية تنسج العلاقات بين البنى الداخلية وبين وظائفها:



## أولاً : الإلتطوتي

### مدخل:

من المعروف أن اللغات تختلف في نظامها اللغوي العام، فلكل لغة خصائصها التي تميزها من غيرها من اللغات، وعلى ذلك فإن العناصر الصوتية تختلف من لغة لأخرى. فضلاً عن ذلك فإن اللغة العربية لغة ذات طبيعة ابحائية، إذ إن ((لكل نوع من الحروف والأصوات وظيفة في تكوين المعنى وتثبيت أصله وتنوع شكله وألوانه مع تناسب بين أصوات اللغة وأصوات الطبيعة وتوافق بين الصورة اللفظية والصورة المعنوية المقصودة))<sup>(١)</sup>.

ونتيجة لما يترتب على العلاقة بين الصوت والمعنى كان الاتساق الصوتي من أنواع الاتساق التي يمكن للباحث - في ضوءه - الحكم على اتساق النص إذ نجده حاضراً في أغلب النصوص النثرية والشعرية إلا إن عناية علماء النص المحدثين أنصبت نحو الاهتمام بالاتساق النحوي والمعجمي.

إن الاتساق الصوتي يقترب في الدرس العربي من علمين من علوم البلاغة، هما: علم البديع وعلم المعاني، وسيكون السجع والجناس، أبرز المحاور التي سنقف عليها ويضاف لهما التنغيم الذي لم ينل تلك العناية وذلك الاهتمام في بحوث الدراساتين والباحثين؛ لذا كانت دراسة (دي يوجراند) عن الاتساق الصوتي وعن التنغيم على وجه الخصوص هي الدراسة الأولى التي جعلت هذا النوع من الاتساق يرى النور، وكان ذلك في كتابه الموسوم (Introduction to Text Linguistics).

إن ما جاء في هذا الكتاب يعد اهتماماً بالغا وإشارة واضحة إلى هذا النوع من أنواع الاتساق إذ عد التنغيم من المحاور الصوتية الرئيسية لمصطلح الاتساق الصوتي وجعله على نوعين (التنغيم الصاعد، والتنغيم الهابط)<sup>(٢)</sup>، أما وظيفة الاتساق الصوتي في النص ((فيعتمد الربط معه على وجود عناصر صوتية تشيع جواً من التوحد السمعي بين جمل النص عند القارئ من خلال تكرار نفس المقاطع الصوتية بإيقاع منتظم على مسافات ثابتة ويجعل هذا الانتظام الإيقاعي جمل النص تبدو للوهلة الأولى مترابطة، فيؤدي هذا إلى قبولها مبدئياً من القارئ))<sup>(٣)</sup>.

إن دراسة الاتساق الصوتي تدور في ثلاثة محاور هي: (السجع والجناس والتنغيم)، وقد أهملنا دراسة الوزن الشعري والسبب في ذلك يعود إلى أن أحد الباحثين تناول دراسة كلام الإمام (عليه السلام) في رسائله وقد أثبت أنه جاء وكأنه قصائد شعرية هبت في قوالب نثرية<sup>(٤)</sup> فهو أشبه ما يكون بقصيدة نثرية، فشكلت بذلك ألحاناً موسيقية رائعة عزفت على أوتار العروض المختلفة.

(١) فقه اللغة وخصائص العربية، د. محمد المبارك: ٢٦٣.

(٢) ينظر: نظرية علم النص: ١١٦.

(٣) نفسه: ٨١.

(٤) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام)، د. كامل حسن البصير: ٤١٥-٣٤٠.

## (١) السجع.

يعرف بأنه ((تواطؤ الفواصل في الكلام المنتثر على حرف واحد))<sup>(١)</sup>، ويعد السجع واحداً من العناصر الموسيقية التي اعتمدت عليها رسائل الإمام (عليه السلام) ووصاياه بشكل أساس في صنع الاتساق الصوتي من حيث أنه يسهم في منح النص طابعاً بنويًا واضحاً ومنظماً لذا يمثل مقوماً من مقومات الموسيقى الداخلية، غير أن قيمته النغمية لا تنحصر في تمثل الحروف المتكررة في نهايات الفواصل فهو ليس ((مجرد تشابه صوتي))<sup>(٢)</sup>، وإنما تكمن قيمته في أن علاقاتها داخلية تتحد بالمدلول<sup>(٣)</sup>.

ويرى (كارل بروكلمان) أن نظام السجع من أول مظاهر ارتقاء العربية إلى لغة شعرية بفضل ما يقدمه من تنظيم إيقاعي، فهو يجمع إلى صفة البيان ضرباً من الإيقاع<sup>(٤)</sup>، فالسجع بطبيعته الصوتية ((إيقاع محبب إلى النفس.. والقلب.. وكأنه تمهيد للشعر، وصورة مصغرة عنه.. يحبه الرجل كبيراً ويأنس إليه صغيراً، بل لا يكاد الطفل يغفو في حضن أمه إلا إذا هددهته بأشودة مسجوعة، إيقاعية، رتيبة النغمات))<sup>(٥)</sup>.

لقد كان السجع في الرسائل والوصايا المظهر الصوتي الأبرز لاتساق عناصر النص الواحد إلى جانب عناصره الأخرى النحوية والمعجمية، فخلق نوعاً من أنواع الوحدة داخل النص؛ إذ حفلت نصوص الرسائل والوصايا بزخرف واسع من الاسجاع المتنوعة التي أدت إلى توليد أنغام موسيقية تعزف على أوتار الرغبة والرغبة والخوف والرجاء عند المتلقين؛ إذ إن ((النهايات المتشابهة التي يخلقها السجع تعطي له الدعم الصوتي الذي يشكل وسيلة قوية للإقناع، ولا سيما إذا كان بين الكلمتين المسجوعتين علاقة دلالية))<sup>(٦)</sup>، وقد استقرت أنماط السجع في رسائل الإمام (عليه السلام) ووصاياه

(١) المثل السائر، ابن الأثير: ٢١٠.

(٢) بنية اللغة الشعرية: ٣١.

(٣) ينظر: نفسه: ٣٢.

(٤) ينظر: تاريخ الأدب العربي: ٥١ / ١.

(٥) البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم البديع)، د. بكري شيخ أمين: ١٢٦.

(٦) نظرية علم النص: ١١٧.

فوجدتها موزعة على ثلاثة أنماط رتبها بحسب كثرتها، كما يوضحه الجدول الإحصائي الآتي<sup>(\*)</sup>:

نوع السجع	الرسائل (عدد المرات)	الوصايا (عدد المرات)	المجموع
المطرف	٢٧٩	٦	٢٤٧
المتوازي	٧١	٣٢	١٠٣
المرصع	١	١	٢

نلاحظ من خلال هذا الجدول تنوع بنية السجع في الرسائل والوصايا، إذ هيمن السجع المطرف عليها ثم تلاه المتوازي فالمرصع، وذلك ليتناسب صوتيا ودلاليا مع كل نص ذكر فيه، وفيما سيأتي من مادة البحث سنيين مفهوم كل نوع من الأنواع مع تحليل لبعض النماذج من الرسائل والوصايا.

### ☒ السجع الهطرف.

وهو أن يتفق اللفظ الأخير من الجملة مع نظائره في الجمل الأخرى في حرف الروي دون الاتفاق في الوزن أو عدد الحروف<sup>(١)</sup>. ومثل هذا النوع من السجع ما جاء في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام)، فقال: ((فَاعْتَصِمِ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ، وَلِيَكُنْ لَهُ تَعْبُدُكَ، وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ))<sup>(٢)</sup>. فالسجع المطرف حاصل بين الألفاظ (سواك، تعبك، رغبتك، شفقتك)، وقد أخذ صوت (الكاف) مأخذا كبيرا في هذا النص، وهو صوت شديد<sup>(٣)</sup>، إذ جاء متلائما وفكرة النص التي أراد الإمام (عليه السلام) ترسيخها في ذهن ابنه الإمام الحسن (عليه السلام) من جانبين، الأول: إخباره بعظمة الله سبحانه وتعالى وقدرته، فهو خالقنا ورازقنا وهذه العظمة تتناسب وصفة صوت الكاف. والآخر: يأمره (عليه السلام) بوجود الاعتصام بالخالق عزوجل، وان تكون له العبادة خالصة حتى يبلغ ذلك مجامع قلبه ومكامن له، والإخلاص له في النية والعمل فهذه الأعمال تنسجم وصفة صوت (الكاف) التي كان لها أثرها النغمي في قرع أسماع المتلقي وهز مشاعره.

وفضلا عن الاتساق الصوتي نجد أن للاتساق النحوي أثره البارز في النص مما يظهر لنا من الإحالات المتنوعة (اسم الموصول، والضمائر) فضلا عن العطف (بالواو) الذي أسهم في ترتيب الأفعال على نحو منظم، فلا يمكن تغيير أي من هذه الألفاظ عن موقعه أو حذفه لأن في ذلك إخلالا بالسلسلة الكلامية، إذ جاءت الألفاظ متسلسلة ومتتابعة على أساس منطقي ومثله قوله (عليه السلام) في

(\*) ينظر: تفصيلات السجع في الملحق الخاص بالسجع في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياها: ٢٧٤-٢٧٦.

(١) ينظر: حسن التوسل إلى صناعة التوسل، شهاب الدين الحلبي: ٢٠٩، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حبنكة الميداني: ٥٠٧/٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧٦/١٦ (و ٣١).

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس: ٨١، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، د. حسام النعيمي: ٣١٥.

كتابه له إلى بعض عماله: ((أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَّغْنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ، وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ. بَلَّغْنِي أَنْكَ جَرَدْتَ الْأَرْضَ فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ، وَأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ، فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ))<sup>(١)</sup>.

نلاحظ مجيء فواصل هذه الرسالة وقد هيمن على رويها صوت (الكاف) في (ربك، أمامك، امانتك، قدميك، يديك، حسابك)، وهذا يتناسب ومعنى النص الذي بدا واضحا للقارئ، فخيانة الأمانة من أقبح وأفظع الخيانات وبيوء فاعلمها بغضب الله وولي الأمر، فجاء صوت (الكاف) معبرا خير تعبير عن شناعة وفضاعة هذا العمل، لذلك فوجود (الكاف) جاء متناغما مع الغرض الرئيس من الرسالة.

### ☒ السجع المتوازي.

وهو أن تتفق اللفظة الأخيرة من القرينة مع نظيرتها في الوزن والروي<sup>(٢)</sup>. وهذا النوع من السجع تحفل به رسائل الإمام (عليه السلام) ووصاياه وذلك لما يمثله من حضور بارز في المواقف التي يتطلب حضوره فيها لإتمام المطلوب، ومن أمثله ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى بعض عماله: ((فَلَمَّا رَأَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلَبَ، وَالْعَدُوَّ قَدْ حَرَبَ، وَأَمَانَةَ النَّاسِ قَدْ خَزَيْتَ، وَهَذِهِ الْأُمَّةَ قَدْ فَتَكْتَ وَشَغَرْتَ، قَلْبْتَ لِابْنِ عَمِّكَ ظَهْرَ الْمَجْنُونِ، فَفَارَقْتَهُ مَعَ الْمَفَارِقِينَ، وَخَذَلْتَهُ مَعَ الْخَاذِلِينَ، وَخُنْتَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ))<sup>(٣)</sup>.

جاء هذا النص يحمل تلويحا صوتيا يصور لنا خيانة هذا العامل لأمانته، فالسجع المتوازي حاصل في موضعين، الأول: في قوله (كلب، وحرب) فجاء صوت (الباء) وهو من الأصوات الشديدة<sup>(٤)</sup> متناسبا مع دلالة الاشتداد التي تشير إليها هذه الأفعال<sup>(٥)</sup>، فضلا عن مجيئها على صيغة (فعل) التي تدل على الحركة والاضطراب<sup>(٦)</sup>، لتوضح اضطراب الأوضاع السياسية وتدهورها، والسجع المتوازي الآخر في قوله (الخاذلين والخائنين)، وقد سبق جناس مطرف بين (مفارقين وخاذلين)، إذ جاء (النون) رويًا لثلاث فواصل نثرية، فهو ((صوت متوسط مجهور أغن))<sup>(٧)</sup> يعمل على إحداث غة عند النطق به مما أدى إلى ((زيادة الترميم وإلى إضفاء إيقاع أعلى على النص عن طريق مد المنة الزمنية التي يستغرقها النغم الصوتي لكونها فاصلة يتوقف عندها الكلام))<sup>(٨)</sup>، فأحدث تكراره فيضًا في النغم

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦٤/١٦ (ك ٤٠).

(٢) ينظر: نهاية الإيجاز، الفخر الرازي: ٦٩، كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري: ٢٦٢، حسن التوسل إلى صناعة التوسل: ٢٠٩.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦٧/١٦ (ك ٤١).

(٤) ينظر: الأصوات اللغوية: ٤٦، مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان: ١١٩.

(٥) حرب الرجل، بالكسر، جوب جوبًا اشتد غضبه، لسان العرب، مادة (حوب): ٧٠ / ٤، وكب أي: أشد يقال: كب الدهر

على أهله إذا ألح عليهم واشتد، نفسه، مادة (كب): ٩٧/١٣.

(٦) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيويه، د. خديجة الحديثي: ٣٨٤.

(٧) فقه اللغة العربية، د. كاصد الزبيدي: ٤٩١.

(٨) النون في العربية، (رسالة ماجستير)، مشتاق عباس: ٢٥٨.



الموسيقى وروعة في الأداء، وقد زاد هذا النص جمالا واتسقا للتكرارات الجزئية التي حفلت بها بنية النص بين (فارقته- المفارقين) ، (خذلته- الخاذلين)، (خنته- الخائنين)، فقد اتحدت هنا الدلالة الصوتية والدلالة اللغوية لبيان شدة خيانة هذا العامل وعدم حفاظه على ما أوتمن عليه.

ومن هذا كله نجد أن إيقاع السجع المتوازي إنما يحدث من خلال تشابك التجانس الصوتي في الحروف الأخيرة التي تنتهي بها الجمل مع النغم الذي يبعثه وزن الفاصلة مما يعمل ذلك على تصاعد الموسيقى الداخلية ((فإذا كانت الفواصل أذن على زنة واحدة وحرف واحد كانت صورة التوازن أكمل))<sup>(١)</sup>. ومثله ما جاء في كتاب له إلى عثمان بن حنيف الأنصاري عاملة على البصرة: ((فَوَاللَّهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تَبْرًا، وَلَا أَدَخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفَرًّا، وَلَا أَعَدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طَمْرًا، وَلَا حَزْتُ مِنْ أَرْضِهَا شَبْرًا))<sup>(٢)</sup>. فالسجع المتوازي حاصل بين الألفاظ (طمره شبرا)، وقد سبق بالسجع المطرف في قوله: (تبره وفره) ليخرج النص بأبى صورة، وقد جاء صوت (الراء) هنا رويال هذه الفواصل الأربع، إذ أضفى تكرار صوت (الراء) إيقاعا داخليا واضح المعالم وقيمة صوتية فهو صوت ((مجهور ... مكرر يضرب اللسان معه في اللثة ضربات متتالية))<sup>(٣)</sup>، فهذه الضربات المتتالية جاءت متناغمة مع الغرض الأساس من هذا الكتاب وهو تنبيه المخاطب على قيمة الدنيا الحقيقية ومدى رخصها في نظر الإمام موشحا ذلك بأسمى معاني الزهد.

ونلاحظ مجيء هذا النص قائما على بنى نصية متوازنة ومتوازنة في نهاياتها وذلك ليلقى قبولا واستحسانا عند متلقيه، وهذا ما أثبتته علم النفس الموسيقي بأن هناك ميلا غزيرا نحو الإيقاع الموسيقي المنظم إذ تشعر معه النفس الإنسانية بنوع من الرضا<sup>(٤)</sup>.

#### ☒ السجع الهرصع.

هو ((أن تكون الألفاظ مستوية الأوزان، متفقة الأعجاز))<sup>(٥)</sup>، ويعني ذلك مقابلة كل لفظ على وزنه ورويه ((فهو أحسن وجوه السجع))<sup>(٦)</sup>، والغاية من استعمال مثل هذا النوع من السجع هي ((المقاربة بين الكلام بما يشبه بعضه بعضا))<sup>(٧)</sup>، ولكنه لا يصلح في كل المواضع إلا ما اتفق مع المعنى المقصود، لذا يشترط فيه ((سهولة المأخذ وعدم التكلف، وهو أن يكون المتكلم مستمرا على ديدنه،

(١) الأسس الجمالية في النقد العربي، عز الدين اسماعيل: ١٨٩.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٠٥/١٦ (ك ٤٥).

(٣) دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر: ٣٩٦.

(٤) ينظر: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، مجيد عبد الحميد ناجي: ٦٢.

(٥) نهاية الإيجاز: ٧١، وينظر: مفتاح العلوم، السكاكي: ٢٠٣.

(٦) كتاب الصناعتين: ٢٦٣.

(٧) نقد الشعر، قدامة بن جعفر: ٨٥.

والكلام جاوياً على سننه حتى إذا عرضت له فرصة، السجع وعنت نزهة الترصيع متيسرة من غير عسف، سهلة من غير عنف، انتمزها حذراً من التكلف الغث والبارد الرث<sup>(١)</sup>.

ومما جاء من السجع المرصع من كتاب له (عليه السلام) إلى زياد بن أبيه وهو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة- وعبد الله عامل أمير المؤمنين (عليه السلام) يومئذ عليها وعلى كوز الأهواز وفارس وكرمان وغيرها: ((وَأَنِّي أَقْسَمُ بِاللَّهِ قَسَمًا صَادِقًا، لَنْ بَلَّغْنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فِئَةِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا، لِأَشَدَّنَّ عَلَيْكَ شِدَّةً تَدْعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ، ثَقِيلَ الظَّهِرِ، ضَنْبِيلَ الْأَمْرِ. وَالسَّلَامُ))<sup>(٢)</sup>. حاصل النص تحذير زياد بن أبيه من خيانة ما يليه من مال المسلمين، وقد توعده (عليه السلام) بالعقوبة إن وقعت منه وكفى عنها بالشدة، حصل الترصيع بين القرائن الثلاث الأخيرة:

قليل / الوفر

ثقيل / الظهر

ضنبيل / الأمر

وقد ورد إيقاعاً قوياً أسهم في تكوينه تكرار صوتي اللام والراء فهما ((من أوضح الأصوات الساكنة في السجع))<sup>(٣)</sup>، فضلاً عن تكرار صيغة (فعل) في قوله (قليل، ثقيل، ضنبيل). واستعمال هذا الوزن ((في المبالغة يدل على معاناة الأمر وتكراره حتى أصبح كأنه خلقه في صاحبه وطبيعة فيه))<sup>(٤)</sup>، وقد جاء كل ذلك في سياق التهديد؛ لأن الإمام (عليه السلام) أراد أن تبلغ دلالة التهديد منتهاها في نفس عامله وتؤثر فيه سبب سلب الكمالات الدنيوية والآخرية منه.

فالسجع ((مقصد من مقاصد العقلاء يميل إليه الطبع وتتشوق إليه النفس))<sup>(٥)</sup> من خلال الأثر الواضح الذي يقوم به من تكوين الإيقاع وإظهاره ((من خلال التقسيم المنظم للجمل والعبارات من ناحية، ولوجود النغمة الموسيقية التي يوفرها السجع آخر السجعة من الناحية الأخرى))<sup>(٦)</sup>. فأسهم السجع المرصع في شد انتباه المتلقي نحو النص وذلك لقوة موسيقاه فضلاً عن ذلك ما يحفل به النص من تنغيم وهو ما سنفصله فيما سيلحق من مادة البحث. ومثله ما جاء في كلام له (عليه السلام) قاله قبل موته على سبيل الوصية لـ ما ضربه ابن ملجم لعنه الله: ((وَاللَّهِ مَا فَجَّأَنِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدَ كَرِهَتُهُ،

(١) المتزج البديع، السجلماسي: ٥٠٩.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٣٨/١٥، (ك ٢٠).

(٣) الأصوات اللغوية: ٦٣.

(٤) معاني الأبنية في العربية، د. فاضل صالح السامرائي: ١١٧.

(٥) الطراز، العلوي: ٢١/٣.

(٦) الإيقاع أنماطه ودلالاته في لغة القرآن الكريم (دراسة اسلوبية دلالية)، (رسالة ماجستير)، عبد الواحد زيارة إسكندر: ٣٩.

وَلَا طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ، وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدٍّ، وَطَالِبٍ وَجَدٍّ<sup>(١)</sup>. تم الترصيع - هنا- بين ألفاظ الفقرتين الأخيرتين إذ أتت الألفاظ متفقة وزنا وواقفية وهي:

قارب / ورد

طالب / وجد

فاعل / فعل

فقد أوحى اختتام الفواصل بصوتي (الباء والبدال) وهما من الأصوات الشديدة<sup>(٢)</sup>، بقوة إيمان الإمام (عليه السلام) وهو مقبل على الموت، فقد عبرت تعبيراً صادقاً عن حاله إذ شبه نفسه بأنها كقارب أبحر في الدنيا وما هو قد ورد مرفأه، أو كطالب قد وجد ما يبتغيه. وقد جاءت هذه السجعات متناغمة بقوتها مع ما يتطلبه ذلك الإبحار من قوة تشق عباب الدنيا من أجل الوصول إلى الآخرة وما يتطلبه ذلك الطلب من السعي الحثيث والجهد الجهميد، وقد يراد أن حاله كالضمان الذي يريد الوصول إلى منهل أسرع موظفاً بذلك دلالة (قارب) وهو الذي يبحث عن الماء ليلاً أو الشخص الذي تفصله عن الماء مسير ليلية واحدة<sup>(٣)</sup> ومما زاد هذا النص جرساً وتنغيماً الجناس الذي حصل بين (ورد ووجد) وهو جناس لاحق فهو يهذين المظهرين الصوتيين (السجع المرصع والجناس اللاحق) خلق جواً من التناغم الموسيقي والاتساق الصوتي.

## (٢) الجناس.

وهو من وسائل الإيقاع والموسيقى الداخلية التي اتشحت بها رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه، فقد أسهم في إضفاء قدر أوفر من الإيقاع والنغم الموسيقي مع تحقيق درجة من التوافق بين الدلالة والإيقاع، فهو مصطلح يتصل ((باللفظ أي بالإطار الصوتي الذي يمثل الوحدة الدلالية الدنيا، وفي اللفظ تبدأ عملية التفاعل بين الدلالة اللغوية والدلالة السياقية))<sup>(٤)</sup>. فالجناس هو اتفاق اللفظتين في وجه من الوجوه مع اختلاف معانيهما<sup>(٥)</sup> أو هو أن ((يتحد أو يتقارب اللفظان المتجانسان في المستوى الصوتي، ويفترقان في الدلالة))<sup>(٦)</sup>. إذن فالجناس عبارة عن ((مدلولات مختلفة بدوال متشابهة))<sup>(٧)</sup> فيشتمل ((الجناس على خصيصة أسلوبية صوتية متميزة تجمع بين التكرار إذ تتمظهر الحروف بمتواليه صوتية في سياقات الجمل، وبين تحقيق التشابه الصوتي

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤٣/١٥ (و ٢٣).

(٢) ينظر: الأصوات اللغوية: ٤٦، ٤٩، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٣١٥.

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (قرب): ٥٥ / ١٢.

(٤) خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي: ٧٣.

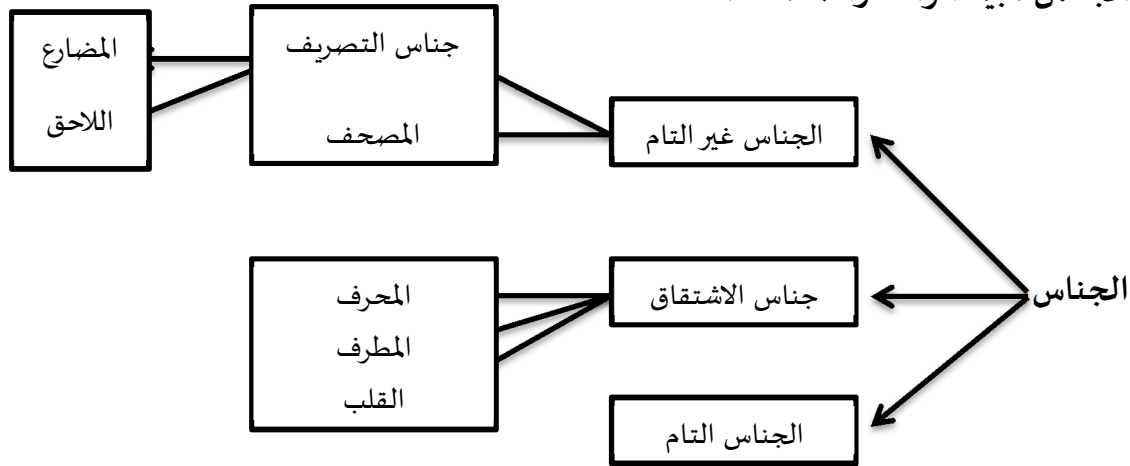
(٥) ينظر: المثل السائر: ٢٦٢/١، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب: ٥٣/٢.

(٦) في البنية والدلالة، د. سعد أبو الرضا: ٥٣.

(٧) بنية اللغة الشعرية: ٧٥، ينظر: قراءات بلاغية، د. فاضل عبود التميمي: ٦٣.

للتركيب، واختلافها في المعنى))<sup>(١)</sup>. وقد أشير قديما إلى الجناس وعلاقته بالمعنى، فقال عبد القاهر الجرجاني: ((إن ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى))<sup>(٢)</sup>. وأكد ذلك في قوله الآخر: ((إك لا تجد تجنيسا مقبولا... حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه))<sup>(٣)</sup>. وتبرز فاعلية التجانس الصوتي من خلال تكرار وحداته اللفظية المتجانسة، فإن له ((ما لل تكرار من تأكيد النغم ورنته، ويزيد عليه بأنه يوجد نوعا من الانسجام بين المعاني العامة ورنه الألفاظ العامة))<sup>(٤)</sup>.

وللأديب في استعماله غايات عديدة منها قدرته العالية على إحداث موسيقى مميزة داخل النص، وعلى لفت الانتباه إلى وجود أسلوب آخر موجود معه، أو يرد لمعنى خاص وهو لأجل التقارب بين مدلولي المتجانسين بالاعتماد على تناسيها كأن يأتي بلفظين مترادفين على الرغم من اختلاف أصل كل واحد منهما<sup>(٥)</sup>. ولهذا فإن قوة الجناس تكمن ((في كونه يقرب بين مدلول اللفظ وصوته من جهة، وبين الوزن الموضوع فيه اللفظ... من جهة أخرى))<sup>(٦)</sup>، ويقترح بعض الباحثين شكلا منهجيا لتناول الجناس مبينا أنواعه وأقسامه<sup>(٧)</sup>.



وفي دراسة هذا الأسلوب في رسائل الإمام علي (عليه السلام) وهو أقل من أسلوب السجع، يتخذ الجناس صورا وأنواعا مختلفة بحسب درجة التقارب أو الاتفاق بين اللفظين المتجانسين، وقد توزعت على نوعين وفق التوصيف السابق لأنواع الجناس هما (جناس الاشتقاق، والجناس غير

(١) قراءات بلاغية: ٨٣.

(٢) أسرار البلاغة: ٩.

(٣) نفسه: ١٠.

(٤) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب المجذوب: ٢٦١/٢.

(٥) ينظر: خصائص الأسلوب في الشوقيات: ٦٨-٦٩.

(٦) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها: ٢٦٢/٢.

(٧) ينظر: قراءات بلاغية: ٨٥.

(التام)

وتخلو النصوص المدروسة من الجناس التام والجدول الإحصائي الآتي يبين ذلك\*:

نوع النص	الجناس غير التام عدد المرات	جناس الاشتقاق عدد المرات	المجموع
الرسائل	المضارع (٥)	المطرف (٦)	
	اللاحق (٥)	القلب (٢)	اللاحق: ١٠
	المصحف (-)		المضارع: ٧
الوصايا	المضارع (٢)	المطرف (٣)	المصحف: ٢
	اللاحق (٥)	القلب (-)	المطرف: ٩
	المصحف (٢)		القلب: ٢

ويلحظ من الجدول كثرة الجناس غير التام، فلم يكن باعثة الأساس في ذلك توليد الموسيقى الداخلية فحسب، وإنما هو ((مرتبط بالدلالة يستدعيها وينبثق عنها))<sup>(١)</sup>، فالإمام علي (عليه السلام) أراد ((خلق مواءمة تعبيرية بين موسيقى اللفظ ودلالته))<sup>(٢)</sup> وذلك لقدرة هذا الفن على تحريك مشاعر المسلمين بوجه خاص سواء أكان في وعظ وإرشاد أم في حرب أو غيرها، والمتلقين بوجه عام وهذا ما سندرسه فيما يأتي، أما عن أثره في تحقيق الاتساق الصوتي في النصوص النثرية خاصة؛ فإن النصوص النثرية ((تتخذ من العناصر الصوتية وسيلة تخلق موسيقى في النثر توازي موسيقى الوزن والقافية في الشعر، مراعاة لعملية التلقي وعمليتي الحفظ والرواية))<sup>(٣)</sup>.

وهو يحتاج إلى قدر كبير من الفصاحة والبلاغة التي لا يأتي بها إلا من كان له باع طويل وقدرة لغوية عالية على اختيار الألفاظ على وفق نظام صوتي يراعي فيه مطابقتها للغرض المقصود من الكلام على اختلاف أنواعه وتباين تنوعه مع مراعاة موافقته لما أريد به بعد تركيبه لذلك فهو ((غرض عظيم لابد من رعايته ونظيره في العقد... والكلام بعد تركيبه إذا وضعته في غير موضوعه ولم تقصد به ما هو موضوع له انخرم المقصود به وكان خالياً عن البلاغة))<sup>(٤)</sup>.

(١) **الجناس غير التام:** هو ((مقطعان صوتيان مختلفان في الإيقاع مختلفان في المدلول))<sup>(٥)</sup> ويتناول البحث هنا (جناس التصريف) والذي يراد به اختلاف المقطعين في هيئة الحروف مما يؤدي إلى

(\* ينظر: تفصيلات الجناس في الملحق الخاص بالجناس في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياهم: ٢٧٧.

(١) أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي الحديث، البدر اوي زهران: ٢٧-٢٨.

(٢) الأسلوبية الصوتية (بحث منشور)، د. ماهر مهدي هلال: ٧٥.

(٣) علم لغة النص، د. عزة شيل محمد: ١٣٠.

(٤) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: ١ / ١٢١.

(٥) البديع تأصيل وتجديد، د. منير سلطان: ٧٦.

الاختلاف في مسافة الإيقاع<sup>(١)</sup>، والجناس المصحف ((وهو الجناس الذي تكون النقط فيه فرقا ما بين الكلمتين أي تحقق التماثل في اللفظتين خطأ واختلافهما نطقاً))<sup>(٢)</sup>.

(أ) جناس التصريف ويشمل:

- الجناس اللاحق:

((وهو ما أبدل من أحد ركنيه حرف بحرف آخر من غير مخرجه، ولا قريب منه))<sup>(٣)</sup>. ومن أمثلته قوله (الكليلة) في كتاب له كتبه لشريح بن الحارث قاضيه: ((اشترى هذا المغتر بالأمل، من هذا المزعج بالأجل هذه الدار بالخروج من عز القناعة، والدخول في ذل الطلب والضراعة))<sup>(٤)</sup>. فالجناس اللاحق قائم بين حرفي (الميم والجيم) في اللفظتين (الأمل والأجل) وهما صوتان مختلفان في المخرج، فالميم من الأصوات الشفوية وهو من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة<sup>(٥)</sup>. أما الجيم فمخرجه وسط الحنك<sup>(٦)</sup>، فهذا التباعد بين مخارج الأصوات جاء متناغماً مع الغرض الذي كتبت لأجله هذه الرسالة وهو التنفير عن متاع الدنيا وعن الركون إلى مغرباتها، وقد قوى هذا المعنى التضاد في قوله: ((الخروج من عز القناعة، والدخول في ذل الطلب والضراعة))، لذلك فقد ((وصف المشتري بالمغتر بالأمل باعتبار أن نظره إلى أمله في الدنيا هو الذي استلزم غفلته عن الآخرة وما خلق لأجله وكان ذلك الاغترار سبباً لشرائه لتلك الدار، وجعل الثمن هو الخروج عن عز القناعة والدخول في ذل الطلب والضراعة استلزام شراؤه لذلك كما يستلزمه الثمن... غاية ذلك التنفير عن اقتناء فضول الدنيا بما يستلزمه من ذل الحاجة إلى الخلق))<sup>(٧)</sup>.

وكذلك قوله (الكليلة) في كتاب له إلى معاوية: ((فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ! فَقَدْ بَيْنَ اللَّهِ لَكَ سَبِيلَكَ، وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ، فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ، وَمَحَلَّةِ كُفْرٍ، فَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرًّا، وَأَقْحَمَتْكَ غِيًّا، وَأَوْرَدَتْكَ الْمَهَالِكَ، وَأَوَعَرَتْ عَلَيْكَ الْمَسَالِكَ))<sup>(٨)</sup>. فالجناس اللاحق حاصل ما بين الكلمتين (المهالك والمسالك)، فالاختلاف المخرجي حصل بين (الهاء والسين)، فصوت الهاء مخرجه من (أقصى الحلق)<sup>(٩)</sup>، أما صوت السين

(١) البديع تأصيل وتجديد، د. منير سلطان: ٧٧.

(٢) المظاهر البديعية في خطب الإمام علي، دراسة بلاغية، (رسالة ماجستير)، حيدر حسين الزبيدي: ٦٢.

(٣) أنوار الربيع في أنواع البديع، علي صدر الدين المدني: ١/١٤٠، ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٢/٤٩٥.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٧/١٤-٢٨ (ك ٣).

(٥) ينظر: الأصوات اللغوية: ٤٦.

(٦) نفسه: ٧٦.

(٧) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٤/٤١٠.

(٨) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/٦ (ك ٣٠).

(٩) الأصوات اللغوية: ٨٦.

فمخرجه من (طرف اللسان فوق الثنايا العليا)<sup>(١)</sup>، فجاء ذلك متناغما مع بعد هذه النفس عن الحق ومجانبتها طريق الصواب ((فهي مولجة في الشر في بدايتها، مقحمة في الغي في منتصفها، موردة المهالك في نهايتها، فالجناس بتلاحمه مع المعنى أظهر هذه الهوة الشعورية في نفوس المتلقين))<sup>(٢)</sup>.

وقد استثمر الإمام علي (عليه السلام) في هذا النص أدواته اللغوية لإظهار النص على نحو مترابط ومتسق، فتكرار لفظ (نفسك) ثلاث مرات في النص لإبراز هذه اللفظة كونها مركز التعبير في النص ومنحت تاء التأنيث الساكنة في (أولجتك، أقحمتك، أوردتك وأوعرت) الشعور بمدى اتباع هذه النفس والانقياد وراء شهواتها كذلك منحت المتلقي فرصة في التأمل فيما يطرق سمعه من كلام فضلا عن ذلك فقد عرض الإمام علي (عليه السلام) كل هذا في مقاطع صوتية متشابهة شحنت الموسيقى الداخلية للنص بقيم موسيقية إضافية، كل هذا يعكس مدى براعة الإمام علي (عليه السلام) فهو ((لا يهدف من جملة إلى مجرد النقل والإخبار، وإنما يهدف منها إلى التأثير في القارئ أو السامع، ولا يتأتى له ذلك ما لم يصطنع لغة خاصة، تتجاوز فيها المفردات على نحو غير مألوف في لغة الكلام العادي، وتتغير فيها العلاقات المعهودة بين الألفاظ))<sup>(٣)</sup>. وهناك أمثلة أخرى متداخلة ضمن أنواع الجناس الأخرى سيتم تناولها فيما يأتي:

#### - الجناس المضارع:

((هو الجناس الذي يكون الحرفان المختلفان فيه متقاربين في المخرج))<sup>(٤)</sup>. وهذا النوع موجود في الرسائل والوصايا، فمنه قوله في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية: ((وَلَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا، وَأَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ طَوْعًا وَكَرْهًا، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً، عَلَى حِينٍ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوْلُونَ بِفَضْلِهِمْ، فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيبًا، وَ لَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا))<sup>(٥)</sup>.

فالجناس حاصل ما بين اللفظتين (رغبة ورهبة)، فالغين والهاء في هاتين الكلمتين تعدان من الأصوات الحلقية)<sup>(٦)</sup>، فمخرج صوت الغين من أدنى الحلق<sup>(٧)</sup>، ومخرج صوت الهاء أقصى الحلق<sup>(٨)</sup>. فقد أسهمت هذه الأصوات في تعزيز دلالة النص من جانبيين، الأول: إحكام الانتشار الكامل للدين الإسلامي والآخر: إبراز دلالة التضاد، فمعنى الأولى مختلف عن معنى الأخرى، فالأولى تعني الدخول في

(١) الأصوات اللغوية: ٧٤.

(٢) رسائل الإمام علي (عليه السلام)، دراسة في البنية الصوتية (رسالة ماجستير)، سعد عزيز شنو: ١٢٠.

(٣) الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة (بحث منشور)، د. نعمة رحيم العزاوي: ١٧٥.

(٤) المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (عليه السلام)، دراسة بلاغية: ٥٨. ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٤٩٤/٢.

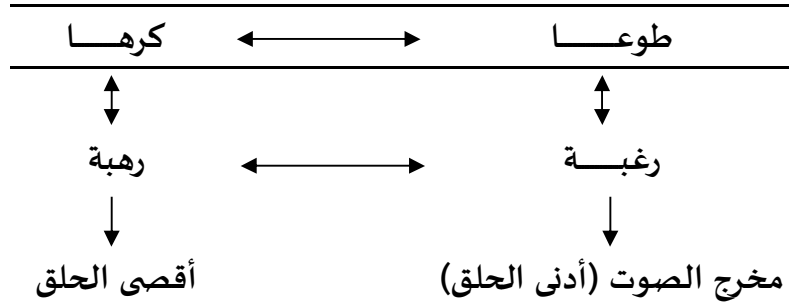
(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١١٧/١٥ (ك ١٧).

(٦) الأصوات اللغوية: ٨٥.

(٧) ينظر: نفسه: ٨٥، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٣٠٥.

(٨) ينظر: الأصوات اللغوية: ٨٦، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٣٠٤.

الإسلام طواعية عن عقيدة وإيمان، في حين تعني الأخرى الدخول فيه كراهية تحت وطأة السيف خوف القتل. وقد تضافر معها دلالة التضاد في قوله: (طوعا وكرها) الذي جاء موقعها منتظما معها، كما مبين في المخطط الآتي:



فقد عضد مخرج الصوت هذه الدلالة، ومن جانب آخر تناغم التنوين في إبراز الإيقاع الموسيقي للنص في (أفواجا طوعا كرها رغبة رهبة نصيبا سبيلا)، فكان خير وسيلة لإثارة انتباه المتلقي إلى مضمون كلامه (عليه السلام) ولاسيما أن هذا النص جاء في أواخر رسالة بعث بها (عليه السلام) إلى معاوية ردا على رسالة له يبين فيها دعوى الاشتراك في النسب بإظهار وجوه المفاضلة.

وقوله (عليه السلام) في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام): ((اسْتَوْدِعِ اللَّهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ، وَاسْأَلْهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَالْدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ))<sup>(١)</sup>. فالجناس المضارع حاصل بين (العاجلة والآجلة) فالعين والهمزة من الأصوات الحلقية<sup>(٢)</sup>، والعين ((صوت مجهور مخرجه وسط الحلق))<sup>(٣)</sup>، وأفاد دخوله على اللفظة خلق معنى يختلف عن اللفظة التي بعدها، إذ أفادت الدلالة على الدنيا حيث رمز لها الإمام (عليه السلام) (بالعاجلة) والهمزة صوت حنجري يت ميز بكونه شديدا ومهموسا ومرفقا<sup>(٤)</sup> الذي أفاد دخوله على الكلمة بمعنى الآخرة، فأفاد ورودهما في هذا النص إحداهن نغمة صوتية وتغيرا دلاليما مع التأكيد على المعنى وذلك بالترادف في الحاصل في (العاجلة ، الدنيا) و (الآجلة ، الآخرة).

ويلحظ في هذا النص أنه جاء ختلا للوصية لذلك نجد توجه الإمام (عليه السلام) بالأمر إلى ابنه الإمام الحسن (عليه السلام) والتسليم إيذانا بإتمامه الغرض من الوصية من النصيح والوعظ والإرشاد. فهذا النص يحمل في فضائه ثنائية الصوت والدلالة، فمن جهة الدلالة ما حمله من تضاد ومن جهة الصوت جاء الجناس المضارع وهذه مسألة طبيعية لأنه جعل آخر نص الوصية حسن الانتهاء، وكما يمثل المخطط الآتي:

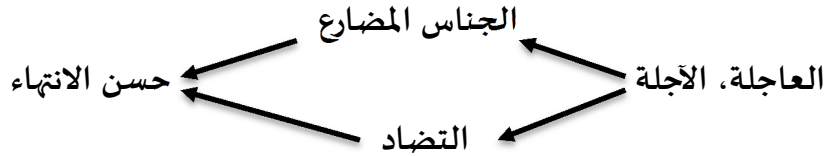
(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٢٢/١٦ (و ٣١).

(٢) ينظر: الأصوات اللغوية: ٨٥.

(٣) نفسه: ٨٥.

(٤) ينظر: مناهج البحث في اللغة: ١٢٥.





إذن فالجناس يكون ممتعا إذا تحقق بالتناسب بين الألفاظ بعضها أو كلها وأن يكون هناك تجاوب موسيقي نتيجة تماثل الكلمات تماثلا كاملا أو ناقصا فإن الإذن تطرب لذلك والنفس تشوق لذلك وتهتز أوتار القلوب له<sup>(١)</sup>.

### (ب) الجناس المصحف:

هو ((ما تماثل ركناه في الحروف وتخالفا في النقط))<sup>(٢)</sup> ويسمى جناس الخط<sup>(٣)</sup>، وقد ورد هذا النوع من الجناس مرتين فقط في الوصايا، وذلك في قوله (عليه السلام) في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام) يصف من خبر الدنيا: ((إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفَرُوا، نَبَأَ بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيدٌ، فَأَمَّوْا مَنْزِلًا خَصِيْبًا، وَجَنَابًا مَرِيْعًا، فَاحْتَمَلُوا وَعَتَاءَ الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخَشُوْنَ السَّفَرِ، وَجَشُوْبَةَ المَطْعَمِ، لِيَأْتُوْا سَعَةَ دَارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ))<sup>(٤)</sup>. تم الجناس المصحف بين (خشونة وجشوبة) لكن هذا الجناس تكرر مرتين في هاتين الكلمتين ليزيد من قوة الإيقاع والذي قدم معنى إضافيا إلى النص إذ وقع بين (الخاء والجيم) و (النون والباء).



وكل حرفين جاء في هذا الجناس كانا مختلفي المخارج، فالخاء صوت حلقي يوصف بأنه مهموس<sup>(٥)</sup>، والجيم صوت غاري يوصف بأنه مركب مجهور مرقق<sup>(٦)</sup>، والنون ((صوت لثوي أنفي مجهور مرقق))<sup>(٧)</sup>، أما الباء فهو صوت من الأصوات الشفوية يتميز بأنه شديد مجهور<sup>(٨)</sup>. فعكس هذا التغير في المخارج الصوتية صورة التغير في حال هؤلاء القوم من حال الغنى والرفاهية إلى حال الفقر والعوز. وقد جاء استعمال الصيغة الصرفية (قولة) متلائما مع سياق

(١) ينظر: فن الجناس، علي الجندي: ٢٩.

(٢) أنوار الربيع في أنواع البديع: ١٨٠/١، ينظر: فن الجناس: ١٤٠.

(٣) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٤٩٧/٢.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٨٢/١٦ (و ٣١).

(٥) ينظر: الأصوات اللغوية: ٨٥.

(٦) ينظر: مناهج البحث في اللغة: ١٣١.

(٧) نفسه: ١٣٤.

(٨) ينظر: الأصوات اللغوية: ٤٦.

النص لترسم مدى ثبات هؤلاء القوم واحتمالهم لهذه الصعوبات إذ دلت صيغة فهولة ((على الصفة الثابتة في الشيء الصادرة عنه بفعل خارجي مؤثر))<sup>(١)</sup>، وهذا ما يعكس رأي من يقول عن الجناس بأنه فن يثير إعجابنا يمس الأذن والنفس بجمعه بين تناسب الصورة المتأتية عن التماثل الحاصل بين اللفظتين المتجانستين<sup>(٢)</sup>.

## (٢) جناس الاشتقاق:

ونعني به ((أن يجمع اللفظين الاشتقاق))<sup>(٣)</sup> وغاية الإمام (عليه السلام) كما يرى الدكتور حسن البصير هي إشاعة الموسيقى داخل النص<sup>(٤)</sup> وأرى أن غاية الإمام (عليه السلام) لا تقتصر على إحداث الموسيقى فحسب بل كانت غايته تنصب على إيصال الدلالة بالصورة المثلى. ومما جاء في الرسائل والوصايا نوعان فقط هما:

### - المطرف:

وهو ((ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفاً في طرفه الأول))<sup>(٥)</sup>، وقد تكون الزيادة بأكثر من حرف<sup>(٦)</sup>، وقد تكون في أول الكلمة أو وسطها أو منتهاها<sup>(٧)</sup>، ومن أمثلته ما جاء في كتاب له إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة في شأن عثمان بن عفان (رضي الله عنه): ((فإني أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عَثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعْيَانِهِ. إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ، فَكُنْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَكْثَرَ اسْتِعْتَابِهِ، وَأَقْلُ عِتَابِهِ))<sup>(٨)</sup>.

فالإمام (عليه السلام) يكلم أهل الكوفة ليوضح لهم براءته من دم عثمان بعد أن وقعت الفتنة على ذلك فالجناس المطرف حاصل بين (استعتابه وعتابه)، وقد زيد في أول الكلمة الأولى ثلاثة أحرف والمعنى مختلف فصيغة الاستفعال لها دلالات متعددة ويتناسب مع سياق النص أن تكون دالة على طلب حصول الشيء وهي الدلالة الغالبة في معاني الاستفعال<sup>(٩)</sup>، فالأولى تشير إلى إكثاره (عليه السلام) طلب العتي عليه والاسترضاء له، أما الأخرى فتعني قلة تعنيفه وعتابه على الأمور التي لا يرضاها منه ومما زاد من قوة هذا الجناس التضاد الحاصل بين (أكثر وأقل) وكون الكلمتين جاءتا طرفاً في سجع مطرف

(١) رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة، دراسة لغوية: ٢١١.

(٢) ينظر: فن الجناس: ٣٠.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني: ٣٩٨، ينظر: حسن التوسل إلى صناعة الترسن: ٦٥.

(٤) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام)، دراسة أدبية نقدية: ٣٤٥.

(٥) أنوار الربيع في أنواع البديع: ١٧١/١.

(٦) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٩٦.

(٧) ينظر: نفسه: ٣٩٥.

(٨) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦/١٤ (ك ١).

(٩) ينظر: الكتاب، سبويه: ٧٠/٤.

بصوت الهاء الذي يعبر به عن الحالات الانفعالية المختلفة<sup>(١)</sup>، فعكس مدى حسرة الإمام (عليه السلام) وتوجهه لمقتل عثمان وقيام الفتنة.

فأتى هذا الجناس ليأخذ صدها في النص، فهو يحمل طاقة ايحائية تعزز الدلالة في النص، ويبعث على إشاعة الإيقاع عن طريق التأكيد، إذ يرى الدكتور حسام أحمد فرج أن ((مشاركة السجع والجناس في العمل من خلال ظاهرة واحدة، يخلق نوعاً من أنواع المفارقة: فالقارئ يتوهم أن الكاتب يقصد مجرد التجنيس بين كلمتين، فإذا به يرى ما بينهما من سجع، فيدعم ذلك المعنى عنده ويجعله أشد بروزاً للقارئ))<sup>(٢)</sup>.

ومنه أيضاً قوله (عليه السلام) لأصحابه عند الحرب: ((وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَسْلَمُوا وَلَكِنْ اسْتَسْلَمُوا، وَأَسْرُوا الْكُفْرَ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَانًا عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ))<sup>(٣)</sup>، بين (أسلموا، واستسلموا) جناس مطرف، فمعنى الأولى مختلف عن معنى الأخرى، وقد زيد في الأخرى حرفان، فالأولى تعني الدخول في الإسلام في حين تعني الأخرى التحول والانتحاز<sup>(٤)</sup>، وهذا المعنى يتناسب مع سياق النص<sup>(\*)</sup>، ولو أمعنت النظر إلى النص لوجدت أن -الاستدراك- قد توسط ما بين المتجانسين أي إنهم لم يسلموا حقيقة ولكن ((تحولوا من الكفر الصراح، والمواجهة العلنية للإسلام إلى الكفر المبطن (النفاق)، أو اتخذوا من دخولهم الشكلي في الإسلام وسيلة لتمزيقه وتمييعه))<sup>(٥)</sup>.

وقد غدى استشعار التضاد السلوكي التضاد اللغوي في قوله (أسروا وأظهروا) فضلاعن ذلك توظيفه (عليه السلام) الصفة الصوتية لصوت السين، فقد تكررت خمس مرات وهو من الأصوات الصفيرية التي يضيق مخرجها جداً عند النطق بها فتحدث صفيراً<sup>(٦)</sup>، وتعد هذه الصفة من الصفات الصوتية في اللغة العربية<sup>(٧)</sup>، فهو إذن من الأصوات الواضحة عند النطق به الذي كان لازمة من لوازم الوقع الدلالي إذ عبر عن انكشاف أمر المنافقين رغم تسترهم تحت غطاء الدين، فهذا إعلان صريح من الإمام (عليه السلام) من أن استسلام خصومه مبني على نفاقهم وهذا يعني أن الإمام علي (عليه السلام) قد

(١) ينظر: الهاء في اللغة العربية، د. أحمد سليمان ياقوت: ٢١.

(٢) نظرية علم النص: ١٢٠.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١١٤/١٥ (ك ١٦).

(٤) ينظر: شافية ابن الحاجب: ١١١/١، أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٩٩.

(\*) أشارت الباحثة رمة خضير مظلوم البديري أن صيغة استفعال على هذه الدلالة جاءت في رسائل النهج مرتين فقط في

الفعل (استودع) والفعل (يستريح)، ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة، دراسة لغوية: ١٨٩.

(٥) الإضراب والاستدراك في نهج البلاغة، دراسة دلالية، (رسالة ماجستير)، معتصم جابر محمود: ٨٤.

(٦) ينظر: الأصوات اللغوية: ٧٣.

(٧) ينظر: فقه اللغة وخصائص العربية، د. محمد المبارك: ٥٢، فقه اللغة العربية: ٤٧٤.

## ثانياً الإتساق المعجمي.

### مدخل:

يعد الإتساق المعجمي من أنواع الإتساق التي وضعها (هاليداي ورقية حسن) للربط اللفظي، والقصد منه بيان كيفية ترابط الألفاظ بوصفها عناصر في جملة معينة لا يمكن فهمها إلا بالرجوع إلى جملة أخرى<sup>(١)</sup>. فالربط المعجمي ((هو الربط الذي يتحقق من خلال اختيار المفردات عن طريق إحالة عنصر إلى عنصر آخر؛ أي هو ذلك الربط الإحالي Phoric Cohesion الذي يقوم على مستوى المعجم Lexis))<sup>(٢)</sup>.

وقد وضع علماء اللغة النصيون كيفية حدوث الربط على مستوى المعجم، فأشاروا إلى أن الربط يحصل بوساطة استمرارية المعنى بما يعطي النص صفة النصية وذلك يتم عندما ((تتحرك العناصر المعجمية على نحو منتظم في اتجاه بناء الفكرة الأساسية للنص (Topic) وتكوينه))<sup>(٣)</sup>. إذ يوفر المخزون اللغوي ((للمؤلف خلال لحظة الإبداع طائفة من التنسيق ترتسم في ذهنه على المحور التزامني، والألفاظ التي يختارها تأتلف فيما بينها وتنتج على محور النظم، وبهذا تنتقل كل لفظة من دلالتها المعجمية الذاتية إلى دلالة جديدة يحددها ائتلافها مع المكونات اللفظية الأخرى ضمن السياق الجديد))<sup>(٤)</sup>.

والإتساق المعجمي يختلف عن الإتساق النحوي في كون الأول لا يبحث عن العنصر المفترض أو المفترض، ولا عن علاقات نحوية تشكل نسيج النص<sup>(٥)</sup> بل يتحقق الإتساق المعجمي بوسائل معينة وهي التكرار والمصاحبات المعجمية؛ إذ يمثل المعجم وما يقوم بين وحداته من العلاقات عملاً للإتساق المعجمي، ((فكلما ازدادت الوحدتان المعجميتان قرباً في النص ازداد الإتساق الذي تحققانه قوة وامتلاء، وذلك مع الأخذ بعين الاعتبار أن الوحدة المعجمية التي تدخل في علاقة اتساقية لا تحمل في ذاتها ما يدل على قيامها بهذا الدور أو عدم قيامها به))<sup>(٦)</sup>. وقبل الولوج في بيان وسائل الإتساق المعجمي وأثرها في تحقيق الإتساق النصي لابد من بيان الفارق بين دراسة المفردة في المعجم وبين دراستها في علم النص؛ لأن هناك تبايناً تلمأ بينهما ((فالوحدة الدلالية في المعجم نتاج تجريد من معانيها النصية، ويصح على العكس من ذلك أن يفسر كل معنى نصي بأنه تحقيق (تفعيل) اتصالي لمعنى معجمي))<sup>(٧)</sup>. وفيما يأتي عرض لأهم وسائل الإتساق المعجمي، مع بيان أثرها في تحقيق تماسك النص وترابطه واتساقه.

(١) ينظر: علم لغة النص، د. عزة شبل: ١٠٥، لسانيات النص، د. ليندة قياس: ١٢٤.

(٢) علم لغة النص، د. عزة شبل: ١٠٥.

(٣) نفسه: ١٠٥.

(٤) نحو النص، عثمان أبو زنيد: ١٣٨.

(٥) ينظر: لسانيات النص، د. ليندة قياس: ١٢٤.

(٦) نحو النص، عثمان أبو زنيد: ١٣٩.

(٧) أثر التكرار في التماسك النصي مقارنة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف، (بحث منشور)، د. نوال بنت إبراهيم الحلوة: ٥٩.

## ١- التكرار

التكرار عبارة عن تشاكل لغوي يلفت الانتباه، ومظهر من مظاهر الاتساق المعجمي، إذ يقوم ببناء شبكة من العلاقات داخل المنجز النصي، مما يحقق اتساقاً وترابطاً للنص، فالعناصر المكررة تحافظ على بنية النص وتغذي الجوانب الدلالية والتداولية فيه؛ بتكاثر الألفاظ وكثافتها مما يحقق اتساق النص وتماسكه، وإعادة تأكيد كينونته واستمراريته واطراده<sup>(١)</sup>، وقد حظي مبحث التكرار بعناية كبيرة من علماء البلاغة العرب و((تشير الدراسات البلاغية المستفيضة لوظيفة التكرار إلى أنه يأتي لأغراض متعددة أهمها: التعظيم، والتحويل، والوعيد، والتهديد، والتعجب، والتنبيه، والأمن من اللبس أو السهو، وعند تعدد المتعلق، لذا كانت دراسة البلاغيين للتكرار، وإن كانت تخدم الدراسة النصية إلا أنها تختلف عن دراسة علماء النص له، إذ أن النصيين لا ينظرون إلى الوحدة المعجمية وما تحمله في ذاتها؛ بل بحسب موقعها، ودورها في تماسك النص واتساقه، مما يسهم في ثبات النص، واستمراريته))<sup>(٢)</sup>.

فقد نال مصطلح التكرار عناية علماء النص، لأنه مظهر من مظاهر الاتساق المعجمي الذي يؤدي إلى اتساق النص، وقد تعددت تعريفاته؛ ولكن من قراءة دقيقة متمعنة يمكن أن نقول: إن التكرار النصي هو ((إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة، وذلك باللفظ نفسه أو بالترادف، وذلك لتحقيق أغراض كثيرة أهمها تحقيق التماسك النصي بين عناصر النص المتباعدة))<sup>(٣)</sup>. فيشير هذا التعريف إلى الوظيفة النصية للتكرار.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في كتاب للإمام علي (عليه السلام) إلى عبد الله بن العباس وكان يقول ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله (ص) كانتفاعي بهذا الكلام: ((أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرَكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، وَيَسُوؤُهُ فُوتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكُهُ، فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نَلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ، وَلْيَكُنْ أَسْفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا، وَمَا نَلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحًا، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعًا، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ))<sup>(٤)</sup>.

وقد اتفق العلماء قدماء ومحدثون على شروط التكرار منها: أن يكون للفظ المكرر نسبة ورود عالية في النص<sup>(٥)</sup>، وأن يساعد رصده على فك شفرة النص وإدراك أثره الدلالي فيه، أو في النص

(١) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣٠٣.

(٢) أثر التكرار في التماسك النصي مقارنة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد منيف: ٢١-٢٢.

(٣) الاتساق والانسجام في سورة الكهف، (رسالة ماجستير)، محمود بوسته: ١٢٩.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/١٤٠ (ك ٢٢).

(٥) ينظر: أثر التكرار في التماسك النصي مقارنة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف: ٢٢.

الواحد<sup>(١)</sup>. وقد يكون التكرار ضاراً للنص الأدبي إن لم يحسن استعماله، كذلك لأن الإكثار منه قد يظهر الفقر اللغوي لدى الكاتب، وينتج عنه عدم قبول النص لعدم تماسكه<sup>(٢)</sup>.

أما عن أثر التكرار النصي، فهو شكل من أشكال الاتساق المعجمي على مستوى النص<sup>(٣)</sup>، وهو من الأساليب التي يستعان بها لتأكيد القول وتثبيتته، حينما يستلزم المقام ذلك<sup>(٤)</sup> ويعد من الروابط التي تصل بين العلاقات اللسانية<sup>(٥)</sup> ومن هنا فإن وظيفة التكرار لا تقف عند كونه ظاهرة موسيقية تستلذها الأسماع وترتاح لها النفوس بل إنه يؤدي دوراً بنائياً في عملية الربط بين أجزاء النص محققاً ضرباً من التلاحم والاتساق والوحدة، لأن ((تكرار اللفظ فيما يبدو هو الأصل في الربط (من حيث كان التكرار خيراً وسيلة للتذكير بما سبق))<sup>(٦)</sup>)). وعليه فالتكرار هو المعيار الذي يميز بين النص واللائص<sup>(٧)</sup>.

ولكن لا يقف أثر التكرار على وظيفته النصية، إذ إن ((تداخل علوم النص مع البلاغة الجديدة، جعل للتكرار وظيفته الاتصالية الإقناعية فهو وسيلة لغوية من وسائل الحجاج، خاصة في الحجاج العربي، وهو بشقيه اللفظي والمعنوي يقوم بدوره في إقناع المتلقي والتأثير فيه واستمالته، وقد يصل إلى الإذعان له؛ وذلك بشدة القرع إما على اللفظ أو المعنى))<sup>(٨)</sup>، فهو ((أقوى طرق الإقناع وخير وسائل تركيز الرأي والعقيدة في النفس البشرية، على هيئة وفي هوادة دون استثارة لمخالفها بالجدل أو المشادة))<sup>(٩)</sup>. والمتعارف عليه والمشهور الأسماء الآتية<sup>(١٠)</sup>:

#### (أ) التكرار الكلي، (ب) التكرار الجزئي، (ج) التكرار الدلالي.

كذلك يذهب بعضهم إلى أن ضبط الحاجة للتكرار في أي نص أمر عسير، بل من غير الممكن؛ لأنه أمر يتصل بإقرار المستمعين، ومن يحضر الحديث من العامة والخاصة ويترك هذا الضابط لبصر المتكلم بالمقام<sup>(١١)</sup>.

(١) ينظر: علم اللغة النصي: ٢٢/٢.

(٢) ينظر: نظرية علم النص: ١٠٨.

(٣) ينظر: لسانيات النص، محمد خطابي: ٢٤.

(٤) ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها، عبد الرحمن حسن حبنكة: ٢ / ٧١..

(٥) ينظر: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص، وتحليل الخطاب، د. نعمان بوقرة: ١٠٠.

(٦) مقالات في اللغة والأدب: ١٨٩/١.

(٧) أثر التكرار في التماسك النصي مقارنة معجمية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف: ٢٥.

(٨) نفسه: ٢٥.

(٩) مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، أمين الخولي: ٢١٠.

(١٠) ينظر: نحو النص، د. أحمد عفيفي: ١٠٦-١٠٧، نحو النص، عثمان أبو زنيد: ١٤١-١٤٧، أثر التكرار في التماسك النصي

مقارنة معجمية في مقالات د. خالد المنيف: ٢٣.

(١١) ينظر: التكرير بين المثير والتأثير، د. عز الدين علي السيد: ٨٦-٨٧.

وفي تبعية لصور التكرار في رسائل الإمام (عليه السلام) ووصاياه وجدت أن التكرار بأنواعه وصوره المختلفة يمثل ملمحاً أسلوبياً لا يكاد تخلو أي رسالة أو وصية منه وفيما يأتي محاولة لدراسة تأثيره في الاتساق النصي.

## (أ) التكرار التام أو المحض.

هو ((إعادة العنصر المعجمي نفسه))<sup>(١)</sup>. أو هو ((خطاب يكرر كلا ... نفس الصورة الصوتية))<sup>(٢)</sup>. وهذا يعني تكرار الكلمة نفسها كما هي من دون أي تغيير، أو تكرار الجملة نفسها كما هي بلا تغيير في مركباتها التكوينية ونعرض فيما يأتي أنواع التكرار الكلي (المحض). منها تكرار الاسم وتكرار الفعل وتكرار الجملة أو التركيب لبيان أثر كل منها في تحقيق الاتساق النصي.

قال الإمام علي (عليه السلام) في وصيته لأبنته الحسن (عليه السلام): ((وَأَعْلَمُ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمِيتُ، وَأَنَّ الْمُنْفِيَ هُوَ الْمُعِيدُ، وَأَنَّ الْمُبْتَلِيَ هُوَ الْمُعَافِي))<sup>(٣)</sup>، فقد تكرر الضمير (هو) في هذا النص أربع مرات، فلو كان النص بدون تكرار الضمير لأصبح: وَأَعْلَمُ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ، وَأَنَّ الْخَالِقَ الْمُمِيتُ وَأَنَّ الْمُنْفِيَ الْمُعِيدُ وَأَنَّ الْمُبْتَلِيَ الْمُعَافِي؛ فثمة فارق دلالي بين النصين، فالنص من دون تكرار الضمير لا انقطاع فيه وإنما نجد فيه إطالة في المعطوفات التي ترجع كلها للفظ الجلالة (الله). أما مع تكرار الضمير فقد حقق دلالات إضافية أخرى من أهمها:

- ١- التأكيد على أن هذه الصفات هي لله لدفع الشك أو التوهم أنها لغيره أو مما شاركه فيها غيره.
- ٢- إن تكرار الضمير يؤكد مسألة عقائدية وهي إن صفات الله عين ذاته، فالخالق هو المميت والمفني هو المعيد... أي إن الله عز وجل لا يختص بوحدة دون أخرى بل إن هذه الصفات كلها من صفاته، وقد أثرى تكرار الضمير دلالة التضاد الطاغية في السياق، التي تمثلها الألفاظ:

(الموت × الحياة ، الفناء × الإعادة، الابتلاء × المعافاة)

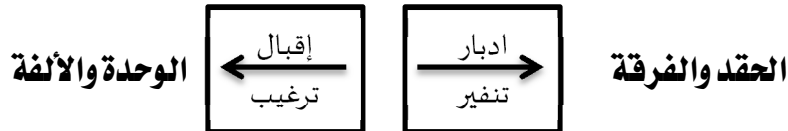
التي جاءت لتؤكد القدرة اللامتناهية لله عز وجل، وقد أغناها في هذا حرف التوكيد (أن) الذي تكرر أربع مرات أيضاً فساعد ذلك على إشاعة الهدوء والثبات في النص الذي توحى به الجملة، نتيجة إحكام السيطرة الإلهية والقدرة العظيمة على فعل المتضادات، فالله سبحانه هو المحيي والمميت، والمفني والمعيد والمبتلي والمعافي. ومن أمثلته أيضاً قوله (عليه السلام) في رسالة بعث بها إلى معاوية يوم بويج بالخلافة: ((وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ، وَالْكَلامُ كَثِيرٌ، وَقَدْ أَدْبَرَ مَا أَدْبَرَ، وَأَقْبَلَ مَا أَقْبَلَ، فَبَايِعْ مَنْ قَبْلَكَ،

(١) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية. د. جميل عبد المجيد: ٨٤.

(٢) بنية اللغة الشعرية: ٥٢.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧٤/١٦ (و ٣١).

وَأَقْبِلْ))<sup>(١)</sup>، أراد الإمام (عليه السلام) إخبار معاوية بأن ما جرى من أحداث قد أدبر وولى ووقع حسابه على الله سبحانه وتعالى وحده، فلا فائدة من الكلام فيه، والمهم هو الحاضر والمستقبل والاهتمام بأمور المسلمين وشؤونهم، والعمل على قمع الفتنة بتوحيد الأمة ولم الشمل، وهكذا جاء تكرار الفعلين (أدبر وأقبل) تنفيراً له عن الخوض في أمور تشتت وحدة الإسلام وترغيباً له في الإقبال توحيداً للصف والكلمة. وقد عززت دلالة التكرار بوساطة دلالة التضاد والمستوحاة من افعال تمثل السير في اتجاهين متعاكسين<sup>(٢)</sup>، كما يوضحها المخطط الآتي:



ومن تكرار التراكيب قوله (عليه السلام) في وصيته للحسن والحسين (عليهما السلام) لما ضربه ابن ملجم لعنه الله: ((أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظر أمركم، وصلاح ذات بينكم، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا (صلى الله عليه واله) يَقُولُ: صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ. اللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِيْتَامِ، فَلَا تُغْبُوا أَفْوَاهَهُمْ، وَلَا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ. وَاللَّهُ اللَّهُ فِي جِيرَانِكُمْ، فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةٌ نَبِيِّكُمْ، مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُورَثُهُمْ. وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ، لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ. وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ. وَاللَّهُ اللَّهُ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ، لَا تُخْلُوهُ مَا بَقِيْتُمْ، فَإِنَّهُ إِنْ تَرَكَ لَمْ تُنَاطِرُوا. وَاللَّهُ اللَّهُ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ وَالسِّنْتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))<sup>(٣)</sup>.

إن تكرار تركيب (الله الله في) في حقيقته إلحاح إلى أهم مقصود في النص، وهو يسلط الضوء على نقطة حساسة في النص ويكشف عن اهتمام الإمام (عليه السلام) بها وهو يعبر عن الباعث النفسي المتمثل في إعادة ما وقع في قلب الإمام ولصق بنفسه فاتجهت همته إليه وعنايته وهو ان الله سبحانه هو المتصرف في الأمور؛ ورضاه هو الغاية والهدف وفي تكرار لفظ الجلالة في هذا التركيب يضيف على نفوس المتلقين جوامع الاستمالة والتأثير والإقناع؛ إذ إن تأمل ((مجموعة التكرارات التي سجلت علامة فارقة في جسد النص وهي تكرارات لفظية تتمركز حول لفظ الجلالة المكرر في قوله (الله الله)، فقد كرر هذا التركيب ست مرات على التوالي مقتوناً في كل مرة بحرف الجر نفسه الذي يأتي بعده وهو (في) الذي يصب كل مرة في قيمة إنسانية وإسلامية تختلف عن التي تليها، وقد جيء بهذا التكرار بوصفه قيمة دلالية يتم التأكيد عبرها على المفاهيم التي أوجزها الإمام (عليه السلام) وهو على فراش الموت،

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨ / ٦٨ (ك ٧٥).

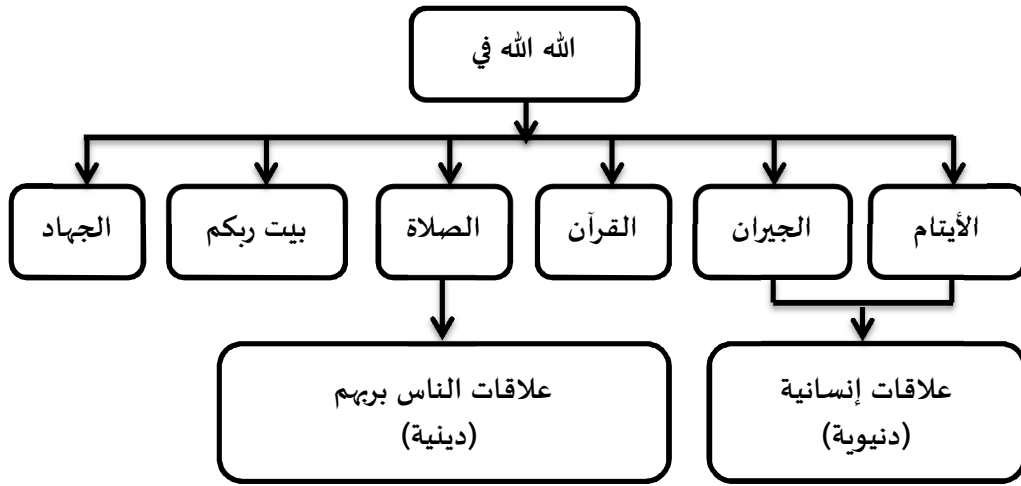
(٢) ذكر ابن منظور أن القبل نقيض الدير، ينظر: لسان العرب، (مادة قبل): ١١ / ١٣ وأن الدير نقيض القبل، ينظر: نفسه، (مادة دير): ٥ / ٢٠٩.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧ / ٥ (و ٤٧).



لا فتا نظر السامع وانتباهه ومستدعيا اهتمامه من خلال هذا التركيب وهي وصية لا تنحصر بالمخاطبين الرئيسين وهما ولداه الحسن والحسين، بل تتعداهما إلى جميع ولده وأهله، لتنتج بعد ذلك زمكانيا على كل من بلغه كتابه (الكتاب)، وقد أرتأى الإمام أن يسلسل موضوعاته التي ركز عليها في نسق التكرار لتوكيد لفظي (الله) بحسب الأولوية التي وصفها، فقد انتقل بعد توصيته بتقوى الله، وصلاح ذات البين، ونظم الأمر، على طريقة الوصية العادية إلى وصايا مركزة سعى إلى ترسيخها من خلال إحاطتها بنسق تكراري واحد<sup>(١)</sup>.

ولعل السبب في التوكيد اللفظي للفظ الجلالة (الله) مع كل تركيب إشارة إلى هذه الثنائية التي تدور عليها فكرة الوصية، إذ يبرز النص نوعين من العلاقات الأولى: علاقة الناس ببعضهم (الأيتام، والجيران)، والأخرى: علاقة الناس برهم من خلال (القرآن، والصلاة، وبيت الله الحرام (الكعبة)، (والجهاد)<sup>(٢)</sup> وكما في المخطط الآتي:



لقد رصفت ظاهرة التكرار في هذه الوصية بطريقة مترابطة ومتسقة مع مركز مهم في النص تأكد وجوده وهو لفظ الجلالة (الله) ((فالصلاة والقرآن والجهاد وبيت الله (الكعبة) والأيتام والجيران تتجانس مع ما يحققه لفظ الجلالة من حضور روعي يستدعي استحضار القيم الروحية والأخلاقية والإنسانية التي وجدت من أجلها ظاهرة التكرار في النص))<sup>(٣)</sup>، وقد أثرت فيه من خلال ما أشاعته من جو ((من التلذذ بذكر لفظ الجلالة، ويتضمن التكرار تعظيم الخالق أيضا))<sup>(٤)</sup>.

(١) المستويات الجمالية في نهج البلاغة، دراسة في شعرية النثر، نوفل أبو رغيف: ٧٠.

(٢) ينظر: أساليب البديع في نهج البلاغة، دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية: ٩١.

(٣) المستويات الجمالية في نهج البلاغة، دراسة في شعرية النثر: ٧١.

(٤) أساليب البديع في نهج البلاغة: ٩١.

ومن هنا يتضح أن التكرار اللفظي أسهم في تحقيق علاقات متبادلة بين العناصر المكونة للنص. ومثل هذا التكرار نجده في كتاب له (عليه السلام) إلى الحارث الهمداني: ((واحذر كلَّ عملٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَاحْذَرُ كُلَّ عَمَلٍ يَعْملُ بِهِ فِي السِّرِّ، وَيَسْتَحِي مِنْهُ فِي الْعِلَانِيَةِ، وَاحْذَرُ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُنِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ وَاعْتَدَرَ مِنْهُ))<sup>(١)</sup>.

تكررت جملة (واحذر كل عمل) في بداية كل وصية من الوصايا الثلاث، فكان التكرار ((أداة فعالة من أدوات الإيقاظ والتنبيه))<sup>(٢)</sup>. وأفادت ((تمكين المعنى وتقريره في نفس المتلقي، ففي كل وصية من الوصايا الثلاث يرسم الإمام صورة موحية عن مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب، فتكرار العبارة هنا يستخدم للترابط أو التماسك بين أجزاء النص، إذ إنه يعمل على جعل النص قادراً على تكوين تركيب متناسق، ومن خلال ذلك يشعر المتلقي أن النص وحدة متكاملة مترابطة من ناحية الموضوع والبناء أيضاً))<sup>(٣)</sup>.

فقد أدى التكرار التام لجملة (واحذر كل عمل) أثراً كبيراً في انطباع هذه الجملة في ذاكرة المتلقي مما يجعله مستعداً لتلقي ما يحذر منه من عمل، فضلاً عن ذلك فقد ساعد التضاد الموجود في النص على دعم الدلالة المعنوية للنص التي توزعت على النحو الآتي:

يرضاه صاحبه لنفسه × يكره لعامة المسلمين  
يعمل به في السر × يستحي منه في العلانية

لقد تمكن الإمام (عليه السلام) - وهو يجمع بين المتضادات في هذا النص - من تبيان صورة العمل الحقيقي الصالح الذي يوصي به؛ إذ نجد النص يدور في حركة متناقضة، مما يحقق الهدف الأساس منه وهو التحذير من كل الأعمال التي تقلل من قيمة الإنسان في تعامله مع الآخرين. يزداد على ذلك توظيف الأفعال المضارعية في النص التي أفادت انفتاح النص زماناً ومكاناً ليشمل كل متلق لكلامه (عليه السلام) ولم يخصه بالمخاطب الذي وجه إليه نص الكتاب.

## (ب) التكرار الجزئي.

يؤدي التكرار الجزئي للعنصر المعجمي أثره في اتساق النص على صعيدين: صوتي ودلالي. أما الاتساق الصوتي فيكون بتكرار حروف معينة تولد إيقاعاً معيناً في النص الذي يسهل على المتلقي عملية استدعاء الألفاظ، وأما الاتساق الدلالي الذي يفيد التكرار الجزئي فهو ما يحققه من ارتباط

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٤١/١٨ (ك ٦٩).

(٢) التكرار، د. حسين نصار: ٧٥.

(٣) رسائل الإمام علي (عليه السلام)، دراسة في البنية الصوتية: ١٣٤.

الوحدات النصية المكونة للنص بعضها ببعض<sup>(١)</sup>، ذلك أنه ((يشير إشارة خالصة إلى عموم الترابط المفهومي مع تجنب الرتابة التي يؤدي إليها مجرد التكرار))<sup>(٢)</sup>.

وقد برز التكرار الجزئي في نصوص الرسائل والوصايا بروزا يلفت النظر، ومعتدا عليه في إظهار المعاني وتبسيط الضوء على قضايا النصوص المهمة وهذا يكشف لنا اهتمام الإمام (عليه السلام) وحرصه على توضيح كل محور من محاور حديثه.

ومن أمثله في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه ما جاء في عهد له (عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر: ((صَلِّ الصَّلَاةَ لَوَقْتِهَا الْمُؤَقَّتِ لَهَا، وَلَا تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ، وَلَا تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لِاسْتِغْثَالٍ، وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلَاتِكَ))<sup>(٣)</sup>.

يحفل هذا النص بنوعي التكرار الكلي والجزئي؛ إذ تكررت المادة (صلى) ثلاث مرات (صل، الصلاة، لصلاتك)، كما تكررت مادة (وقت) أربع مرات (لوقتها، المؤقت، وقتها، عن وقتها)، فعلى الرغم من تعدد الصيغ لكل منها فإن دلالتها المركزية واحدة ورئيسة في النص ويؤكد أثر التكرار الجزئي في تحقيق الترابط؛ وهكذا يمثل الربط المعجمي الممتد في النص عبر جذر الكلمة عاملا من عوامل اتساق النص معجميا

فقد أسهمت التكرارات اللفظية في إبراز مركزية القضية الرئيسة في النص وهي ضرورة أداء الصلاة في وقتها، وقد دعمت هذه القضية ما تضمنه النص من تضاد يمثل سلوكين مختلفين.

**لا تعجل ≠ لا تؤخر**

**لفراغ ≠ لاشتغال**

ثم يختتم الإمام (عليه السلام) كلامه بأن كل الأعمال مرتبط بقبولها بقبول الصلاة؛ لأنها عمود الدين فإذا قبلت قبلت سائر الأعمال وإذا رفضت رفضت سائر الأعمال. والذي نلمحه أيضا في هذا النص إضمار (فواعل) كل الأفعال مما يحدث انفتاحا نصيا (زمانيا ومكانيا) لكل متلق لهذا النص على مختلف الأزمنة والأمكنة ولا يتحدد بزمانه ومكانه الذي قيل فيه.

وعليه فإن بناء النص على بني مكررة يوضح القضية الكبرى في النص فتلك هي المفاتيح التي تربط محتوى النص، فيحمل التكرار طاقة وظيفية متميزة، تتمثل في الدعم الدلالي لمفردات محددة في النص، وابقائه عليها في بؤرة التعبير<sup>(٤)</sup>، مما يؤكد الأثر الذي يتركه التكرار في الدلالات الدينية

(١) ينظر: الترابط النصي بين الشعر والنثر، د. زاهر بن مرهون الداودي: ١١٧.

(٢) النص والخطاب والإجراء: ٣٠٦.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦٤/١٥ (ك ٢٧).

(٤) ينظر: الترابط النصي بين الشعر والنثر: ١١٤.

والاجتماعية فإن اللفظ المكرر وإن كان بسيطاً فإنه يحظى عبر التكرار بقوة دافعة. ومثله أيضاً قوله في كتاب له (عليه السلام) إلى الحارث الهمداني: ((وَاسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَلَا تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عِنْدَكَ، وَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ))<sup>(١)</sup>.

في هذا النص تكراران، الأول: كلي للفظ الجلالة (الله) الذي تكرر ثلاث مرات وهو محور أساس في النص، فلا عجب من ورود لفظ الجلالة في النص أو من تكراره فهو المحدث لهذه النعم. والآخر: التكرار الجزئي الذي برز بروزاً يلفت النظر ويكشف عن اهتمام الإمام (عليه السلام) وحرصه على جذب انتباه المتلقي، فأحدث هذا التكرار غايتين ((غاية معنوية تؤكد المعنى الذي أرادته الإمام وتزيده إيضاحاً من أن استدامة النعمة بشكر الله تعالى، والمساواة بين الناس بجعل بعضها لنفسك وبعضها للصدقة و الإيثار، وغاية موسيقية تحدث في النص إيقاعاً موسيقياً متشابهاً يقرع أسماع المتلقين فيترك فيهم إحساساً بهذه النعمة الموسيقية المتولدة من أصوات مكررة))<sup>(٢)</sup>. وهذا يظهر في (نعمة، أنعمها، نعم، أنعم) فكثرة التوليد من الجذر اللغوي داخل البنية النصية يؤدي إلى بث الروح في النص، وإشاعة حركته لهذه الصور اللغوية في ظاهرها والمشاركة في جذرها فكان لها أثر في اتساق النص والحفاظ على استمراريته ولاسيما أن مفردات هذا التكرار تضرب على وتر واحد وهو الاهتمام الواضح بضرورة حسن التصرف بالنعم التي أنعمها الله سبحانه وتعالى على عباده. لقد أظهر لنا التكرار الجزئي قدرة الإمام (عليه السلام) على الاستثمار اللغوي لجذور اللغة، مما أكسب النص خصوبة وثراء وتجاوز بمتلقيه حد السأمة، وزاد ذلك في اتساق النص وترابطه.

### (ج) التكرار الدلالي.

يقع التكرار الدلالي بين الألفاظ وهو يمثل ((محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى في نفس الحقل المعجمي))<sup>(٣)</sup>، فتكون الألفاظ التي تقع ضمن هذا النوع من التكرار أما ذات معنى واحد أو متقارب، ويشتمل على:

#### - الاستبدال:

عملية تتم داخل النص، يتم فيها تعويض عنصر في النص بعنصر آخر وهو علاقة اتساق تتم في المستوى النحوي المعجمي بين كلمات أو عبارات<sup>(٤)</sup>، وهذا يعني أن الاستبدال ((نوع من

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٤١/١٨ (ك ٦٩).

(٢) رسائل الإمام علي (عليه السلام)، دراسة في البنية الصوتية: ١٣٣.

(٣) علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر: ٩٨.

(٤) ينظر: لسانيات النص، محمد خطابي: ١٩، نحو النص، د. أحمد عفيفي: ١٢٢-١٢٣، المصطلحات الأساسية في لسانيات

النص وتحليل الخطاب: ٨٣.

## مدخل:

يتمثل الاتساق النحوي بوجود وسائل مادية تتوزع في النص وتربط بين أجزائه، فتضمن له خاصية الاستمرارية، ((فلكي يكون لأي نص نصية ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية، بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة))<sup>(١)</sup>.

وهذا يعني أنه بفقدان هذه الوسائل يفقد النص وحدته اللغوية، ويصبح مجرد كلمات وجمل مفككة، فتنتفي عنه بذلك صفة النصية. وتتمثل هذه الوسائل التي تحقق الاتساق

النحوي في:

أولاً: الإحالة.

ثانياً: العطف.

ثالثاً: الحذف.

رابعاً: التوازي التركيبي.

وقد أشار (دي بوجراند) إلى أن هذه الوسائل تسهم في كفاءة الصياغة النصية، وتقدم عدداً من الصور المتمثلة: بضغط البنية السطحية، وحذف العناصر السطحية، واستبقاء العناصر التي يراد توسيعها، أو تطويرها، أو تعديلها، أو رفضها، بحسب ما تتطلبه اعتبارات إعلامية<sup>(٢)</sup>.

وسنورد فيما يأتي دراسة تطبيقية لهذه الوسائل المادية في الرسائل والوصايا في نهج البلاغة، لبيان الأثر الذي تحدثه في الاتساق النصي.

(١) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ١٣.

(٢) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٣٠٢.

## أولاً: الإحالة.

يطلق على مفهوم الإحالة تسميات مختلفة فهناك من يسميها (المرجعية)<sup>(١)</sup>، ومنهم من يسميها (الإعادة) ويريد بها الإحالة والتكرار معاً<sup>(٢)</sup>. وتعد مادة أولية يتكئ عليها محلل النص كي يتبين مدى اتساق نصه، وهي من أهم الأدوات التي تحقق الاتساق؛ إذ ((تتوفر كل لغة طبيعية على عناصر تملك خاصية الإحالة))<sup>(٣)</sup>، وتعرّف بأنها ((العلاقة القائمة بين الأسماء ومسمياتها))<sup>(٤)</sup>؛ إذ إنّ الأسماء تحيل إلى المسميات.

ويعرّفها د. عباس الأوسي بأنها ((علاقات بين عناصر السياق اللغوي بمستوياته الشكلية والدلالية على مستوى الجملة والنص بأسره وارتباط تلك العناصر بالعالم الخارجي فيرتبطان ارتباطاً سببياً، قصد المنثى بها تماسك النص واتساقه، وفسح المجال للمتلقى للقراءة والتأويل))<sup>(٥)</sup>. وتطلق تسمية العناصر الإحالية - حسب الأزهر الزناد - ((على قسم من الألفاظ التي لا تملك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص))<sup>(٦)</sup>، ويتصل ((النص الممتلك للعناصر الإحالية بعنصرين ضروريين محال ومحال إليه، وكلاهما يملك نفوذاً داخل النص...، وتحديدتهما موكول إلى ثقافة المتلقي وسياق النص))<sup>(٧)</sup>؛ ولذلك عدّت الإحالة علاقة ((بين العبارات والأشياء (Objects) والأحداث (Event) والمواقف (Situations) في العالم الذي يُدَلّ عليه بالعبارات ذات الطابع البدائي (Alternative) في نص ما؛ إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النص))<sup>(٨)</sup>، وقد اختلف المؤلفون من باحثين ومترجمين في تقسيمهم للإحالة وتسميتهم لهذه الأقسام، فنجد بعضهم قسمها ثلاثة أقسام، وأغلبهم قسمها قسمين؛ ولكنهم اختلفوا أيضاً في تسميتها وترجمتها.

فعدّهما محمد خطابي (مقامية ونصية)<sup>(٩)</sup>، وعدّهما محمد الشاوش (مقامية ومقالية)<sup>(١٠)</sup>، وعدّهما الأزهر الزناد (معجمية ونصية مقطعية)<sup>(١١)</sup>، وعدّهما الفقيّ (خارجية وداخلية ونصية)<sup>(١٢)</sup>. ومن خلال النظر الدقيق لكل هذه التقسيمات نجدها تقع على نوعين:

(١) ينظر: علم اللغة النصي، د. صبحي إبراهيم الفقي: ١/١٢١.

(٢) ينظر: التحليل اللغوي للنص، كلاوس برينكر: ٣٨-٦٢.

(٣) لسانيات النص، محمد خطابي: ١٧.

(٤) تحليل الخطاب: ٣٦.

(٥) الإحالة في القرآن الكريم: ١٧.

(٦) نسيج النص: ١١٨.

(٧) تحليل الخطاب الشعري، ثنائية الاتساق والانسجام، فتحي رزق الخوالدة، (رسالة ماجستير): ٤٥.

(٨) النص والخطاب والإجراء: ٣٢٠.

(٩) ينظر: لسانيات النص: ١٧.

(١٠) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١/١٢٥.

(١١) ينظر: نسيج النص: ١١٩.

(١٢) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: ٧٠/١.

١- إحالة مقامية أو خارجية: وتشمل المستوى الخارجي الذي يقوم على وجود ذات المخاطب خارج النص. ولا يستقيم النص بإغفاله.

٢- إحالة مقالية أو داخلية: وهي مستوى داخلي يختص بالنص المدروس، ويمثلها تركيب لغوي يشير إلى جزء من عناصر النص التي ذكرت فيه صراحة أو ضمناً، وهي قسمان:  
(أ) إحالة سابقة: وفيها تستعمل كلمة ما بديلاً لكلمة أو مجموعة من الكلمات السابقة لها في النص.

(ب) إحالة بعدية أو لاحقة: وتكون فيها كلمة ما بدلاً لكلمة أو مجموعة من الكلمات اللاحقة لها في النص<sup>(١)</sup>، ((وأبرز أبواب النحو العربي توضيحاً لها (ضمير الشأن)))<sup>(٢)</sup>.

أما الإحالة المقامية أو الخارجية فهي: الإتيان بالضمير للدلالة على أمر ما غير مذكور في النص مطلقاً غير أنه يمكن التعرف عليه من سياق الموقف، ويطلق عليه (الإضمار لمرجع متصيد أو (الإحالة لغير مذكور)<sup>(٣)</sup>. وقد وضّح (دي بوجراند) الإحالة لغير مذكور، فذكر أن الكنائيات تعود ((إلى أمور تستنبط من الموقف لا من عبارات تشترك معها في الإحالة في نفس النص أو الخطاب... وتعتمد الإحالة لغير مذكور في الأساس على سياق الموقف (Context) شأنها في ذلك شأن الإحالة لمذكور (Anaphora) سابق والإحالة لمتأخر (Cataphora))<sup>(٤)</sup>. وباجتماع هذه العناصر المقامية والنصية ((تقوم شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة في فضاء النص، فتجتمع في كل واحد عناصره متناغمة... إذ تختصر الوحدات الإحالية العناصر الإشارية وتجنب مستعملها إعادتها وتكرارها))<sup>(٥)</sup>. وفي ضوء هذا الفهم، سيتم الكشف عن خيوط هذه الشبكة في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه من خلال وسائل الاتساق الإحالية الآتية:

#### ١- الإحالة بالضمائر:

يعدّ الضمير من أهم وسائل الاتساق بين أجزاء النص إذ هو بمثابة الخيط الذي تنتظم فيه حبات العقد، ولذلك لا بد من أن يتحد المرجع مع الضمير حتى يتم الاتساق ويتحقق ذلك عبر جانبين أساسيين، هما:

- الجانب الموضوعي. - الجانب الشكلي.

(١) ينظر: نحو النص، عثمان أبو زنيد: ١٠٦.

(٢) علم اللغة النصي: ٤٠ / ١.

(٣) ينظر: نحو النص، د. أحمد عفيفي: ١١٧-١٢١.

(٤) النص والخطاب والأجراء: ٣٣٢.

(٥) نسيج النص: ١٢١.

فمن حيث الموضوع يؤدي الضمير ((إلى عدم تفكك النص الواحد فوجوده في سياق الكلام إشارة واضحة إلى أن المتحدث عنه في بداية الكلام - على سبيل المثال - هو نفسه في وسطه أو آخره، وهو في الوقت نفسه جانب شكلي يهتدي القارئ من خلاله إلى رؤية ذلك الترابط، فالضمير وما يحيل إليه يعملان على تماسك النص))<sup>(١)</sup>. وقد اختلف النحويون في تقسيم الضمائر ووظائفها<sup>(٢)</sup> وبناءً على ما ورد في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه تقسم على:

(أ) **منفصلة**؛ مثل: أنا، أنت، أنتما، أنتم، هو، هي، ... ويطلق عليها تسمية (الضمائر الوجودية)<sup>(٣)</sup>.  
(ب) **مستترة**.

(ج) **متصلة**؛ ومنها ما هو متصل بالفعل، مثل: كتبتُ، كتبتِ كتبنا، ... ، ومنها ما هو متصل بالاسم وسماها د. محمد خطابي (ضمائر الملكية)<sup>(٤)</sup>، مثل كتابك، كتابكم، ... ، ومنها ما هو متصل بالحرف، مثل: إني، إنك، إنكم، ...

وقد عدّ د. تمام حسن الضمير نوعاً مستقلاً من أنواع الكلمة، وذلك ضمن تقسيم جديد للكلمة في اللغة العربية، فجعله شاملاً لضمائر الأشخاص، والإشارات والموصولات<sup>(٥)</sup>. ومن الجدير بالذكر أنّ الإحالة بالضمير في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه من أكثر أنواع الإحالات وكما مبين في الجدول الآتي:

نوع النص	الضمائر المتصلة (عدد المرات)	الضمائر المستترة (تقديره (عدد المرات)	الضمائر المنفصلة (عدد المرات)
الرسائل	الهاء (١٣٠٤)	انتَ (٣٧٦)	انت (١٩) ، هو (١٤)
	الكاف (٧٦٥)	هو (٣٥١)	إياك (١٣) ، أنا (١٠)
	التاء (٢٧٩)	أنا (٧٥)	هي (١٠) ، نحن (٧)
	الياء (١٧٤)	هي (٦٨)	انتم (٤) ، هم (٤)
	الواو (١٧٣)	نحن (١٠)	اياهم (٣) ، اياه (٢)
	نا المتكلم (٩٤)	انت (٢)	اياكم (١)
	ألف الاثنين (١٢)		

(١) من أنواع التماسك النصي (التكرار، الضمير، العطف): ٥٧.

(٢) ينظر: أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، د. فاضل الساقى: ٢٤٤-٢٤٥.

(٣) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ١٨.

(٤) ينظر: نفسه: ١٨.

(٥) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ١٠٩-١١٠، اجتهادات لغوية: ٢٢٥.



نوع النص	الضمائر المتصلة (عدد المرات)	الضمائر المستترة تقديره (عدد المرات)	الضمائر المنفصلة (عدد المرات)
الوصايا	الهاء (٤٧٢)	انت (٢٠٣)	أنت (١٠)
	الكاف (٣٣١)	هو (١٦٨)	إياك (٨)
	التاء (٨٤)	هي (١٩)	هو (٦)
	الواو (٥٩)	انا (١٣)	أنا (٤)
	الياء (٤٧)	نحن (٨)	هُنَّ (٤)
	نا المتكلم (٦)		هي (٤)
	الألف (٥)		إياكم (٢)
	النون (٣)		إياه (١)
			إياهم (١)
			اياهنَّ (١)

وتوزعت أنواع الإحالة فيما على النحو الآتي:

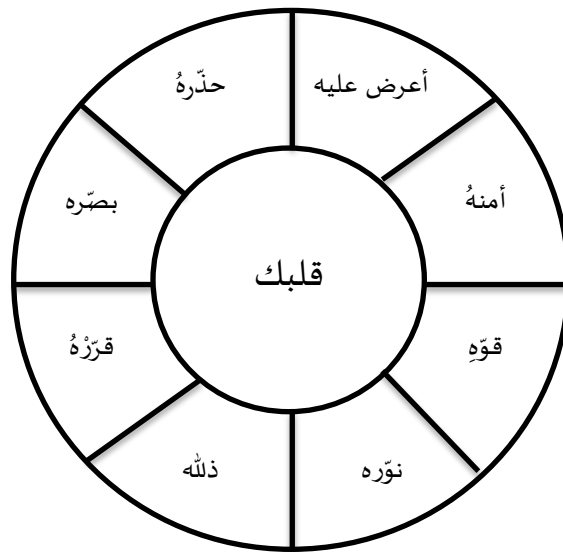
نوع النص	أنواع الضمائر	نوع الإحالة وعدد مراتها	المجموع
الرسائل	المتصلة	قبليّة (١٩٢٩) مقامية (٦١٧) بعديّة (٤٩)	القبليّة (٢٥٥٥) المقامية (٨٩٤) البعديّة (٨٢)
	المستترة	قبليّة (٥٨١) مقامية (٢٤٣) بعديّة (٢٧)	
	المنفصلة	قبليّة (٤٥) مقامية (٣٤) بعديّة (٦)	
الوصايا	المتصلة	قبليّة (٨٤٤) مقامية (١٦٠) بعديّة (٣)	القبليّة (١٢٠٥) المقامية (٢٤١) البعديّة (٣)
	المستترة	قبليّة (٣٢٦) مقامية (٧٥)	
	المنفصلة	قبليّة (٣٥) مقامية (٦)	

ويمكن ملاحظة تفصيلات الإحالة بالضمائر في الملحق الخاص بها: ٢٨٠-٢٩٢.

ومن النظر إلى هذا الجدول تتبين بعض الملحوظات وهي:

- كثرة الاستعمال للضمير المتصل هنا تؤكد ما ذهب إليه النحويون من أن أكثر الضمائر استعمالاً في اللغة هو الضمير المتصل<sup>(١)</sup>، وكان أكثرها الضمير (الهاء) للغائب.
- وزعت الضمائر بحسب كثرة ورودها في النص، فكانت الإحالة القبلية أولاً، ثم الإحالة المقامية، فالإحالة البعدية وسيحاول البحث الوقوف على بعض نصوص الرسائل والوصايا للإمام علي (عليه السلام) لتلمس أثر الإحالة الضميرية في اتساق النص ومن ذلك قوله (عليه السلام) في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام) وهي إحالة قبلية: ((أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمْتَهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقُوَّهُ بِالْيَقِينِ، وَنُورَهُ بِالْحِكْمَةِ، وَدَلِّلَهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَدِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالنَّيَّامِ، وَأَعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ))<sup>(٢)</sup>.

ويسير هذا النص من الوصية في تتابع لفظي أبرزته الإحالة الضميرية؛ إذ يحيل إلى مرجعيات لفظية صريحة وأخرى مستترة يفسرها الخط الصرفي والنحوي ضمن إطار النظم النصي العام، فتحدد لنا صيغ الأمر مخاطباً حاضراً حضوراً حقيقياً تتطابق صورته السمعية مع المرجعية القبلية وهذا يجلي حقيقة ضمير المخاطب (أنت) ويتآلف معه ضمير الغائب (الهاء)؛ إذ مثلاً عنصراً أساسياً في تكوّن وحدة المعنى الدلالية وائتلاف المعاني الجزئية داخل النص، إن اللجوء إلى الإحالة ثنائية الاتجاه قد أعطى النص حيوية واستمراراً ذلك أنّ هذا النوع من الإحالة يعلن عن وجود ذاتين مستمرتين في النص ما يولد حركة تفاعلية بين الذاتين، فكانت جملة (أحي قلبك) بؤرة مركزية في النص ارتبطت بها كل الجمل اللاحقة؛ إذ كان لفظ (قلبك) المرتكز الذي تدور حوله مكونات النص كما في المخطط الآتي:



(١) ينظر: الخصائص، ابن جني: ١٩٢/٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦٢/١٦ (و ٣١).

وكأنّ صلاح الإنسان مرتبط بصلاح قلبه، فإذا فسد قلبه ضاع الإنسان وضلّ طريق الصّواب، فقد حقق الضمير (الهاء) في هذه المواطن الثمانية أثره في الربط بين أجزاء هذه المقطوعة من نص الوصية، وعليه فقد أسهم في اتساق النص وتماسكه؛ وذلك من خلال البعد عن التكرار الذي لا يقصد به غاية أسلوبية؛ إذ قامت الإحالة بضمير الغيبة باختزال العنصر (قلبك) الذي لو تكرر في النص بدل ضمائر الغيبة لكان ذلك سبباً في ضعف النص وهلهلته. وتلك ملاحظة تنبّه إليها (جوفري ليتش وميخائيل شورت) إذ قالوا: ((إنّ الاتساق يتضمن -بشكل مستمر- مبدأ الاختزال الذي بواسطته تسمح لنا اللغة بتكثيف رسائلنا، متقين- بذلك- التعبير المكرر عن الأفكار المعادة))<sup>(١)</sup>. ومن زاوية أخرى فقد صاحب تتابع ضمير الغيبة ضميراً آخر وهو ضمير المخاطب المستتر (أنت)، فتمثل في النص عنصراً التوازي والثبات اللزمان لمتابعة المتلقي لأحداث الخطاب والتواصل مع المتحدث الذي حوّل الخطاب من خطاب مباشر إلى الإمام الحسن (عليه السلام) إلى خطاب غير مباشر إلى الناس كافة؛ إذ إنّ تحويل الخطاب يستلزم حالة جديدة من الثبات حتى يمكن متابعته وهذه الحالة جاءت من خلال المقابلة بين ضميري المخاطب المستتر (أنت) وضمير الغائب (الهاء)، فأصبح طرفاً المعادلة في كل فقرة كالآتي:

أحي (أنت) قلبك) بؤرة النص	بصّر (أنت)	← هـ
امت (أنت)	حذر (أنت)	← هـ
قو (أنت)	أعرض (أنت)	← عليه
نور (أنت)		← هـ
ذللّ (أنت)		← هـ
قزّر (أنت)		← هـ

ومن أمثلة الإحالة الضميرية القبلية التي تعود إلى مرجع واحد قوله (عليه السلام) في رسالة له إلى واليه على البصرة (عثمان بن حنيف): ((طوبى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرَضَهَا، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا، وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمْضَهَا، حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكُرَى عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا، وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا))<sup>(٢)</sup>

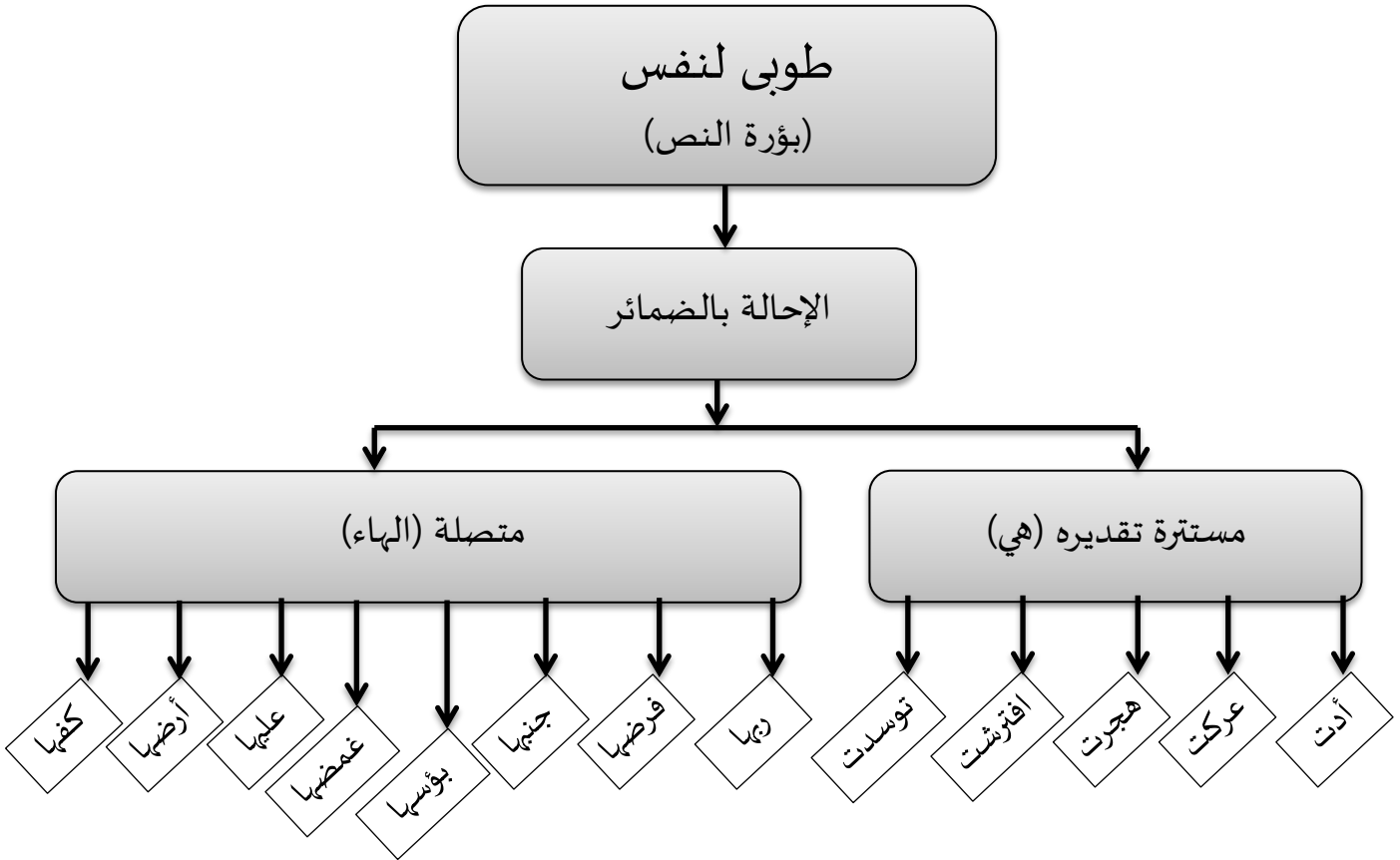
لقد ذكر الإمام (عليه السلام) في الجملة الأولى (طوبى لنفسي) المرجع الإشاري الذي ترتبط به الأحداث النصية كلها وهو (النفس)، وكانت الضمائر المحيلة السائدة في النص هي ضمائر الغيبة سواء الظاهرة (الهاء) المتصلة، أم المستترة (هي) المشيرة إلى النفس ذلك أنّ الموضوع الأساس في النص بيان صفات النفس لإدراك مدى عظمتها من خلال عرض حالاتها التعبديّة المتنوعة، فالنص- على هذا- وحدة متماسكة: إذ تقوم بإحالة كل الأحداث الواردة في النص إلى مركز واحد

(١) لسانيات النص، محمد خطابي: ٢٢٨.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/٢٩٤-٢٩٥ (ك ٤٥).

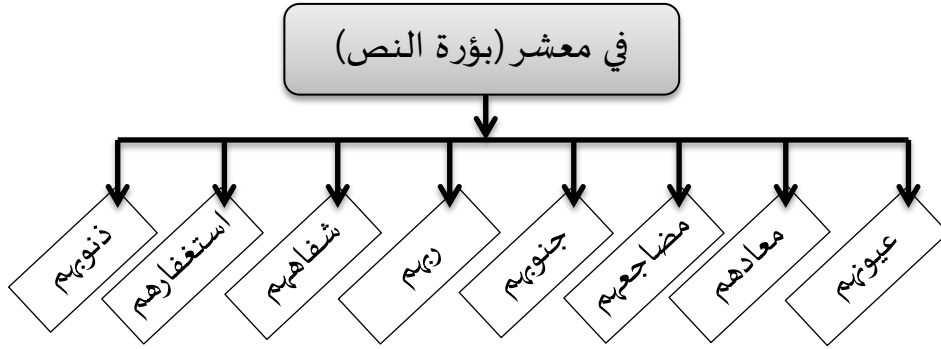
وعليه جعلت جملة (طوبى لنفس) بؤرة مركزية ورئيسة في النص، وقد أضيفت إلى لفظ (الرب) في أول إحالة لها تعظيماً وإكراماً لها<sup>(١)</sup>.

ونلاحظ أن الجملة الأولى في هذا النص (طوبى لنفس) قد أثرت في باقي النص فإذا نظرنا إلى الجمل منفردة وجدناها مرتبطة بالجملة الأولى أشد الارتباط وذلك بوساطة ضمائر الغيبة المحيلة إلى النفس والمتأمل في الوحدات النصية يجدها دائرة في فلك الجملة الأولى (طوبى لنفس) بوساطة ضمائر الغيبة المحيلة فأراد الإمام (عليه السلام) أن يبقى المتلقي دائراً في فلك النفس ويمكنه من ربط الموضوعات وجعلها في نسق مترابط؛ فالمتلقي عالم بارتباط الأحداث النصية بالمحور الذي قدم له في الجملة الأولى وهذا ما يفسر لنا الانتقال من موضوع إلى آخر، دون أن يختل النظام النصي، ودون أن يلتبس على المتلقي المركز الأساس الذي يدور فيه النص، فكان للإحالة بالضمائر-هنا- أثرٌ في اتساق النص؛ إذ إنها تعطي المتلقي الأداة التي يتمكن بها من إرجاع كل الأفعال النصية إلى متعلقها، فمهما تعددت تلك الأفعال فإن المرجع في ذهن المتلقي سيظل واحداً سواء كان ذلك التعدد ضمن الوحدة النصية الصغرى، أم كان ضمن الوحدة النصية الكبرى، وكل أولئك مرتبط بالجملة الأولى التي بدأ بها الإمام (عليه السلام) النص، إذ يفقد النص مرجعيته واتساقه إذا حذفت تلك الجملة. ويتضح ذلك من خلال مخطط للإحالة الضميرية في النص وعلى النحو الآتي:



(١) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام)، دراسة في البنية الصوتية: ١٤٥.

ومثل ذلك ما جاء بعده من نص الرسالة، فقد قال الإمام (عليه السلام): ((في معشر أسهر عيونهم خوف معادهم، وتجاقت عن مضاجعهم جنوبهم، وهممت بذكر ربهم شفاهم، وتشتت بطول استغفارهم ذنوبهم، أولئك حزب الله إلا إن حزب الله هم المفلحون)) فاتق الله يا ابن حنيف وتكفف أقرصك، ليكون من النار خلاصك<sup>(١)</sup>. ينتظم النص على ضمير الغيبة (الهاء) الدال على الملكية؛ إذ يمثل هذا الضمير النواة الرئيسة التي يركز عليها النص. فتمت الإحالة بهذا الضمير إلى لفظ (معشر) الذي وقع في بداية النص، فكانت الإحالة إحالة قبلية، وقد كان لفظ (معشر) بؤرة مركزية للنص؛ إذ كانت عودة (الهاء) على هذه البؤرة، فلا يمكن أن يفهم النص لو حذفت منه، وكما موضح في المخطط الآتي:



فإن هذا الامتداد في الإحالة إلى الضمير نفسه في النص يجعل النص حلقات في عقد يجمعها الخيط نفسه، فإذا قطع الخيط تفرقت حبات العقد ولم يعد عقداً، كذلك فإن بناء النص على هذا الشكل واعتماده على ضمائر الغيبة غير المتحولة بهذا القدر ((يبين قدرة الضمير على تطويع الجزئيات المتناثرة التي كانت أفكاراً مجردة بعيدة عن الترويض والتواصل وجعلها نسيجاً موحداً منتظماً))<sup>(٢)</sup>. وقد مثلت الجملة الأولى نواة الإحالة قبلية، وهذه الظاهرة بارزة في الإحالة النصية، إذ إن أهم عنصر إشاري في النص هو الذي يرتبط به أكبر عدد من العناصر الإحالية، وقد سماها الأزهر الزناد ((السلمية الإحالية))<sup>(٣)</sup>.

ومن الإحالة البعدية بالضمير قوله في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية: ((فأنا أبو حسن، قاتل جدك وأخيك وخالك شذخاً يوم بدر))<sup>(٤)</sup>. فإذا نظرنا إلى الضمير (أنا) فهو ضمير وجودي يعين شيئاً في الكون وهو هنا المتكلم المفرد الذي يحيل إلى محتوى مفهومي ينطوي على كل ما يحيط بالإمام علي (عليه السلام) من صفات البطولة، فجاء هذا الضمير متصديراً للجملة الاسمية وما يجسد ذلك من الشعور

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٩٥/١٦ (ك ٤٥).

(٢) نحو النص، عثمان أبو زنيد: ١١٠.

(٣) ينظر: نسيج النص: ١٣٤.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧٩/١٥ (ك ١٠).

بالافتخار والعظمة بأنه هو الذي فعل ذلك لا أحد غيره، فإذا كان المرسل راغباً في جذب انتباه المتلقي لذلك المفسر واشعاره بأهميته فإنه يقوم بتقديم الضمير على المُفسّر كما في هذا النص، فقد قدم الإمام (عليه السلام) الإحالة الضميرية وأخر مرجعها الإشاري؛ لأنه كان شاخصاً إلى الحديث عن أمرهم المتلقي وهو قتل جده وأخيه وخاله يوم بدر وهو أمر عظيم لا يرقى إليه الشك في نظره، إذن فتقديم الضمير على المفسر في هذا النص إنما كان لغرض شد انتباه المتلقي وتنبهه إلى أن ما سيلقى عليه أمر ذو بال، ينبغي له التنبه إليه. والحق أنّ معالجة ورود الضمير قبل مفسره معالجة نصية توصل إلى الغرض الأساس من تقدّم الضمير، إذ تكون تقنية من تقنيات اتساق النص يلجأ إليها المرسل بغية التنبيه على أهمية عنصر أو مجموعة عناصر يحيل إليها لاحقاً.

وقد تؤثر إحالة الضمير على المعنى الذي يفهم من النص من ذلك قوله (عليه السلام) في وصية له (عليه السلام) فيما يعمل في أمواله، كتبها بعد منصرفه من صفين: ((فَإِنْ حَدَّثَ بِحَسَنِ حَدَّثَ وَحُسَيْنٌ حَيٌّ، قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ وَأَصْدَرَهُ مَصْدَرُهُ))<sup>(١)</sup>. ربط ضمير الغيبة (الهاء) النص من أوله إلى آخره، فإحالاته جميعها قبلية في الألفاظ (بعده، أصدره، مصدره)، يعود الضمير في (بعده) إلى الإمام الحسن (عليه السلام) وفي (أصدره) يعود الضمير إلى (الأمر) ويحتمل الضمير في (مصدره) وجهين: الأول أن يعود إلى الحسن (عليه السلام) فيكون المعنى وأصدر الحسين الأمر كإصدار الحسن له وقضى في المال كقضائه، فالمصدر بمعنى الإصدار، والآخر: أن يعود الضمير إلى الأمر الذي وصّى به (عليه السلام) ويكون المعنى وضع كل شيء موضعه<sup>(٢)</sup>.

وفي هذه الحالة لأبد من أنه ((عند غياب القرينة على المعنى المراد ينبغي للضمير أن يعود إلى أقرب مذکور، ولاسيما إذا كان في ذلك ما يرجح أحد احتمالات المعنى المتعددة))<sup>(٣)</sup>. لذلك أرى أن الضمير في (مصدره) يعود إلى الأمر؛ لأنه في حال وجود قرينة يُحال الضمير إلى ما تدل عليه القرينة، البعيد أو القريب، وفي حال غياب القرينة ينبغي أن يعود إلى أقرب مذکور، فالأمر هو المذكور الأقرب إلى (مصدره) وعليه فالمعنى المقصود من النص يكون: وضع كل شيء موضعه وهذا هو التفسير الأنسب للمعنى.

## ٢- الإحالة باسم الإشارة:

إنّ أسماء الإشارة ألفاظ يجتمع فيها الإيهام والتعريف، وقد سمّاها سيبويه (ت ١٨٠هـ) الأسماء المهمة فقال: (( الأسماء المهمة: هذا، وهذان، وهذه، وهاتان، وهؤلاء، وذلك، ... ))<sup>(٤)</sup>.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤٧/١٥ (و ٢٤).  
 (٢) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٤٨٧/٤.  
 (٣) خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم، د، تمام حسّان: ١٠، وينظر: المعايير النصية في القرآن الكريم، د. أحمد محمد عبد الراضي: ١٢٠.  
 (٤) الكتاب: ٧٧/٢.

وهذا الإبهام هو الذي جعل ابن هشام (ت ٧٦١ هـ) يعدها من روابط الجملة<sup>(١)</sup>، فإن أي إبهام في جزء الجملة يجعل المتكلم يعمد إلى تفسيره حتى يكون الكلام واضحاً، وهو الهدف من إنشاء الكلام الذي بدوره يؤدي إلى اكتمال عملية التواصل بين المتكلم والمتلقي، وإن هذا التناقض بين الإبهام والتعريف يزول؛ ((لأنَّ الإبهام الذي فيها وصفاً يرفعه الاستعمال تحقفاً))<sup>(٢)</sup>. والإحالة باسم الإشارة لها أركان، وهي<sup>(٣)</sup>:

- ✓ المشير: المتكلم.
- ✓ المشار إليه: الشيء في الخارج (وقد يبين مدلولاً عليه باسمه).
- ✓ المشار له بالمشار إليه: المخاطب.
- ✓ المشار به: عبارة الإشارة (اللفظ الذي تتحقق به).
- ✓ عمل الإشارة: الحاصل معنى وخارجاً من الإشارة.

ولأسماء الإشارة أثرٌ بارز في اتساق النص وترابطه؛ إذ تجسد عناصر الإشارة محطات اتساق واتصال في النص تصل بعضه ببعض، وتدخل في تشكيل الترابطات والعلاقات الداخلية التي تبني النص، ويتم فيها دمج مكوناته الداخلية والمعطيات المطروحة فيه، فيستعمل اسم الإشارة استعمال الروابط، فينقل معنى ما يسبقه إلى ما يلحقه ويكون بديلاً عن لفظة، أو جملة، أو نص؛ ولكن هذا الاستعمال يجعل من مدى الإحالة باعتماد المدى الفاصل بين العنصر الإحالي ومفسره، إلى نوعين الأول: إحالة ذات مدى قريب، وتجري في مستوى الجملة الواحدة. والآخر: إحالة ذات مدى بعيد، وتجري بين الجمل المتصلة أو المتباعدة في فضاء النص<sup>(٤)</sup>، وقد توزعت أسماء الإشارة في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه على النحو الآتي:

(١) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري: ٥ / ٥٨٧.  
(٢) أصول تحليل الخطاب: ١٠٦٩/٢.  
(٣) ينظر: نفسه، ١٠٦٣/٢.  
(٤) ينظر: نسيج النص: ١٢٣-١٢٤، نحو النص، د. أحمد عفيفي: ١٢٠.

المجموع	عدد مرات ورودها	نوع الإحالة	اسم الإشارة		نوع النص	
			عدد مرات وروده	نوعه		
(١٢٢)	(٤٧)	إحالة موسعة (قبلية) استبدال قولي	(٦٥)	ذلك	الرسائل	
			(٢٥)	هذا		
			(١٥)	هذه		
			(٣)	أولئك		
		(٤٢)	بعديّة	(٣)		هؤلاء
				(٢)		هناك
				(١)		ذا
				(١)		ذاك
(٢٥)	قبلية	(١)	هذين			
		(١)	هذين			
(٣٢)	(١٨)	إحالة موسعة (قبلية) استبدال قولي	(٢٥)	ذلك	الوصايا	
			(٣)	هذه		
		(٧)	هذا			
		(٦)	هذين			
		(١)	مقامية			

#### فيتبين لنا من الجدول المذكور:

- أنّ أكثر أسماء الإشارة وروداً في فضاء نصوص الرسائل والوصايا هو (ذلك).
- لقد رُتبت أسماء الإشارة بحسب كثرة ورودها في الرسائل والوصايا، وكذلك الإحالات رُتبت بحسب كثرة ورودها.
- كل الإحالات الموسعة هي إحالات قبلية وهي نوع من أنواع الاستبدال القولي<sup>(\*)</sup>

ويمكن متابعة تفصيلات الإحالة باسم الإشارة في الجدول الخاص بالإحالة باسم الإشارة في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه. وفي محاولة لتلمس الأثر الذي تحققه أسماء الإشارة في اتساق النص في ضوء ما يحمله من المعاني الإضافية والمقاصد والدلالات الفنية بما تؤديه من معاني القرب والبعد والتوسط، وهذا التنوع الإشاري يكسب النص ثراءً في الدلالة والتأثير النفسي لما فيه من ((قوة وتحديد وتعيين وإفراغ للنفس ممّا تحسّ به))<sup>(١)</sup> عبر التوظيف لأغراضه<sup>(٢)</sup> التي تستشف من السياق والمقام الذي تأتي فيه. ومن الإحالات الموسعة (الاستبدال القولي) ((وهو مجموعة

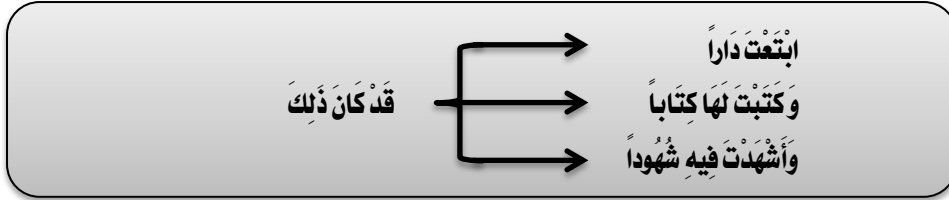
(\*) تم تناول هذا الموضوع في الإحالة باسم الإشارة مما يعني عن ذكره في موضوع الاستبدال لأن وظيفة اسم الإشارة وظيفية نحوية.

(١) من بلاغة النظم العربي، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د. عبد العزيز عبد المعطي عرفة: ١٤٩/١.

(٢) ينظر: في أغراض الإشارة، معاني النحو، د. فاضل السامرائي: ١/٨٢-٨٣.



المقولات التي يمكن أن تحل محل قول ما مؤدية وظيفته التركيبية<sup>(١)</sup>، من ذلك قوله (عليه السلام) في رسالة للقاضي شريح: ((بَلِّغْنِي أَنْكَ ابْتَعْتَ دَارًا بِثَمَانِينَ دِينَارًا، وَكَتَبْتَ لَهَا كِتَابًا، وَأَشْهَدْتَ فِيهِ شُهودًا، فَقَالَ لَهُ شَرِيحٌ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ))<sup>(٢)</sup>. نرى هنا أن اسم الإشارة (ذلك) في جملة مقول القول كانت استبدالاً لمجموعة من الجمل، وعلى النحو الآتي:



ومن الاستبدال القولي قوله في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام): ((وَأَيَّاكَ وَالتَّغَايِرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ غَيْرَةٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ، وَالْبَرِيئَةَ إِلَى الرَّيْبِ))<sup>(٣)</sup>. فحقق اسم الإشارة ترابطاً نصياً من خلال اختزاله لتركيب نحوي، لو ذكر بعد (فإن) لتحمل عبء الركاكة والاختلال، والدليل على أن (ذلك) قد اختزل جملة (والتغاير في غير موضع) وتمكن اسم الإشارة (ذلك) بلفظه المنفرد أن يعبر عنها، فلو حلَّ الضمير محله؛ وذلك بأن يقول: (وأياك والتغاير، فإنه يدعو الصحيحة إلى السقم، والبريئة إلى الريب)، فإن الدلالة ستكون قاصرة على التغاير فقط، ويكون المعنى بذلك التحذير من عموم الغيرة، لكن الإمام (عليه السلام) قصد التحذير من الغيرة في غير موضعها، فوجود اسم الإشارة (ذلك) قد حقق اتساقاً وترابطاً بين ما حذر منه (من التغاير في غير موضع غير) وبين ما يفضي إليه من نتيجة.

وتسمى الإحالة باسم الإشارة إلى الجملة بكاملها أو متتالية من الجمل بالإحالة الموسعة<sup>(٤)</sup> وهو أيضاً استبدال قولي، ولكنه يختلف عن أنواع الاستبدال الأخرى (الفعلي والاسمي) اللذين درسا في موضوع الاستبدال، فهو ليس استبدالاً لكلمة داخل الجملة؛ ولكن للجملة بكاملها وعليه فإن جملة الاستبدال تقع أولاً ثم يقع اسم الإشارة المستبدل به خارج حدود الجملة. ومن أمثلته أيضاً قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى بعض أمرائه على الجيوش: ((أَلَا وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَلَا أَحْتَجِزُ دُونَكُمْ سِرًّا إِلَّا فِي حَرْبٍ؛ وَلَا أَطْوِي دُونَكُمْ أَمْرًا إِلَّا فِي حُكْمٍ، وَلَا أُؤَخِّرُ لَكُمْ حَقًّا عَنْ مَحَلِّهِ، وَلَا أَقْفُ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ، وَأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءً، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ وَجَبَتْ لَكُمْ النُّعْمَةُ وَلِي عَلَيْكُمْ الطَّاعَةُ، وَأَلَا تَنْكُصُوا عَنْ دَعْوَةٍ، وَلَا تُفَرِّطُوا فِي صَلَاحٍ، وَأَنْ تَخَوْضُوا الْغَمْرَاتِ إِلَى الْحَقِّ، فَإِنَّ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِي عَلَى ذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ

(١) نحو النص، عثمان أبو زنيد: ١٢٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٧/١٤ (ك ٣).

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/١٢٢ (و ٣١).

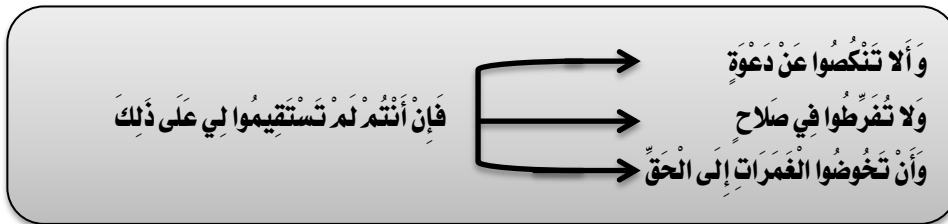
(٤) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ١٩.

مِمَّنْ أَعَوْجَ مِنْكُمْ، ثُمَّ أُعْظِمَ لَهُ الْعُقُوبَةَ، وَلَا يَجِدُ عِنْدِي فِيهَا رُحْمَةً، فَخُذُوا هَذَا مِنْ أَمْرَانِكُمْ، وَأَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصَلِّحُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَكُمْ<sup>(١)</sup>. لقد استغنى الإمام علي (عليه السلام) عن إعادة الوحدات النصية باستعمال الإحالة الإشارية في رسالته؛ إذ قامت أسماء الإشارة المستعملة مقام الوحدات النصية المتقدمة عليها، فنرى في هذه الرسالة كيف أن اسم الإشارة (ذلك) الأول قد أحال لمجموعة من الجمل، وكالاتي:



فأفاد اسم الإشارة (ذلك) دلالة الإيجاز وتأكيد المعنى (التحقيق والتثبيت) ونعني بها أن يرد اسم الإشارة مشاراً به إلى كلام سابق له قاصداً تحققه فيسلك المتكلم بذكر اسم الإشارة سبيل الإيجاز تجنباً للتكرار وتأكيد المعنى، فأسماء الإشارة ((تعين المتكلم على التركيز والإيجاز وتفادي التكرار الذي يترهل به الأساليب ويتناقل به وثوبها إلى القلوب))<sup>(٢)</sup>.

فحقق اسم الإشارة (ذلك) أمرين أساسيين: الأول: أنه أقام تماسكاً بين الجزء الأول من النص والجزء الثاني؛ إذ يقوم الأول مقام المقدمة التي تفضي إلى النتيجة المذكورة في الجزء الثاني من النص والمقدمة ونتيجتها متسقان ولا ينفك جزء منها عن الآخر. والأمر الآخر: أنه تمكن من ذكر جواب الشرط مباشرة دون مباحدة بين طرفيه، ولولا ذكر اسم الإشارة (ذلك) لما تمكن من ذلك ولفاتته سرعة ايقاع الجزاء على المتلقي (القارئ). ومثل هذا الكلام في اسم الإشارة (ذلك) الثاني؛ إذ أحال إلى مجموعة من الجمل وأغنى عن إعادتها وكانت على النحو الآتي:



فربط السبب بالنتيجة وحقق بذلك ترابطاً بين أوله وآخره وحقق إيجازاً من إعادة الجمل وتكرارها الذي يفضي إلى تفكك النص وأخيراً يأتي اسم الإشارة (هذا) في قوله: ((فخذوا هذا من

(١) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد: ١٦/١٧ (ك ٥٠).

(٢) خصائص التراكيب، (دراسة تحليلية لمسائل المعاني)، د. محمد أبو موسى: ٢٠٧-٢٠٨.

أمرائكم)) ليحيل إلى كل ما تقدم من جمل وتراكيب، فكان ذلك غاية في الاختصار والايجاز، وزيادة في تأكيد المعنى عند المتلقي إن هذه الألفاظ المستبدلة تجعل النص من بدايته مرتبطاً بها، فتكون ألفاظاً متسلسلة حتى توصل القارئ إلى اللفظ المستبدل منه، فترسم بذلك صورة مترابطة متسقة للنص، وتظهر للمتلقي في الوقت نفسه فاعلية اسم الإشارة في تحقيق الاتساق النصي.

إذ ((إنّ وفرة أسماء الإشارة التي تحيل إلى شيء داخلي في النص متأثرة بطبيعة النص: فهو مكتوب كتابة، والنص المكتوب يتميز عن المنطوق عادة بوفرة أدوات التعليق بين وحداته، أو ما يسمى بعلامات ما وراء اللغة مثل: ذلك أن، وحتى إن وغيرها))<sup>(١)</sup>.

فإذا نظرنا إلى هذه الإحالات الإشارية وجدنا أن لها أثراً بارزاً في اتساق النص، وهذا الاتساق يتطلب من القارئ (المتلقي) أن يسير مع النص موحداً فينظر في داخله لمعرفة المحال إليه، والتعرف على علاقات الترابط التي تنظم وحداته الداخلية. فمهما ((تعددت أنواع الإحالة الإشارية، واختلفت وظائف أدواتها، فإن لها وظيفة أساسية في عقد صلة وثيقة بين أجزاء النص، وصنع وحدة نصية وسائلها متلاحمة، وأجزاؤها متماسكة))<sup>(٢)</sup>. فأفاد اسم الإشارة بناء النص واتساقه وانسجام معانيه عندما أغنى عن إعادة التكرار للألفاظ التي أحال إليها.

ومن الإحالة الإشارية (القبلية) قوله (عليه السلام) في عهده لمالك الأشر: ((شَرُّوْزْرَانِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزَيْرًا، وَمَنْ شَرَّكَهُمْ فِي الْأَثَامِ، فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ، وَإِخْوَانُ الظُّلْمَةِ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلْفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ أَرَانِهِمْ وَنَفَادِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ أَصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَأَثَامِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ يِعَاوَنِ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ وَلَا أَثَمًا عَلَى إِثْمِهِ، أَوْلَيْكَ أَخْفُ عَلَيْكَ مَوْوَنَةٌ، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةٌ، وَأَحْسَنُ عَلَيْكَ عَطْفًا، وَأَقْلُ لِيَغْيِرِكَ إِثْمًا، فَاتَّخِذْ أَوْلَيْكَ خَاصَّةً لِخُلُوتِكَ وَحَفَلَاتِكَ))<sup>(٣)</sup>.

يلحظ على هذا النص مجيء (أولئك) للإشارة إلى خير الخلف الذين لم يعاونوا الظالم على ظلمه ولا الأثم على إثمه، وقد أفاد استعمال اسم الإشارة دلاليًا في التنبيه على جدارة المشار إليه بما بعده من أوصاف وتتمثل هذه الدلالة في ((أن تذكر أوصافاً عديدة للشيء ثم تذكره باسم الإشارة جاعلاً ما يترتب على تلك الأوصاف مسنداً إلى هذا الاسم، واسم الإشارة هذا يفيد أن ما يرد بعده فالشار إليه جدير به))<sup>(٤)</sup>، فقد عبّر الإمام عن خير الخلف بلفظ الإشارة (أولئك) على أنهم من أجل تلك الأوصاف جديرون بأن يكونوا خاصة له، وكان بإمكان الإمام التعبير عنهم بـ (هم) فيقول مثلاً: (فهم أخف عليك مؤونة، وأحسن .... وأحتى ... وأقل...)، وإما ما يخص دلالة تكرار اسم الإشارة (أولئك) فقد أفاد العناية والاهتمام بشأن المشار إليهم، فحقّ لذلك أن يتخذهم

(١) نحو النص، عثمان أبو زنييد: ٢٤٢.

(٢) نفسه: ١٢٠.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٤٢/١٧ (ك ٥٣).

(٤) خصائص التراكيب: ٢٠٦.

خاصة له وكل ذلك يتناسب مع سياق المدح (لأولئك) فكان اسم الإشارة عنصراً مهماً وإساسياً في الترابط النصي.

ومن الإحالة الإشارية (البعدية) قوله (عليه السلام) في رسالة له إلى عثمان بن حنيف الأنصاري - وكان عامله على البصرة، وقد بلغه أنه دُعِيَ إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها: ((وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى مُصَفَى هَذَا الْعَسَلِ، وَلُبَابِ هَذَا الْقَمَحِ، وَنَسَائِحِ هَذَا الْقَزِّ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ، وَيَقُودَنِي جَشْعِي إِلَى تَخْيِيرِ الْأَطْعَمَةِ))<sup>(١)</sup>. يلحظ في هذا النص أن عنصراً إشارياً واحداً ظهر ثلاث مرات وكانت كلها إحالات بعدية لهذه الملذات الدنيوية: الأولى: أحالت إلى العسل، والثانية: أحالت إلى القمح، والثالثة: قد أحالت إلى القز. ولو فصلنا الحديث في أركان الإشارة في هذه المواضع لكانت على النحو الآتي:

- المشير: الإمام علي (عليه السلام)
- المشار إليه: (العسل، القمح، القز).
- المشار به: هذا.
- عمل الإشارة: أحالت إلى المشار إليه، وقد أكدت دلالة الاستحراق؛ إذ أتت في سياق حشدت فيه الألفاظ والمعاني ليحقق تلك الدلالة والغاية من ذلك أن يروض الوالي نفسه ويتأسى بمن ولّاه فلا يدع لهذه المغريات سبيلاً إلى نفسه. فالإمام (عليه السلام) أراد القول إنه ترك هذه الأشياء لأمر مهم وهو أن تتأسى بضعفه رعيته وإلا فإن هذه الأطعمة في حد ذاتها عبر عنها الإمام بالطيبات في رسالته نفسها ((فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات))، فالإمام (عليه السلام) أراد القول: أنه يستطيع أن يهتدي إلى أجود أنواع الأطعمة وألذها، وأفضل أنواع الملابس نعومةً، بيد أنه يعرض عن ذلك للعلة التي ذكرناها.

ولا بد من الالتفات هنا إلى أنّ (هذا) عنصراً إحالي يحتاج لبيان دلالاته إلى عنصر آخر، وقد جاء هذا العنصر بعده في هذه المقطوعة من الرسالة فكانت إحالاته بعدية كلّها، وتؤدي الإشارة هنا إلى تركيز انتباه المتلقي إلى ما سيقال عن طريق خلق مكان فارغ مؤقتاً، فيتم شغله بالعنصر اللغوي المطلوب (المشار إليه) ((والغرض من الإيهام ثم التفسير، إحداث وقع في النفوس لذلك المهم، لأنّ النفوس تتشوق، إذا سمعت المهم، إلى العلم بالمقصود منه وأيضاً، في ذكر الشيء مرتين: مهماً ثم مفسراً توكيد ليس في ذكره مرة))<sup>(٢)</sup>. فأسهم وجود اسم الإشارة (هذا) في توكيد المعنى والغرض الذي قصده الإمام (عليه السلام) من كلامه.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٨٦/١٦ (ك ٤٥).

(٢) شرح الرضي على الكافية: ١٩٩/١.

ومن الإحالة الإشارية (البعديّة) أيضاً قوله (عليه السلام) في عهده إلى مالك بن الأشر: ((فإنّ هذا الدّين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار، يعمل فيه بالهوى، وتطلب به الدّنيا))<sup>(١)</sup>. فقد استعمل الإمام علي (عليه السلام) اسم الإشارة (هذا) للإشارة إلى (الدين) الذي بعده، ولتلمس أثر السياق في بيان دلالة اسم الإشارة. استعار الإمام (عليه السلام) لفظ الأسير إذ شبّه الدين بالأسير في أيدي الأشرار، فكما الأسير لا يملك من نفسه شيئاً، فكذلك الدين إذ لم تطبق أحكامه ولم يعمل بما جاء فيه، فدلالة التحقير ليست للدين، وإنما أراد الإشارة إلى الذين سبقوه أنهم لم يعملوا بما جاء في هذا الدين.

قال ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ): ((إنّ هذا الدين قد كان أسيراً)، هذه إشارة إلى قضاة عثمان وحكامه، وإنهم لم يكونوا يقضون بالحق عنده، بل بالهوى لطلب الدنيا...))<sup>(٢)</sup>.

فالإمام (عليه السلام) أراد أن يحذره من استغلال الدين للهوى وطلب الدنيا كما فعل سابقوه، أي لا تفعل كما كانوا يفعلون ومن ثم ينسبون أفعالهم إلى الدين. وفي توظيف آخر لاسم الإشارة قوله (عليه السلام) في الرسالة نفسها: ((وسأجهد في أن أظهر الأرض من هذا الشخص المعكوس، والجسم المركوس، حتّى تخرج المدرة من بين حبّ الحصيد))<sup>(٣)</sup>. حصلت الإحالة باسم الإشارة (هذا) وفيه إحالة مقامية إلى معاوية وكانت أركان الإشارة فيه هي:

- المشير: الإمام علي (عليه السلام).
  - المشار إليه: معاوية (سماه شخصاً معكوساً، وجسماً مركوساً).
  - المشار به: هذا.
  - عمل الإشارة: أحالت إلى المشار إليه، وقد أفادت تحقير المشار إليه والتصغير من شأنه.
- ويتبين ذلك في ضوء توظيف النص للجناس اللاحق والسجع في (معكوس ومركوس) والمراد ((انعكاس عقيدته، وأنها ليست عقيدة هدى، بل هي معاكسة للحق والصواب، وسماه مركوساً من قولهم ارتكس في الضلال))<sup>(٤)</sup> الذي أضفى على النص تلويحاً موسيقياً فضلاً عن ذلك تكرار صوتي الكاف والسين، وهما من الأصوات المهموسة<sup>(٥)</sup> ما يوحي بثبات صفات الموصوف، فضلاً عمّا يحويه النص من استعارة في قوله: ((حتى تخرج المدرة من بين حبّ الحصيد)) وهي صورة حسية لما أحدثه معاوية من فساد ((فشبه معاوية بالمدرو ونحوه من مفسدات الحبّ، وشبهه الدّين بالحبّ الذي هو ثمرة الزرع))<sup>(٦)</sup> كل ذلك جاء في مقام الازم لمعاوية والتقليل من شأنه لانحطاطه في

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٥٩/١٧ (ك ٥٣).

(٢) نفسه: ٦٠/١٧.

(٣) نفسه: ٢٨٩/١٦ (ك ٤٥).

(٤) نفسه: ٢٩١/١٦.

(٥) ينظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس: ٧٤، ٨١.

(٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٩٢/١٦.

الفساد. ويزاد على ذلك أن الألفاظ قد أعطت معناها عن طريق قصد الإمام (عليه السلام) وكيفية ربطها بالسياق الخارجي عن النص ومن ثم في الاتساق الداخلي للنص وتأكيد وحدته؛ لأنه لولا المعرفة بالآليات الداخلية والخارجية لما استطعنا أن نصل إلى فهم لأغراض اسم الإشارة التي تحيل إليه رسالته.

### ٣- الإحالة بالاسم الموصول:

يعد الاسم الموصول وسيلة من وسائل الإحالة<sup>(١)</sup>. فالأسماء الموصولة تشارك ((بقية أدوات الاتساق الإحالية في عملية التعويض، فهي ألفاظ كنائية لا تحمل دلالة خاصة، وكأنها جاءت تعويضاً عما تحيل إليه))<sup>(٢)</sup>. فهي تقوم بالربط الاتساق من خلال ما يأتي بعدها من صلة الموصول التي تصنع ربطاً مفهوماً بين ما قبله وما بعده إذ إن تلك الصلة ينبغي أن تكون معلومة للمتلقى قبل ذكر الاسم الموصول<sup>(٣)</sup>.

ويرى د. مهدي المخزومي أن الاسم الموصول قد يؤتى به في التركيب مؤدياً الوظيفة نفسها التي تؤديها الضمائر وأسماء الإشارة وهي (الاختصار): بل يذهب إلى أبعد من ذلك، فهو يقول: ((أما الأسماء الموصولة فهي كالضمائر وأسماء الإشارة، تؤدي ما تؤديه من وظيفة... ولكنها أقوى من الضمائر وأسماء الإشارة في تحقيق الاختصار))<sup>(٤)</sup>، وهذا الكلام فيه نظر فلو كان الأمر كذلك لوجب الاستغناء عن الضمائر وأسماء الإشارة في التعبير بالاسم الموصول فهو يتجاوز تأثير السياق في تحديد خصوصيات الاستعمال اللغوي لأي منها. فهذا مبالغة في وصف أثر الاسم الموصول في اختصار التراكيب ولعله متأثر بما ذكره القدامى حول أهمية الاسم الموصول، فقد ذكر عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) في سياق حديثه عن (الذي) إن في الاسم الموصول ((علماً كثيراً وأسراراً جمة وخفايا إذا بحثت عنها وتصورتها، اطلعت على فوائد تؤنس النفس، وتثلج الصدر، بما يفضي بك إليه من اليقين ويؤديه إليك من حسن التبيين))<sup>(٥)</sup>. وقد جاء استعمال الأسماء الموصولة في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه على النحو الآتي<sup>(\*)</sup>:

(١) ينظر: النص والخطاب والأجراء: ٣٢، نسيج النص: ١١٨.

(٢) الإحالة في نحو النص، د. أحمد عفيفي: ٢٦-٢٧.

(٣) ينظر: نفسه: ٢٧، نسيج النص: ١١٨.

(٤) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو: ٢٠٠.

(٥) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني: ١٩٩.

(\*) يمكن ملاحظة تفصيلات الإحالة (بالاسم الموصول) في الجدول الخاص بها: ٢٩٦-٢٩٨.

المجموع	عدد مرات ورودها	نوع الإحالة	الاسم الموصول		نوع النص
			عدد مرات وروده	نوعه	
(٣٢٣)	(٢٨٦)	مقامية	(١٩٦)	ما	الرسائل
			(٨٦)	من	
			(٢٤)	الذي	
			(٩)	التي	
			(٦)	الذين	
(١١٩)	(١٠٦)	مقامية	(٧٩)	ما	الوصايا
			(٢٩)	من	
			(٩)	الذي	
			(١)	اللاتي	
			(١)	التي	

نلاحظ هنا:

- ١- أن الإحالة المقامية للأسماء الموصولة هي الأكثر فهي تربط النص بسياقه، إذ تحيل إلى ما مذكور خارج بنية النص اللفظية، أي على أمور غير مذكورة في النص تستنبط من الموقف ويكتسب معناه من موقع ما تحيل إليه في عالم النص.
- ٢- رُتبت الأسماء الموصولة والإحالات بحسب كثرة وورودها في النصوص المدروسة.

ولتلمس أثر الاسم الموصول في اتساق النص نقف عند بعض النصوص من رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه من ذلك ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية: ((وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) إِذَا أَحْمَرَ الْبَأْسُ، وَأَحْجَمَ النَّاسُ، قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوْقَ بِهِمِ أَصْحَابِهِ حَرَ السُّيُوفِ وَالْأَسِنَّةِ، فَقَتَلَ عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَتَلَ حَمْزَةَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقَتَلَ جَعْفَرَ يَوْمَ مُؤْتَةَ، وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ، وَلَكِنْ أَجَالَهُمْ عَجَلَتْ، وَمَنْيَتُهُ أُجِلَتْ، فَيَا عَجَبًا لِلدَّهْرِ إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لَا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا))<sup>(١)</sup>. فإذا نظرنا إلى الأسماء الموصولة الماثلة في النص جاءت على أنماط مختلفة وذات دلالات متنوعة، وهي (من)، وقد تكررت مرتين، (الذي، التي)، وكان لها كلها أثر كبير في اتساق النص وتماسكه، وذلك لربطها ما تقدم من الكلام بما تأخر عنها فقوله: ((وأراد من لو شئت ذكرت اسمه)) فدلالة (من) مقامية إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) ربطت ما تقدم من النص وهو قوله: ((قدم أهل بيته...)) فيما تأخر ((ولكن آجالهم عجلت، ومنيته أخرجت))، أما (الذي) فربط بين ((وأراد من لو شئت ذكرت اسمه)) بما تأخر عنه ((أرادوا من الشهادة))، أما (من) في

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٤٧/١٤ (ك ٩).

قوله: ((يقرن بي من لم يسع بقدمي))، فلها دالتان مقاميتان دلالة في الظاهر إلى معاوية على أساس أن الكتاب موجّه إليه ودلالته في الباطن إلى الخلفاء الذين سبقوه، والدليل على ذلك قوله: ((التي لا يُدلي أحدٌ بمثلها)) فأطلق لفظ (من) إطلاقاً عاماً مستغرقاً لكل الناس<sup>(١)</sup>، إذ من الممكن أن يراد بها كل من يقرن نفسه به. أما الاسم الموصول (التي) فكان حلقة الوصل التي ربطت لفظة (كسابتني) بما بعده من صلة الموصول وهي (لا يُدلي أحدٌ بمثلها).

وقد يكون للاسم الموصول أثرٌ كبيرٌ في تحقيق الاختصار داخل النص في ضوء اختصاره لتركيب كامل داخل النص، إذ من الممكن أن يحل محله الاسم الموصول من ذلك. ما جاء في وصيته (عليه السلام) التي كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات: ((وَأَصْدَعُ الْمَالَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيْرُهُ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرُضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ، ثُمَّ اصْدَعِ الْبَاقِيَ صَدْعَيْنِ، ثُمَّ خَيْرُهُ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعْرُضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ اللَّهِ فِي مَالِهِ، فَأَقْبِضْ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ، فَإِنْ اسْتَقَالَكَ فَأَقْلَهُ، ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوْ لَا حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللَّهِ فِي مَالِهِ))<sup>(٢)</sup>. فالاسم الموصول (الذي) جاء إيجازاً لقوله: ((واصدع المال صدعين ثم خيره، فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيره فإذا اختار فلا تعرضن لما اختاره...))، فأغنى عن إعادتها وتكرارها؛ لأن ذلك يثقل النص فضلاً عن ذلك ما جاء في النص من استبدال، إذ استبدل الإمام علي (عليه السلام) كل الأفعال المتقدمة (اصدع، خيره، لا تعرضن) وتكرارها بقوله (اصنع) فكان ذلك غاية في الإيجاز وكأنه ينبّه المتلقي (القارئ) إلى علاقة الوحدة النصية التالية (اصنع مثل الذي صنعت) بسابقتها فلا ينفك ذهن المتلقي، بل يتمكن من ربط أول النص بآخره. وهذا ما يمكننا القول بأن النص كان متسقاً يهدف إلى غاية واحدة وهي أخذ حق الله في أموال الصدقات وهي قضية النص أو موضوعه.

ومن أمثلة الإحالة بالاسم الموصول أيضاً قوله (عليه السلام) في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام): ((وَأَكْرَمُ عَشِيرَتِكَ، فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ، وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ))<sup>(٣)</sup>. فقد حققت صلة الموصول فضلاً عن الاسم الموصول الربط الاتساق من الربط المفهومي بين ما قبل الاسم الموصول وما بعده كما في الشكل الآتي:

بعده	الاسم الموصول	قبله
به تطير	الذي	جناحك
به تصير	الذي	أصلك
بها تصول	التي	يدك

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٥٠/١٤.

(٢) نفسه: ١٥١/١٥-١٥٢ (و ٢٥).

(٣) نفسه: ١٦/١٢٢ (و ٣١).



فالمخطط السابق يوضح كيف تم الربط الاتساق في النص عن طريق اشتراك الاسم الموصول بالاسم الذي قبله من خلال التطابق الإحالي بينهما، وجملة صلة الموصول التي بعده في جعل النص على مستوى واحد من الاتساق والتماسك يدركه المتلقي حال النظر إليه، فضلاً عما يتمتع النص به من توازنٍ تركيبى الذي يؤدي أثراً أساسياً في اتساق النص فالإمام (عليه السلام) قصد إليه قصداً بغية تصعيد الدلالة النصية لتبقى تدور في فلك التوصية خيراً بالعشيرة التي ينتمي إليها الفرد، فاستطاع (عليه السلام) بذلك أن يخرج الكلام من وصية للإمام الحسن (عليه السلام) إلى وصية عامة لكل إنسان، إذ لا يمكن أن يعيش بمعزل عن عشيرته، وقد أضفى التلوين الصوتي باستعمال الجناس المضارع والسجع بين (تطير وتصير) زيادة في التأثير عند المتلقي لاقناعه بضرورة التمسك بعشيرته.

#### ٤- الإحالة القائمة على المقارنة (عناصر المقارنة)

شكل من اشكال الإحالة تتحقق بوساطة ((أدوات هي عبارة عن كلمات مخصوصة، وهي لا تختلف من منظور الاتساق عن الضمائر، وأسماء الإشارة في كونها نصية، وبناء عليه فهي تقوم بوظيفة اتساقية))<sup>(١)</sup>، وأشار علماء النص في دراساتهم للإحالة بصيغ المقارنة إلى أنّ المقارنة تنقسم إلى عامة وخاصة معتمدين بذلك على التصنيف الذي وصفه (هاليداي ورقية حسن). فقد ذكرا في كتابهما (Cohesion in English) أنّ الإحالة بالمقارنة صنفان<sup>(٢)</sup>:

(أ) **المقارنة العامة** (General Comparison): ويتفرع منها: (((التطابق) ويتم باستعمال عناصر مثل لفظة (مثل) واشتقاقاتها، و (التشابه) وفيه تستعمل عناصر مثل الألفاظ (يشبه) واشتقاقاتها، و (الاختلاف) وفيه تستعمل عناصر مثل (آخر، طريقة أخرى.. إلخ))<sup>(٣)</sup>.

وقد أطلق (هاليداي ورقية حسن) على العناصر السابقة لفروع المقارنة العامة نعوت المقارنة وظروف المقارنة التي تعبر عن التشابه بين الأشياء، الذي يتخذ شكلاً من التطابق والتماثل، أو (الاختلاف) الذي يتخذ شكلاً من عدم التطابق أو التماثل، وعلى هذا الأساس عدت المقارنة صورة من صور الإحالة إلى جانب الإحالة بالضمائر والإحالة باسم الإشارة، إذ يمكن أن يوجد المحيل عليه في المقام أو في النص، فإذا أوجد داخل النص، تكون الإحالة إذن إما على السابق، وإما على اللاحق<sup>(٤)</sup>. ومما تنماز به هذه الإحالة بالعناصر المقارنة ((أنها تعتبر العناصر

(١) الترابط النصي بين الشعر والنثر: ٤٧.

(٢) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١/١٢٩، لسانيات النص، محمد خطابي: ١٩.

(٣) الاتساق في نهج البلاغة: ١٠٤.

(٤) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١/١٢٩، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه: ٩٠.

الوحيدة التي تختص بإحالة العائد بصفة إنموزجية بدلاً من الإحالة الخارجية، وهذا ما يجب أن يتوقع<sup>(١)</sup>.

وقد جمعنا من رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه بعض الفقرات كانت فيها الإحالة قائمة على المقارنة وهي تشمل ألفاظ اللغة التي يصعب تصنيفها كما فعلنا في أنواع الإحالة الأخرى، لذا اكتفيت بذكر نماذج لها دون تقديم إحصائية بخصوصها. إذ كانت المقارنة العامة قائمة على التماثل والاختلاف فقط فليس هناك مقارنة عامة قائمة على التشابه. فمن أمثلة المقارنة العامة القائمة على التماثل قوله (عليه السلام) في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام): ((إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفَرُوا نَبَأَ بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيدٌ، فَأَمَّوْا مَنْزِلًا خَصِيْبًا، وَجَنَابًا مَرِيْعًا، فَاحْتَمَلُوا وَعَثَاءَ الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخَشَوْنَ السَّفَرَ، وَجَشَوْنَ المَطْعَمَ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لَشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلْمًا، وَلَا يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيهِ مَغْرَمًا، وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ وَأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلَّتِهِمْ. وَمَثَلُ مَنْ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيْبٍ، فَنَبَأَ بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيدٍ))<sup>(٢)</sup>.

عكست الإحالة بالمقارنة العامة استعمال العنصر اللغوي (مثل) صورتين متناقضتين: الأولى مثل من عرف الدنيا وعمل فيها للأخرة، كمن سافر من منزل جديد إلى منزل خصيب، فلاقي في طريقه مشقة كبيرة ولكنه لم يكثر بما يلاقيه إلى جنب ما يطلب، وبالعكس من عمل للدنيا وأهمل الآخرة، فإنه كمن سافر إلى منزل قفر وهجر منزلاً رحيباً طيباً، فهنا كانت المقارنة داخلية وقد أسهمت في جعل النص متسقاً مترابطاً وهذا ما جعل له صدى وتأثيراً عند المتلقي بتربيته بالصورة الأولى وتنفيره من الصورة الثانية إذ كان التعبير عن التماثل تماثلاً متبادلاً دون ظهور المحيل عليه متميزة في النص.

ومن المقارنة العامة التي تقوم على الاختلاف قوله (عليه السلام) في وصية له لعسكره بصفين قبل لقاء العدو: ((لَا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَءُوكُمْ فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَءُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ))<sup>(٣)</sup>. عكست لفضة (أخرى) في نص الوصية الاختلاف الحاصل بين الحجتين، فالحجة الأولى تختلف عن الحجة الأخرى، فإذا كانت الأولى الدفاع عن الإسلام كانت الحجة الثانية فضلاً عن ذلك الدفاع عن أنفسهم وقد ارتبطت كلتا الحجتين بالعبارة الأولى (لا تقاتلوهم حتى يبدءوكم).

**(ب) المقارنة الخاصة:** يرى (هاليداي ورقية حسن) أن المقارنة الخاصة هي إحالية أيضاً مثل المقارنة العامة، إلا إنهما يريان أنه من الواجب وجود معيار للإحالة يتم من القول إن شيئاً معيناً أعلى

(١) الاتساق في نهج البلاغة: ١٠٨.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/٨٢-٨٣ (و ٣١).

(٣) نفسه: ١٠٤/١٥ (و ١٤).

أو مساوٍ، أو أدنى من حيث النوع أو الكم، وحين يواجه السامع اسماً دالاً على المقارنة من هذا النوع فإنه يطالب بمحيل عليه<sup>(١)</sup>.

وعليه فالمقارنة الخاصة خاصة معينة للمقارنة بين الأشياء تتعلق بالكم والنوع، فإذا كانت المقارنة بحسب الكم فإنه يتم التعبير عنها في العنصر العددي داخل بنية المجموعة الإسمية، سواء بوساطة مكتمم دال على المقارنة مثل كلمة (أكثر) أو بوساطة ظرف المقارنة الذي يعدل فرعياً المكتمم، أما إذا كانت المقارنة بحسب النوع فسوف يعبر بإحدى الطريقتين:

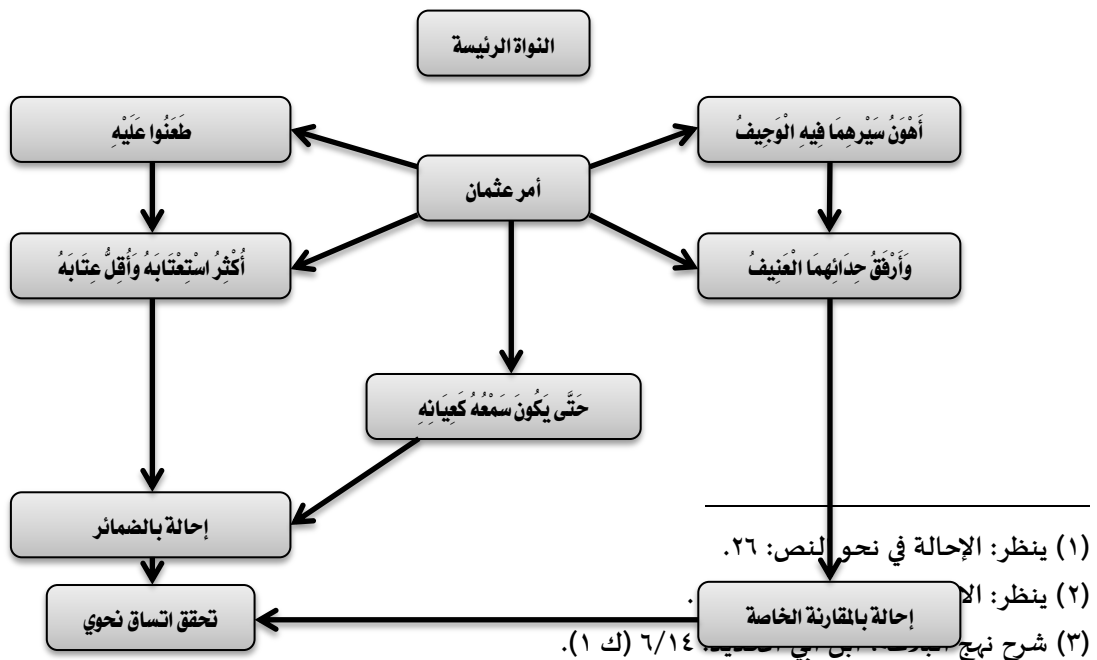
١- بوساطة نعت مقارن (وهو عنصر الخصيصة داخل المجموعة الأسمية).

٢- أو كفضلة في الجملة بوساطة ظرف مقارن<sup>(٢)</sup>.

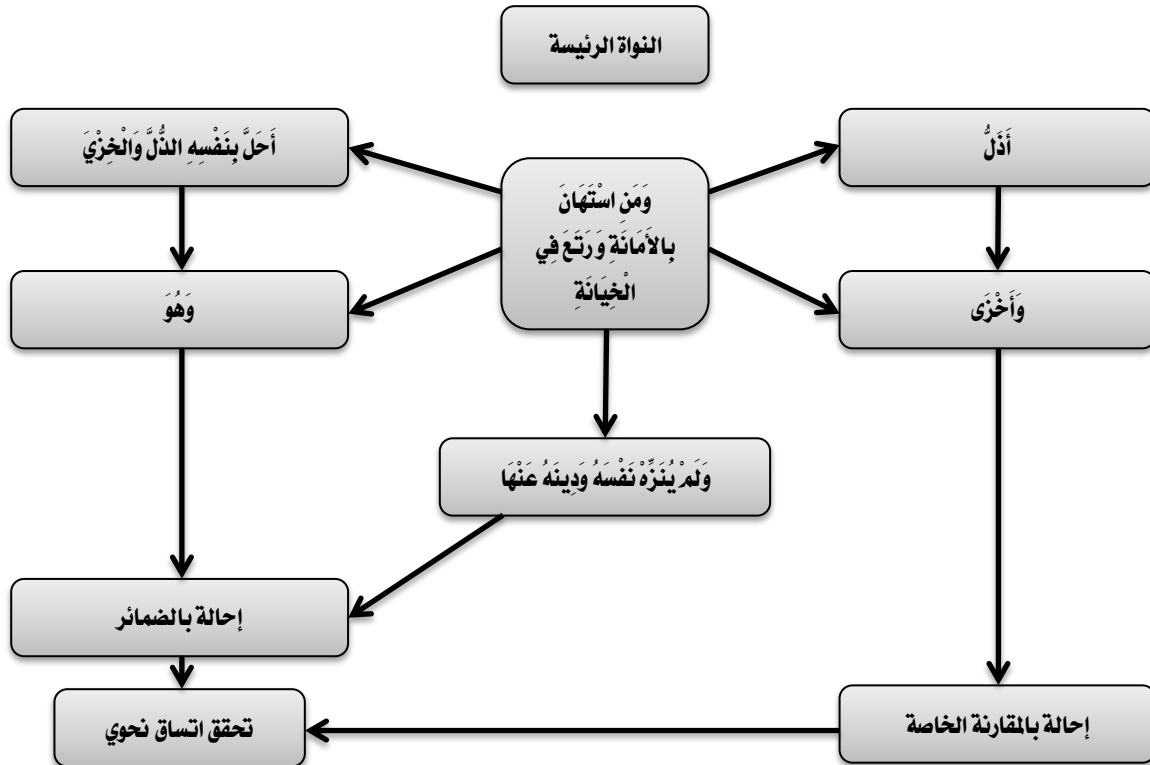
ومن نماذج المقارنة الخاصة في رسائل الإمام علي ووصاياه قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة: ((فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعْيَانِهِ. إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ، فَكَنتُ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَكْثَرَ اسْتِعْتَابِهِ. وَأَقْلُ عِتَابِهِ، وَكَانَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ أَهْوَنَ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ، وَأَرْفَقُ حَدَانِهِمَا الْعَنِيفُ))<sup>(٣)</sup>. فالألفاظ التي دلت على المقارنة الخاصة صيغ الفعل (أكثر وأقل) وهي دلت على المقارنة الخاصة بالكم وإن كانت بصيغة الفعل، أما التي كانت حسب خاصية النوع كانت على النحو الآتي:



إنَّ النواة الرئيسة في النص هي أمر (الخليفة عثمان) فكانت عودة الضمير على هذه النواة الرئيسة فتحققت بذلك إحالة بالضمائر وإحالة بالمقارنة الخاصة أسهمت في اتساق النص وربط فقراته كما في المخطط الآتي:



لقد غدت الإحالة (بالضمائر والمقارنة الخاصة) النص دلاليًا عن طريق التركيز على قضية رئيسية في النص وهي (أمر عثمان) إذ عكس طبيعة الأوضاع السياسية بعد مقتل عثمان (رضي الله عنه) التي تدهورت كثيراً فأراد الإمام (رضي الله عنه) توضيح ذلك وكشفه إلى متلقي النص وبيان حقيقة براءته من دم عثمان، فعملت وسائل الاتساق الإحالية (الضميرية والمقارنة الخاصة) على شد الانتباه إلى ذلك عبر التركيز على نواة رئيسية في النص. ومن المقارنة الخاصة أيضاً، ما جاء في عهد له (رضي الله عنه) إلى بعض عماله وقد بعثه على الصدقة: ((وَمَنْ اسْتَهَانَ بِالْأَمَانَةِ، وَرَتَعَ فِي الْخِيَانَةِ، وَلَمْ يُنْزِرْهُ نَفْسَهُ وَدِينَهُ عَنْهَا، فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ الدُّلَّ وَالْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَذْلُ وَأَخْزَى))<sup>(١)</sup>. إنَّ الألفاظ التي دلت على المقارنة الخاصة حسب خصيصة النوع هي (أذل وأخزى) وكانت النواة الرئيسية في النص هي الاسم الموصول (من)، فكانت عودة الضمير على هذه النواة الرئيسية فتحققت إحالتان إحالة بالضمائر وإحالة بالمقارنة أسهمت في اتساق النص وتماسكه وعلى النحو الآتي:



(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥٨/١٥ (ك ٢٦).

لقد استثمر الإمام (عليه السلام) وسيلة الاتساق النحوي (الإحالة) من الإحالة بالضمائر والإحالة بالمقارنة الخاصة وذلك كله جاء في معرض الوعيد والتنفير عن الخيانة والاستهانة بالأمانة لما يترتب عليها من ضرر يلحق من يقوم به في الدنيا والآخرة، كذلك أسهم التكرار للألفاظ (نفسه، بنفسه)، (الذل، أذل)، (الخزي، أخزي)، في ترسيخ المعنى في ذهن المتلقي، فضلاً عن ذلك التضاد القائم بين (الدنيا والآخرة)، إذ إنّ تأثير الخيانة لا يقتصر على الحياة الدنيوية وإنما يمتد إلى العالم الآخروي. من ذلك يتبين لنا أن الإحالة بالمقارنة بنوعها (العامة والخاصة) بنت نصوصاً متسقة ومتماسكة.

ختاماً وفي مستهل إحصائنا للرسائل والوصايا، وكما موضح في الملاحق الموجودة في نهاية البحث نجد أنّ الإحالة وبأنواعها كافة كانت أبرز وسائل الاتساق النحوي وجوداً في النصوص، إذ لا يكاد يخلو كتاب أو وصية من نوع من أنواع الإحالة وهذا يلفت النظر إلى شيء مهم، هو أنّ الاتساق النحوي أبرز أنواع الاتساق ظهوراً وفاعلية في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه، وقد برزت الضمائر بين أنواع الإحالة على سطح النصوص الموجودة، والسبب وراء ذلك كله أن الضمائر تعد ((من أبرز الأدوات التي يستعملها المتكلمون أو الكتاب للإحالة على كيانات معطاة))<sup>(١)</sup>، ويعمل بروان ويول ذلك بأنّ الضمائر تلفظ بطبقة صوتية منخفضة في اللغة المنطوقة، أي ليس لها بروز صوتي ولفظي ملحوظ؛ ونظراً لفراغها من محتوى<sup>(٢)</sup>، وبهذا خرجا بنتيجة تؤكد بأنّ الضمائر أصبحت ((الأدوات التي لا غنى لأي نظرية في الإحالة عن تفسيرها))<sup>(٣)</sup>، ولعل السر وراء كثرتها في الرسائل والوصايا هو وجود موضوع محدد للرسالة والوصية الذي يعد عاملاً مساعداً على بروز ظاهرة الإحالة بالضمائر إلى صاحب هذا الموضوع أو شيء له علاقة بما في النص من أمور فأغنت الضمائر عن إعادة تكرارها فضلاً عن ذلك إن هذه الإحالات معروفة عند القارئ (المتلقي) الذي اتضح له هذه الضمائر وطبيعة إحالاتها في ضوء موضوع الرسالة أو الوصية.

## ثانياً: العطف

(١) الإحالة في نحو النص: ٢٦-٢٧.

(٢) ينظر: تحليل الخطاب: ٢٥٦.

(٣) نفسه: ٢٥٦.

وهو فن دقيق المسلك، وسر من أسرار البلاغة، وشغل القدماء والمحدثين قال فيه: الجرجاني (ت ٤٧١هـ) في معرض حديثه عنه: ((واعلم أنه ما من علم من علوم البلاغة أنت تقول: (إنه خفي غامض ودقيق صعب) إلا وعلم هذا الباب أغمض وأخفى وأدق وأصعب))<sup>(١)</sup>.

فيرى أن امتلاك البلاغة هو إتقان مواضع العطف وتركه، وأن من اتقنه سهل عليه امتلاك بقية الأبواب، فيقول: ((اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة، ومما لا يتأتى لتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخالص والإلا قوم طبعوا على البلاغة، وأوتوا فناً من المعرفة في ذوق الكلام هم بها أفراد. وقد بلغ من قوة الأمر في ذلك أنهم جعلوه حداً للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال: ((معرفة الفصل من الوصل)) ذاك لغموضه ودقة مسلكه، وأنه لا يكمل لإحراز الفضيلة فيه أحد إلا كمل لسائر معاني البلاغة))<sup>(٢)</sup>.

أما الدراسات النصية الحديثة فقد تناولت العطف ضمن ظاهرة الاتساق وعدته ظاهرة نصية لها باعها في تحديد النص، إذ ذهب بعض الباحثين إلى تحديد بنية النص بالمركب العطف<sup>(٣)</sup>. فكلما ازدادت أدوات العطف في نص ما، ازدادت قوة التماسك النصي بين كلمات النص الواحد وعباراته وجمله<sup>(٤)</sup>. وللعطف شروط وحدود لا يمكننا تجاوزها ((فلا يجوز أن نعطف الشيء على نفسه، كما لا يجوز العطف بين أمرين لا يجمعهما أي جامع - سواء أكان هذا الجامع لفظياً أو دلاليّاً))<sup>(٥)</sup>.

وقد كان النظر لهذا الموضوع ينصب على كونه ظاهرة نحوية غير مرتبطة بالدلالة العامة للنص، فقد أدت دراسة العطف بعيداً عن سياقاته النصية إلى معانٍ ضيقة للعطف ومن ذلك ما ذهب إليه السكاكي (ت ٦٢٦هـ) من أن الحالة التي تقتضي العطف هي كون ((المراد تفصيل المسند إليه مع اختصار كقولك جاء زيدٌ وعمروٌ وخالدٌ، أو تفصيل المسند مع اختصار كقولك جاء زيدٌ وعمروٌ فخالدٌ، أو ثم عمروٌ ثم خالدٌ أو جاء القوم حتى خالدٌ))<sup>(٦)</sup>. فيلاحظ أن انحصار أثر العطف على التفصيل والاختصار فيه تضييع لكثير من وظائفه الدلالية وسبب ذلك هو تناول دراسة العطف بعيداً عن سياقاته والنظر إليه على أنه تركيب نحوي قائم على الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه. ومثل هذه النظرة نجدها عند الأزهر الزناد في أثناء حديثه عن الروابط بين

(١) دلائل الإعجاز: ٢٣١.

(٢) دلائل الإعجاز: ٢٢٢.

(٣) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ٤٣١/١.

(٤) ينظر: نحو النص، عثمان أبو زنيد: ٢٤٨.

(٥) نحو النص، عثمان أبو زنيد: ١٣٢.

(٦) مفتاح العلوم: ٩١.

الجمل في النص ولا سيما الربط الخطي الذي ((يقوم على الجمع بين جملة سابقة وأخرى تلحقها، فيفيد مجرد الترتيب في الذكر. مثل الواو في العربية))<sup>(١)</sup>. فهذا الحكم الذي جاء به الزناد نابع من النظرة السطحية لظاهرة العطف بالواو أو غيرها من الأدوات فمعنى الواو يختلف باختلاف السياق الذي يرد فيه العطف، إذا إنَّ هناك مواضع تستعمل فيها الواو ولا يكون المقصود بها الجمع من ذلك ما أورده سمير شريف استيتية في كتابه (منازل الرؤية) في تحليله لجملة (فلان يحلل ويحرم)؛ إذ ((ليس المقصود بالواو هنا، أن تجتمع بين التحليل والتحريم، وإنما يقصد بها أن تشير إلى عشوائية القيام بهذين الفعلين))<sup>(٢)</sup>.

وقد ذهب بعض الباحثين المحدثين في النظرة الشكلية إلى العطف إلى أبعد من ذلك إذ رأى أنّ العطف ((ما هو إلا حرف يرمز بالاتفاق إلى أنّ الناص أراد العطف؛ أي أنه أراد أن يلفت المتلقي إلى اشتراك التركيب الحالي مع سابقه في الحكم ...؛ إذ أطلق حرفاً لا يدل على معنى كالواو مثلاً، ففهم منه معنى أعطف وأشرك في الحكم))<sup>(٣)</sup>. ولكن حقيقة الأمر أن دراسة أسلوب العطف من خلال النصوص ومعرفة السياق الذي يرد فيه يمكننا من تلمس وظائف دلالية متنوعة لهذا الأسلوب، فعلى سبيل المثال نرى الواو العاطفة قد تؤدي معنى إزالة الشك ومعنى المروحة بين شيئين أو فعلين ومعنى المخالفة ... وهكذا<sup>(٤)</sup>. ويتحقق العطف بوساطة أدوات وهي ((علامات على أنواع العلاقات القائمة بين الجمل، وبها تتماسك الجمل وتبين مفاصل النظام الذي يقوم عليه النص))<sup>(٥)</sup>.

وقد وضع (هاليداي ورقية حسن) تصنيفاً لأدوات العطف - بعد أن أطلقوا عليه مفهوم الربط - وهذا التصنيف أصبح فيما بعد مرجعاً للباحثين والدارسين في مجال علم اللغة النصي ويتكون من أربعة عناصر، هي (الربط الإضافي، الربط الاستدراكي، الربط الزمني، الربط السببي)<sup>(٦)</sup>. وفيما يأتي إحصائيات لأدواته في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه<sup>(\*)</sup>.

أدوات العطف (عدد المرات)							نوع	
أم	إمّا	لا	بل	ثم	أو	الفاء	الواو	النص
٢	٣	-	٢	٣٥	٤٦	٤٦١	١٥١٤	الرسائل

(١) نسيج النص: ٣٧.

(٢) منازل الرؤية منهج تكاملي في قراءة النص، سمير شريف استيتية: ١٤٦. نقلاً عن: التماسك النصي (دراسة تطبيقية في نهج البلاغة)، عيسى جواد فضل محمد الوداعي، (أطروحة دكتوراه): ٨٨.

(٣) نحو النص نقد النظرية وبناء أخرى، د. عمر أبو خرمة: ١٨٤.

(٤) ينظر: منازل الرؤية: ١٤٥-١٥١، نقلاً عن: التماسك النصي (دراسة تطبيقية في نهج البلاغة): ٨٩.

(٥) نسيج النص: ٣٧.

(٦) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٢٣. الاتساق في نهج البلاغة: ١٢٥،

(\*) يمكن متابعة تفصيلات ذلك في الملحق الخاص بالعطف في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه: ٢٩٩-٣٠٢.

الوصايا	٥١٩	١٦٧	٢٥	٢٥	٣	٥	١	-
المجموع	٢٠٣٣	٦٢٨	٧١	٧١	٥	٥	٤	٢

ومن استقرائنا لإسلوب العطف يتضح:

- ١- أن نسبة حروف العطف (ثم، بل، إمّا، أو) قليلة مقارنة (بالواو والفاء).
- ٢- أن أكثر أدوات العطف هي الواو، وعليه فإن الربط الإضافي من أكثر أنواع الربط لأن نصوص الرسائل والوصايا تعتمد على إضافة المعلومات وتراكمها لبناء النص.
- ٣- تنوع الأدوات العاطفة وذلك يتناسب مع السياق الذي تستعمل فيه.

ومن الجدير بالذكر ((أن طبيعة الربط بالأداة تختلف عن علاقات الاتساق الأخرى (الإحالة، الاستبدال، الحذف) فهي ليست علاقة أحالية وإنما تعبر عن معاني معينة تفترض وجود مكونات أخرى في النص))<sup>(١)</sup>. فآثر العطف لا ينحصر في تحقيق الاتساق على مستوى الجزء من الكلام وإنما يتوزع على مستويات متنوعة فأحياناً نجده على مستوى الالفاظ وأحياناً على مستوى الجملة وأحياناً على مستوى الجمل وال فقرات وأحياناً على مستوى النصوص، وله أهمية كبرى ((في وصل المعاني بعضها ببعض، وربط أجزاء الكلام، وتحقيق الفائدة منه ولولاه لاحتاج المتكلم إلى ذكر أشياء يتعذر معها ائتلاف أجزاء القول ومعاملته كلاً واحداً))<sup>(٢)</sup>.

وفي دراستنا لإسلوب العطف في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه بمختلف أدواته نجده يسير في اتجاهين<sup>(\*)</sup>: اتجاه خطي أي أنّ منظومة المعطوفات تسير في خط مستقيم ويفيد اشتراك المعطوفات في حكم ما، وهو الأكثر في نماذج العطف ويمكن ملاحظته في النماذج المحللة لاحقاً. واتجاه آخر يمكن أنّ نسميه دائرياً وذلك لارتباط المعطوفات كلها بمركز واحد وفي هذا الاتجاه من العطف يتعذر إسقاط أي جزء؛ لأن الإسقاط يؤدي إلى نقصان الدائرة وعدم اكتمالها. ومن الأمثلة على ذلك قول الإمام علي (عليه السلام) في رسالته إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة: ((في مَعْشَرٍ أَسْهَرُ عِيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، وَنَجَّافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ، وَهَمَّهَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شَفَاهُهُمْ، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِقْفَارِهِمْ دُنُوبُهُمْ))<sup>(٣)</sup>.

(١) الاتساق في نهج البلاغة: ١٢٥.

(٢) نحو النص، عثمان أبو زنيد: ١٣٢.

(\*) هذا يتوافق مع ما أشار إليه الباحث عيسى جواد الوداعي في بحثه الموسوم (التماسك النحوي - دراسة تطبيقية في نهج البلاغة): ٩٠.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٩٥/١٦ (ك ٤٥).



لقد أدى العطف في هذه المقطوعة من نص الرسالة وظيفته أساسية في رسم صورة هؤلاء الجماعة من المؤمنين، وقد أراد الإمام (عليه السلام) أن يجعلهم قدوة يحتذى بها كل قارئ لهذا النص؛ إذ عليه أن يلتزم بكل الأفعال التي قدمها كي يفوز بغفران الذنوب وهي الغاية المرجوة لكل عابد لله سبحانه وتعالى، فكل فعل من الأفعال المذكورة يستقل بحالة تكمل شخصية المؤمن المثالي، فلو حذفنا فعلاً من الأفعال أو قطعناه عن سياقه ولم نعطفه على سابقه لما تمت دلالة النص فنرى أنّ الإمام (عليه السلام) قد رتب الأفعال ترتيباً دلاليّاً قائماً على علاقة (سبب/ نتيجة) فالفعل الأول سبب في حصول الفعل الثاني... وهكذا.

أسهر عيونهم (سبب) ← تجافت مضاجعهم (نتيجة)  
همهمت شفاههم (سبب) ← تقشعت ذنوبهم (نتيجة)

ومثل ذلك ما جاء بأداة العطف (بل) التي تفيد الإضراب<sup>(١)</sup> إذ جاءت الجمل الإضرابية مترقية ترقياً منطقيّاً متسلسلاً تقود فيه الأولى إلى الثانية، وهذه إلى الثالثة مثلما جاء في قوله (عليه السلام) في عهده إلى واليه على مصر الأشر النخعي: ((فَلَا تُقَوِّينَ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمِ حَرَامٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُضَعِّفُهُ وَيُوهِنُهُ، بَلْ يَزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ))<sup>(٢)</sup>. إذ نهى الإمام (عليه السلام) واليه عن تقوية سلطانه بسفك الدم الحرام، وعلل ذلك بأنه يضعف السلطان ويوهنه، فنلاحظ ترقياً دلاليّاً في معنى الجملتين السابقتين على (بل) واللاحقتين عنها، ففي الجملتين السابقتين نلاحظ وجود (الضعف) وهو ((نقصان القوة))<sup>(٣)</sup>، ارتبط بالواو العاطفة التي أفضت إلى نتيجة أولى وهو (الوهن) الذي هو ((أشد الضعف))<sup>(٤)</sup> وأفادت (بل) إضراب النص من هذه النتيجة إلى أخرى أشد منها وقعاً على الوالي كذلك نجد أنّ ما بعد (بل) قد أفضى عطفه بالواو إلى تحول إزالة الحكم إلى انتقاله فلا يمكن أن نحذف من هذه الأفعال أو أن نغير مكانه؛ لأن ذلك يمنع ترابط النص واتساقه فمثلما ((لُحِظَ التَّرْقِيُّ مِمَّا قَبْلَ (بَلِ)، فَهُوَ مَلْحُوظٌ مِمَّا بَعْدَهَا أَيْضاً؛ لَكُونَ نَقْلَ سُلْطَانِ الْوَالِي أَوْجَعَ لِقَلْبِهِ مِنْ إِزَالَتِهِ، فَمُفْرَدَةٌ (يَزِيلُهُ) تَلْحُظُ انْتِهَاءَ سُلْطَتِهِ، أَمَّا (يَنْقُلُهُ) فَتَلْحُظُ تَحْوِيلَ السَّافِكِ لِلدَّمِ مِنْ حَاكِمِ أَمْرِنَاهُ إِلَى مَحْكُومِ مَأْمُورٍ مِنْهُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ ثَانِي اللَّحَاطِيزِ أَشَدُّهُمَا عَلَى الْحَاكِمِ السَّافِكِ لِلدَّمِ الْحَرَامِ))<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: الكتاب: ٤٣٤/١، ٢٢٣/٤، الجنى الداني، المرادي: ٢٣٥، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، د. توفيق الحمد ويوسف جميل الزعبي: ١١٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١١١/١٧ (ك ٥٣).

(٣) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري: ١٣٢.

(٤) معاني القرآن الكريم، النحاس: ٤٩١/١.

(٥) الإضراب والاستدراك في نهج البلاغة، دراسة دلالية: ٥٦.

والذي نلاحظه في الجمل التي وردت في النص أنها جمل فعلية مضارعية تفيد الحدوث والتجدد وهذا حافظ على اتساق النص من جانبيين: الأول هو ((أن النتائج المترتبة على سفك الوالي للدم الحرام من ضعف سلطانه، ووهنه، وازالته، ونقله تتدرج في الحدوث تبعاً، يكون سابقها في النص مؤدياً إلى لاحقها، وبذا يكون التدرج الزمني متساوياً مع التدرج الدلالي))<sup>(١)</sup>. والآخر: أسهمت دلالة الفعل المضارع على التجدد والحدوث على تحويل الخطاب من خطاب مباشر إلى مالك بن الأشتر النخعي إلى خطاب غير مباشر لكل من يتولى أمر المسلمين، فجاء النهي عند تقوية السلطان بسفك الدم الحرام عاماً فلم يتحدد بعهد الأشتر على ولاية مصر فحسب وإنما يصلح لكل الأزمان والأمكنة، كذلك يصلح لخطاب كل الأشخاص من ذوي السلطان. ويلحظ أثر العطف في تحقيق الاتساق النصي أيضاً في قوله (عليه السلام) في وصيته لابنه الحسن (عليه السلام): ((فَإِنْ أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعْ، وَتَمَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمِعْ، وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذَلِكَ هَمًّا وَاحِدًا، فَانظُرْ فِيمَا فَسَّرْتَ لَكَ))<sup>(٢)</sup>. يتضح من هذا النص أن الإمام (عليه السلام) قد استعمل الأداة نفسها (واو العطف) لتحقيق المباعدة بين فعل الشرط وجوابه، الأمر الذي يجعل المتلقي متحفزاً للجواب، فيربط الأجزاء بعضها ببعض مما يبقي النص متماسكاً في ذهنه مهما ابتعد طرفا التركيب الشرطي، فهذا التركيب يحتاج لتمامه إلى ثلاثة أركان:

#### أداة الشرط + فعل الشرط + جواب الشرط

وقد ساق الإمام (عليه السلام) أداة الشرط (إن) ويؤتى بها للدلالة على الشرط المشكوك فيه: إذ إنَّ ((الأصل في (إن) أن لا يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه))<sup>(٣)</sup>، وإنما اشترط فيما تدخل عليه (إن) أن يكون مشكوكاً فيه؛ لأنها تفيد الحث على الفعل المشروط لاستحقاق الجزاء ويمتنع فيه لامتناع الجزاء<sup>(٤)</sup> واتباعها بفعل الشرط (أيقنت) وجاء بتراكيب باعد بوساطتها بين فعل الشرط والجواب (فانظر)؛ ولكنه استعمل (الفاء) التي خدمت النص فهي تفيد دلالة الترتيب والتعقيب دون إهمال وتراخ<sup>(٥)</sup>، على سرعة تعاقب الأحداث فصفاء القلب نتج عنه الخشوع، وتمام الرأي نتج عنه الخشوع، فخلق ذلك عند المتلقي حالة من الاستقرار والثبات مما هيأه لتلقي الجواب، فالمباعدة بين أطراف التركيب الشرطي لم تشتت ذهن المتلقي وإنما بقي متيقظاً للجواب ليكتمل المعنى في ذهنه. ومن آثار العطف في اتساق النص، إنه يؤدي أثراً مهماً في تبئير بعض عناصر النص

(١) نفسه: ٥٦.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧٠/١٦ (و ٣١).

(٣) الايضاح في علوم البلاغة: ٩١.

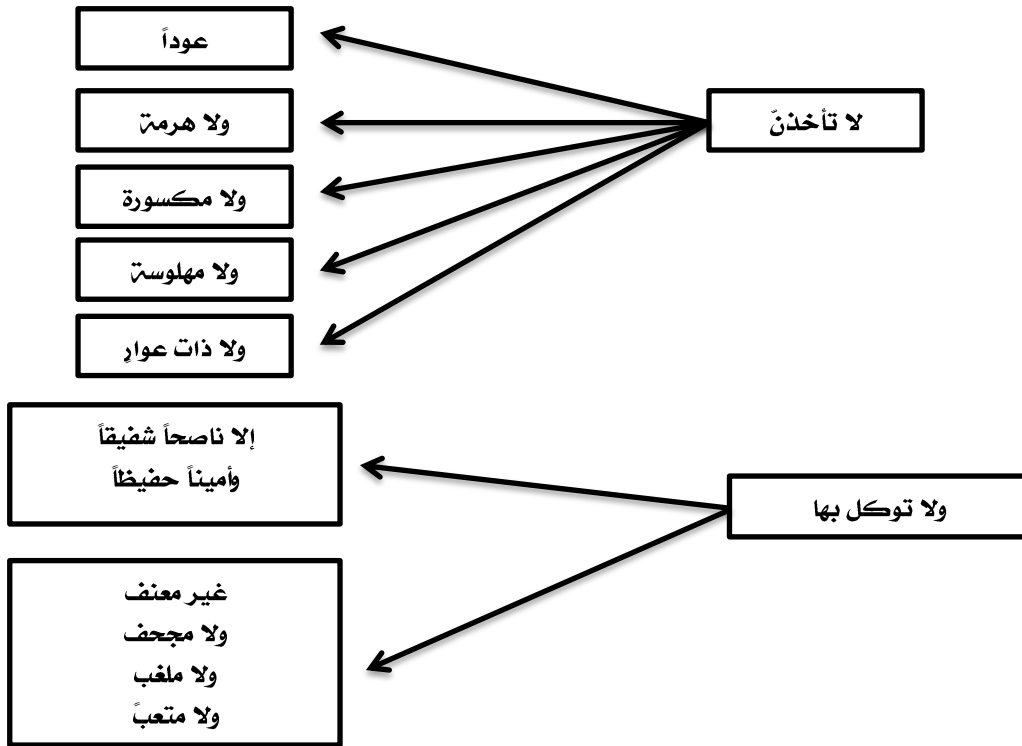
(٤) ينظر: خصائص التراكيب: ٣٣٥.

(٥) ينظر: الكتاب: ٤٢٩/١، ٤٣٨، ٢١٧/٤، الجنى الداني: ٦١، نتائج الفكر، السهيلي: ١٩٦، المعجم الوافي في أدوات النحو

العربي: ٢١٦.

المرتبطة بالجملة الأولى، وتحويلها إلى محاور أساسية يدور عليها ذلك النص ومن أمثلة ما جاء في وصية له (عليه السلام) كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات: ((وَلَا تَأْخُذَنَّ عَوْدًا وَلَا هَرَمَةً وَلَا مَكْسُورَةً وَلَا مَهْلُوسَةً، وَلَا ذَاتَ عَوَارٍ، وَلَا تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ، رَافِقًا بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوَصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ، وَلَا تُوَكَّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحًا شَفِيقًا وَأَمِينًا حَفِيزًا، غَيْرَ مُعْنَفٍ وَلَا مُجْحَفٍ وَلَا مُلْغَبٍ وَلَا مُتْعَبٍ))<sup>(١)</sup>.

ففي هذا النص تمكن الإمام (عليه السلام) بوساطة العطف من محورية الأفعال (لا تأخذن) و (لا توكل) وصيرهما المركز في هذه الوحدة النصية ففي الفعل الأول ربط به خمس صفات خاصة بالإبل، أما الفعل الثاني فربط به ثمان صفات خاصة بمن يوكل بمال الصدقات، الأمر الذي يعني أن العطف قد أدى وظيفة التوسيع؛ ولكنه في الوقت نفسه قد أدى وظيفة الدمج تبعاً لقانون الاقتصاد اللغوي فأغنى عن إعادة الأفعال؛ لأن ذلك ممّا يثقل النص ويضعفه وهو ما يمكن أن نمثله بالمخطط الآتي:



إذ استثمر الإمام (عليه السلام) العطف بين صفات متغايرة وسبب ذلك هو أن ((الواو) إنما تجمع بين الشئيين لا بين الشئ الواحد، فإن كان في الاسم الثاني فائدة زائدة على معنى الاسم الأول، كنت مخيراً بين العطف وتركه فإن عطفت فمن حيث (قصدت تعداد الصفات، وهي متغايرة))<sup>(٢)</sup>. فمعنى قوله: ((إلا ناصحاً شفيقاً وأميناً حفيظاً)) يحفظها ولا يخون فيها، ويخاف

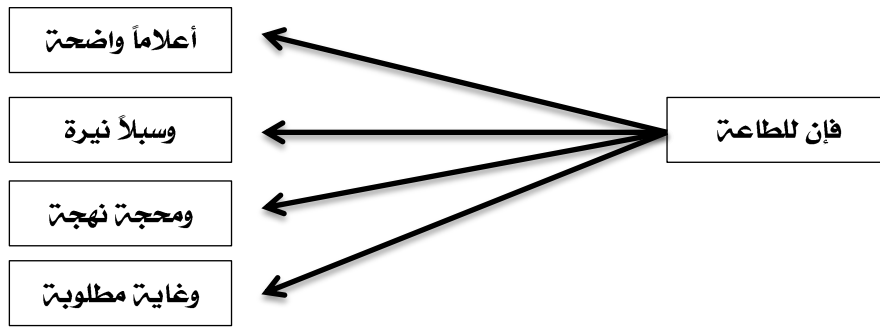
(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥٢/١٥ (و ٢٥).

(٢) نتائج الفكر: ١٨٧.

عليها من العطب وينصح للمسلمين فلا يحيف عليهم (غير معنف) من العنف بمعنى الشدة (ولا مجحف) يجحف بحقها أي يظلم في إعطاء الكلاء والماء... (ولا ملغب) يورث تعب الحيوان... (ولا متعب) اللغوب أشد التعب ففي الكلام تدرج من الأعلى إلى الأسفل))<sup>(١)</sup>.

فيتين لنا مما سبق بعض الضوابط التي تخص الصدقات من بينها هذه الأمور فأراد الإمام (عليه السلام) أن ((ينهاه أن يأخذ في مال الله ما كان بأحد الصفات المذكورة كالعود والهزيمة والمكسورة والمهلوسة والمعيبة بكباد ونحوه مراعاة لحق الله تعالى وجبراً لحال مصارفه وهم الأصناف الثمانية الذين عددهم الله تعالى في كتابه الكريم من الفقراء والمساكين وغيرهم))<sup>(٢)</sup>.

ومثله أيضاً ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية: ((فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَاماً وَاضِحَةً، وَسُبُلًا نَيْرَةً، وَمَحَجَّةً نَهْجَةً، وَغَايَةً مُطْلَبَةً، يَرُدُّهَا الْأَكْيَاسُ، وَيُخَالِفُهَا الْأَنْكَاسُ، مَنْ نَكَبَ عَنْهَا جَارَ عَنِ الْحَقِّ، وَخَبَطَ فِي النَّيِّهِ، وَغَيَّرَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ وَأَحَلَّ بِه نِقْمَتَهُ))<sup>(٣)</sup>. فيلاحظ أن لفظ (الطاعة) محور هذه الوحدة النصية والمهيمن عليها فلا وجود لها إلا به، إذ لا يمكن قطع أي منها ولو فعلنا ذلك لضاع الأثر المبتغى ايجاده في نفس المتلقي وهو ما يوضحه المخطط الآتي:



فضلاً عن ذلك أن الإمام (عليه السلام) قد لجأ إلى الربط بالضمير الذي يعود على لفظ الطاعة، ناهيك عن أنّ الإمام (عليه السلام) قام بعطف جملتين متقابلتين وهما: يردّها الأكياس × ويخالفها الأنكاس. ومثل هذا كثير في نماذج الرسائل والوصايا إذ شاع العطف بكثرة بين جملتين عادة ما تكونان متسقتين دلاليّاً أو متقابلتين متضادتين وهذا يتفق مع ما ذهب إليه الأزهر الزناد بقوله: ((كل جملتين متاليتين في النص ثانيتهما تخالف الأولى ترتبطان بأداة ربط))<sup>(٤)</sup>.

وفي النص ذاته أيضاً تمركز للفعل (نكب) الوارد في صيغة الشرط، وقد تبنى عليه أربعة أفعال (جار، خبط، غير، أحل) مرتبط بها ببعض بوساطة أداة العطف (الواو) فلا يمكن

(١) توضيح نهج البلاغة: ١٧/٤.

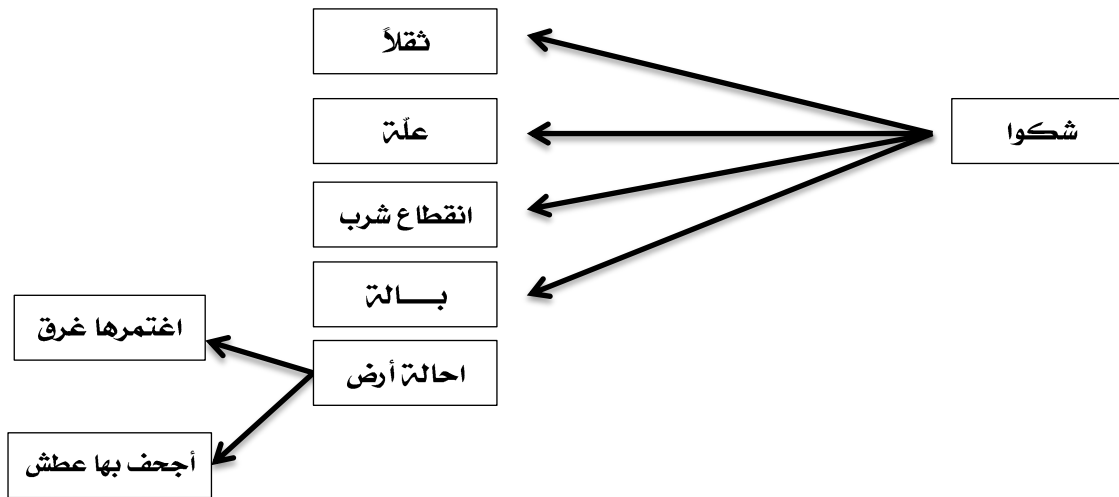
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٤٩٣/٤.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦/١٦ (ك ٣٠).

(٤) نسج النص: ٢٨.

الاستغناء بواحد من الأفعال دون سائرهما، فمن عدل عن الحق مال عنه في المرحلة الأولى ثم يقوده ذلك إلى أن يمشي تائهاً على غير هداية لا يعرف طريقه، وينبني على ذلك تغير نعمة الله سبحانه وتعالى عليه ويختم الفعل (أحلّ به) النتيجة النهائية وهي إنزال النعمة على (من نكب عن الحق) فهنا العطف يسير في اتجاه دائرة يكمل الأفعال بعضها بعضاً وترتبط جميعها على صورة (سبب، نتيجة) فتسير وفق تسلسل واضح إذ لا يمكن أن يغير أي منها موضعه في النص فوجود اللاحق مترابط بسابقه.

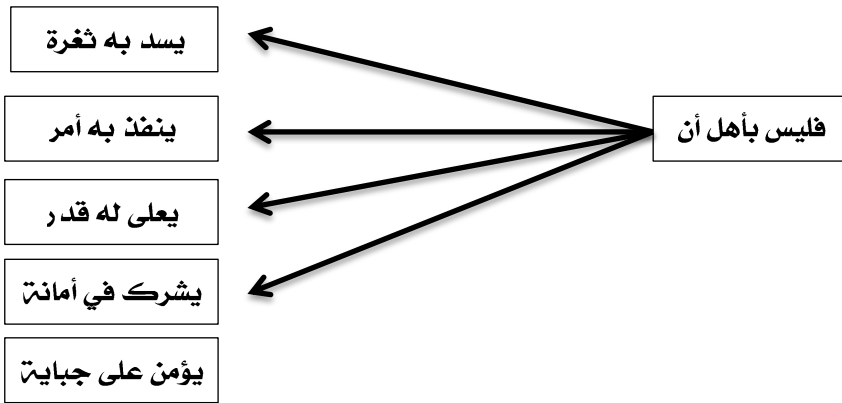
ولا تقتصر فكرة مركزية بعض عناصر النص على (الواو) فقد يتم في استعماله لحرف العطف (أو) مثلاً دلالاتها تكون بحسب ما ترد فيه من سياق، ما إذا كان خبراً كانت للشك، أو الإبهام أو التفصيل، وإذا كان طلباً كانت للتخيير أو الإباحة<sup>(١)</sup>. ونذكر فيما يأتي أمثلة عن استعمال (أو) للتبئير من ذلك قوله (عليه السلام) في عهده لمالك بن الأشتر: ((فَإِنْ شَكُوا ثِقَلًا أَوْ عَلَةً، أَوْ انْقِطَاعَ شَرِبٍ، أَوْ بَالَةً، أَوْ إِحَالََةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ، أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ، خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرَجُّو أَنْ يَصْلَحَ بِهِ أَمْرُهُمْ))<sup>(٢)</sup>. فلم يكتف الإمام (عليه السلام) بمفعول واحد، بل أنشأ من الفعل (شكوا) محوراً تدور حوله الأحداث التالية، إذ أراد الإمام (عليه السلام) الأسباب التي تحول دون عمارة الأرض التي هي الوسيلة لطلب الخراج، فحاول الإمام (عليه السلام) ربط النتيجة (شكوا) بالسبب وهو ما يليه من المفاعيل، وكل ذلك مرتبط بفعل واحد وهو (شكا) وبفاعل واحد وهو (الناس) فلا يمكن فصل أي مفعول من المفاعيل لأجله التالية عن سياقه لأنه يؤدي إلى ضياع إرادة الإحاطة بكل الأسباب المؤدية للشكوى ويمكن تمثيل هذه الوحدة المتناسكة بالمخطط الآتي:



(١) ينظر: الكتاب: ٤٢٩/١، ٤٣٨، الجنى الداني: ٢٢٨، نتائج الفكر: ١٩٨، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي: ٩٤-٩٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧١/١٧ (ك ٥٣).

لقد تمكن الإمام (عليه السلام) بوساطة العطف بـ (أو) من جعل الفعل (شكوا) محورياً أساسياً فربط به أربعة أسباب لحصوله، وكذلك ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى المنذر بن الجارود العبدي وقد خان في بعض ما ولاه من أعماله قال: ((وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ، أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى جَبَايَةٍ))<sup>(١)</sup>. فقد أسهم حرف العطف (أو) في ذكر كل الأمور التي لا يصلح لها من وجه له هذا الكتاب، وتم ذلك من خلال تبئير لقوله: ((فليس بأهل أن))، فإننا واجدون اتكاءً كلياً على العطف بـ (أو) لاستقصاء كل الأمور التي لا يصلح لها ويمكن أن نمثل ذلك بالمخطط الآتي:



فأغنى حرف العطف (أو) من إعادة (فليس بأهل أن) لأن ذلك يضعف التركيب ويشتت ذهن المتلقي كذلك أفادت التفصيل لما ليس أهل له، ومما يلفت النظر في هذا النص أنه استعمل أفعالاً مبنية للمفعول قال سيبويه فيها: هو أن: ((يرتفع المفعول كما يرتفع الفاعل، لأنك لم تشغل الفعل بغيره وفرغته له، كما فعلت ذلك بالفاعل))<sup>(٢)</sup>، ومن دلالات حذفه هو تحقير الفاعل<sup>(٣)</sup>، فنجد في النص خمسة أفعال مبنية للمفعول وهي: (يسد، ينفذ، يعلى، يشرك، يؤمن) التي خدمت النص من جانبين، الأول: زادت تأكيد الدلالة على الاحتقار<sup>(٤)</sup>، والآخر: تحويل الخطاب من خطاب مباشر إلى المنذر بن الجارود العبدي إلى خطاب غير مباشر لكل متلقٍ له ممن وصف بصفات المنذر. وليزيد من تأثير هذه التراكيب نجد اعتماده على التوازي التركيبي والسجع الذي أسهم في خلق إيقاع داخلي للنص وتوطيد فكرة تبئير هذه الأمور التي لا يصلح لها من خوطب بهذا النص. وقد يكون اللجوء إلى العطف لتبئير الفكرة العامة أو القضية العامة للنص من ذلك قوله في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية: ((وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ

(١) نفسه: ٥٤/١٨ (ك ٧١).

(٢) الكتاب: ٣٣/١.

(٣) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش: ٦٩/٧.

(٤) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة، دراسة لغوية: ٢٩٨.

بِزِينَتِهَا، وَخَدَعَتْ بِلَدْنَتِهَا، دَعَتْكَ فَاجَبْتَهَا، قَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا، وَأَمَرَتْكَ فَاطَّعْتَهَا))<sup>(١)</sup>. لقد اعتمد الإمام (عليه السلام) على التوازي التركيبي وهو:

فعل ماضي + الفاء عاطفة + فعل ماضي

دعتك فاجبتها

قادتك فاتبعتها

أمرتك فاطعتها

وقد ممكنه ذلك من تبئير الصفات السلبية للدنيا ومن يغتر بها، الأمر الذي يصب في الغرض الرئيس من النص، وهو التحذير من الدنيا، والترهيد فيها، وأفاد العطف بالفاء التي تفيد دلالة الترتيب والتعقيب دون إمهال أو تراخ في رسم صورة من يطاوعها، إذ أظهر تكرار الفاء العاطفة بين الفعلين سرعة استجابته لأوامرها فليس هناك مهلة بين الفعلين، فبمجرد أن دعت أجاها وبمجرد أن قادتته أتبعها وبمجرد أن أمرته أطاعها، وهذا ما يظهر سيطرتها المطلقة عليه وعلى أفعاله نتيجة انخداعه بها لما قدمت إليه من ملذات ومغريات، فجاء استعمال الفاء متسقاً مع دلالة النص الكلية.

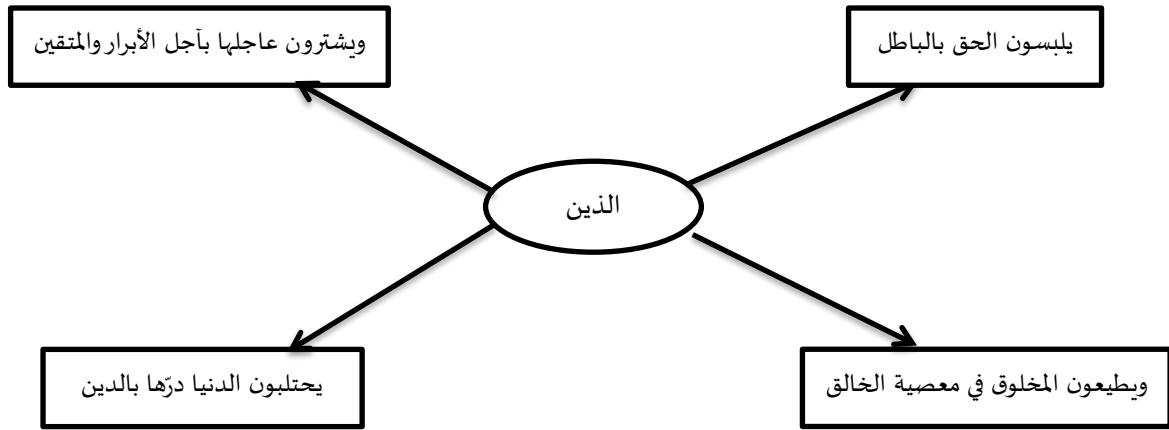
وقد يؤدي العطف بالواو أثراً في توسيع المعنى من ذلك ما جاء في وصيته (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه السلام): ((وَأَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَدْنَى لَكَ فِي الدُّعَاءِ، وَتَكْفَلُ لَكَ بِالْإِجَابَةِ، وَأَمْرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مِنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْجِئَكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعَكَ أَنْ تَسْأَلَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَمْ يَعْجَلْكَ بِالنَّقْمَةِ، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ تَعَرَّضْتَ لِلْفُضِيحَةِ وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ، وَلَمْ يَنْاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ، وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ))<sup>(٢)</sup>. لقد اعتمد الإمام (عليه السلام) على العطف بـ (الواو) في هذه الوحدة النصية، كي يتسنى له الإحاطة بكل القضايا التي أراد بيانها في العلاقة بين العبد وربّه فعلق كل هذه التراكيب بالاسم الموصول (الذي)، الذي ظهر أولاً في قوله: ((وَأَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)) ليوضح سعة رحمة الله بعبارة فهمها يفعل العبد من أخطاء فإن الله يغفر له ذنوبه ويتجاوز عن أخطائه ومثله أيضاً قوله في كتاب له (عليه السلام) إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة: ((فَإِنَّ عَيْنِي بِالْمَغْرِبِ كَتَبَ إِلَيَّ يَعْلَمُنِي أَنَّهُ وَجَّهَ إِلَيَّ الْمَوْسِمَ أَنْاسٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، الْعُمِّيِّ الْقُلُوبِ، الصُّمِّ الْأَسْمَاعِ، الْكُمِّ الْأَبْصَارِ، الَّذِينَ يَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَيُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، وَيَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَهًا بِالدِّينِ، وَيَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِأَجْلِ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ))<sup>(٣)</sup>. قام النص على مركبات وصفية أسهمت كلها في رسم صورة هؤلاء الناس من أهل الشام؛ إذ ذكر مجموعة من

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧٩/١٥ (ك ١٠).

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٨٦-٨٧/١٦ (و ٣١).

(٣) نفسه: ١٣٨/١٦ (ك ٣٣).

الصفات منها: باطنية قائمة في ذهن المتلقين وهي (العمي القلوب، الصم الاسماع، الكمة الابصار) وصفات أخرى ظاهرة للعيان وهي ترتبط بواقع مادي يعيشه المتلقون، وهذه كانت محاور التوسيع التي جاءت بعد الاسم الموصول (الذين) فكل جملة تصح بأن تكون صلة للموصول فكان الاسم الموصول بؤرة مركزية لتوسيع المعنى كما في المخطط الآتي:



إذ يظهر الاتكاء على العطف في القسم الأخير من هذه الصفات؛ ذلك لأنه أراد الإحاطة بصفات هؤلاء الناس من أهل الشام واستقصاءها كلها. أما إذا كان هناك اشتراك بين الوحدات النصية من ناحية الزمان فإن الإمام (عليه السلام) حينئذ يستعمل أداة ربط عاطفة تدل على الزمان، ليربط الوحدات النصية بعضها ببعض وذلك لوجود مسافات زمانية بين حدوث الأفعال من ذلك قوله (عليه السلام) في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام): ((فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ بِهِ جَاهِلًا ثُمَّ عَلِمْتَ وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ وَيَضِلُّ فِيهِ بَصْرُكَ ثُمَّ تَبْصُرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ))<sup>(١)</sup>. فأراد الإمام (عليه السلام) أن يخبر المتلقي أنه إنما خلقت في مبدأ خلقتك جاهلاً فمن خلق جاهلاً حقيق أن يكون جهله مدّة عمره أكثر من علمه استصحاباً للأصل ثم أراد أن يؤنسه بكلمة استدرك بها إحاشه، فقال له: ((وعساک إذا جهلت شيئاً من ذلك أن تعلمه فيما بعد، فما أكثر ما تجهل من الأمور وتتحيّر فيه، ثم تبصره وتعرفه))<sup>(٢)</sup>. فبين الجهل والعلم مهلة زمنية غير محددة بوقت معلوم قد يمتد إلى ما لا نهاية لأنّ ثم حرف يفيد

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧٤/١٦ (و ٣١).

(٢) نفسه: ٧٥/١٦.



الترتيب مع التراخي في الزمان<sup>(١)</sup>، وأفاد دلالة التأخير لفظ (بعد) الذي يدلّ ((على تأخر شيء عن آخر في زمانه أو مكانه تأخراً حسيّاً أو معنويّاً))<sup>(٢)</sup>، فأفاد (بعد) في هذا النص دلالة تأخر الإبصار عن الجهالة والحيرة والضلالة وربط بين زمانها كلها وزمان آخر مختلف عنها، وهو زمان التبصرة في نقلة تعاقبية؛ إذ جاء استعماله مناسباً؛ لأن المتقدم على الظرف والمتأخر عنه في صنف واحد وهو المعاني النفسية (الجهالة، التحير، الضلالة). فترى فطنة الإمام (عليه السلام) للفعل (تبصره) بوصفه مقابلاً لكل الأفعال المتقدمة، إذ يدل على العلم والمعرفة والوضوح والبيان<sup>(٣)</sup>.

ولم يكتف الإمام (عليه السلام) لإنشاء الترابط في النص على أدوات العطف والربط الزمني، وإنما وظف الإحالة الموسعة لاسم الإشارة (ذلك) إذ حلّ محلّ كل التراكيب المتقدمة، فكان غاية في الإيجاز، فجاء النص كلاً موحداً متسقاً.

نخلص من ذلك كله إلى أنّ العطف كان تقنية من تقنيات توسيع الجملة الأولى سواء كان ذلك التوسيع باعتماد أحد أركان الجملة الأولى والعطف عليه، أو بالمباعدة بين طرفين مترابطين من فعل الشرط وجوابه كذلك استعمل العطف لتبئير بعض عناصر النص وجعلها محوراً أساسياً مؤثراً في سياق النص، أو لتبئير الفكرة العامة أو الموضوع الأساس للنص، أو للجمع أو مطلق الجمع.

### ثالثاً: الحذف

يعدّ الحذف من وسائل الاتساق النحويّ، وهو عملية تقع بين المرسل والمتلقي إذ يقوم المرسل بعملية الحذف، لكنّه لا يحذف إلاّ ما كان معلوماً عند المتلقي أو من خلال وجود قرينة تدل على المحذوف<sup>(٤)</sup>، وإلاّ كان من تكليف العلم بالغيب كما يقول ابن جني<sup>(٥)</sup> (ت ٣٩٢هـ) وفيه تظهر شخصية المتلقي المبدع الذي يشخص مواطن الحذف ويضع في الوقت نفسه التقديرات التي تنسجم مع النص من خلال القرائن اللفظية التي تفهم من سياق النص وتدل على المحذوف. وقد تنبّه اللغويون القدامى لهذه الظاهرة وأثرها في البنية اللغوية فلاحظ الجرجاني أهمية الحذف إذ عقد له باباً في كتابه (دلائل الإعجاز) وصفه فيه بأنه ((باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجذبك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين))<sup>(٦)</sup>. وهو

(١) ينظر: الكتاب: ٤٢٩/١، الجني الداني: ٤٢٦، المعجم الوافي في أدوات النحو العربي: ١٣٢.

(٢) المعجم الوافي في أدوات النحو العربي: ١١٤

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة (بصر): ٩٤ / ٢.

(٤) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، د. طاهر سليمان حمودة: ٦.

(٥) ينظر: الخصائص: ٣٦٠ / ٢.

(٦) دلائل الإعجاز: ١٤٦.

بذلك يبين ما للحذف من أهمية وفائدة تتجاوز الذكر في بعض الحالات فإذا كانت بعض العناصر النحوية تؤثر بوجودها فهناك عناصر محذوفة يؤدي حذفها إلى تأثير آخر. لذلك عدّ الحذف من القضايا المهمة التي عالجتها البحوث النحوية والبلاغية بوصفه انحرافاً عن المستوى التعبيري الاعتيادي من حيث أنه لا يورد المتوقع من الألفاظ ومن ثم تراه ((يفجّر في ذهن المتلقي شحنة فكرية توقظ ذهنه، وتجعله يتخيل ما هو مقصود))<sup>(١)</sup>.

ويلحظ الباحثون أن أهمية الحذف تعظم وتكبر بما توفره من ترابط بين الجمل ضمن الخطاب أو النص<sup>(٢)</sup>، ومع أنّ اللغات جميعها تشترك في سمة الحذف، وضرورة وجود قرينة أو أكثر للدلالة على المحذوف، إلا أنها تختلف من حيث أسباب الحذف وأغراضه وشروطه وأنواعه، تبعاً لطبيعة كل لغة وقواعدها<sup>(٣)</sup>. فقد عدد النحويون والبلاغيون العرب أغراض الحذف فذكروا منها: التخفيف والايجاز والاتساع والتفخيم والإعظام وقصد الإبهام... وغيرها<sup>(٤)</sup>.

وقد أشار (دي بوجراند) إلى وظيفة مهمة للحذف وهي: الاستغناء عن العبارات التي لا تضيف للمعنى شيئاً سوى الإسراف في التراكم، إذ يرى فيه وسيلة لاستبعاد ((العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها المفهومي أن يقوم في الذهن أو أن يوسّع أو يعدّل بواسطة العبارات الناقصة))<sup>(٥)</sup>، فاللجوء إلى الحذف ينبع من دواعٍ جمالية وبلاغية تزيد النص رصانة وتؤدي به إلى الاتساق من خلال المشاركة بين المرسل والمتلقي في إنتاج المعنى وتأليفه في ضوء الإفادة من التراكم المعرفي عند كل منهما.

ومن الجدير بالذكر أنّ علاقة الحذف إمّا أن تكون علاقة داخل النص، ولذا فإنّ الأعم الأغلب أن يرتبط المحذوف عادة بعلاقة قبلية مع العناصر اللغوية التي تسبقه<sup>(٦)</sup>، وقد تكون علاقة الحذف خارجية تستمد من سياق الموقف والحال، وهذا السياق هو الذي يمد المتلقي بالمعلومات التي يحتاج إليها لتفسير المثال<sup>(٧)</sup>. وتسمى بالمرجعية الخارجية وتعرف بأنها ((ما دلّ على المحذوف من خارج النص بشرط وحدة الموضوع، مع كون النص لقائل واحد))<sup>(٨)</sup>. أما أنواع الحذف فقد توزعت في الرسائل والوصايا بالشكل الذي يوضحه الجدول الآتي<sup>(\*)</sup>:

(١) الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، د. فتح الله أحمد سليمان: ١٣٩.

(٢) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٢٢.

(٣) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١١٤٧/٢.

(٤) ينظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: ٨٩-١٠٠.

(٥) النص والخطاب والإجراء: ٣٠١.

(٦) ينظر: لسانيات النص، محمد خطابي: ٢١.

(٧) ينظر: علم اللغة النصي: ٢٠١/٢، الاتساق في العربية: ١٥٠.

(٨) الحذف صورة ودلالاته في كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، (رسالة ماجستير)، هادي شندوخ

حميد: ١٢.

نوع الحذف	عدد المرات في الرسائل	عدد المرات في الوصايا	المجموع
حرفي	٧٤	٣٤	١٠٨
اسمي	٧٨	١٥	٩٣
فعلي	١٦	٦	٢٢
شبه الجملة	٢٩	١١	٤٠
جملة (تركيبية)	١٤٦	٤٦	١٩٢

ومن دراسة الحذف تبين لنا:

- ١- تعدد أنواع الحذف في الرسائل والوصايا.
- ٢- أكثر أنواع الحذف هو الحذف التركيبي؛ وذلك يسهم في تقصير السجعات.
- ٣- تفاوت نسبة الحذف تبعاً لطول النص، فنجد ارتفاع هذه النسبة في النصوص الطويلة، في حين تنخفض في النصوص القصيرة نسبياً.

والذي يهمننا في هذا البحث هو الأثر الذي يؤديه الحذف في اتساق النص، إذ سنحاول الوقوف على أثر ظاهرة الحذف في بناء النص واتساقه وارتباط المحذوفات بالجملة الأولى، فهي التي توجه المحذوفات في النص، فضلاً عن أنها تعطي المتلقي السياقات اللفظية لاكتشاف المحذوف، فقد استعمل الإمام (عليه السلام) الحذف كثيراً في رسائله ووصاياه إذ لا يكاد يخلو نص من ظاهرة الحذف حتى غدا ملمحاً أسلوبياً فيها. وقد تمّ اختيار نماذج الدراسة وفقاً لطبيعة علاقة الحذف ونوع الحذف ومن ذلك قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى أهل البصرة بعد فتحها: ((وَجَزَاكُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَدُعِيْتُمْ فَأَجَبْتُمْ))<sup>(١)</sup>.

فما نلاحظه في هذا النص استعمال الإمام (عليه السلام) العطف (بالواو) لعطف القضايا الرئيسية في النص بعضها على بعض إذ يمثل كل فعلين متجاورين قضية مستقلة في النص، كذلك عمد الإمام (عليه السلام) إلى العطف (بالفاء) بين الفعلين المكونين لكل قضية؛ إذ أراد تحقيق سرعة حصول النتيجة بمجرد حصول السبب، فالطاعة حصلت بمجرد السماع، والإجابة حصلت بمجرد الدعوة والمظهر الآخر من مظاهر الاتساق الذي نحن بصدد الآن-هو مظهر الحذف، فقد عمد الإمام (عليه السلام) إلى تكثيف المحذوفات في هذه الوحدة النصية فحذف (عليه السلام) المفعول به من الأفعال كلها التي جاءت في سياق العطف، والغاية الأساس من حذف المفاعيل هي فتح الدلالة النصية

(\*) يمكن ملاحظة تفصيلات الحذف في الجدول الملحق الخاص به: ٣٠٣ - ٣٠٥.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٦/١٤، (ك ٢).

أمام المتلقي كي يتمكن من تصوّر أي مفعول مناسب لأن النص ((ذو دلالة مفتوحة، وغير ثابتة، بمعنى أنها تتطور بتطور كفاية المتلقي الذي يقوم بتفكيك النص))<sup>(١)</sup>.

فهذا النص علاقته خارجية ينشط فيها خيال ((السامع أو القارئ، باشراكه في صوغ العبارة ليكون أوعى بما يلقي إليه، وأحرص على الانتفاع به والتأثر بمعناه، لأنه أدرك بعضه بنفسه، ولم يتلقه كما يتلقى الخبر القابل للتصديق والتكذيب))<sup>(٢)</sup>، ولا يتحقق هذا الإدراك إلا لكونه ((يكتسب بقراءته النص صفة المبدع المنتج الذي لا يستهلك نصاً، بل يبدع أو ينتج نصاً على نص))<sup>(٣)</sup>؛ وبذا يكون النص قابلاً للامتداد في الزمان والمكان، فلا يختص بزمان أو مكان معينين، فكما ناسب المخاطبين الذين تلقوه مباشرةً، فإنه يناسب من يتلقاه اليوم أو في المستقبل، غير أن هذا الانتفاع الدلالي الذي ولّده الحذف في النص محكوم بالقرائن الحالية والمقامية وفيه مقصد بلاغي أرادته الإمام (عليه السلام) بإثارة المتلقي، وجعله يشارك في عملية انتاج النص، وفيه أيضاً فضل التحوط لكل المحذوفات التي يمكن تأويلها فيعطي النص حصانة بمنع تقدير ما خرج عن السياق، فلو تأملنا قوله: ((سمعتم فأطعتم)) لوجدنا أمامنا قائمة من المحذوفات التي من الممكن تأويلها، إذ لم يقدم لنا الإمام (عليه السلام) معنى السمع الذي يريده، بل جعله عاماً؛ ذلك أن ((فعل السمع يراد به أربعة معانٍ: أحدها: سَمِعَ إدراك، ومتعلّقه الأصوات، الثاني: سمع فهِم وَعَقْل، ومتعلّقه المعاني، الثالث: سمع إجابة وإعطاء ما سئل، الرابع: سَمِعَ قبول وانقياد))<sup>(٤)</sup>.

فإذا كان السياق النصي قد أبعد المعنى الثالث، فإنّ المعاني الباقية، كلها محتملة في هذه الوحدة النصية، الأمر الذي يؤدي إلى أن تكون قائمة المحذوفات طويلة جداً، إذ إنّ كل معنى من معاني (سمع) السابقة يمكن أن يندرج تحته كثير من المفاعيل، فقد يكون من أريد رسم صورته قد سمع أمر الله، الحق، النداء، الأنبياء والأخبار، كلام الإمام ... إلى غير ذلك من المحذوفات التي يمكن تقديرها من فعل السماع: ((لأنّ إجرائية الحذف حافلة بوفرة من الاحتمالات... وهذا يسهم في إدامة التكون اللاحق للنصوص))<sup>(٥)</sup>.

وبما أن سياق النص يدور في فلك مدح أهل البصرة، فلن يكون بمقدور المتلقي تقدير محذوف يخرج عن هذا السياق، إذ لا يمكن تقدير سمع الباطل-على سبيل المثال- فاطعتموه، لأنه لا يتناسب مع سياق النص.

(١) الحذف صورة ودلالاته في كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): ١٤.

(٢) نحو المعاني، د. أحمد عبد الستار الجوّاري: ٨٣.

(٣) في قراءة النص، د. قاسم المومني: ٢٧.

(٤) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية: ٥٠٧/٢.

(٥) الحذف صورته ودلالاته في كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): ١٤.

ومع هذا الحذف اتضحت معاني المكونات اللغوية وبلغ النص غايته في الإدلال وحافظ على علاقاته الاتساقية وظهر بمظهر جمالي زاده رصانة وترابطاً رصيفاً ولم يكن الحذف ملبساً معمياً فقد كان النص واضحاً جلياً برزت فيه مكانة المتلقي لأنه استطاع أن يكشف كيفية قيام الحذف بوظائفه الدلالية والنصية. ومثله أيضاً ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية: ((فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا، وَابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا، لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، وَلَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلُقْنَا، وَلَا بِالسَّعْيِ فِيهَا أُمْرُنَا، وَإِنَّمَا وَضَعْنَا فِيهَا لِنُبْتَلَى بِهَا، وَقَدْ ابْتَلَانِي اللَّهُ بِكَ وَابْتَلَاكَ بِي، فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَى الْآخَرِ، فَغَدَوْتَ عَلَى الدُّنْيَا بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ))<sup>(١)</sup>. لقد حدث الحذف في هذه الوحدة النصية في موضعين، الموضع الأول حذف المفعول به للفعل (ليعلم) والموضع الآخر حذف (الحال) في قوله (فغدوت على الدنيا) إذ يصب هذا الحذف فيما قلناه من أن الحذف يفتح الدلالة النصية للتأويل المنسجم مع معطيات النص السياقية، كذلك يجعل النص قابلاً للامتداد في الزمان والمكان، فلا يحده زمان انتاج النص ومكانه.

فمن الممكن أن يكون المحذوف (ملائكته، رسله، انبياءه، أوصيائه، عبادته، وغيرها من المحذوفات) بما ينسجم مع السياق النصي. فلو أنّ الإمام (عليه السلام) حدد مفعولاً معيناً للفعل فقال على سبيل المثال: (ليعلم انبياءه) لكانت هذه القضية مقصورة على الأنبياء دون غيرهم من سائر مخلوقات ولا تنطبق على أحد غيرهم وليس هذا مقصد الإمام وإنما أراد قضية العلم عامة لتشمل كل من أراد الله سبحانه إعلامه بهذا الأمر، وهو أمرٌ ممكن الوجود في كل زمان ومكان إذن فحذف المفعول به يجعل من اليسير على المتلقي تأويل محذوف مناسب، ومن ثم قبول هذه الرسالة. وما قيل في حذف المفعول به يقال في حذف الحال في قوله: ((فغدوت على طلب الدنيا بتأويل القرآن)). فإن المتلقي قادر على تقدير (حال) مناسب للسياق النصي الذي ورد فيه هذا الفعل، إذ يتمكن المتلقي من تقدير حال مناسب كأن يقول: (مواظباً، مصراً، مسرعاً، متشوقاً ... وهكذا من الأحوال التي تتناسب مع سياق النص؛ لكن في الوقت ذاته نجد سياجاً من الحصانة الدلالية أمام أحوال أخرى لا يمكن على المتلقي تأويلها كأن يقول: (متناقلاً، بطيئاً...) لأن ذلك لا ينسجم مع دلالة السياق النصي.

ومن أمثلة حذف الفعل ما جاء في حلف له بين ربيعة واليمن: ((وَأَنَّهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ وَتَرَكَهُ، وَأَنَّهُمْ أَنْصَارٌ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، دَعَوْتُهُمْ وَاحِدَةٌ، لَا يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ لِمَعْتَبَةٍ عَاتِبٍ، وَلَا لَغَضَبٍ غَاضِبٍ، وَلَا لاسْتِذْلَالِ قَوْمٍ قَوْمًا، وَلَا لِمَسَبَّةِ قَوْمٍ قَوْمًا، عَلَى ذَلِكَ شَاهِدُهُمْ وَغَائِبُهُمْ، وَسَفِيهِهِمْ وَعَالَمُهُمْ، وَحَلِيمُهُمْ وَجَاهِلُهُمْ))<sup>(٢)</sup>. وقع الحذف الفعلي في قوله: ((على ذلك)) الذي فتح الدلالة النصية أمام

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٣٥/١٧ (ك ٥٥).

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨ / ٦٦ (ك ٧٤).

المتلقي ليشترك في عملية انتاج النص، فيتمكن من تقدير أي فعل ينسجم مع السياق النصي، إذ نجد أنّ قائمة تقدير المحذوفات مفتوحة أمام المتلقي كأن يقول: أجمع، اتفق، تعاهد تحالف... إلخ مما يجعل للمتلقي أثراً كبيراً في إنتاجية النص.

كذلك عند دراستنا لهذا الموضوع وجدناه راجعاً في معظمه إلى استعمال أسلوب العطف، فباشتراك المعطوف والمعطوف عليه في المعنى أو الحكم واتحاد السياق الداخلي للتركيب، والاعتماد على القرائن اللفظية، تم الاستغناء عن تلك المحذوفات، فاعترى الحذف مكونات النص من تراكيب ومفردات، وقد أهدى إليها وقدرت تقديراً اعتماداً على العلاقة القبلية؛ إذ يُقدر المحذوف وفاقاً إلى ما سبق ذكره، وهذا هو الأكثر والشائع في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه. ومن نماذجه التي وقفنا عليها ما جاء في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام): (( لا خَيْرَ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ وَلَا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ ))<sup>(١)</sup>. فقد حذفت كلمة (خير) من الجملة الثانية والتقدير: ولا خير في صديق ظنين، والذي سوّغ الحذف الاشتراك في المعنى والحكم فوجود القرينة اللفظية في الجملة السابقة سهل عملية حذفها في الجملة اللاحقة، فلو ذكر المحذوف لنتج عنه توازٍ تركيبى تام قائم على علاقة التشابه ويكون على النحو الآتي:

لا النافية للجنس + (خير) اسمها + جار ومجرور + نعت

وهذا ينطبق مع ما ذكره سعد مصلوح بأنه قد ((يعتضد مفهوم التوازي بمفهوم الحذف Ellipsis وهو تكرار المبنى مع إسقاط بعض عناصر التعبير، وهما وسيلتان من وسائل السبك بعيدتا الأثر في التشكيل اللغوي لهذا النص، وهما قد يجتمعان وقد ينفردان))<sup>(٢)</sup>. فضلاً عن ذلك فقد أسهم السجع الموجود في النص في ترسيخ دلالة النص وتقويتها في ذهن المتلقي، وقد يكون الحذف حاصلًا بحذف تركيب من النص كما في قوله في الوصية نفسها: ((احْمَلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصَّلَاةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللَّطْفِ وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبَدَلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللَّيْنِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ))<sup>(٣)</sup>. إنَّ الأمور المذكورة في هذه الوحدة النصية والمعبر عنها على النحو الآتي:

ظرف زمان (عند) + مضاف إليه (وهو مضاف) + هاء الغائب (مضاف إليه) +  
حرف الجر (على) + اسم مجرور

(١) نفسه: ١٠٤/١٦ (و ٣١).

(٢) نحو أجرومية للنص الشعري: ١٥٩.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٠٤/١٦ (و ٣١).

وفيه توازٍ تركيبى تام قائم على علاقتي التشابه والتضاد ترتبط فيه ارتباطاً مباشراً بجملة (احمل نفسك من أخيك) التي انطلق منها الإمام (عليه السلام)، ثم حدد الحالات التي يكون عليها حمل النفس. لقد استغنى الإمام (عليه السلام) باتباعه أسلوب العطف (بالواو) عن إعادة هذا التركيب وهو ما سبق الإشارة إليه في تناولنا لموضوع العطف في الرسائل والوصايا، فيكون على المتلقي تتبع كل الحالات السلبية التي تقع من أخيه وعليه تجاوزها، وبذلك يتمكن من إدراك مقصد الإمام ورسم الصورة المبتغاة في ذهنه. وقد غدّى الإمام دلالة النص بالتقابل الحاصل بين صورتين من صور التعامل الإنساني، صورة سلبية وصورة إيجابية بشكل متساوٍ أعطنا الشمول للمعنى بذكر الشيء ونقيضه كما هو مبين على النحو الآتي:

صومه	≠	الصلة
صدوده	≠	اللطف والمقاربة
جموده	≠	البيدل
تباعده	≠	الدنو
شدته	≠	اللين

فإذا كان الحذف قد عمل على فتح الدلالة النصية فيما سبق وجعل النص ممتداً في الزمان والمكان، فإنه قد عمل هنا على دمج عناصر الجملة الأولى، فأنشأ نصاً متناسقاً بعيداً عن الحشو والضعف. ومن الحذف الفعلي في نص الوصية أيضاً قوله (عليه السلام): ((سَلُّ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ))<sup>(١)</sup>. إنَّ وجود الفعل (سل) في الجملة الأولى قد أغنى عن إعادته في الجملة الثانية فنتيجة الاتفاق في طريقة نظم الجملة على النحو الآتي:

(عن) حرف الجر + اسم مجرور + قبل (ظرف) + مضاف إليه

فبتذكر المتلقي الجملة الأولى فإنه سيقوم باكمال عناصر الجملة الثانية بتقدير الفعل (سل) في الجملة الثانية. فوجود ظاهرة الحذف في تشكيل التوازي التركيبى ((يؤكد رغبة الكاتب الملحة في إظهار نصه بشكل مترابط من جميع النواحي التركيبية والدلالية والصوتية والمعجمية. وهذا التوحد يعكس التوحد والاستقرار الذهني للكاتب وقت كتابة الرسالة، كما يعكس ثقافة الكاتب التي هي جزء من ثقافة عصره، ويؤدي هذا التوحد إلى إحساس القارئ الدائم بالألفة تجاه النص والتوحد النفسي معه))<sup>(٢)</sup>.

ومن حذف شبه الجملة وحذف الحرف قوله (عليه السلام) في عهده للأشتر الذي نتج عنه اشتراك العطف والتوازي التركيبى مع الحذف: ((قَوْلٌ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحُهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَإِلِمَامِكَ، وَأَطْرَهُمْ جَيِّبًا، وَأَفْضَلَهُمْ حَلِمًا، مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُدْرِ، وَيَرَأْفُ بِالضُّعْفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَى

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١١٣/١٦ (و ٣١).

(٢) نظرية علم النص: ١٠٢.

الأقوياء<sup>(١)</sup>. إذ عمل العطف على توسيع دلالة الاسم الموصول المجرور بـ (من) وذلك لاستكمال صفات من يدل على الجنود وقد سار هذا العطف بين جمل متساوية في التركيب لتبئير صفة الوالي على الجند، إذ تمّ التوازي التركيبي على النحو الآتي:

فعل مضارع مرفوع + حرف جر + اسم مجرور

وكل هذه التراكيب هي صلة موصول للاسم الموصول المجرور بحرف الجر، الذي حذف من سياق النص لأنه لو تكرر مع كل تركيب لأدى إلى ضعف النص وثقله على المتلقي ومثل هذا تم تناوله فيما تقدم من موضوع العطف ومثل هذا يحصل في حذف الحرف إذ يعتضد معه العطف والتوازي التركيبي الذي جاء في العهد نفسه في قوله (عليه السلام): ((وَأَجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ، وَأَجْزَلْ تِلْكَ الْأَقْسَامِ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ، إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ))<sup>(٢)</sup>. فلم يكرر الإمام أداة الشرط (إذا)، لكن العطف والتوازي التركيبي القائم على التشابه في البنية اللغوية جعل ذلك المتلقي يستشعر بوجود حذف حاصل في هذه الوحدة النصية في قوله: ((إذا صلحت فيها النية، وسلمت منها الرعية))، إذ جاء بناء الجمل على نسق واحد وهو:

فعل ماضي + تاء التأنيث الساكنة + جار ومجرور + فاعل مرفوع

فلم يقل الإمام (وإذا سلمت منها الرعية) وذلك ليترك المتلقي يشارك في انتاج النص وذلك لإثارة انتباهه على النقص الموجود في النص دون أن نجد ذلك بالمعنى. ولكن بالرغم من كثرة ارتباط التوازي التركيبي بالحذف، فأنتنا لا يمكن أن نجزم على استمراره بشكل مطلق في الرسائل والوصايا، أو قد يكون للحذف أثر في اتساق النص في كون تقدير المحذوف قد يعتمد على ما سبق من كلام، وعليه سوف يلجأ المتلقي القارئ إلى ربط اللاحق بالسابق لايجاد المحذوف وتقديره ممّا يمكنه من النظر إلى النص بوصفه وحدة نصية مترابطة غير مفككة، ومن أمثلة ذلك في نصوص الرسائل والوصايا قوله (عليه السلام) في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام): ((وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَطَ، وَالْإِمْسَاكُ عَنْ ذَلِكَ أَمْثَلُ))<sup>(٣)</sup>. فتقدير الكلام: وليس طالب الدين من خبط (في الدين) أو خلط فيه لأن لفظ (الدين) هو محور الحديث في نص الوصية، فحذف (الجار والمجرور) (في الدين) للعلم به فلا حاجة لذكره، فالمتلقي لا يمكنه أن يقدر غير ذلك لأنه سيؤدي إلى كون النص عبارة عن كلمات مفككة وغير مترابطة.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٥١/١٧ (ك ٥٣).

(٢) نفسه: ٨٩/١٧ (ك ٥٣).

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧١/١٦ (و ٣١).



ومثله أيضاً قوله (عليه السلام) في عهده للأشتر: ((فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى، وَتُطَلَّبُ بِهِ الدُّنْيَا))<sup>(١)</sup>. ففاعل الأفعال (يعمل) و (تطلب) محذوف وذلك لوجود قرينة لفظية في النص وهي لفظ (الأشرار) فهم الذي يعملون فيه بالهوى ويطلبون الدنيا إذ أفاد الحذف تحقير المحذوف وذلك لسوء ما يقومون به من أفعال، فربط آخر النص بأوله وجعله كلاً موحداً فلا يمكن للمتلقي أن يؤول فاعلاً غير ما ذكر في أول النص لأن ذلك يؤدي إلى عدم اتساق النص.

نخلص من ذلك كله أن للحذف أثراً في اتساق النص وهو يدور في ثلاثة محاور أما: في فتح الدلالة النصية وتوسيعها أو أن يتأزر مع العطف ممّا يؤدي إلى تكوين تراكيب متوازية أو أن يربط اللاحق بالسابق فتقدير المحذوف يكون مقتصرأ على ما يذكر في النص.

#### رابعاً: التوازي التركيبي:

يعد من الوسائل الشكلية التي تحقق الاتساق النصي، وقد أطلق عليه علماء لغة النص مسميات مختلفة منها (التوازي، التكرار الجراماتيكي، الموازنة.... إلخ)<sup>(٢)</sup>. ويعرّف بأنه شكل ((من أشكال النظام النحوي الذي يتمثل في تقسيم الفقرات بشكل متماثل في الطول والنعمة والتكوين النحوي، بحيث تبرز عناصر متماثلة في مواقع متقابلة في الخطاب))<sup>(٣)</sup>. ويقصد بذلك ((تكرار لنظم الجمل وشبه الجمل مع اختلاف الوحدات المعجمية التي تتألف منها الجمل حيث تبنى بشكل متوازٍ في الشعر أساساً وفي النثر وفق هذا المفهوم))<sup>(٤)</sup>، فالتوازي في ذاته هو ((نوع من التكرار ولكنه ينصرف إلى تكرار المباني مع اختلاف العناصر التي يتحقق فيها المبني))<sup>(٥)</sup>.

ويؤدي التوازي التركيبي في النثر الأثر نفسه الذي تؤديه القافية في الشعر وذلك لامتلاكهما الوظيفة الجمالية نفسها الناتجة عن وجود مبدئين، مبدأ التجانس الصوتي والتجانس الخطي<sup>(٦)</sup>، والحق أن التوازي التركيبي يلجأ إليه منثى النص بغية خلق الاتساق النصي. وقد تبين في ضوء

(١) نفسه: ٥٩/١٧ (ك ٥٣).

(٢) ينظر: البديع والتوازي، عبد الواحد حسن الشيخ: ٧، بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل: ١٩٨، نحو النص،

د. أحمد عفيفي: ١١١، نظرية علم النص، د. حسام أحمد فرج: ١٠٠.

(٣) بلاغة الخطاب وعلم النص: ١٩٨.

(٤) نحو النص، د. أحمد عفيفي: ١١١.

(٥) نحو اجرومية للنص الشعري، (بحث منشور)، سعد مصلوح: ١٥٩.

(٦) ينظر: التوازي في نهج البلاغة، (بحث منشور)، د. فاطمة كريم رسن: ٥٢.

(\*) يمكن متابعة تفصيلات التوازي التركيبي في الجدول الملحق الخاص به: ٣٠٦ - ٣٠٧.

دراستي لنصوص الرسائل والوصايا أن هذا النوع من أنواع الاتساق النحوي يلجأ إليه لتحقيق هدفين أساسيين:

**الأول:** خلق إيقاع موسيقي داخل النص، وذلك بالمحافظة على إيقاع معين، مما يسهل بقاء النص (الرسالة أو الوصية) في ذهن المتلقي مدة أطول.

**الأخر:** تبئير بعض الوحدات النصية، والمعاني التي يريد منثى النص إبقائها في ذهن المتلقي. وقد ورد التوازي التركيبي في الرسائل (٢٤١) مرة، وفي الوصايا (٧٠) مرة<sup>(\*)</sup>، وكان على أنماط وأنواع مختلفة، فمن أنواع التوازي التركيبي ما ترتبط فيه البنى التركيبية بعلاقة التقابل التي نلاحظ انتشارها في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه بشكل بارز وواضح، فلا يكاد يخلو نص من هذه الظاهرة التي كثفت دلالة المعنى وضاعفت من الطاقة الكامنة فيه؛ إذ يتضح للقارئ أنه وظّف علاقة التقابل في كشف معانٍ كثيرة، بوصفه يحدث هزة نفسية لدى القارئ، فاستعمله الإمام علي (عليه السلام) لعرض رأيه في موضوع الرسالة أو الوصية.

من ذلك ما جاء في رسالة له إلى عبد الله بن العباس (رحمه الله تعالى)، وكان ابن عباس يقول: ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله كانتفاعي بهذا الكلام: ((أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسِرُّهُ دَرْكٌ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، وَيَسُوُّهُ فُوتٌ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكُهُ، فَلَئِنْ سُرُّوكَ بِمَا نَلْتَمَسُ مِنْ آخِرَتِكَ، وَلَيْكُنْ أَسْفَكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا، وَمَا نَلْتَمَسُ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تُكْثِرْ بِهِ فَرْحًا، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعًا))<sup>(١)</sup>.

لقد ارتبطت البنى التركيبية المتوازية بعلاقتي التشابه والتقابل، وهو توازٍ تركيبى تام، وقد بنيت هذه الرسالة كلها على التوازي؛ إذ توزعت على النحو الآتي:

يسره درك ما لم يكن ليفوته  
يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه  
توازي (١) تقابل وتشابه

فعل مضارع + فاعل مرفوع + ما الموصولة + أداة الجزم (لم) + فعل ناقص مجزوم + لام الجحود + فعل مضارع منصوب + ضمير متصل (مفعول به)

فليكن سرورك بما نلت من آخرتك  
ولیکن أسفك على ما فاتك منها  
توازي (٢) تقابل وتشابه

حرف عطف + لام الأمر + فعل مضارع ناقص + اسم مرفوع + حرف جر + ما الموصولة + فعل ماضٍ + ضمير متصل + جار ومجرور

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤٠/١٥ (ك ٢٢).

وما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحاً  
وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعاً

توازٍ (٣) تقابل وتشابه

واو عاطفة + (ما) اسم شرط + فعل ماضٍ + ضمير متصل + جار ومجرور + الفاء الجواب  
الرابطة + لا الناهية + فعل مضارع مجزوم + جار ومجرور + مفعول به.

أفادت التوازيات التركيبية الثنائية النص على المستوى الانفعالي لدى المتلقي من خلال معنى أراد الإمام (عليه السلام) إيصاله إليه في ضوء التراجع والتأمل بالعلاقة الضدية ومفادها أن ((كل شيء يصيب الإنسان في الدنيا من نفع وضرر فبقضاء من الله وقدره تعالى؛ لكن الناس لا ينظرون حق النظر في ذلك))<sup>(١)</sup>، فجاءت الأضداد موزعة على النحو الآتي:

يسره	≠	يسوءه
درك	≠	فوت
ليفوته	≠	ليدركه
سرورك	≠	اسفك
ما نلت	≠	ما فاتك
فرحاً	≠	جزعاً

فقد أدى التوازي التركيبي إلى إبراز بعض عناصر النص التي سبق ذكرها، فكان لذلك أثر كبير في اتساق النص وترابطه، كذلك أثرت فنون الجناس والتكرار في المستوى الصوتي الذي أضحى بارزاً للعيان فركز الإمام علي (عليه السلام) بناء هذا النص على المواد اللغوية: (يسره، سرورك)، (درك، ليدرك)، (فوت، ليفوته، فات)، (نلت) التي كان لها أثر كبير في إبراز الحالة النفسية، ومكنت الإمام علياً (عليه السلام) من عقد مقارنة بين حالتين نفسيتين، مبرزاً خصائص كل منهما، وجاعلاً محور المقارنة هو الفرح والحزن عند الإنسان، لما يصيبه من الدنيا أو يفوته منها.

ومثله أيضاً قوله (عليه السلام) في عهد له إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر: ((فاحذروا عباد الله الموت وقربه، وأعدوا له عدته؛ فإنه يأتي بأمر عظيم، وخطب جليل، بخير لا يكون معه شر أبداً، أو شر لا

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤٠/١٥.

يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَدًا، فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا! وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا! وَأَنْتُمْ طُرْدَاءُ الْمَوْتِ؛ إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ، وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ<sup>(١)</sup>. لقد جاءت التوازيات التركيبية على النحو الآتي:

بخير لا يكون معه شرُّ أبداً  
شرُّ لا يكون معه خيرٌ أبداً  
تواز (١) علاقة تضاد وتشابه

اسم مجرور + لا النافية + فعل مضارع ناقص (يكون) + جار ومجرور (معه)  
+ اسم يكون مؤخر + ظرف منصوب (أبداً).

فمن أقرب إلى الجنة من عاملها  
ومن أقرب إلى النار من عاملها  
تواز (٢) علاقة تضاد وتشابه

اسم استفهام (من) مبتدأ + اسم مرفوع بصيغة أفعال التفضيل (أقرب)  
+ جار ومجرور + جار ومجرور (من عاملها)

إن أقمتهم له أخذكم  
وإن فررتهم منه أدرككم  
تواز (٣) علاقة تضاد وتشابه

أداة شرط (إن) + فعل ماضٍ + التاء الفاعلة و (ميم الجماعة) + جار ومجرور  
+ فعل ماضٍ + ضمير متصل و (ميم الجماعة)

لقد كان لوجود هذه التوازيات الثنائية التركيبية أثرٌ كبير في محورية فكرة التحذير من الموت وإعداد العدة له ويعكس ذلك أنه يتكلم وفق فصاحته، وبلاغته، وفطرته اللغوية السمحة، وذوقه الرفيع في الكلام الذي أعانه على إيجاد هذه التوازيات. فمع ترابط كل توازي منها مع ما يماثله في التركيب نجد البنى التركيبية لكل توازي تتعاقب دلاليًا مع بعضها كما في المخطط الآتي:

بخير لا يكون معه شرُّ أبداً	≠	شر لا يكون معه خيرٌ أبداً
-----------------------------	---	---------------------------

(١) نفسه: ١٥/١٦٣ (ك ٢٧).

↓		↓
ومن أقرب إلى النار من عاملها	≠	فمن أقرب إلى الجنة من عاملها
↓		↓
إن فررتم منه أدرككم	≠	إن أقمتم له أخذكم

(فالخير يتسق مع الجنة) و (الشر يتسق مع النار)

وقد جاء التوازي الثالث ختاماً حتماً لما سبقه من بنى تركيبية، فجاءت عبارة (انتم طرداء الموت) مرآة للفكرة الجليلة والمعنى الخطير إذ وظّف الإمام علي (عليه السلام) الاستعارة في لفظة (طرداء) مشياً الإنسان بالفريسة التي تنقض عليها الوحوش والسباع من دون سابق إنذار فهكذا حال الإنسان عندما يواتيه الموت. وهكذا يتضح كيف يتجلى باطن النص في ظاهره، وكيف يهديك ظاهره إلى باطنه ليبرز من ذلك كله روعة كلام الإمام (عليه السلام) وجماله وجلاله؟

ومثلها قوله (عليه السلام) في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام): ((وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا، وَلِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ، وَلِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ))<sup>(١)</sup>. جاءت التوازيات التركيبية في هذا النص قائمة على الترابط بين الكلمة ونقيضتها على النحو الآتي:

للآخرة لا للدنيا	←	فالأخرة ≠ الدنيا
وللفناء لا للبقاء	←	والفناء ≠ البقاء
وللموت لا للحياة	←	الموت ≠ الحياة
جارو ومجرور + لا النافية + جار ومجرور		

فضلاً عن ذلك نجد أن هناك ترابطاً دلاليّاً بين المجموعتين:

(المجموعة الأولى)

(المجموعة الثانية)

(الآخرة ، الفناء ، الموت)

(الدنيا ، البقاء ، الحياة)

وبذا يمكننا القول: إنّ بنية التوازي لا يمكن أن تكون بنية شكلية فقط، بل ((هي بنية ترتبط بالمعنى والدلالة ارتباطاً وثيقاً))<sup>(٢)</sup>، كذلك نلاحظ أيضاً تقديمه لألفاظ المجموعة الأولى؛ وذلك لأهميتها ولأنها البؤرة المركزية في نص الوصية.

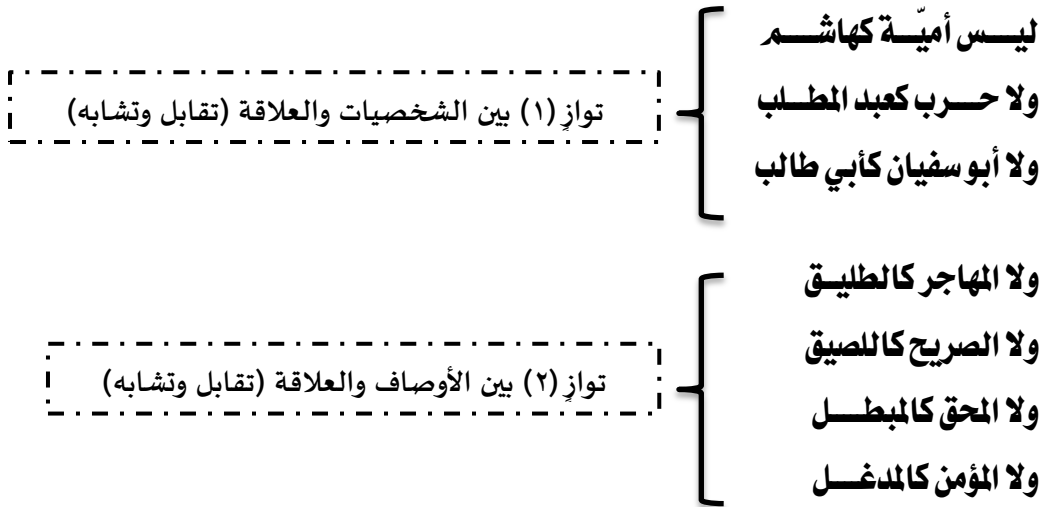
ومن أنواع التوازي التركيبي في رسائل الإمام (عليه السلام) ووصاياه ما يقوم على المفاضلة، من ذلك قوله (عليه السلام) في رسالة له موجهة إلى معاوية جواباً على كتاب منه إليه: ((وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٨٩/١٦ (و ٣١).

(٢) ظاهرة التوازي في شعر الخنساء (بحث منشور)، موسى رابعة: ٢٠٣٣.

مَنَافٍ فَكَذَلِكَ نَحْنُ، وَلَكِنْ لَيْسَ أُمِيَّةٌ كَهَاشِمٍ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيْقِ، وَلَا الصَّرِيْحُ كَاللَّصِيْقِ، وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطَلِ، وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغَلِ، وَلَبِئْسَ الْخُلْفُ خُلْفٌ يَتَّبِعُ سَلْفًا هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ))<sup>(١)</sup>.

يقوم التوازي التركيبي في هذا النص على نسق واحد يتمثل في الرد بطريقة الموازنة بين الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية بوساطة التقابل الذي ((بنيت فيه التراكيب على أسلوب النفي وتكرار أدواته في كل تركيب للإيحاء بتأكيد صحة هذه المتقابلات))<sup>(٢)</sup>، فجاء التوازي التركيبي تام وهو على النحو الآتي:



إذ تألفت البنى التركيبية للتوازي من بنى متشابهة.

أداة النفي + اسم مرفوع + كاف التشبيه الجارة + اسم مجرور

ونلاحظ في هذه البنى العدول من أداة النفي (ليس) إلى (لا) المهمة غير العاملة ليتيح له ذلك تكرار أداة النفي<sup>(٣)</sup> للمحافظة على نسق واحد للبنى التركيبية. أما العلاقة بين هذه البنى فهي التقابل، وقد أجمع كل من تناول هذا النص بالشرح والدراسة على أنّ نسق التفاضل جرى بين الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية من جهة شرف الأبناء، وشرف الهجرة، وصراحة النسب، والكون على الحق، والإيمان<sup>(١)</sup>.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١١٧/١٥ (ك ١٧).

(٢) الأثر الدلالي للأصوات في لغة الرسائل عند الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في نهج البلاغة (بحث منشور)، د. عبد الكاظم محسن الياسري: ٢٣٣-٢٣٤.

(٣) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٢٩٦/٣.

وقد استثمر الإمام علي (عليه السلام) الاستدراك النحوي بـ (لكن) لبيان وجه المفاضلة؛ لكن الأمر المحير في هذا التوازي التركيبي - وإن قام على بنى تركيبية متشابهة - إنه اشتمل على تقديم وتأخير فالتوازي الأول يقوم على تقديم الأسماء التي لها علاقة بمعاوية وكان ذلك بسبب طبيعة الرسالة التي كتبها الإمام علي (عليه السلام)؛ إذ مثلت جواباً أو رداً على رسالة بعثها معاوية له ومنها: ((نحن بنو عبد مناف؛ ليس لبعضنا على بعض فضل إلا فضل لا يستدل به عزيز، ولا يسترق به حر، والسلام))<sup>(١)</sup>.

فرد الإمام علي (عليه السلام) عليه ومن الطبيعي جداً أن يذكر ما قاله معاوية أولاً ومن ثم ينقضه، وعلى هذا الأمر سار السياق في نص رسالة الإمام علي (عليه السلام) منذ بدايتها وحتى نهايتها ولو رجعنا إلى النص كاملاً لوجدنا ذلك ((فأما طلبك الشام فإني لم أكن ... وأما قولك: إن الحرب ... وأما استواؤنا في الحرب والرجال، فلست ... وأما قولك إنا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ...)). فالإمام علي (عليه السلام) أراد أن ينقض حجة معاوية القائمة على النظام القبلي العرفي المستمد من الفكر الجاهلي ويفند مزاعمه ويردها واحدة تلو الأخرى. فضلاً عن ذلك أن معاوية لم يرد أن يفاضل بأجداده ومن ثم فاضل الإمام علي (عليه السلام) بأجداده أيضاً، إنما ذكر معاوية ذلك حينما أحسن بالضعف وعدم قدرته على مواجهة الإمام علي (عليه السلام) في صفين فأراد بحيلة أن يدفع عن نفسه الحرب التي لا قبل له بها، ومن ضمن المسوغات التي ساقها معاوية هي (أنا وأنت من شجرة واحدة) وهي عبد مناف فعلا يتقاتل الأقارب فهو لا يريد المفاخرة وإنما يريد: نحن من نسب واحد، ولذا أجابه الإمام علي (عليه السلام) بالإيجاب ولم ينكر ذلك بيد أنه (عليه السلام) بين أن آباء معاوية من عبد مناف ليس كأباء علي من عبد مناف شرفاً وحسباً، ومن هنا نقض الإمام علي (عليه السلام) رسالة معاوية بما يميته فيه أمل المصالحة والمساومة على الدين؛ فجمال التوازي التركيبي يكمن في إبطال الموازنة.

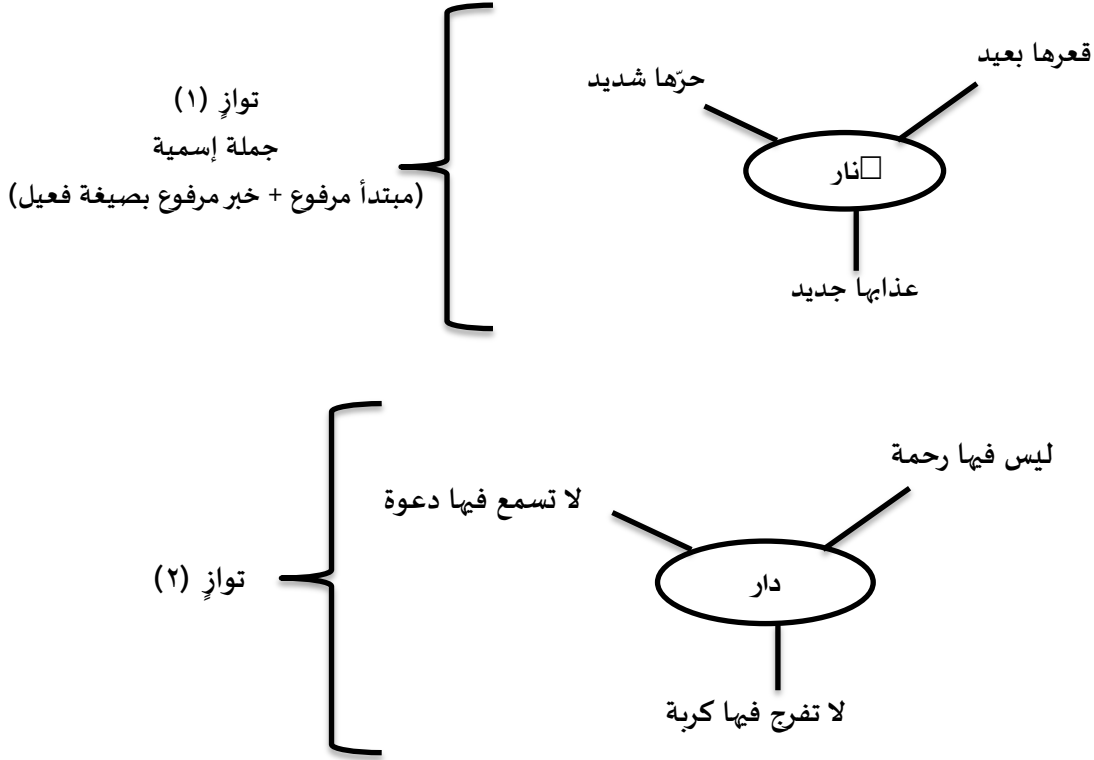
أما في التوازي التركيبي الآخر: فبرزت المغايرة التي تمثلت بتقديم ما يخص الإمام علي (عليه السلام) من صفات وتأخير ما يخص معاوية من صفات، فأحدث بذلك إثارة للمتلقي، فهي التي تمثل بؤرة المفاضلة بينه وبين معاوية، فعادة المفضل يكون مقدماً على المفضل منه واتسق بذلك مع البنية التركيبية السابقة، فسار النص كله على نسق واحد.

ومن التوازي التركيبي (الوصفي) قوله (عليه السلام) في عهده إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر، وفيه توازي تركيبي تام قام على علاقة التشابه بين التراكيب: ((فأحذروا ناراً قعرها بعيد، وحرها

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١١٨/١٥-١١٩، شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٤/٤٦٧، منهاج البراعة، الخوئي: ٢١٩/١٨-٢٢٠، الأثر الدلالي للأصوات في لغة الرسائل عند الإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام) في نهج البلاغة: ٢٣٤. الإضراب والاستدراك في نهج البلاغة: ٨٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٢٣/١٥.

شَدِيدٌ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ، دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ، وَلَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ، وَلَا تُفْرَجُ فِيهَا كَرْبَةٌ<sup>(١)</sup>. يظهر هذا النص مدى براعة الإمام علي (عليه السلام) في استثمار التراكيب النحوية من أجل التحذير من النار والوقوع فيها؛ إذ بدأ هذا النص بعبارة (فاحذروا ناراً)، وأرى أن لفظ (نار) يمثل بؤرة مركزية للنص ومرتكزاً تدور فيه التراكيب المتوازية وكذلك لفظ (دار)، ويمكن توضيح ذلك في المخطط الآتي:



فعل يحمل دلالة النفي + جار ومجرور + اسم مرفوع  
(ليس، لا تسمع، لا تفرج) (فيها) رحمة (مبتدأ مؤخر، دعوة وكربة (نائب فاعل)

فالنص يشتمل على مرتكزين مرجعهما واحد وهو (النار) تدور حول كل مرتكز منهما ثلاثة تراكيب متوازية، وكأني بالنص مقسم تقسيماً؛ إذ لم يكتف بالتراكيب المتوازية حول بؤرة المركز، بل ساوى الإمام (عليه السلام) بين تراكيب المركزين؛ إذ جعلها ثلاثة، فالإمام (عليه السلام) وصف لنا (النار) في مورد آخر قائلاً: ((وَأَتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحَلِيَّتُهَا حَدِيدٌ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ))<sup>(٢)</sup>. فوصف (النار) بأربعة تراكيب متوازية، في حين لاحظنا في النص المحلل أنه وصفها بثلاثة تراكيب متوازية

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦٤/١٥ (ك ٢٧).

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٨٨/٧ (خ ١٩).



وكأنه يريد أن يوازي بين هذه التراكيب الثلاثة التي تلتها التي تدور حول لفظ (الدار). وقد قادنا التوازي التركيبي إلى التوازي الدلالي بين

قعرها بعيد // لا تسمع فيها دعوة

حرها شديد  
عذابها جديد  
ليس فيها رحمة

فالعلاقة قائمة بين القعر البعيد وعدم السماع للدعوة، والعلاقة بين أوصافها الشديدة الأخرى بعدم تفريج كربها، فضلاً عن أنه ختم نهايات تراكيب المرتكز الأول (النار) بكلمات متوازية في الوزن (فعليل) وختم نهايات تراكيب المرتكز الآخر (دار) بكلمات متوازية في الوزن أيضاً وهو (فعللة) فالنص يسير بتراكيب متوازية بامتداد، فهذا التوافق النغمي من حيث الوزن والقافية أصبح وكأنه ((كتلٌ إيقاعية متوالية ومتوازية))<sup>(١)</sup>.

وهذا يعني أنّ التوازي من الوسائل النحوية المرتبطة بالإطار الموسيقي فمجيء التراكيب نفسها مكررة على مسافات متساوية، يؤدي إلى خلق إيقاع تأنس إليه أذن السامع، ويعزز هذا الإيقاع ما يوجد بين التراكيب من سجع، وهذا يدل على أن عناصر السبك تأتي مترابطة في الإطار النصي الفعلي<sup>(٢)</sup>. فضلاً عن ذلك فقد غدّي النص إيقاعياً بتكرار صوتي الدال والراء، فالدال صوت شديد أسناني لثوي انفجاري مجهور مرقق<sup>(٣)</sup>، يحاكي عند دخوله المفردة في سياق التعبير الأحداث القوية الشديدة بما يمتلكه من جرس شديد وهذا يتناسب ودلالة اللفظة، قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): ((الشين والدال أصل واحد يدل على قوة في الشيء))<sup>(٤)</sup>، فإذا كانت هذه هي صفة (الدال) فما بالنار وقد تكرر هذا الصوت في (بعيد، شديد، جديد)، هكذا برزت قيمة صوت (الدال) التعبيرية بمحاكاته الحدث المتمثل بشدة النار. أما صوت (الراء) وهو صوت مكرر<sup>(٥)</sup> فقد تكرر في (نار، قعرها، حرها، دار، رحمة، لا تفرج، كربة) أفاد استمرارية الأوصاف التي وصفت بها هذه النار، وزيادة على هذا استثمر الإمام (عليه السلام) الأفعال المبنية للمجهول؛ من أجل التركيز على بيان صفة هذه الدار (النار) بشكل بارز، كذلك إنّ كلا التوازيين ختم بكلمات مرفوعة رفدت النص على المستوى الدلالي بمظاهر التلاحم والترابط والتناغم الصوتي في الضم؛ إذ سعى الإمام

(١) في التوازن اللغوي المعادل الإيقاعي والمعنوي، (بحث منشور)، د. مصطفى الجوزو: ٧٣.

(٢) ينظر: نظرية علم النص: ١٠١.

(٣) ينظر: الأصوات اللغوية: ٤٩، علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي): ١٥٥.

(٤) معجم مقاييس اللغة، مادة (شدّ): ١٧٩/٣.

(٥) ينظر: الأصوات اللغوية: ٦٦.

(عليه السلام) إلى هذه التراكيب المتوازية لفتح آفاق أوسع تقدم - مجتمعة - أشكال الاتساق في بناء النص وينبع هذا ((من قدرة الإمام (عليه السلام) على استثمار اللغة ليس على مستوى الألفاظ والمعاني فحسب بل على مستوى الطاقة الكامنة فيهما))<sup>(١)</sup>، إذ إنَّ ((بنية التوازي استطاعت أن تكشف عن تآلف عناصر الصوت والتركيب والدلالة لتعكس التجاوب القائم بين اللغة والموضوع))<sup>(٢)</sup>.  
ونجد أيضاً توازيات تركيبية مرتبطة بأسلوب الشرط فيقوم الإمام (عليه السلام) بالمزاوجة بين معني الشرط والجزاء، فتبرز في هذه المزاوجة قدرة الإمام على استثمار البنى التركيبية لايصال الأفكار والمعاني. من ذلك قوله (عليه السلام) في وصيته التي وصى بها جيشاً بعثه إلى العدو: ((فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانزِلُوا جَمِيعاً، وَإِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعاً))<sup>(٣)</sup>. فهو توازٍ تام يتكون من:

أداة الشرط	+	فعل الشرط	+	فاء الجواب	+	جواب الشرط	+	جميعاً
(إذا)		بصيغة الفعل		الرابطة		بصيغة فعل		(حال)
		(الماضي)				(الأمر)		

فيظهر هنا ارتباط الحادثة الثانية بالحادثة الأولى، إذ لا يمكن أن يحصل الارتحال من دون أن يكون النزول قد حصل أولاً، فارتباط الشرط الثاني بالشرط الأول.  
وقوله في وصيته التي قالها قبل موته لما ضرب ابن ملجم لعنه الله: ((إِنْ أَبَقَ فَأَنَا وَلِيٌّ دَمِي، وَإِنْ أَقْنُ فَاَلْفَنَاءُ مِيعَادِي، وَإِنْ أَعْفُ فَاَلْعَفْوُ لِي قُرْبَةً، وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ))<sup>(٤)</sup>. يظهر هذا النص براعة الإمام (عليه السلام) في تقسيم الحوادث وإبراز الجزاء بحسب نوع الفعل الذي يشترطها، إذ يتناسب مع سياق النص الذي جاء فيه، فهذه الوصية قالها الإمام عقب ضرب ابن ملجم له فتسلسل الأفعال واضح لدى المتلقي (أبق، أفن، أعف)، فجاءت كل البنى التركيبية على نحو واحد، فهو توازٍ تام:

إن الشرطية + فعل مضارع (فعل الشرط) + فاء الجواب الرابطة + جملة اسمية (جواب الشرط)

(١) خطب الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة مقاربة في ضوء علم لغة النص: ٤١.

(٢) ظاهرة التوازي في قصيدة الخنساء: ٢٠٤٤.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٨٩ / ١٥ (و ١١).

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤٣ / ١٥ (و ٢٣).

ما يدل على اتحاد النص واتساقه، ومن التوازي الذي يقوم على الموازنة بين الشرط والجواب ما جاء في رسالته إلى أهل مصر لما ولى الإمام (عليه السلام) الأشر: ((فَإِنْ أَمَرَكُمُ أَنْ تَنْفَرُوا فَانْفَرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمُ أَنْ تَقِيمُوا فَاقِيمُوا، فَإِنَّهُ لَا يُقَدِّمُ وَلَا يُحْجِمُ، وَلَا يُؤَخِّرُ وَلَا يُقَدِّمُ إِلَّا عَنْ أَمْرِي، وَقَدْ أَثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ، وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ))<sup>(١)</sup>. وهو توازي تركيبي تام استثمر فيه الإمام (عليه السلام) التكرار؛ إذ كرر (عليه السلام) عبارة (فإن أمركم)، للتأكيد على وجوب اتباع أهل مصر لأوامر الأشر وطاعته، وقد جاءت التراكيب المتوازية على نحو واحد.

(فإن أمركم) + أن مصدرية + فعل مضارع منصوب (بحذف النون) + فاء الجواب الرابطة + فعل أمر (جواب الشرط)

وفي توازي خاص يقوم على العدول من الجملة الفعلية إلى الجملة الأسمية ما جاء في رسالته إلى معاوية قال الإمام (عليه السلام) فيها: ((وَكِتَابُ أَمْرِي لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ، وَلَا قَائِدٌ يَرْشِدُهُ، قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَأَجَابَهُ، وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ، فَهَجَرَ لَاطِطًا، وَضَلَّ خَابِطًا...، لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لَا يُتَنَّى فِيهَا النَّظَرُ، وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ، الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ، وَالْمُرَوِّي فِيهَا مُدَاهِنٌ))<sup>(٢)</sup>. تضمن هذا النص مقاطع متناظرة ومتكافئة في الأوزان والتراكيب، وقد توزعت على النحو الآتي الذي تسيطر عليه علاقة التشابه:

توازي (١) علاقة تشابه (جملة فعلية)	{ قد دعاه الهوى فأجابه وقاده الضلال فاتبعه
---------------------------------------	--

فعل ماضٍ + ضمير الهاء المتصل (مفعول به مقدم) + فاعل + الفاء العاطفة + فعل + الهاء مفعول به

توازي (٢) علاقة تشابه (جملة فعلية) فعل ماضٍ + حال	{ فهجر لا طاطاً وضل خابطاً
---	----------------------------------

توازي (٣) علاقة تشابه (جملة فعلية)	{ لا يُتَنَّى فِيهَا النَّظَرُ وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ
---------------------------------------	---

(١) نفسه: ١٥٦/١٦ (ك ٣٨).

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٤١/١٤-٤٤ (ك ٧).

لا النافية + فعل مضارع مبني للمجهول + جار ومجرور (فيها) + نائب فاعل

<p>توازٍ (٤) علاقة تشابه (جملة اسمية) مبتدأ + جار ومجرور + خبراً وصفة</p>	}	<p>الخارج منها طاعن المروى فيها مداهن</p>
---	---	---

نلاحظ أنّ العبارات قد تساوت في عدد الكلمات، فضلاً عن التماثل في نوع الجملة، فالمتوازيات التركيبية الثلاثة الأولى جملة فعلية متكاملة في حين جاء التوازي التركيبي الرابع جملة إسمية، وتسمى هذه المخالفة في البنيات المتكررة بـ (ظاهرة كسر النمط) أو الانزياح، فالتكرار إذا كان على وتيرة واحدة يخلق الملل في نفس المتلقي، إذ يشترط فيه ((انعدام الانتظام المطلق، أي وجود فجوة: مسافة توتر بين المكونات الإيقاعية))<sup>(١)</sup>.

وهو ما أكده ريتشاردز من أنّ الإيقاع يعتمد على التكرار والتوقع وخيبة الأمل والمفاجأة أحياناً لتجنب الملل قائلاً: ((والنسيج الذي يتألف من التوقعات والإشباع أو خيبة الظن أو المفاجأة التي يولدها سياق المقاطع هو الإيقاع))<sup>(٢)</sup>. فقد أفاد هذا التنوع في النص على المستوى الصوتي ((إثراء النسق الإيقاعي التقابلي الذي يكرس الطابع الجمالي في النص ويمنحه القابلية على تأكيد قضية الإيقاع الداخلي))<sup>(٣)</sup>، وبهذا يؤدي أثراً مهماً في اكساب النص بعداً جمالياً يستهوي المخاطب وهو يتجاوز الإيقاع العروضي إلى إدراك التعدد في الأساليب الموسيقية وتناسق ذلك كله مع الجو الذي تطلق فيه موسيقى الإيقاع<sup>(٤)</sup>.

أمّا على المستوى الدلالي فوجود الفارق الدلالي بين الإسناد الفعلي والاسمي قد ربط النص بسياقه وموضوعه وذلك لأنّ ((البلاغة الحقة تكون في اختيار الجملة الخاصة للمعنى الخاص))<sup>(٥)</sup>. فلولا هذا التمايز والتباين بينهما لما وجد التركيب الاسمي والفعلي ((للكل صورة هدف، ولكل تركيب غاية، وفي ذلك توسّع في الأساليب ودقة في الأداء والتعبير))<sup>(٦)</sup>، فإبدال العنصر الاسمي في الرسالة بالعنصر الفعلي يخل بالغرض المرجو الذي أراده الإمام (عليه السلام) من أنّ ((من لم يدخل في بيعته وهم قسمان... أمّا أن يخرج منها، أو يقف فيها، فحكم الخارج عنها أن يكون طاعناً في صحّتها وانعقادها فيجب أن يجاهد ويقاوم... وحمك الواقف فيها والمتروى في صحّتها أنّه مداهنّ

(١) في الشعرية، كمال أبو ديب: ٥٢.

(٢) مبادئ النقد الأدبي، ريتشاردز: ١٨٨.

(٣) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية: ١٣٦.

(٤) ينظر: التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب: ٨٧.

(٥) التعبير الفني في القرآن الكريم، د. بكرى شيخ أمين: ١٨٩.

(٦) أساليب بلاغية، د. أحمد مطلوب: ١٤٢.

وهو نوع من النفاق ومستلزم للشك<sup>(١)</sup>. فهذا التغير لشد انتباه المتلقي إلى وصف حال صنفين من الناس الخارج عن البيعة والمتروّي فيها، فهذا العدول إلى الجملة الاسمية يتناسب مع حالة الانتقال في الحديث عن البيعة وحال الناس منها.

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٤٢٣/٤.

## مدخل:

إن البحث في تماسك النص لا يتوقف عند مفهوم الاتساق فقط رغم ماله من أهمية كبيرة في تحقيقه، بل لابد من الاهتمام بتلك الخصائص الدلالية التي تتصل بالمعنى العام للنص، وتتجاوز حدود وسائل الاتساق الصوتية والمعجمية والنحوية إلى البحث في مستوى أعلى من التحليل أو ما يسمى بالانسجام؛ ولكنه مع ذلك يتظافر مع معيار الاتساق النصي في طبع أي نص مدروس بصفة النصية<sup>(١)</sup>.

فالانسجام يمثل المعيار الثاني من المعايير السبعة التي وضعها (دي بوجرانند ودريسler)، ولعل للترجمة تأثيرا واضحا في هذا المجال، إذ أدى تعدد الفهم للفظة المترجمة إلى انبثاق هذه المدخلات في المصطلحات؛ ومن ثم واجهتنا مقولات متعددة لهذا المفهوم، التي عرفت تباين آراء الدارسين بشأنه، وذلك في ضوء ايجاد مقابل عربي له، إذ كان لكل دارس مصطلح معين مقابل المصطلح الإنكليزي (Coherence) والجدول الآتي يوضح المصطلحات العربية المقابلة لهذا المصطلح الإنكليزي التي وضعها الباحثون والدارسون.

(١) ينظر: الانسجام النصي وأدواته (بحث منشور)، الطيب العزالي قواوة: ٦١.

الموضوع	اسم الباحث أو الدارس	المصطلح العربي المقابل
نحو الجملة ونحو النص: ١ نقلا عن: نحو النص، د. أحمد عفيفي: ٨١، الدرس النحوي النصي في كتب اعجاز القرآن الكريم: ١٠٨.	- د. قام حسان	الاتساق
لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب: ٨٣. نسيج النص: ١٥. الاتساق في العربية: ٢٧. الترابط النصي بين الشعر والنثر: ٦٥. الانسجام النصي وأدواته (بحث منشور): ٦٢. نحو النص أطار نظري ودراسات تطبيقية: ٢٧. الانسجام في النص القرآني مظاهره وجمالياته (أطروحة دكتوراه): ٢. لسانيات النص: ٣١. مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه: ٨٦. لسانيات النص: ٣٤. المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: ١٢٧. عناصر الاتساق والانسجام النصي، قراءة تطبيقية تحليلية في قصيدة ((اغنية لشهر آيار)) لأحمد عبد المعطي حجازي: ٥٠٧.	- د. أحمد مداس - الأزهر الزناد - جبار سويس الذهبي - د. زاهد بن مرهون الداودي - الطيب العزالي قواوة - عثمان أبو زنيد - عبد الله خليف خضير عبيد الحياني. - ليندة قياس. - محمد الاخضر الصبيحي - د. محمد خطابي - محمد يحياتن - د. يحيى عباينة ود. أمانة صالح الزعبي	الانسجام
النص والخطاب والإجراء: ١٠٣.	- د. قام حسان	الالتحام
أصول تحليل الخطاب: ١٢٥/١.	- د. محمد الشاوش	الترابط
أسس لسانيات النص: ١٥٢.	- د. موفق محمد جواد	الترابط الدلالي
من لسانيات الجملة إلى علم النص (بحث منشور): ٦٢.	- بشير أبرير	الترابط الفكري
المعايير النصية في القرآن الكريم: ١٩.	- د. أحمد محمد عبد الراضي	التضام
اجتهادات لغوية: ٣٧٠.	- د. قام حسان	التعليق
مدخل إلى علم لغة النص: ١١.	- إلهام أبو غزالة وعلي خليل الحمد	التقارن
مدخل إلى علم اللغة النصي: ٩٣. خطب الإمام علي (ع) في نهج البلاغة مقارنة في ضوء علم لغة النص: ٢٠. علم اللغة النصي: ٩٣/١. بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٣٦. التلقي والتأويل مقارنة نسقية: ١٦٢. سورتا آل عمران ومريم دراسة نصية: ١٩.	- د. خالد بن شبيب - راشد مدفون مخيف - د. صبيح إبراهيم الفقي - د. صلاح فضل - د. محمد مفتاح - وسن عبد الغني مال الله	التماسك
علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات: ١٢٧، اتجاهات لغوية معاصرة: ١٧٣	- د. سعيد حسن بحيري	التماسك الدلالي
علم لغة النص بين النظرية والتطبيق: ١٨٤.	- د. عزة محمد شبل	التماسك المعنوي
نحو النص: ٩٠. الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم: ٧٦. البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٨١. نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص الشعري: ١٢٧. نحو أجرامية للنص الشعري: ١٥٤. الإحالة دراسة نظرية: ٩٥. أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب (رسالة ماجستير): ٥٢. حبك النص منظورات من التراث العربي (بحث منشور): ١٣٩.	- د. أحمد عفيفي. - د. أشرف عبد البديع عبد الكريم. - د. جميل عبد البديع. - د. حسام أحمد فرج. - سعد مصلوح. - شريفة بلحوت - عبد الخالق فرحان شاهين. - محمد العبد	الحبك

ويتبنى البحث مفهوم الانسجام للسبب نفسه الذي ذكرناه في اختيارنا لمفهوم الاتساق في الفصل الأول<sup>(\*)</sup>. ومن المعلوم أن علم لغة النص ينظر إلى النص نظرة كلية، مما أدى بها إلى البحث عن تماسكه فكان من ذلك الاتساق الذي يعد من أهم أدوات هذا العلم، لكن هذا الأخير -كما سبق ذكره- مركز اهتمامه بالبنية السطحية الظاهرية التي تبحث في الترابط الشكلي للنصوص مما جعلها تمهيدا للباحث قصد الغوص في أعماق النص والبحث في خباياه التي تساهم في ترابطه من جهة المعنى والأفكار الموجودة فيه، وهذا ما يبحث فيه الانسجام فالترابط الدلالي للنص مكمل لترابطه الشكلي، ونقطة الوصول إلى تماسكه الكلي؛ لأن النص عندما يكون مترابطا من الناحية الشكلية ولا يكون مترابطا من الناحية الفكرية، نقول أنه غير مكتمل النصية<sup>(١)</sup>، كون الأول يعطينا نظرة شاملة حول التماسك السطحي للنص، والآخر من جهة اهتمامه بالعلاقات الخفية والترابطات الدلالية التي توصلنا إلى عالم النص ووحدته الكلية<sup>(٢)</sup>، فهما وجهان لعملة واحدة، إذ لا قيمة لوجهها الأول إلا بحضور الآخر، لكن الانسجام أعم وأعمق من الاتساق. وبصرف النظر عن هذا نقول: إن الانسجام كانت له أهمية خاصة في حقل علم اللغة النصي، فهو ((يمثل أساسهما من أسس الدرس النصي))<sup>(٣)</sup>، لكونه يختص بـ ((الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم Concepts والعلاقات Relations الرابطة بين هذه المفاهيم، وكلا هذين الأمرين هو حاصل العمليات الإدراكية المصاحبة للنص إنتاجا وأبداعا أو تلقيا واستيعابا))<sup>(٤)</sup>. ومن ثم فمصطلح الانسجام يعني ((علاقات التماسك الدلالية بين أجزاء النص من ناحية، وبين النص وما يحيط به من سياقات من ناحية أخرى))<sup>(٥)</sup>، فهو إذن يتصل ((برصد وسائل الاستمرار الدلالي في عالم النص أو العمل على إيجاد الترابط المفهومي))<sup>(٦)</sup> أي إنه يهتم بالروابط الدلالية المتحققة في النص، وهذه ((تحتاج من القارئ جهدا في التفسير والتأويل وتوظيف ما في مخزونه من معارف ومعلومات وتجارب سابقة عن العالم، للكشف عنها وتحقيق عملية التواصل والتفاعل الاجتماعي))<sup>(٧)</sup>. أما إذا حصل خلل في تشكيلة المفاهيم والعلاقات وبين المعرفة القبلية لعالم النص في أذهان القراء؛ فهذا يعني عدم الاستمرارية الدلالية الضرورية لمفهوم الانسجام<sup>(٨)</sup>. فهو يعني بتنظيم ((مضمون

(\*) ينظر: الصفحة: ١٠ من البحث.

(١) ينظر: علم اللغة النصي: ٩٧/١.

(٢) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٥، الترابط النصي بين الشعر والنثر: ٦٥.

(٣) علم اللغة النصي: ٤٢/١.

(٤) نحو أجرومية للنص الشعري: ١٥٤.

(٥) علم اللغة النصي: ٩٦/١.

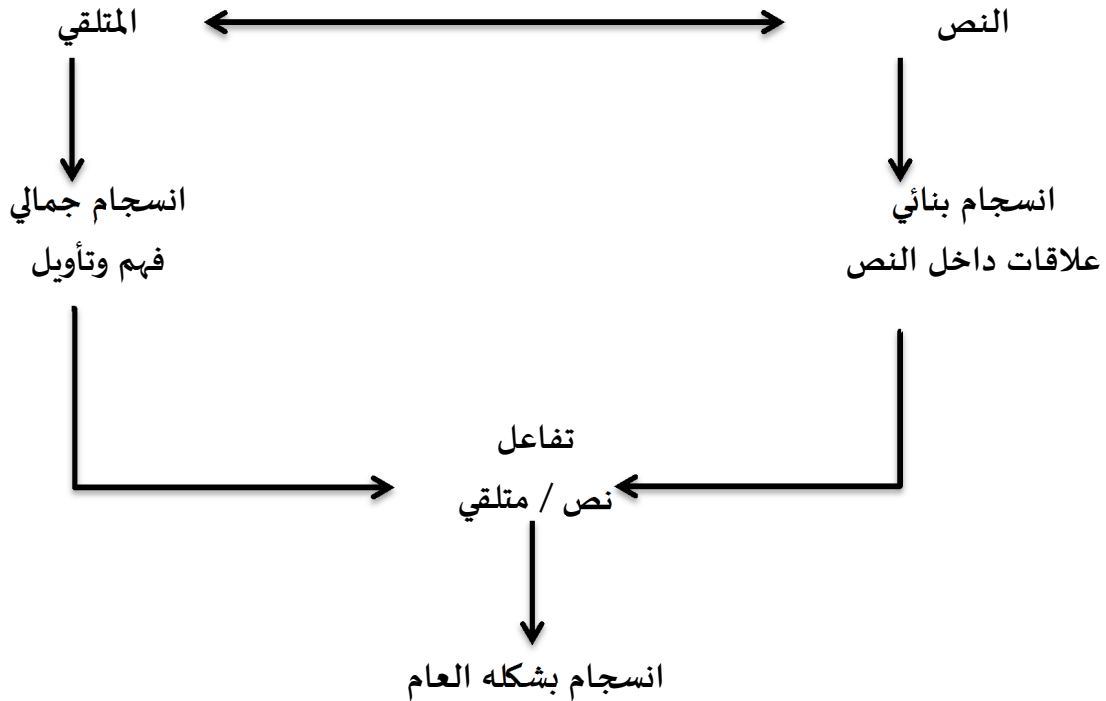
(٦) نحو النص، د. أحمد عفيفي: ٩٠.

(٧) الانسجام النصي وأدواته: ٦٣.

(٨) ينظر: نظرية علم النص: ١٢٨.



النص تنظيماً دلالياً منطقياً<sup>(١)</sup>. و خلاصة ما تقدم من عرض يمكن القول إن: الانسجام محاولة للخروج بالنص من بنيته اللسانية اللغوية إلى بنيته الاجتماعية والتواصلية وهذا ما يوضحه المخطط الآتي<sup>(٢)</sup>:



فالانسجام يسمح للقارئ أن يبقى في حوار مفتوح دائم مع النص، لذلك فإن الدراسات التي اهتمت بانسجام النص اعتادت أن تطرح جملة من الأسئلة التي يمكن أن تساعد في فهم النص ومن أهم هذه الأسئلة: التساؤل عن فعل؟ وماذا فعل؟ وأين؟ ومتى؟ وكيف؟ ولماذا؟<sup>(٣)</sup> فكل هذه الأسئلة مهمة جدا في تحليل النص فيها يتحقق التواصل ويتم ابلاغ الرسالة ومرورها، والقارئ المتمرس يسعى إلى كشف كل ما هو غامض ومهم كما يحاول كشف أسرار النص وسبر أغواره، وإضاءة خباياه واستخراج كوامنه. وأهمية الانسجام أيضا تكمن في إعطاء أهمية لعناصر الرسالة من مرسل ومتلق ونص، وكذا ((مناقشة النص في سياق الإبلاغ الأدبي Poetic Communication من حيث إنتاجه Production والاستقبال Reception والعوامل الأدبية الاجتماعية Scoio poetic والنفسية Psych poetic التي تؤثر في النص أو الخطاب))<sup>(٤)</sup> والانسجام له أثر في تحديد المعاني المفترضة والوصول إلى الدلالات اللازمة، فشكل بناء النص المنسجم يسمح بتحقيق الفهم الصحيح بمعرفة معنى المعنى أو ما وراء المعنى، فالانسجام هو معطى نصي فإذا حصل وإن انعدم الانسجام، فإن القارئ المتمكن هو الذي سيعيد

(١) الاتساق والانسجام في سورة الكهف (رسالة ماجستير): ١٤٥.

(٢) ينظر: الانسجام في النص القرآني مظاهره وجمالياته: ٣٥.

(٣) ينظر: دينامية النص (تنظير وانجاز): ٥٢.

(٤) علم لغة النص، د. سعيد حسن بحيري: ٧١.

للنص انسجامه من خلال ((صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفية التي تنظم النص وتولده. بمعنى تجاوز رصد المتحقق فعلا(أو غير المتحقق) أي الاتساق إلى الكامن (الانسجام)))<sup>(١)</sup> ومن هنا سنحاول في هذا الفصل من البحث أن ندرس مبادئ الانسجام النصي في الرسائل والوصايا ومظاهره وهي:

- التأويل، التفسير، ترتيب محتوى النص، المعرفة الخلفية.
- البنية الكلية، وقواعد البناء، وحدة الموضوع، أما السياق فسوف نتناوله في الفصل الثالث المبحث الثاني.
- العلاقات الدلالية والأبنية العليا (الأبنية الهيكلية للعلاقات الدلالية).

---

(١) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٦.



## مدخل.

إن الكشف عن مبادئ الانسجام يقودنا إلى أن نجعل المتكلم والمتلقي هما أساس الانسجام النصي إذ ((ليس هناك نص منسجم في ذاته ونص غير منسجم في ذاته باستقلال عن المتلقي))<sup>(١)</sup>. ولتحديد المبادئ والعمليات التي يشغلها المتلقي بهدف اكتشاف انسجام خطاب وعدم انسجامه انطلق محمد خطابي من افتراضين: الأول: أن الخطاب لا يملك مقومات انسجامه في ذاته، وإنما القارئ هو الذي يسند إليه هذه المقومات. الآخر: أن كل نص قابل للفهم والتأويل هو نص منسجم، والعكس صحيح<sup>(٢)</sup>. ومن مبادئ الانسجام في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه في نهج البلاغة ما يأتي:

## أولاً : التأويل.

إن الحديث عن أي نص وكيفية انسجامه يدفعنا إلى الحديث عن العمل الذي يبذله القارئ في هذا النص، فهو في محاولة لكشف الغموض وفهم أسرار رموزه وخباياها بغية الربط بين عناصره وأجزائه، وهذا ما يستدعي تحديد مفهوم التأويل بوصفه عملية أساسية في انسجام النص. فالتأويل في أبسط معانيه يعني ((قراءة للنص، أو مقارنة له، تتحكم فيها الفرضيات الخاصة بالقراءة المنبثقة من معطيات النص أولاً. ومن قدرات المؤول ثانياً والتأويل في أوسع معانيه هو القراءة بمعناها الواسع: نقدية أو إيديولوجية أو مغرضة أو بريئة... إلخ))<sup>(٣)</sup>.

فالقراءة تساعد صاحبها على الإبداع بقيامه بعمليات متنوعة من فهم وتحليل وتفسير وتأويل، ويستمر عاملاً على استخراج مكنونات النص ليصل إلى المغزى المحدد للنص، فهو ليس مجموعة من العبارات المتوالية، بل يحمل في طياته ورموزه وشفراته العديد من المعاني والدلالات التي لا يكتشفها إلا القارئ المبدع والموهوب، وهذا الأخير في عمله ((قد يكون مساوياً لعمل المبدع، أو هابطاً عنه، أو متفوقاً عليه، وفق قدرة الناقد وثقافته))<sup>(٤)</sup>. فالقارئ يتفاعل مع النص إذ يقوم بتجزئته وفك شفراته وهي عملية هدم للنص لإعادة صياغته وبناءه من جديد، في قالب وصيغة جديدة بإعطائه تأويلاً معيناً متناسباً معه، ويساهم في ذلك الشكل اللغوي للنص، وبنيته الخارجية المنسجمة.

وإذا نظرنا إلى رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه في نهج البلاغة وجدناها حافلة بالأساليب البلاغية الرائعة، فقد وظف الإمام (عليه السلام) تعبيرات مجازية ذات تأثير قوي، أحسن استعمالها وتوظيفها في صورة مترابطة منسجمة، كلها تفتح المجال فسيحاً أمام القارئ المحلل لاستكناه أسرار النص، وقد

(١) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٥١.

(٢) ينظر: نفسه: ٥٢.

(٣) المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، بسام قطوس: ٢١٠.

(٤) نفسه: ١٢.

يستعمل الإمام (عليه السلام) تعبيرات خاصة يختلف محللو النص وشراحه في تفسيرها من ذلك ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية جواً وهو من محاسن الكتب: ((فإِنَّا صَنَّاغُ رَبِّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَّاغُ لَنَا))<sup>(١)</sup>.

لقد سلك بعض الشراح في بيان معنى جملة (صنَّاع لنا) مسلك الإفراط والإجحاف في تأويل دلالة النص من أن ((الناس مخلوقون ومصنوعون من قبل أئمة الهدى (عليهم السلام) أو أنهم عبيد لهم))<sup>(٢)</sup>، لكن هذا التأويل غير منسجم مع ما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى يتحدث عن النبي موسى (عليه السلام): ﴿وَأَصْطَفَيْتَكَ لِنَفْسِي﴾<sup>(٣)</sup>. أما التأويل المنسجم مع دلالة النص فيتمثل في معنيين: الأول: قد يسعى الإمام (عليه السلام) في كلامه إلى أنه ((ليس لأحد من البشر علينا نعمة، بل الله تعالى هو الذي أنعم علينا، فليس بيننا وبينه واسطة، والناس بأسرهم صنائعنا؛ فنحن الواسطة بينهم وبين الله تعالى))<sup>(٤)</sup>. والآخر: أن الله سبحانه قد من على بني هاشم بنبوة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهم ((أهل الفضل على الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي أخرجهم من الظلمات إلى النور، ولا فضل لأحد علينا سوى الله، فهو وحده مصدر هدايتنا، أما غيرنا من المسلمين فهدايته بنا، فالفضل لنا بمحمد على أمة الإسلام، ولها بمحمد وأهل بيته الفضل على سائر الأمم))<sup>(٥)</sup>.

ومن الأمثلة الأخرى ما تناولت دراسته في موضوع الاستبدال ولاسيما (الاستبدال الاسمي) فكان لتأويلات شراح النهج وتفسيراتهم أثر في توجيه دلالة النص<sup>(\*)</sup>. وعليه تبقى نصوص نهج البلاغة فضاء واسعاً قابلاً للتحليل والقراءات المتتابعة والمختلفة باختلاف القراء والشراح؛ ذلك أن القارئ يمنحه معاني جديدة ومتجددة، فالنص بمثابة ((أرض مجهولة، وعلى من يريد اكتشافها أن يصبر نفسه على تحمل وعناء السفر في مجاهلها في رحلة البحث عن المعنى الذي يستعصي على التحديد ويظل قابلاً للتأجيل))<sup>(١)</sup>. هذا هو دور القارئ المحلل، الذي يجتهد للوصول إلى غايته ليمنح النص حرية وحركة مستمرة، فيبقى لكل قارئ تأويله الخاص الذي يتميز وقدراته المعرفية الخاصة والمنهج المتبع في تحليله بشرط أن يكون هذا التأويل والتحليل له أثر في تحقيق الانسجام والتماسك لأي نص مدروس فهذه الغاية المرجوة من مبدأ التأويل.

وبذلك تكون عملية التأويل مهمة في تحليل النصوص، إذ تساهم في ترابطه وتماسكه بارتباط عناصره دلالية بحيث يضمن استمرار النص، كذلك يعمل على انسجامه وتحقيق نصيته، فيكون

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨٢/١٥، (ك ٢٨).

(٢) نفحات الولاية، ناصر مكارم الشيرازي: ٣٥٦/٩، وينظر شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٩٤/١٥.

(٣) طه: ٤١.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٩٤/١٥، ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم الجحاني: ٥٢٤/٤، توضيح نهج البلاغة: ٣٣/٤.

(٥) في ظلال نهج البلاغة: ١٧٠-١٧١.

(\*) ينظر صفحة (٥٠ - ٥٢) من البحث.

(٦) المدخل إلى مناهج النقد المعاصر: ٢١٠.

القارئ قد شارك في إنتاج النص بتوصيله إلى قصده وتجاوز قصدية المنتج، إذن فالتأويل عنصر أساس في انسجام النص وتماسكه.

## ثانياً التغيريـض.

وهو مبدأ من مبادئ تحقق الانسجام ويقصد به ((ذلك الجانب من بنية الخطاب الذي يحدد نسبة الأهمية التي تعطى لمقاطع متعددة من الخطاب النظري))<sup>(١)</sup>، فالنص بعده متتالية من الجمل له بداية ونهاية مرتبطة فيما بينها، هذا الشكل له تأثير في تأويله، ويعطيه دلالات خاصة، إذ ((تتمحور كل تركيبية كل جملة، كل فقرة، كل حلقة وكل خطاب حول عنصر واحد خاص، يكون هو نقطة الانطلاق))<sup>(٢)</sup>.

لذلك يعد الباحثون التغيريـض ذا ((علاقة وثيقة مع الخطاب ومع عنوان النص))<sup>(٣)</sup>. يدل هذا على أن العنوان يمثل ركيزة مهمة في فهم القارئ لمضمون النص، وبه يتحدد ما سيفهمه القارئ، وعليه ينبني تأويله لما يليه من جمل، وهذا لا يعني أن النصوص الخالية من العناوين لا يمكن للقارئ تحليلها، بل بعد انتهائه من القراءة والتحليل يستطيع أن يضع عنواناً للنص. فالتغيريـض يمنح المتلقي توقعات قوية حول موضوع النص، ويتحكم العنوان في تحليل المتلقي وتفسيره وتأويله. فضلاً عن أنه يتحكم في تغيريـض الخطاب بعده ((أحد التعبيرات الممكنة عن موضوع الخطاب ووظيفته العنوان هي أنه وسيلة خاصة قوية للتغيريـض))<sup>(٤)</sup>. فله وقع خاص في ذهن المتلقي؛ لأنه نقطة البداية فقد يذكر فيه اسم وهو الاسم المغرض ويختلف من نص لآخر، إما اسم علم أو حادثة...إلخ.

كذلك فإن الجملة الأولى في نص ما تحدد ما سيفهمه المتلقي من النص، وعليها تترامم الدلالات الموالية، وبذلك يعد النص نسيجاً متضاماً من الجمل المترابطة، فالجملة الأولى هي الجملة المنطلق تنمو وتتكاثر وتكبر إلى أن ينشأ نص منسجم بمعنى ((أننا نفترض أن كل جملة تشكل جزءاً من توجيه متدرج متراكم يخبرنا عن كيفية إنشاء تمثيل منسجم))<sup>(٥)</sup>. فالعنوان والجملة البداية، أو الجملة المفتاح في النص، إذ بها يفتح النص ويتم بناؤه وتشكيله، لهما أثر كبير وأهمية بالغة في التغيريـض، وكذا في توجيه تأويل المتلقي.

وهناك مصطلح آخر أكثر عمومية وشمولاً هو ((الإخراج)) بوصفه استعارة عامة تغطي استغلال مثل هذه الظواهر في الخطاب، وهذا المصطلح يتردد لدى علماء النفس خاصة، فهم ((يعتقدون أن

(١) تحليل الخطاب: ١٥٦.

(٢) نفسه: ١٥٦.

(٣) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٢٩٣.

(٤) نفسه: ٦٠.

(٥) نفسه: ٥٩.

كيفية إخراج مقطع من الخطاب لا بد أن تؤثر بشكل كبير على عملية الفهم<sup>(١)</sup> فهذه العناصر تعمل على إعطاء لمحة عن محتوى النص وما يهدف إليه صاحبه.

أما الطرائق التي يتم بها التغريض، فمتعددة مثل ((تكرير اسم الشخص، واستعمال ضمير محيل إليه، تكرير جزء من اسمه، استعمال ظرف زمان يخدم خاصية من خصائصه أو تحديد دور من أدواره في فترة زمنية...))<sup>(٢)</sup>. وغالبا ما تتوفر هذه بكثرة في كتب التراجم، فهذه الطرق يتم تغريض المتحدث عنه فيكون بجعله بؤرة الموضوع، أو النواة التي يتشكل منها النص وهي النواة المكثفة، إذ ترد في النص كلمة تعد هي الكلمة المحور التي يدور الحديث عليها، ويمكن استخراجها بتوظيف عملية إحصائية من جهة المتلقي، فتكون أكثر تكرارا في النص، وأكثر إيرلادالها، وفيما يأتي تطبيق لهذا المبدأ في تحقيق الانسجام في قراءة النص للمدروسة نجد البداية في مواجهة العنوان نلاحظ أن الإمام (عليه السلام) في كتاب له إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة قال فيه: ((أَمَّا بَعْدُ فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ حَتَّى تَفِيءَ الشَّمْسُ مِثْلَ مَرِيضٍ العَنَزِ، وَصَلُّوا بِهِمُ العَصْرِ وَالشَّمْسُ بِيضَاءُ حَيَّةٍ فِي عَضْوٍ مِنَ النَّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرَسَخَانٌ، وَصَلُّوا بِهِمُ المَغْرِبِ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ، وَيَدْفَعُ الحَاجُّ إِلَى مَنَى، وَصَلُّوا بِهِمُ العِشَاءِ حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الغَدَاةِ وَالرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ، وَصَلُّوا بِهِمُ صَلَاةِ أضعفهم، وَلَا تَكُونُوا فَتَانِينَ))<sup>(٣)</sup>. فانطلاقا من العنوان بعده ((تعبيرا يمكننا عن الموضوع))<sup>(٤)</sup>، فاختر الإمام (عليه السلام) (معنى الصلاة) عنوانا لرسالته هذه والتساؤل هل له علاقة بمضمون الرسالة ومحتواها؟ وهل يدل على ما جاء بعده؟

إن القارئ لهذه الرسالة يجد في البداية عنوانها (في معنى الصلاة) ويأتي بعده مباشرة الجملة الأولى وهي جملة الانطلاق أو جملة المنطلق. ويطلق عليها جملة المفتاح وهي (فصلوا بالناس)، فهذه الجملة بدأت بصيغة فعل الأمر وهذا يتلاءم مع طبيعة هذه العبارة، ثم تلاها بجمل كلها تبدأ بالفعل نفسه، بحيث تتراكم الوحدة تلو الأخرى، وتنمو وتتزايد لتصبح فقرة أو جزءا دالما عما هو في العنوان، وقد وظف الإمام (عليه السلام) ذكر الظروف الزمانية التي جاءت متوافقة مع أوقات هذه العبارة، ليحقق بها الانسجام في الرسالة، فالقارئ يربط بين عنوان الرسالة ومضمونها فهما مترابطان، ودلالة العنوان مستمرة وممتدة في الرسالة إذ توحى ألفاظ النص بها. ومن أثر العنوان في تغريض النص ما جاء أيضا في وصيته (عليه السلام) لعبد الله بن العباس (لما بعثه للاحتجاج على الخوارج): ((لَا تُخَاصِمُهُمُ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَلٌ ذُو وَجْهِ، تَقُولُ وَيَقُولُونَ... وَلَكِنْ حَاجِّهِمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصًا))<sup>(٥)</sup>.

(١) تحليل الخطاب: ١٥٦.

(٢) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٥٩.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٢/١٧ (ك ٥٢).

(٤) تحليل الخطاب: ١٥٦.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧١/١٨ (و ٧٧).

فدلالة العنوان مستمرة في مضمون النص، وما يؤكد ذلك توالي الجمل التي تضم دلالات متقاربة متشابهة، تهدف كلها إلى مغزى واحد ومما يزيد دلالة العنوان عمقاً في النص ورود التوكيد (بأن ولن) وذلك لإثبات أمر الاحتجاج في ذهن المتلقي. وكذا الجملة الأولى (لا تخصمهم بالقرآن) التي تنامت وتزايدت بضم باقي العبارات إليها، وهذا يعين المتلقي (القارئ) على الفهم، والربط بين الأفكار والدلالات، وبذلك تمكنه من كشف خبايا الوصية. فكانت الجملة الأولى هي المنطلق، وهي الجملة المحور التي يدور حولها الموضوع، وهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالعنوان وتتابع العبارات من ورائها، مع ربط محكم بتنوع المفردات والجمل، والتراكيب اللغوية والدلالية، فجاءت في شكل حلقات متسلسلة الشكل في وحدة واحدة هي نص الوصية.

والوصية منسجمة بتغريض الإمام (عليه السلام) عن طريق العنوان الذي اختاره لوصيته، وكذا عن طريق الجملة الأولى (الافتتاحية) والإحالات الضميرية والتكرارات التي خدمت انسجام النص التي جاءت مترابطة مع العنوان وموضوعه. فالتغريض إذن مهم جداً ويجعل المتلقي في حوار مستمر دائم مع النص، ويضمن له انسجامه وترابط عناصره من بدايته إلى نهايته، فيتمكن المتلقي من قراءته قراءة جيدة وينتهي إلى تأويل ملائم غير غريب أو بعيد عما هو مألوف لدى الدارسين.

لكن مع أهمية هذا المبدأ إلا أن هناك الكثير من النصوص المدروسة التي تتصف بكونها خالية من العنوان فهل هذا يعني أنها غير منسجمة ولا مترابطة؟ إن الإجابة على هذا التساؤل يقع على عاتق القارئ الموهوب الذي يستطيع بحكم ثقافته وقدراته المعرفية من الحكم على هذه النصوص لأنه يستطيع بعد قراءته لأي نص منسجم يمتلك آليات وأدوات تماسكه أن يحكم عليه بالانسجام وأن يضع له عنوانه الذي يتناسب ومضمونه من أمثلة ذلك ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى أهل مصر، لم يسهل عليهم الأشر (رحمه الله): ((أَمَا بَعْدُ؛ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، لَا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ، وَلَا يَنُكَلُّ عَنِ الْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ؛ أَشَدَّ عَلَى الْفُجَارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ، فَاسْمَعُوا لَهُ، وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقَّ، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سِيُوفِ اللَّهِ، لَا كَلِيلَ الظُّبَةِ، وَلَا نَابِي الضَّرِيْبَةِ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفَرُوا فَانْفَرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَاقِيمُوا، فَإِنَّهُ لَا يُقَدِّمُ وَلَا يُجْهِمُ، وَلَا يُؤَخِّرُ وَلَا يُقَدِّمُ إِلَّا عَنْ أَمْرِي، وَقَدْ أَثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ، وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ))<sup>(١)</sup>. بعد الانتهاء من قراءة النص نستطيع أن نضع تغريضا له وهو (مالك بن الحارث الأشر)؛ لأنه البؤرة المركزية في النص فكل الأوصاف والأفعال تشير إليه كذا كل الإحالات الضميرية (ضمائر الغيبة المستترة والظاهرة) (المنفصلة والمتصلة) تعود إليه كذا نجد أن الإمام (عليه السلام) قد صرح علنا باسمه وكنيته فقال معرفابه: ((مالك بن الحارث أخو مذحج)) وعليه كان مضمون النص منسجما مع العنوان الموضوع له.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥٦/١٦ (ك ٣٨).



ومثل ذلك أيضا ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى سلمان الفارسي (رحمه الله) قبل أيام خلافته: ((أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ، لِيَنَّ مَسْهَا، قَاتِلْ سَمُهَا فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا، لِقَلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وَضَعْ عَنكَ هُمُومَهَا، لِمَا أَيْقَنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا، وَتَصَرَّفِ حَالَاتِهَا، وَكُنْ أَنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا أَحْذَرُ مَا تَكُونُ مِنْهَا، فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا أَطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُورٍ أَسْخَصْتَهُ إِلَى مَحْذُورٍ، أَوْ إِلَى إِيْنَسٍ أَزَالَتْهُ عَنْهُ إِلَى إِيْحَاشٍ))<sup>(١)</sup>. يمكن أن نضع عنوانا لهذا النص وهو (ذم الدنيا وتحقيرها) لأنها البؤرة المركزية في النص فبدأ كلامه بذكرها وسرد أوصافها فكل الإحالات الضميرية في (فيها، منها، همومها، فراقها، بها، منها، صاحبها، فيها) تعود إلى الدنيا ويزاد على ذلك أن الجملة الأولى في النص هي التي حددت فهمنا لمضمون النص وعلينا تراكمت المتتاليات الجمالية اللاحقة التي عملت على إنماء الجملة الأولى مما أكد انسجامها وترابطها إذ أعاننا ذلك على ربط الأفكار والدلالات بالعنوان المفترض.

### ثالثا ترتيب محتوى النص.

من مظاهر الانسجام النصي (ترتيب محتوى النص) الذي يطلق عليه (الترتيب العادي للوقائع في النص)<sup>(٢)</sup>، ذلك لأن ((ورود الوقائع في متتالية معينة يخضع لترتيب عادي تحكمه مبادئ مختلفة على رأسها معرفتنا للعالم))<sup>(٣)</sup>. وهناك علاقات تحكم ترتيب هذه الوقائع في النص وهي علاقات تخضع لمبادئ معرفية كالإدراك والاهتمام وتمثل فيما يأتي (العام-الخاص، الكل-الجزء، المجموعة الفرعية-العنصر، المتضمن-المتضمن، الكبير-الصغير، الخارج-الداخل، المالك-المملوك)<sup>(٤)</sup>. وقد سبق تناول بعض هذه العلاقات تبعا لورودها في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه في الفصل الأول في مبحث الاتساق المعجمي<sup>(\*)</sup>.

### رابعا الحالة العادية المفترضة للعوامل (المعرفة الخفية).

يعد هذا المبدأ شرطا معرفيا فهو أداة لمعرفة مدى انسجام خطاب ما، ويقصد به ((أن توقعاتنا حول البنيات الدلالية للخطاب تحددها معرفتنا حول بنية العوامل عموما والحالات الخاصة للأمر أو مجرى الأحداث))<sup>(٥)</sup>.

وذلك يعني أن المتلقي له معرفة مسبقة بالأفكار والأشياء مخزونة في الذهن وهذا حسب تجاربه السابقة، لأنه قارئ موهوب قادر على الاحتفاظ بالعناصر الرئيسة للنصوص حين معالجتها وتحليلها،

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٣٤/١٨ (ك ٦٨).

(٢) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٣٨.

(٣) نفسه: ٣٨.

(٤) ينظر: نفسه: ٣٩، الاتساق والانسجام في سورة الكهف: ١٥٠-١٥١.

(\*) ينظر: الصفحة (٥٥ - ٥٨، ٦٧ - ٦٨) من البحث.

(٥) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٣٥.

كذلك لابد من توفر شرط أساس، يتمثل في الحس الفني، والذوق الرفيع وآليات التحليل. إذن فالقارئ عندما يواجه نصاً ما يحاول استحضار ما يملك من مخزونه المعلوماتي فيما يخص هذا النص، فيأتي بما يحتاجه في دراسته، وأن هذه المعرفة المسبقة ومجموعة المعلومات تكون منظمة غير عشوائية، إذ إن تمثيلات المعرفة هذه تتسم بأنها منظمة بطريقة ثابتة بوصفها وحدة تامة من المعرفة الجاهزة في الذاكرة<sup>(١)</sup>. وهذا التنظيم في التعريض يسمح للقارئ باختيار ما هو مناسب من حيث الحاجة إليه لذلك يقوم هذا المفهوم على أن المخاطب لا يتلقى ما يتلقاه من نصوص وهو خالي الذهن، إنما يتلقاها وقد حصلت لديه جملة من المعارف هي التي سميت (المعرفة الخلفية) أو معرفة العالم<sup>(٢)</sup>. وهي أداة من أدوات انسجام النص، وتعني ((ثقافة المتلقي وأدواته المعرفية، وما يمتلكه من قدرات تساعده على التصور الذهني للأشياء))<sup>(٣)</sup>.

إذ إن قراءتنا لنص ما تجعلنا أمام افتراض بوجود عالم خارج النص يشير إليه النص، ففهم عالم النص انطلاقاً من فهمنا لعالمه الخارجي، وهذا يشير إلى وجود علاقة بين النص والعالم؛ فكل اختيار لغوي يحدث على مستوى النص هو اختيار متميز لوقائع في العالم الخارجي، ومعرفة المرء بالعالم تساعده في عمليات استنتاج مفاهيم النص، وتوقع المعلومات التي لم ترد فيه بشكل صريح، فبإمكانه إعادة وصف النص وتلخيصه وملء فراغاته انطلاقاً من معرفته بالعالم<sup>(٤)</sup>، وعلى هذا فإن تحليل النص أو معرفة مدى انسجامه والحكم عليه بالنصية أو عدمها، يعتمد على ما تراكم لدى القارئ على تأويل النص أو متلقيه من معارف سابقة تجمعت لديه، قارئ قادر على الاحتفاظ بالخطوط العريضة للنصوص والتجارب السابقة التي قرأها أو عالجه<sup>(٥)</sup>.

ويذهب (دي بوجراند) إلى أن ((مسألة كيفية معرفة الناس بما يجري داخل نص هي حالة خاصة من مسألة كيفية معرفة الناس بما يجري في العالم بأسره))<sup>(٦)</sup>.

وما نعرفه عن التاريخ الإسلامي - وإن كان قليلاً - قد يسعف في الوصول إلى تحليل بعض نصوص الرسائل والوصايا فقد أدت وفاة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى تعريض الإسلام لصدمة شديدة ومشكلة عظيمة للمجتمع الإسلامي واختلفت الآراء فيمن يتولى أمر المسلمين، وقامت الخلافة لتكون التنظيم السياسي العملي للأمة؛ ولكن العمل بالشورى لم يستمر وخاصة أيام الخليفة الثالث عثمان بن عفان مما كان سبباً في الفتنة الكبرى. فقد بويع عثمان بن عفان بعد خلافة عمر بن الخطاب، وعثمان من بني أمية وكان بنو أمية يكونون العداوة لبني هاشم أبناء عمومتهم، منذ الجاهلية،

(١) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٦٢.

(٢) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١٧٥/١.

(٣) عناصر الاتساق والانسجام النصي قراءة نصية تحليلية في قصيدة (اغنية شهر آيار) لأحمد عبد المعطي حجازي: ٥٤١.

(٤) ينظر: علم لغة النص، د. عزة شيل محمد: ١٩٢.

(٥) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٦١.

(٦) تحليل الخطاب: ٢٧٩.

وقد استفحلت عداوتهم بنزول الإسلام في بني هاشم دونهم فاضطهدوا الرسول وأهله وطردوه من مكة ولاحقوه إلى المدينة وحاربوه في بدر وأحد وغيرهما.

وبمجيء عثمان لسدة الحكم حدثت الفتنة وتفرقت كلمة المسلمين شعاعاً وتباينت مذاهبهم، وعادت العصبية وانقسمت قريش فقد خالف عثمان بن عفان سياسة عمر بن الخطاب مع كبار الصحابة<sup>(١)</sup>، فقام بعزل الولاة والعمال الذين استعملهم عمر قبله في البلاد المفتوحة وشغل المراكز الرئيسية في الدولة بأهله وأقاربه من الأمويين دون غيرهم. وقد أندفع هؤلاء الولاة والعمال في ارتكاب المخالفات الخطيرة التي لا تتفق مع الشريعة الإسلامية، فأساءوا إلى أهالي البلاد المفتوحة كما فعل سعيد بن العاص، وقد ولي الكوفة بعد الوليد بن عقبة، إذ عد سواد العراق بستان قريش فاغضب الناس ونفى الخاصة إلى الشام فشكوه إلى عثمان فلم ينصفهم منه<sup>(٢)</sup>. ثم أقطع معاوية بن أبي سفيان بعض المزارع التي طلبها منه، وكانت أعمال معاوية - الذي اتخذ القصور وأحاط نفسه بالحاشية وعاش عيشة ملوك فارس والروم - مما أثار الغيرة على الشريعة والحق والنقمة على عثمان<sup>(٣)</sup>، فنفر الناس وأعلنوا غضبهم على عثمان بن عفان بعد أن رأوا فساد الإدارة الذي ولد سخطاً لعلمائين أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد انتهى بالثورة التي فقد فيها عثمان حياته.

وكانت الوفود قد جاءت عثمان قبيل مقتله، وانضم إليهم بعض أهل المدينة في ضرورة مجاهدة عثمان وكلموا الإمام علياً (عليه السلام) في أن يكون رسولهم إليه، ونصح عثمان وحذره وعارض سلوكه وموقفه المخالف للشريعة الإسلامية، وأشار عليه بما فيه من صلاح له، وإن كان هذا لم يمنع الإمام (عليه السلام) من التصدي للساخطين ومنعهم من الخروج عن طاعة الخليفة واشعال نار الفتنة، وقد شعر الإمام بالأسى والحزن من سياسة عثمان، فلم يستطع السكوت عليها فعارضه<sup>(٤)</sup>، كما عارض معاوية الذي كان يترصد الفرص ليتمكن من الاستيلاء على السلطة بعدما وطد لنفسه قوة عسكرية في البلاد التي حكمها، وبعد مقتل عثمان بويع الإمام علي (عليه السلام) باجماع المسلمين؛ فقام معاوية في وجهه خوفاً من توليه الخلافة بما يعرفه من شدته وحزمه واستقامته ودقته في الحكم وغيرته وتمسكه بأصول الشريعة.

وكان وجوده في الحكم معناه محاسبتهم وضياع ثروتهم وفقدان نفوذهم وامتيازاتهم<sup>(٥)</sup> وكان معاوية يكن العداء للإمام علي (عليه السلام)، لأنه قد قتل عدداً لا يستهان به من شباب بني أمية وفرسانهم أثناء الغزوات لتصديهم للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والدعوة الإسلامية، فحمل (قميص عثمان) يثير به أهل الشام وقاتل الإمام علياً (عليه السلام) وانهمز أمامه في مواقع قتالية عدة من صفين، وكادت الغلبة

(١) ينظر: تاريخ الطبري، الطبري: ٢/ ٥٩٥-٥٩٩، ٦٤١-٦٤٦.

(٢) ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ٣/ ٥٣-٥٦.

(٣) ينظر: تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٢/ ٢٠٦.

(٤) ينظر: الكامل في التاريخ: ٣/ ٧٥-٩٠.

(٥) ينظر: نفسه: ٣/ ٩٦-١٠٠.

تكون للإمام لولا خدعة التحكيم بالعودة إلى القرآن لتحديد الخليفة والخلافة، وقد مكنت معاوية من إيقاف رحي القتال ودفع الهزيمة عنه واستغلال الوقت بالحوار، وقد كان ما كان من أمر التحكيم ونتائجه التي وسعت دائرة الاختلاف وزادت شقة الخلاف بين المسلمين، وأرست دعائم سلطة معاوية<sup>(١)</sup>.

وهذا كله يفسر لنا ما جاء في رسائل الإمام علي (عليه السلام) إلى معاوية التي أوضحت طبيعة الواقع السياسي والعلاقة بينهما وبعد خدعة التحكيم استقل الإمام علي (عليه السلام) بالخلافة في الكوفة، واستقل معاوية بالشام الذي جعل همه أن يقلق الإمام عليا (عليه السلام) في خلافته وألا يتيح له المجال ليستقر وينصرف إلى شؤون خلافته دينا ودنيا، فراح يعمل كل ما في وسعه، وبالوسائل المختلفة المتعددة ليسود الاضطراب والفوضى فكان يستميل أنصار الإمام (عليه السلام) بالترغيب بالمال والمركز والتقريب مرة والتهديد والترهيب مرة أخرى، وهذا ما يفسر لنا كتاب الإمام (عليه السلام) إلى معاوية: ((وَأَرَدَيْتَ جَيْلًا مِنَ النَّاسِ كَثِيرًا خَدَعْتَهُمْ بِغَيْبِكَ، وَالْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ، تَفْشَاهُمْ الظُّلُمَاتِ، وَتَتَلَاظِمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتِ، فَجَارُوا عَنْ وَجْهَتِهِمْ، وَنَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَتَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ، وَعَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ، إِلَّا مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ البَصَائِرِ، فَإِنَّهُمْ فَارِقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ، وَهَرَبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ مُوَازِرَتِكَ، إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصَّعْبِ، وَعَدَلْتِ بِهِمْ عَنِ الْقَصْدِ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مُعَاوِيَةَ فِي نَفْسِكَ، وَجَادِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَنْقُطَةٌ عِنْدَكَ، وَالْآخِرَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ، وَالسَّلَامُ.))<sup>(٢)</sup>.

ومن ذلك أيضا ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى عمرو بن العاص: ((فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعًا لِدُنْيَا أَمْرِي ظَاهِرٌ غَيْبِي، مَهْتُوكٌ سِتْرُهُ يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ، وَيُسْفَهُ الْحَلِيمَ بِخُلُطَتِهِ، فَاتَّبَعْتَ أَثْرَهُ، وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ، اتَّبَعَ الْكَلْبُ لِلضَّرْعَامِ يَلُودُ بِمَخَالِبِهِ، وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيستِهِ، فَادْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَأَخْرَتَكَ، وَلَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكَتَ مَا طَلَبْتَ فَإِنَّ يُمْكِنُ اللَّهُ مِنْكَ وَمِنْ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْرُكُمْ بِمَا قَدِمْتُمْ، وَإِنْ تُعْجِزَا وَتَبْقِيَا، فَمَا أَمَّاكُمْ شَرُّ لَكُمْ))<sup>(٣)</sup>.

وكذلك فعل مع زياد بن أبيه، وهذا ما يفسر لنا كتاب الإمام (عليه السلام) إلى زياد بن أبيه، وقد بلغه أن معاوية كتب إليه، يريد خديعته باستلحاقه: ((وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَرْزِلُ لُبَّكَ، وَيَسْتَفِلُّ غَرْبِكَ، فَاحْذَرَهُ فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ يَأْتِي الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ، وَيَسْتَلِبَ غَرَّتَهُ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلْتَةٌ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ، وَنَزْعَةٌ مِنْ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ، لَا يَنْبَغُ بِهَا نَسَبٌ، وَلَا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ، وَالْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ الْمُدْفَعِ، وَالنَّوْطِ الْمُدْبَذِ))<sup>(٤)</sup>.

ومثل هذه المعرفة أيضا توضح لنا مضمون كتاب له (عليه السلام) إلى سهل بن حنيف الأنصاري وهو عامله على المدينة (في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية): ((أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِمَّنْ قَبْلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَلَا تَأْسَفُ عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ، فَكْفَى لَهُمْ غِيًّا، وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِيًا فَرَارُهُمْ مِنْ

(١) ينظر: تاريخ الطبري: ٣ / ٣٦-٨١

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦ / ١٣٢ (ك ٣٢).

(٣) نفسه: ١٦ / ١٦٠ (ك ٣٩).

(٤) نفسه: ١٦ / ١٧٧ (ك ٤٤)

الهُدَى وَالْحَقِّ، وَإِيضَاعُهُمْ إِلَى الْعَمَى وَالْجَهْلِ، فَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا، وَمَهْطُونَ إِلَيْهَا، وَقَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَرَأَوْهُ وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أَسْوَةٌ، فَهَرَبُوا إِلَى الْأَثَرَةِ، فَبَعْدًا لَهُمْ وَسَحَقًا إِنَّهُمْ وَاللَّهِ لَمْ يَنْفِرُوا مِنْ جَوْرِ، وَلَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْلِ، وَإِنَّا لَنَنْطَمِعُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنْ يُذِلَّ اللَّهُ لَنَا صَعْبَهُ، وَيُسَهِّلَ لَنَا حَزَنَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَالسَّلَامُ<sup>(١)</sup>.

فهم بنية هذه النصوص هي فعالية ذاتية لتراكم تجارب سابقة أسهمت في إعطائنا القدر الكافي من المعلومات التي نحتاجها في فهم نص ما لذلك يذهب (براون وبول) إلى أن ((المعرفة التي نملكها كمستعملين للغة تتعلق بالتفاعل الاجتماعي بواسطة اللغة ليست إلا جزءاً من معرفتنا الاجتماعية – الثقافية: إن هذه المعرفة العامة للعالم لا تدعم فقط تأويلنا للخطاب، وإنما تدعم أيضاً تأويلنا لكل مظاهر تجربتنا))<sup>(٢)</sup>.

فموضوع أي نص يتوقف على معرفة علاقته بالعالم فما ذكر أنفاً من وقائع تاريخية تساعد في فهم موضوعات رسائل الإمام علي (عليه السلام) إلى أعدائه ومناوئيه التي يستعين بها القارئ لمعرفة ما يدور في فلكه، إذن المعارف مرتبة ومنظمة بطريقة خاصة وفق عالم خاص يلجأ إليها القارئ أثناء مواجهة نص من النصوص مع عدم إفقاد الحق في التماسك والانسجام، وهذا يعين على وجود ترابط بين مضمون الرسالة أو الوصية وما هو في الواقع.

### خامساً البنية الكبرى وقواعد البناء.

يهتم التحليل النصي بالبنية الكبرى المتحققة بالفعل، وقد عد (فان دايك) الأبنية الكبرى علاقات الربط وأوجهه التي تركز على النص بوصفه كلاماً موحداً وتتعلق بالوصف الدلالي للنص، وتتضمن أبنية الجمل والتتابعات التي تخضع لعمليات تحويلية<sup>(٣)</sup>، فهي إذن ذات طبيعة دلالية، إذ تصور ((الترابط الكلي ومعنى النص الذي يستقر على مستوى أعلى من مستوى القضايا الفردية. وبذلك يمكن أن يشكل تتابع كلي أو جزئي لعدد كبير من القضايا وحدة دلالية على مستوى أكثر عمومية))<sup>(٤)</sup>. وتعرف البنية الكبرى بأنها ((تمثيل تجريدي للدلالة الشاملة للنص))<sup>(٥)</sup>، وهذا يعني أن ((ما يسمى بالبنية الكبرى هو تلخيص لتلك التفاصيل ولا يحتفظ في البنية الكبرى سوى بالأهم والمفيد عند الإبلاغ))<sup>(٦)</sup>. وهنا يبرز دور المتلقي في اختيار العناصر المهمة التي يعبر بها عن البنية الكبرى، أي أن البنية الكبرى تختلف من شخص لآخر، وترتبط بالقضية التي يعبر عنها طريق الجمل المشكلة للنص؛ أي أنها تولد من صلب البنيات الصغرى وتسمح لمستعملي اللغة باستخلاص الاستنتاجات الضرورية أو المحتملة كذلك

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٥٢/١٨ (ك ٧٠).

(٢) لسانيات النص، محمد خطابي: ٣١١.

(٣) ينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك: ٧٤، العلاماتية وعلم النص، د. منذر عياشي: ١٥٨.

(٤) علم النص مدخل متداخل الاختصاص: ٧٥.

(٥) بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٣٧.

(٦) سيميائية النص الأدبي، أنور المرتجي: ٩٢.

تسمح له أيضا باكتشاف القضايا المفقودة التي تجعل النص متماسكا عن طريق المعرفة العامة أو المعرفة السياقية.

ويتم بناء البنية الكبرى بتطبيق مبدأ الاستلزام (التضمين) الدلالي الذي يعني ((أن كل بنية كبرى نصل إليها من خلال قواعد كبرى يجب أن تكون متضمنة دلاليا في جملتها داخل سلسلة القضايا التي تطبق عليها القاعدة))<sup>(١)</sup>. فهذه القواعد تساهم في بناء وحدات من سلاسل القضايا التي تساهم في بناء القضية الأعم، كذلك تعد عمليات القواعد الكبرى اختصارات للمعلومة الدلالية فهي تختزل وتقلل وتنظم المعلومات في البنية الصغرى<sup>(٢)</sup>، وقد حصرها (فان دايك) في أربع قواعد وأطلق عليها تسمية (القواعد الكبرى) (Macro Rules)<sup>(٣)</sup>. وفيما يلي عرض لهذه القواعد وتطبيقاتها على نصوص الرسائل والوصايا في نهج البلاغة.

١- قاعدة الحذف: وهذه القاعدة مألوفة إلى حد ما، وتتضمن أن كل معلومة غير مهمة أو غير جوهرية يمكن أن تحذف بوصفها ثانوية بالنسبة للمعنى أو لتفسير المستوى الأعلى، أي يحذف من النص كم من القضايا التي ليس لها وظيفة لتفسير القضايا التالية<sup>(٤)</sup>، ففي نص كتاب الإمام علي (عليه السلام) إلى معاوية: ((فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا، وَلَمْ يُصَبِّ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصًا عَلَيْهَا، وَلَهَجًا بِهَا، وَلَنْ يَسْتَفْنِي صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا، وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ فِرَاقٌ مَا جَمَعَ وَتَقْضٌ مَا أَبْرَمَ))<sup>(٥)</sup>. وبتطبيق قاعدة الحذف على هذا النص يكون النص بالشكل الآتي: ((إن الدنيا مشغلة عن غيرها))، فقد حذفت القضايا التي يحتاج إليها في تفسير القضايا اللاحقة، إذ إن القضايا المحذوفة تعد قضايا غير أساسية.

ومثل ذلك أيضا ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى الحارث الهمداني: ((وَتَمَسَّكَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَاسْتَنْصَحَهُ، وَأَحْلَى حَلَالَهُ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ))<sup>(٦)</sup>. عملت قاعدة الحذف في القضايا الثانوية التي يمكن حذفها من البنية الكبرى فيكون النص ((تمسك بحبل القرآن وانتصحه))، إذ نلاحظ أننا بتطبيقنا لهذه القاعدة نكون قد فقدنا بصورة مطلقة جزءا من المعلومات الصغرى.

٢- قاعدة الاختيار: وهي تتعلق باختيار القضايا الضرورية التي تساهم في تفسير القضايا الأخرى، إذ يحذف كم من المعلومات التي تعد فرضيات مسبقة، أو توابع لقضايا آخر، ويمكن أن تستعاد

(١) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ٨١.

(٢) ينظر: نفسه: ٧٨.

(٣) ينظر: نفسه: ٨١ - ٨٥.

(٤) ينظر: نفسه: ٨١.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/١٤ (ك ٤٩).

(٦) نفسه: ٤١/١٨ (ك ٦٩).

المعلومة المحذوفة ثانية بشكل محدد<sup>(١)</sup>، فيمكننا أن نحذف من كتابه (عليه السلام) إلى كميل بن زياد النخعي الذي ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالبا الغارة: ((فَقَدْ صِرْتَ جِسْرًا لِمَنْ أَرَادَ الْغَارَةَ مِنْ أَعْدَائِكَ عَلَى أَوْلِيَانِكَ، غَيْرِ شَدِيدِ الْمَنْكِبِ، وَلَا مَهِيْبِ الْجَانِبِ، وَلَا سَادِّ ثَغْرَةٍ، وَلَا كَاسِرِ لَعْدُوِّ شَوْكَةٍ، وَلَا مُغْنٍ عَنْ أَهْلِ مِصْرِهِ، وَلَا مُجْزِعٍ عَنْ أَمِيرِهِ))<sup>(٢)</sup>.

يمكن أن نحذف ((غير شديد المنكب، ولا مهيب الجانب، ولا ساد ثغرة، ولا كاسر لعدو شوكة، ولا مغن عن أهل مصره، ولا مجزع عن أميره)) لأن كونه جسرا لمن أراد الغارة من أعدائك على أوليائك يقضي إلى كل ما حذف من تراكيب لأنها مجرد فرضيات تابعة للقضية الأساسية التي لا يمكن ان تحذف من النص. كذلك يمكن أن نطبق هذه القاعدة على كتابه (عليه السلام) إلى المنذر بن الجارود العبيدي (وقد خان في بعض ما ولاه من اعماله) الذي جاء فيه: ((فَإِذَا أَنْتَ فِيْمَا رُقِيَ إِلَيَّ عَنكَ لَا تَدْعُ لِهَوَاكَ انْقِيَادًا، وَلَا تُبْقِي لِأَخْرَتِكَ عِتَادًا، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ أَخْرَتِكَ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ))<sup>(٣)</sup>. عملت قاعدة الاختيار في القضية الضرورية لبناء البنية الدلالية الكبرى وهي في قوله: ((تعمر دنياك بخراب آخرتك))، فإنها تفضي إلى القضايا الأخرى المحذوفة من النص وهي ((لا تدع لهواك انقيادًا ولا تبقي لآخرتك عتلا وتصل عشيرتك بقطيعة دينك)) لأن هذه القضايا الصغرى هي جزء من البنية الكبرى.

٣- قاعدة التعميم: تقوم هذه القاعدة على حذف المكونات الأساسية لتصوير ما، وتحل قضية جديدة محل قضية قديمة، ويمكن أن يحل محل عددٍ من التصورات التصور العلوي المشترك الذي يحدد الكم الكلي، ويتحقق من تعميمات هذا النمط ما يطلق عليه (التجريد)، إذ تصير السمات المميزة الخاصة بسلسلة من الموضوعات غير مهمة نسبياً<sup>(٤)</sup>. ففي وصية الإمام (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه السلام): ((اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيرَانًا فِيْمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَآكِرْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ، وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ مِنْ غَيْرِكَ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ))<sup>(٥)</sup>.

يمكن أن تحل محلها القضية ((عامل الناس كما تحب أن يعاملوك به)) لأنها تعد مفهوماً مشتملاً يتضمن تلك القضايا دلالية كذلك يمكن أن تحل محل القضايا في كتاب له (عليه السلام) إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة: ((فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ حَتَّى تَفِيءَ الشَّمْسُ مِنْ مَرِيضِ الْعَنْزِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بِيضَاءُ حَيَّةٍ فِي عَضْوٍ مِنَ النَّهَارِ حِينَ يَسَارُ فِيهَا فَرَسَخَانِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يَفْطُرُ الصَّائِمُ، وَيُدْفَعُ الْحَاجُّ إِلَى مَنْى،

(١) ينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ٨٢-٨٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤٩/١٧ (ك ٦١).

(٣) نفسه: ٥٤/١٨ (ك ٧١).

(٤) ينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ٨٣-٨٤.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٨٤/١٦ (و ٣١).

وَصَلُّوا بِهِمُ الْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ، وَصَلُّوا بِهِمُ الْغَدَاةَ وَالرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ))<sup>(١)</sup>. فمن الممكن أن تحل محلها قضية ((صلوا الصلاة في وقتها الموقت لها)) لأن كل القضايا المذكورة في النص تتضمنها مفهوماً هذه القضية العامة.

٤- قاعدة التركيب أو الإدماج: يرى (فان دايك) أن هذه القاعدة ذات أهمية كبرى للقواعد الأخرى، وهي تشبه إلى حد ما قاعدة الاختيار، إلا أنها تعمل بوساطة الاستبدال أي أن تحل معلومة جديدة محل أخرى قديمة لا تحذف ولا تختار، أي تستنبط بصورة عقلية لبناء تصورات أعم<sup>(٢)</sup>، كما في قوله (عليه السلام) في وصيته لابنه الحسن (عليه السلام) في وصف الله سبحانه وتعالى: ((وَلَكِنَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَلَا يَزُولُ أَبَدًا وَلَمْ يَزَلْ، أَوَّلُ قَبْلِ الْأَشْيَاءِ بِلا أَوْلِيَّةٍ، وَآخِرُ بَعْدِ الْأَشْيَاءِ بِلا نِهَائَةٍ))<sup>(٣)</sup>. فمن الممكن تلخيص هذه السلسلة من القضايا وادماجها في قضية واحدة هي: ((إن الله سبحانه وتعالى هو الأول والأخر)) لبناء تصور أعم يصف هذه الحال الشاملة لله سبحانه وتعالى ويمكن أن تطبق هذه القاعدة أيضاً في قوله (عليه السلام) وصية له لعبد الله بن العباس (ك) لبعثه للاحتجاج على الخوارج: ((لَا تُخَاصِمُهُمُ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَلٌ ذُو وُجُوهِ، تَقُولُ وَيَقُولُونَ... وَلَكِنْ حَاجَّجْهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصًا))<sup>(٤)</sup>.

إذ تدمج سلسلة القضايا لبناء تصور أعم وأعلى في قولنا: ((حاججهم بالسنة لا بالقرآن)) إذ حددت سلسلة القضايا مجملة في هذه القضية فهذه القاعدة - هنا - مهمة إلى حد ما لأن مفهوم ((الحجاج بالسنة)) يوجب أن تذكر سلسلة من المكونات الضرورية لهذا المفهوم، حتى يمكن أن يستنبط هذا الرابط من النص. إن تطبيق هذه القواعد ينتج عنه ((اختصار للنص، موجز يفهم على أنه تشكيل فعلي مباشر للبنية الكبرى. ويقر (فان دايك) بأن القواعد يمكن - تبعاً للسياق وللمتلقي وموقفه الإدراكي - أن تطبق بصورة متباينة. ومن الممكن أيضاً تبعاً لذلك أن يكون لنص ما وللنص ذاته أوجه اختصار متباينة))<sup>(٥)</sup>. ويؤكد (فان دايك) بأن هذه القواعد لا يجب أن تطبق بشكل منطقي صارم؛ بل بشكل استقرائي<sup>(٦)</sup>. ومن الناحية الشكلية يرى (فان دايك) أن القاعدتين (الحذف والاختيار) هما للإلغاء (الحذف)، أما القاعدتان (التعميم والتركيب) فتختصان (بالاستبدال)<sup>(٧)</sup>، إذ ((تمكننا القواعد من أن نقرر بدقة إلى حد ما ما هو رئيسي وما هو ثانوي، تبعاً لمعنى النص في مجمله. وحين يمكن أن تنشأ بيتان

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٢/١٧ (ك ٥٢).

(٢) ينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ٨٤-٨٥.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧٧/١٦ (و ٣١).

(٤) نفسه: ٧١/١٨ (و ٧٧).

(٥) التحليل اللغوي للنص: ٦٩.

(٦) ينظر: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ٨٥.

(٧) ينظر: نفسه: ٨١.



كبيرتان عند استخدام القاعدة في المستوى ذاته، فإننا نتحدث عن نص أكبر – متعدد المعنى، حيث نريد أن نقول بذلك إن تفسيرين صحيحين ممكنان على الأقل من الناحية الشكلية))<sup>(١)</sup>.  
 فاستطاع (فان دايك) أن يثبت أن البنية الكبرى تؤدي في نموذج سيكولوجي لعملية فهم النص أثرا جوهريا<sup>(٢)</sup>. وعليه فإن أثر البنية الكبرى في النص هو تحقيق الانسجام النصي، يظهر ذلك في رد فعل القارئ أو المستمع، وعدم قبوله للنص لأنه يفتقر إلى بنية كلية تجمع شتاته وتوحد مقاطعه.

### سادسا وحدة الموضوع بين النصوص.

من مظاهر الانسجام بين النصوص المدروسة هو التوافق الحاصل بين بعض نصوص الرسائل وينطلق هذا الفهم من ((الفرض القائل بأن للنصوص نواة موضوعية، موضوع يبسط حسب مبادئ معينة (موجهة آخر الأمر توجيها اتصاليا) حول المضمون الكلي للنص))<sup>(٣)</sup>، ويعرف موضوع النص بأنه ((الصياغة الملخصة إلى أبعد حد لمضمون النص))<sup>(٤)</sup>. وعليه فإن قراءة لنصوص الرسائل والوصايا في نهج البلاغة تقودنا إلى استشعار وحدة الموضوع مع اختلاف الأسلوب بين بعض النصوص، إذ تدور حول موضوعات وقضايا معينة كقضية قتل عثمان، الرعية، الصدقات، العبادات والبيعة،... إلخ، وقد يكون حول شخصية معينة تكون هي البؤرة المركزية لمضمون النصوص.

إن تحديد الموضوع ((تابع للفهم الكلي الذي يستخلصه القارئ المعين من النص. / ذلك الفهم الكلي يحدده بشكل حاسم المقصد المخمن لدى (الباث)، أي القصد التواصلية الذي اتبعه المتكلم / الكاتب بنصه حسب رأي المتلقي))<sup>(٥)</sup>. فعادة النص يضم موضوعات عدة لكل منها أهمية خاصة في واقع النص؛ لكن بمقارنته مع النصوص الأخرى يمكن أن نضع أيدينا على الموضوع الأساس فيها جميعا ((فالموضوع الذي ينسجم انسجما أمثلا مع وظيفة النص المكتشفة على أساس تحليل (براجماتي) للنص))<sup>(٦)</sup>.

وسنقف عند النصوص الآتية لإظهار مدى انسجامها وتلاؤمها مع بعضها ضمن تناول موضوعين بوصفهما أنموذجا لوحدة الموضوع الأول: تمثل في بعض الرسائل المرسله إلى معاوية التي ركزت على قضية مهمة وهي قضية مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان؛ إذ صرحت هذه الرسائل على براءة الإمام (عليه السلام) من دمه وإلحاح معاوية على توجيه الاتهام إلى الإمام (عليه السلام) بدعوى المطالبة بالتأروقد رأى

(١) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات: ٨٧.

(٢) ينظر: التحليل اللغوي للنص: ٦٩.

(٣) نفسه: ٧٢.

(٤) نفسه: ٧٣.

(٥) نفسه: ٧٤.

(٦) نفسه: ٧٥.

أن مقتل عثمان يفيد في أمرين الأول: يفتح له المجال للوصول إلى الخلافة والآخر: أن يتم الإمام (عليه السلام) بدمه فيكون ذلك ذريعة لحربه والتخلص منه<sup>(١)</sup>.

وفيما يأتي سرد لنصوص الرسائل التي ركزت على هذه القضية فمن كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية: ((وَلَعَمْرِي يَا مُعَاوِيَةَ لِنِنَّ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ، لَتَجِدَنِي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عَزْلَةٍ عَنْهُ، إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى فَتَجُنَّ مَا بَدَأَ لَكَ))<sup>(٢)</sup>.

وقوله في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية: ((وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتْلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ، فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَلَمْ أَرَهُ يَسْعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلَا إِلَىٰ غَيْرِكَ، وَلَعَمْرِي لِنِنَّ لَمْ تَنْزِعْ عَنِّيكَ وَشِقَاقِكَ، لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَن قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ، لَا يُكَلِّفُونَكَ طَلِبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ، وَلَا جَبَلٍ وَلَا سَهْلٍ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبَ يَسُوءُكَ وَجَدَانَهُ، وَزُورَ لَا يَسُرُّكَ لِقْيَانَهُ))<sup>(٣)</sup>.

وقوله في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية: ((وَوَعَمْتُ أَنْكَ جِئْتُ تَائِرًا بِدَمِ عُثْمَانَ وَلَقَدْ عَلِمْتُ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ، فَاطْلُبُهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِبًا، فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِحُ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيحُ الْجَمَالِ بِالْأَثْقَالِ وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي جَزَعًا مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ، وَالْقَضَاءِ الْوَاقِعِ، وَمَصَارِعِ بَعْدَ مَصَارِعِ، إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ، أَوْ مُبَايَعَةٌ حَائِدَةٌ))<sup>(٤)</sup>.

وقوله في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية جوايا وهو من محاسن الكتب: ((ثُمَّ ذَكَرْتُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ، فَلَمْ أَنْ تَجَابَ عَن هَذِهِ لِرَحْمِكَ مِنْهُ؛ فَإِنَّا كَانَ أَعْدَىٰ لَهُ، وَأَهْدَىٰ إِلَىٰ مَقَاتِلِهِ أَمَّنْ بَدَلْ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكْفَهُ، أَمْرٌ مِنْ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاحَىٰ عَنْهُ وَبَثَّ الْمُنُونِ إِلَيْهِ؛ حَتَّىٰ أَتَىٰ قَدْرُهُ عَلَيْهِ كَلَا وَاللَّهِ لَقَدْ ﴿يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْقُوقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَانِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾. وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقَمُ عَلَيْهِ أَحَدًا؛ فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهَدَايَتِي لَهُ فَرُبَّ مُلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ. وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظَّنَّةُ الْمُتَنَصِّحُ. وَمَا أَرَدْتُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ))<sup>(٥)</sup>.

وقوله (عليه السلام) في كتاب له إلى معاوية: ((فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَشَدَّ لِرُؤْمِكَ لِلْأَهْوَاءِ الْمُبْتَدِعَةِ، وَالْحَيْرَةِ الْمُتَبَعَةِ، مَعَ تَضْيِيعِ الْحَفَائِقِ وَاطِّرَاحِ الْوَتَائِقِ، الَّتِي هِيَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ طَلِبَةٌ، وَعَلَىٰ عِبَادِهِ حُجَّةٌ، فَأَمَّا إِكْتَارُكَ الْحِجَاجِ عَلَىٰ عُثْمَانَ وَقَتْلَتِهِ، فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ، وَخَدَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ. وَالسَّلَامُ))<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: تصنيف نهج البلاغة، لبيب بيضون: ٤٤٨.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٣٥/١٤ (ك ٦).

(٣) نفسه: ٤٧/١٤-٤٨ (ك ٩).

(٤) نفسه: ٧٩/١٥ - ٨٠ (ك ١٠).

(٥) نفسه: ١٨٣/١٥ (ك ٢٨).

(٦) نفسه: ١٥٣/١٦ (ك ٣٧).

وقوله (عليه السلام) في كتاب له إلى معاوية جواباً: ((وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قِتْلَةِ عُثْمَانَ، فَادْخُلْ فِيهَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ، ثُمَّ حَاكَمَ الْقَوْمَ إِلَيَّ أَحْمَلُكَ وَيَأْهُمُ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ))<sup>(١)</sup>.

وقوله في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية أيضاً: ((فَقَدْ أَنْ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْحِ الْبَاصِرِ مِنْ عِيَانِ الْأُمُورِ، فَلَقَدْ سَلَكْتَ مَدَارِجَ أَسْلَافِكَ بِادِّعَائِكَ الْأَبَاطِيلَ، وَافْتِحَامِكَ غُرُورِ الْمَيِّنِ وَالْأَكَاذِبِ، مِنْ انْتِحَالِكَ مَا قَدْ عَلَا عَنْكَ وَابْتِزَاكَ لِمَا قَدْ اخْتَزَنَ دُونَكَ، فِرَارًا مِنَ الْحَقِّ، وَجُحُودًا لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ وَدَمِكَ، مِمَّا قَدْ وَعَاهُ سَمْعُكَ، وَمَلَى بِهِ صَدْرُكَ، فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ، وَبَعْدَ الْبَيَانِ إِلَّا اللَّبْسُ فَاحْذَرِ الشُّبُهَةَ وَاشْتِمَالَهَا عَلَى لُبْسَتِهَا، فَإِنَّ الْفِتْنَةَ طَالَمَا أَعْدَفَتْ جَلَابِيئَهُ، وَأَغَشَتْ الْأَبْصَارَ ظَلَمَتِهَا))<sup>(٢)</sup>.

وقوله (عليه السلام) في كتاب له إلى معاوية في أول ما بويع له: ((فَقَدْ عَلِمْتَ إِعْذَارِي فِيكُمْ، وَإِعْرَاضِي عَنْكُمْ حَتَّى كَانَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا دَفْعَ لَهُ، وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ، وَالْكَلَامُ كَثِيرٌ، وَقَدْ أَدْبَرَ مَا أَدْبَرَ، وَأَقْبَلَ مَا أَقْبَلَ، فَبَايَعَ مِنْ قِبَلِكَ، وَأَقْبَلَ إِلَيَّ فِي وَفْدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ))<sup>(٣)</sup>. والآخر تمثل في ثلاثة نصوص لمتلقين مختلفين إلا أنها تتركز حول موضوع واحد ألا وهو بيان شخصية احدى الشخصيات الموالية للإمام علي (عليه السلام) هو (مالك بن الحارث الأشتر) وفيما يأتي ذكر لهذه النصوص:

النص الأول: من كتاب له (عليه السلام) إلى أميرين من أمراء جيشه: ((وَقَدْ أَمَرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلَى مَنْ فِي حَيْزِكُمَا مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْتَرِ، فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا، وَاجْعَلَاهُ دِرْعًا وَمِجَنًّا، فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَا يَخَافُ وَهَنْهُ وَلَا سَقَطَتْهُ، وَلَا بَطُوهُ عَمَّا الْإِسْرَاعَ إِلَيْهِ أَحْزَمُ، وَلَا إِسْرَاعَهُ إِلَى مَا الْبُطَاءُ عَنْهُ أَمْثَلُ))<sup>(٤)</sup>.

والنص الثاني من كتاب له (عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكرٍ ما بلغه توجده من عزله بالأشتر عن مصر ثم توفي الأشتر في توجهه إلى مصر، قبل وصوله إليها جاء فيه: ((إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتُ وَلِيِّتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كَانَ رَجُلًا لَنَا نَاصِحًا، وَعَلَى عِدُونَا شَدِيدًا نَاقِمًا، فَرَحِمَهُ اللَّهُ فَلَقَدْ اسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ، وَلَا قَى حِمَامَهُ، وَنَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ، وَأَوْلَادُ اللَّهِ رِضْوَانُهُ، وَضَاعَفَ الثَّوَابَ لَهُ))<sup>(٥)</sup>.

والنص الثالث: ما جاء في كتاب له إلى أهل مصر، ما نقله عنهم الأشتر (رحمه الله): ((أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، لَا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ، وَلَا يَنْكُلُ عَنِ الْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ، أَشَدَّ عَلَى الْفُجَارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَدْحَجٍ، فَاسْمَعُوا لَهُ، وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقُّ، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سِيُوفِ اللَّهِ، لَا كَلِيلَ الطُّبَّةِ، وَلَا نَابِي الضَّرِيْبَةِ، فَإِنْ أَمْرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا، وَإِنْ أَمْرَكُمْ أَنْ تَقِيمُوا، فَاقِيمُوا،

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٥١/١٧ (ك ٦٤).

(٢) نفسه: ٢٢/١٨ (ك ٦٥).

(٣) نفسه: ٦٨/١٨ (ك ٧٥).

(٤) نفسه: ٩٨/١٥ (ك ١٣).

(٥) نفسه: ١٤٢/١٦ (ك ٣٤).

فَإِنَّهُ لَا يُقَدِّمُ وَلَا يُحْجِمُ، وَلَا يُؤَخِّرُ وَلَا يُقَدِّمُ، إِلَّا عَنْ أَمْرِي، وَقَدْ أَثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ،  
وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ<sup>(١)</sup>.

وهكذا كانت وحدة الموضوع مظهرا من مظاهر الانسجام ليس على مستوى النص الواحد، وإنما يتجاوز ذلك ليكون على مستوى مجموعة من النصوص مما حقق ترابطا بين نصوص نهج البلاغة حتى وإن كان متلقي هذه النصوص مختلفا.

وختلما نقول إن رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه في ضوء ما تقدم من مظاهر الانسجام المتنوعة الجوانب ومبادئه امتازت بكون هذه النصوص غنية لغويا ودلاليا وقد استطاع الإمام من خلالها التأثير في المتلقين وتحريك مشاعرهم، بما انمازت به لغته وأسلوبه التي جاءت منسجمة مع طبيعة متلقي نصوصه وظروفها وموضوعاتها فتجاوز بذلك حد النص الواحد ليشمل عددا من النصوص جاءت منسجمة ومترابطة مع بعضها بعضا لتقدم فكرة موحدة أو موضوعا واحدا يجمع شتات هذه النصوص، فهنا أخذ الانسجام النصي في الرسائل والوصايا بعدا دلاليا فرقه عن شريكه في التماسك ألا وهو الاتساق النصي الذي كان ضمن حدود النص الواحد طال أو قصر إذ لا يتجاوز حدود التماسك إلى أبعد من ذلك (النص).

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥٦/١٦ (ك ٣٨).



## أولاً : العلاقات الدلالية .

إذا كانت القضايا هي لبنات النص فإن البحث في علاقاتها لا بد منه، إذ إنه يتعلق بالروابط التي تحكم هذه اللبنة، فالربط بين الجمل هو الذي يكشف عن الطريقة التي نفهم بها العلاقات التحتية في أي نص<sup>(١)</sup>.

ويشير (فان دايك) إلى أن عملية الربط بين قضايا النص لا يقتصر على العلاقات الدلالية بين الجمل، ولكنها تعتمد على العلاقات الإحالية أيضاً وذلك في ضوء ارتباط هذه القضايا بوقائع في العالم الخارجي وارتباطها بسياق معين ((ترتبط قضيتان بعضهما ببعض حين ترتبط معانيها الإحالية: أي أن تكون الوقائع التي تحيل إليها القضايا في تفسيرها مرتبطة ببعضها ببعض))<sup>(٢)</sup>. فالسامع لا يستطيع ((أن يربط بين القضايا جميعاً ببعضها البعض في أثناء عملية الفهم، فحين ترابط أحوال الموضوعات التي عينت القضايا لها في التفسير حينئذ فقط؛ يستطيع المفسر أن يجري ربطاً مفيداً لتلك القضايا))<sup>(٣)</sup>، وقد تم التركيز في هذا الجزء من البحث على العلاقات الرابطة بين أجزاء النص ولاسيما العلاقات الدلالية؛ لأنها ((علاقات لا يكاد يخلو منها نص يحقق شرطي الإخبارية والشفافية مستهدفاً تحقيق درجة معينة من التواصل سالكا في ذلك بناءً اللاحق على السابق، بل لا يخلو منها أي نص يعتمد الربط القوي بين أجزائه))<sup>(٤)</sup>، فتعمل هذه العلاقات على تنظيم الأحداث والأعمال داخل بنية النص<sup>(٥)</sup>، وتجمع بين أطراف النص وتربط بين متوالياته دون بدو وسائل شكلية تعتمد في ذلك عادة<sup>(٦)</sup>؛ لأن هذه العلاقات هي وحدها التي تجعل النص مترابطاً

وتتميز هذه العلاقات بالحضور والغياب على مستوى النص؛ ذلك أن النص هو الذي يفرض ظهور أنواع معينة من العلاقات الدلالية دون غيرها متحكمة فيه ((مجموعة من العوامل المصاحبة مثل شخصية كل من المرسل والمستقبل، وطبيعة الفكرة المثارة في الرسالة، والسياق الثقافي والاجتماعي لذلك العصر))<sup>(٧)</sup>، وعليه فإن البحث عن الإنسجام النصي يحيلنا إلى مجموعة من العلاقات الدلالية التي تم رصدها في نصوص الرسائل والوصايا، كما موضح في الجدول الآتي<sup>(\*)</sup>:

(١) ينظر: علم لغة النص، د. عزة شبل محمد: ١٨٧.

(٢) علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات: ٥٣.

(٣) مدخل إلى علم لغة النص، فولفجانج هايفه مان وديتر فيمفجر: ٣٩.

(٤) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٢٦٩.

(٥) ينظر: لسانيات النص: نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، أحمد مداس: ٨٣.

(٦) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٢٦٨.

(٧) نظرية علم النص: ١٣٨.

(\*) يمكن متابعة تفصيلات هذه العلاقات في الملحق الخاص بها: ٣٠٨ - ٣١٠.

نوع العلاقة	عدد مرانها في الرسائل	عدد مرانها في الوصايا	المجموع
الإضافة (الاستقصاء)	١٦٣	٤٠	٢٠٣
الاستثناء	٧٠	١٩	٨٩
الشرط وجوابه	٤٦	٣٩	٨٥
التضاد	٥٦	١٤	٧٠
إعادة الصياغة	٥٠	١٨	٦٨
السبب بالنتيجة	٥٢	١٤	٦٦
البديل	٣٧	١٢	٤٩
التمثيل	٢٦	١٣	٣٩
الإجمال والتفصيل	٢٥	٢	٢٧
القسم وجوابه	١٥	١	١٦
السؤال والجواب	١٥	١	١٦
التفسير والبيان	٣	١	٤
التتابع المفاجئ	٢	١	٣

ونلاحظ في هذه العلاقات أنها تصنف على نوعين: علاقات اتصال وعلاقات انفصال<sup>(١)</sup>، وعليه يمكن أن نصنف العلاقات الدلالية في الرسائل والوصايا إلى علاقات الاتصال وتشمل: (الإضافة (الاستقصاء) الشرط وجوابه، إعادة الصياغة، السبب بالنتيجة، التمثيل، الإجمال والتفصيل، القسم وجوابه، السؤال والجواب، التفسير والبيان). وعلاقات الانفصال وتشمل: (الاستثناء، التضاد، البديل، التتابع المفاجئ). وسوف نقف عند هذه العلاقات لتلمس أثرها في انسجام نصوص الرسائل والوصايا في نهج البلاغة.

### ومن العلاقات الدلالية:

(١) **علاقة الإضافة (الاستقصاء):** تعد علاقة الإضافة من العلاقات الأساسية التي يتم بها بناء النص، ويقصد بها ((تصعيد المعنى والوصول به إلى غايته))<sup>(٢)</sup>، فمع كل ورود لها يقدم الإمام علي (عليه السلام) جزءاً جديداً مكمل للجزء السابق عليه، بمعنى أنه عندما يطرق معنى معين فإنه يستقصي كل ما من شأنه تأدية هذا المعنى.

وهي من أكثر العلاقات الدلالية حضوراً في نصوص الرسائل والوصايا، ولعل السبب في ذلك ((ارتباط هذه العلاقة بإحدى آليات السبك (Cohesion) المعروفة في الكتابات العربية وهي السجع

(١) ينظر: علم لغة النص، د. عزة شبل محمد: ١٨٩.

(٢) نظرية علم النص: ١٣٨.

والجناس... لكن السجع أو الجناس وحدهما يميلان بالنص إلى التصنع الممقوت؛ فكان لزاماً أن يرتبطا بأساس دلالي يعطي مشروعية لوجودهما، ويتحولاً من مجرد صنعة لفظية إلى تدعيم للمعنى<sup>(١)</sup>. ويظهر أثر علاقة الإضافة (الاستقصاء) في تحقيق التماسك الدلالي في النصوص المدروسة بقيامها:

#### (أ) بناء المقاطع الوصفية.

سجلت علاقة الإضافة حضوراً بارزاً في الكثير من نصوص الرسائل والوصايا ولاسيما في وصف الشخصيات أو الأشياء التي يدور النص حولها، وفي إدخال معلومات جديدة إلى النص تسهم في بنائه، إذ تساعد ((علاقة الإضافة في بناء نموذج ذهني للمراجع التي تقدمها... في تتابع تراكمي))<sup>(٢)</sup>. من ذلك ما قاله في كتاب له (الكتيبات) إلى أهل مصر لما ولى عليهم الأشتر (رحمه الله): ((فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، لَا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ، وَلَا يَنُكَلُّ عَنِ الْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ، أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ، فَاسْمَعُوا لَهُ، وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ، فِيمَا طَابَقَ الْحَقُّ، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سِيُوفِ اللَّهِ، لَا كَلِيلَ الظُّبَّةِ، وَلَا نَابِي الضَّرِيْبَةِ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَاقِيمُوا، فَإِنَّهُ لَا يُقَدِّمُ وَلَا يُحْجِمُ وَلَا يُؤَخِّرُ وَلَا يُقَدِّمُ إِلَّا عَنْ أَمْرِي))<sup>(٣)</sup>.

يقوم هذا النص على نواة مركزية وهي وصف شخصية مالك بن الحارث الأشتر والمراجع التي رصفها ترتبط ببعضها ببعض بالمصاحبة المعجمية، فنجد ذكر: (الأعداء، ساعات الروع، حريق النار، اطيعوا أمره، سيف من سيوف الله، لا كليل الظبة، لا نابي الضريبة، امركم، الإنفار، الإقامة، الإقدام، الإحجام)، فأكملت هذه الألفاظ صورة شخصية مالك بن الأشتر القتالية، ويمكن تمثيل ذلك بالمخطط الآتي:

(١) نظرية علم النص: ١٣٨.

(٢) علم لغة النص، د. عزة شبل محمد: ٢٠٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥٦/١٦ (ك ٣٨).



	٣م	٢م	١م
		١ق	بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عِبَادًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ
	علاقة	٢ق	لَا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ
	الاستقصاء (ك/١)	٣ق	وَلَا يَنْكُلُ عَنِ الْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ
		٤ق	أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ
	علاقة	١ق	وَهُوَ مَالِكٌ بِنِ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ
	الاستقصاء (ك/٢)	٢ق	فَاسْمَعُوا لَهُ
		٣ق	وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ
	علاقة	١ق	فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ
علاقة	الاستقصاء (ك/٣)	٢ق	لَا كَيْلُ الطَّبَةِ
		٣ق	وَلَا نَابِي الضَّرِيَّةِ
	علاقة	١ق	فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا
	الاستقصاء (ك/٤)	٢ق	وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَقِيمُوا فَاقِيمُوا
		١ق	فَإِنَّهُ لَا يَقْدَمُ
	علاقة	٢ق	وَلَا يُحْجَمُ
	الاستقصاء (ك/٥)	٣ق	وَلَا يُؤَخَّرُ
		٤ق	وَلَا يَقْدَمُ

لقد ساعدت علاقة الاستقصاء الإمام علي (عليه السلام) على استقصاء كل الصفات المتعلقة بمالك ومثل ذلك قوله في كتاب له (عليه السلام) إلى سهل بن حنيف الأنصاري وهو عامله على المدينة (في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية): ((فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِمَّنْ قَبْلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إِلَيَّ مُعَاوِيَةَ، فَلَا تَأْسَفْ عَلَيَّ مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ، فَكْفَى لَهُمْ غِيًّا، وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِيًّا، فِرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ، وَإِيضَاعُهُمْ إِلَيَّ الْعَمَى وَالْجَهْلِ، فَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا، وَمُهْطِعُونَ إِلَيْهَا، وَقَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَرَأَوْهُ، وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أَسْوَةٌ، فَهَرَبُوا إِلَى الْأَثَرَةِ، فَبُعِدَا لَهُمْ وَسُحْقًا))<sup>(١)</sup>.

تركز الحديث في هذا النص حول هؤلاء القوم من أهل المدينة باستقصاء صفاتهم التي تتناسب مع تحول موقفهم من طريق الحق إلى طريق الضلال، فجاءت علاقة الإضافة ضرورية لبناء هذا النص إذ اكملت صورة هذا النموذج الذهني عند المتلقي لشخصية هؤلاء القوم من أهل المدينة عبر مجموعة من الإضافات ويمكن توضيح ذلك بالمخطط الآتي:

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٥٢/١٨ (ك ٧٠).



نلاحظ -هنا- كيف يعتمد النص على علاقة الإضافة في بناء المقاطع الوصفية، وكيف يستعان بتلك العلاقة في إدخال معلومات جديدة تسهم في بناء الوصف، وقد تخلل هذا العرض للأوصاف السجع فقد أراد الإمام علي (عليه السلام) الإمتاع الصوتي المقترن بالدعم الدلالي المناسب لجذب انتباه القارئ للصياغة التي لا تخلو من صنعة لفظية بوصفها وسيلة للإقناع.

#### (ب) الربط بين جمل القول.

تقوم علاقة الإضافة بوظيفة الربط بين جمل القول في النص من خلال إضافة قول إلى قول آخر، فيسهم ذلك في إطالة النص وبنائه ككل واحد، على نحو ما نجده في قوله في كتاب له (عليه السلام) لشرح بن الحارث قاضيه: ((رُوي أَنَّ شَرِيحَ بْنَ الْحَارِثِ قَاضِيَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) اشْتَرَى عَلَى عَهْدِهِ دَارًا بِثَمَانِينَ دِينَارًا، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ، فَاسْتَدْعَى شَرِيحًا، وَقَالَ لَهُ: بَلِّغْنِي أَنَّكَ ابْتَعْتَ دَارًا بِثَمَانِينَ دِينَارًا، وَكَتَبْتَ لَهَا كِتَابًا، وَأَشْهَدْتَ فِيهِ شُهُودًا. فَقَالَ لَهُ شَرِيحٌ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ فَانْظُرْ إِلَيْهِ نَظْرَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا شَرِيحُ: أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لَا يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ، وَلَا يَسْأَلُكَ عَن بَيْنَتِكَ، حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصًا، وَيُسَلِّمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصًا، فَانْظُرْ يَا شَرِيحُ لَا تَكُونَ ابْتَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ))<sup>(١)</sup>.

إن هذا النص يشكل الوسيلة التي تنقل حوارية موضوع البيع والشراء بين الإمام علي (عليه السلام) وقاضيه شريح فتعد علاقة الإضافة الأداة في نقل نص الرسالة من البعد الشفاهي إلى البعد الكتابي، فقد كان التتابع القولي المرتبط بظهور الشخصيات وسيلة من وسائل الربط على مستوى النص، إذ مثل

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٧/١٤ (ك ٣).

هذا النص ظهور ثلاث شخصيات الأولى: شخصية الراوي وهذا نستشعره من الجملة الأولى المفتوح بها النص: (روي أن) وقوله: ((قال: فنظر إليه نظرة مغضب))، الثانية: شخصية الإمام علي (عليه السلام) وهي ظاهرة في قوله: ((فاستدعاه وقال له: بلغني...))، وقوله: ((ثم قال له: يا شريح...))، الثالثة: شخصية القاضي وهي متمثلة في قوله: ((فقال له شريح: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين))، فيربط التتابع القولي في هذا النص بين هذه الشخصيات على وفق الفهم المشترك بين المتكلم والمتلقي، فالإمام علي (عليه السلام) والقاضي شريح قريبان من الحدث: لأنه ((كلما كان المتكلم والمتلقي قريبين من حيث الزمان والمكان والأعراف الاجتماعية، كان ذلك أدعى إلى وضوح علاقات الارتباط العرفية، مما يؤدي إلى فهم المتلقي المعنى الدلالي العام))<sup>(١)</sup>. ومثل هذه العلاقة بين الأقوال ما جاء في كتاب له إلى معاوية جواباً على كتاب منه إليه: ((وَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ، فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأَعْطِيكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسَ وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَّتْ، أَلَا وَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ، وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَالرِّجَالِ، فَلَسْتُ بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنِّْي عَلَى الْيَقِينِ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ، وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنْأَفٍ فَكَذَلِكَ نَحْنُ...))<sup>(٢)</sup>.

أتاحت علاقة الإضافة تتابع جمل القول بإضافة القول الأول إلى القول الثاني إذ تعد أداة ربط نصية بين مقاطع الأقوال مما أسهمت في إطالة النص واستقصاء ما يتصل بهذه الأقوال وكانت أداة من أدوات التنوع في النص وذلك لارتباطها بظهور الشخصيات المتمثلة بشخصية الإمام (عليه السلام) وشخصية معاوية، وقد تمثل القول الأول في قوله. وأما قولك ((إننا بنو عبد مناف، والقول الثاني: ((فكذلك نحن...)))).

### (ج) التتابع الحركي داخل النص.

تمثل علاقة الإضافة بين الجمل صورة أخرى من صور التتابع هي التتابع الزماني والمكاني داخل النص، ويتمثل التتابع الزمني بالانتقال من زمان إلى آخر، كما في قوله (عليه السلام) في كلام له قاله قبيل موته على سبيل الوصية، لما ضربه ابن ملجم لعنه الله: ((أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَالْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَدًا مُفَارِقُكُمْ))<sup>(٣)</sup>.

لقد ذكر الإمام علي (عليه السلام) أزمنة مختلفة ومتعاقبة واستعملها لوصف حالة الانتقال من مرحلة إلى أخرى أو من حياة الدنيا إلى حياة الآخرة، فجمع الإمام (عليه السلام) الأزمان الثلاثة (الأمس، واليوم، والغد) في مكان واحد ليشير بها إلى مراحل حياته (عليه السلام)، فالأمس يشمل كل الأزمان التي عاشها (عليه السلام) قبل حادثة قتله، أما اليوم فيشير إلى الزمان الحاضر وهو إنما قال فيه: (عبرة لكم): لأن الناس يرونه صريعاً

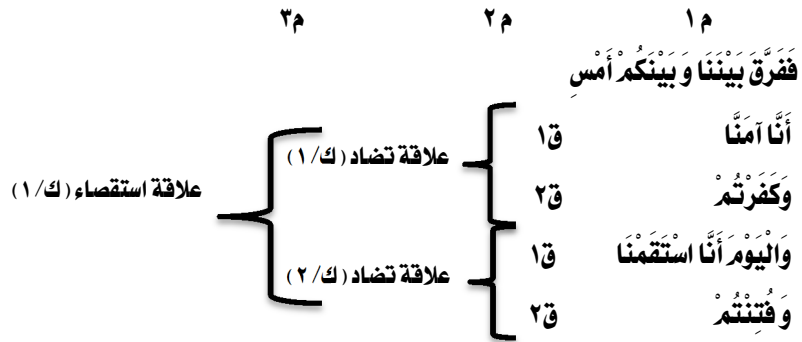
(١) نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية: ١٠٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥ / ١١٧ (ك ١٧).

(٣) نفسه: ١٥ / ١٤٣ (و ٢٣).

بين أيديهم بعد ان اعتادوه يقتل الأقران، ويصرع الأبطال، أما قوله (غدا) ففيه إشارة إلى الزمان المستقبل وقد وظفها الإمام (عليه السلام) للإشارة إلى الحياة الآخروية وذلك لعلمه بانقضاء حياته بسبب ضربة ابن ملجم. ومثله أيضا قوله (عليه السلام) في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية جوابا: ((أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى مَا ذَكَرْتُمْ مِنَ الْأَلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَفَرَّقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَمْسِ أَمَّا أَنَا وَكَفَرْتُمْ، وَالْيَوْمَ أَنَا اسْتَقَمْنَا وَفُتِنْتُمْ))<sup>(١)</sup>.

وقع التتابع الزمني بين لفظتي (الأمس، واليوم) فيشير (الأمس) إلى زمن بداية الدعوة النبوية في حياة النبي محمد (ﷺ)، وأشار لفظ (اليوم) إلى عهد الإمام علي (عليه السلام) بالخلافة بولايته أمور المسلمين، وقد قوى دلالة علاقة الإضافة علاقة أخرى توافرت معها هي علاقة التضاد بين قضيتين، بين الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية وقد أسهمت هذه العلاقات في إظهار التماسك الدلالي في النص ببيان الاختلاف بين الموقفين كما يوضحه المخطط الآتي:



فلنلاحظ في هذا المخطط أن مجموعة من البنى الصغرى في المستوى الأول قد تداخلت فيما بينها علاقات التضاد فأنتجت بنيتين كبيرتين في المستوى الثاني، وبنى المستوى الثاني ترتبط فيما بينهما بعلاقة استقصاء، وهكذا من خلال التعاقد الدلالي تتقلص بنى النص إلى بنية كبرى واحدة في المستوى الثالث ممثلة قمة الهرم الدلالي، فأسهمت علاقة الإضافة بقيام التتابع الزمني في بناء المعنى العام للنص.

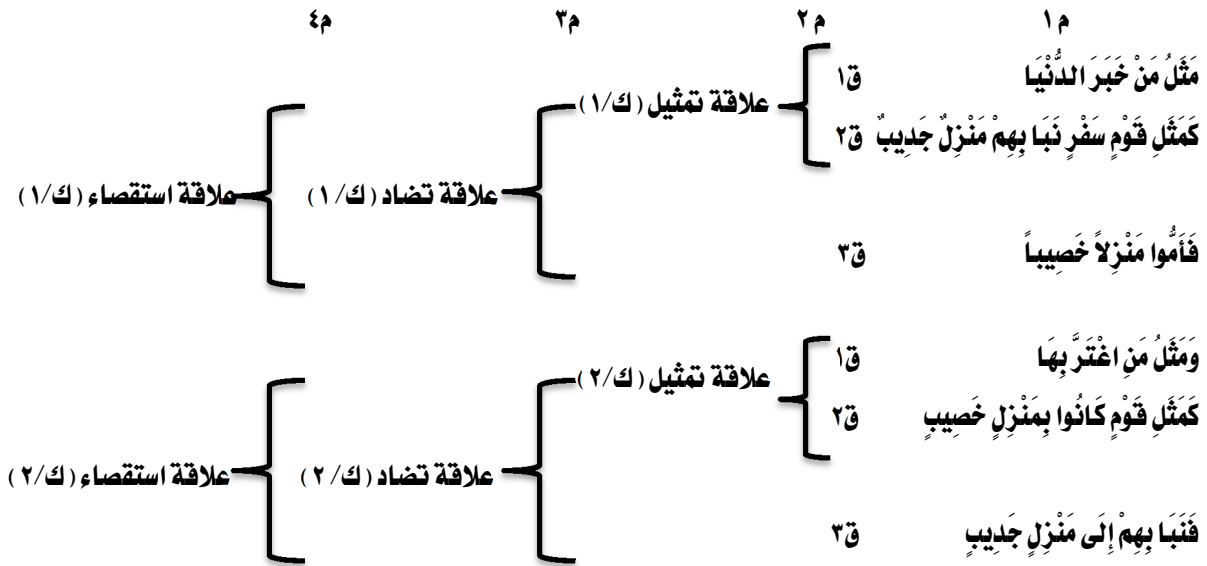
والمظهر الآخر من التتابع الحركي هو التتابع المكاني بالانتقال من مكان إلى آخر، كما جاء في وصية الإمام علي (عليه السلام) لابنه الإمام الحسن (عليه السلام) فقال: ((إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفَرُوا، نَبَأَ بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيدٌ، فَأَمَوْا مَنْزِلًا خَصِيبًا، وَجَنَابًا مَرِيعًا، فَاحْتَمَلُوا وَعَثَاءَ الطَّرِيقِ، وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخَشُونََةَ السَّفَرِ، وَجُشُونََةَ المَطْعَمِ، لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ، وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَلْمًا، وَلَا يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيهِ مَغْرَمًا. وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرِبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ وَأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلَّتِهِمْ وَمَثَلُ مَنْ اغْتَرَبَ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ، فَنَبَأَ بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيدٍ))<sup>(٢)</sup>.

تضمن النص مجموعة من العلاقات الدلالية التي تسهم في أداء الوصية لوظيفتها الوعظية وقد تمثلت هذه العلاقات بالتضاد والتمثيل والاستقصاء إذ كشفت لنا علاقة التضاد عن ملامح نوعين من

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/ ٢٥٠ (ك ٦٤)

(٢) نفسه: ١٦/ ٨٢ - ٨٣ (و ٣١).

الناس: من خبر الدنيا من جهة، ومن اغتربها من جهة أخرى، ويمكن توضيح هذه العلاقات بالمخطط الآتي:



يظهر لنا أن العلاقات الدلالية من العناصر الرئيسة في النص التي تسهم في إحداث التماسك بين البنى النصية، وقد سيطرت علاقة الاستقصاء على المستوى الرابع للقضايا، فحاول الإمام (عليه السلام) أن يظهرها واضحة جلية للمتلقي بأن كل علاقة تمثل أساساً للعلاقة التي تليها.

(٢) **علاقة الاستثناء:** من العلاقات الدلالية التي تربط بين القضايا وتعبّر عنها أدوات الربط (إلا، إنما، لكن، ...) وتعمل هذه العلاقة في مستويات مختلفة، وأكثر ما تستعمل هذه العلاقة في بناء الوعظ<sup>(١)</sup>. على نحو ما نجده في وصية له (عليه السلام) كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات: ((وَلَا تَأْخُذَنَّ عَوْدًا وَلَا هَرَمَةً وَلَا مَكْسُورَةً وَلَا مَهْلُوسَةً، وَلَا دَاتَ عَوَارٍ، وَلَا تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ، رَاقِقًا بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوَصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ، وَلَا تُوَكَّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحًا شَفِيقًا وَأَمِينًا حَفِيزًا، غَيْرَ مُعْنِفٍ وَلَا مُجْحِفٍ، وَلَا مُلْغِبٍ وَلَا مُتْعِبٍ))<sup>(٢)</sup>.

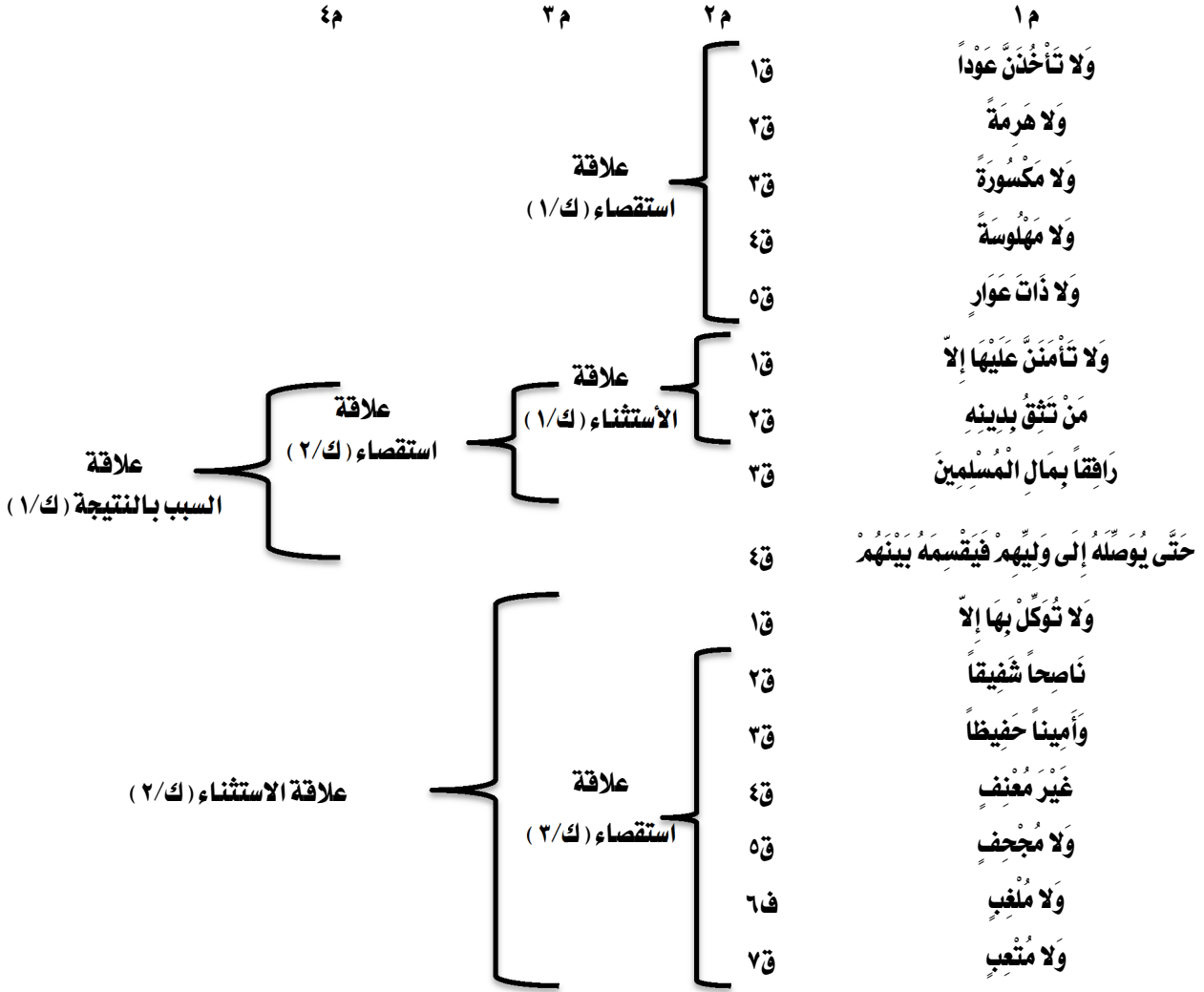
وظف الإمام علي (عليه السلام) في بناء هذا النص الوعظي علاقات الاستقصاء والاستثناء والسبب والنتيجة لبيان صفات من يستعمله على مال الصدقات (الدينية والسلوكية) معتمداً في ذلك على (النفي والاستثناء) ليؤكد حقيقة هذه الصفات ويقرها في نفس متلقيه<sup>(٣)</sup>، فجاءت علاقة الاستثناء تارة

(١) ينظر: علم لغة النص، د. عزة شبل محمد: ٢١٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥٢/١٥ (و ٢٥).

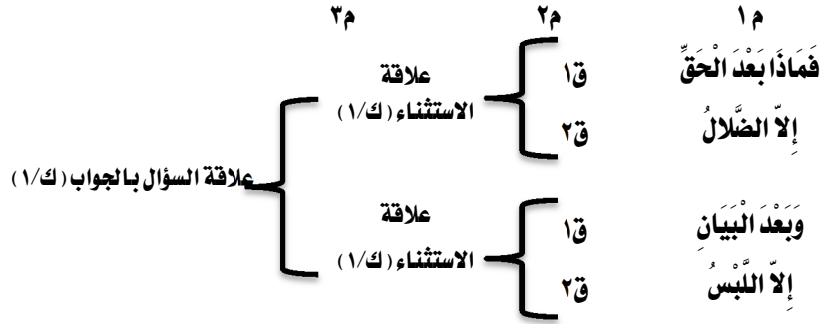
(٣) ينظر: أساليب المعاني في القرآن الكريم، السيد جعفر السيد باقر الحسيني: ١٦٧.

على مستوى البنى الصغرى وتارة على مستوى البنية الكبرى في النص ويمكن أن نوضح ذلك بالمخطط الآتي:



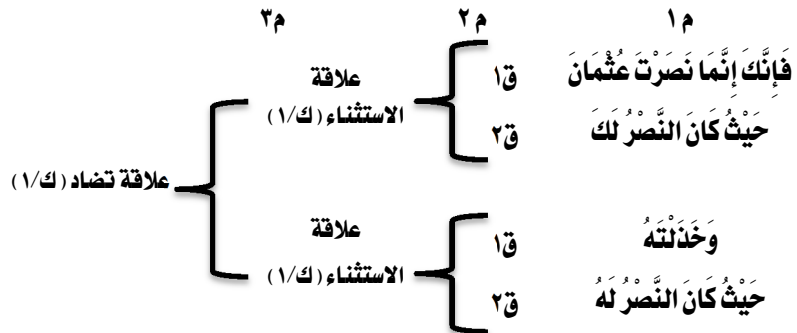
ففي المقطع الأول من صفات عامل الصدقات كانت علاقة الاستثناء رابطة بين الجمل في المستوى الثاني، أما المقطع الآخر من الصفات في المستوى الأعلى وهو المستوى الثالث من البنى الهيكلية، فعملت في هذين المستويين على انسجام النص وتماسكه، ولعل السبب الذي دعاه إلى استثمار هذه العلاقة دون غيرها هو الفارق الدلالي بين هذه العلاقات وخصوصية كل علاقة من غيرها، وهذا الكلام ينطبق على العلاقات الأخرى أيضا وقوله في كتاب له (الكليات) إلى معاوية: ((فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ، وَبَعْدَ الْبَيَانِ إِلَّا اللَّبْسُ))<sup>(١)</sup>. جاءت علاقة الاستثناء على صعيد البنى الصغرى إذ أسهمت على الربط بين القضايا الصغرى، وكما موضح في المخطط الآتي:

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٢ / ١٨ (ك ٦٥).



فلا يمكن تصور هذه البنيات بدون علاقة الاستثناء، إذ مكنت هذه العلاقة من تمام المعنى. وقد ترد هذه العلاقة في بناء التقرير في قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى معاوية: ((فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُمَانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ))<sup>(١)</sup>.

لقد وظف الإمام (عليه السلام) علاقة الاستثناء في تحقيق التماسك الدلالي بين البنيات الصغرى في النص ضاربا بذلك على أوتار التقرير بمعاوية بإخباره أنه: ((حيث كان للانتصار له فائدة لك تتخذه ذريعة لجمع الناس إلى غرضك، أما وهو حي وكان النصر يفيدته فقد خذلته وأبطأت عنه))<sup>(٢)</sup>. وتوزعت البنى الهيكلية لهذا النص كما هو موضح في المخطط الآتي:



يتضح مما تقدم أن علاقة الاستثناء قد مهدت الطريق أمام ظهور علاقات دلالية تحكم البنى الصغرى لتجعلها أكثر تماسكا وانسجاما وكان نصوص الرسائل والوصايا قد نسجت نسجا محكما على يد أبلغ البلغاء وأفصح الفصحاء، فالغاية من وجود علاقة التضاد على مستوى البنية الكبرى رابطة بين الاستثنائين بنيان الفارق والتناقض بين الموقفين.

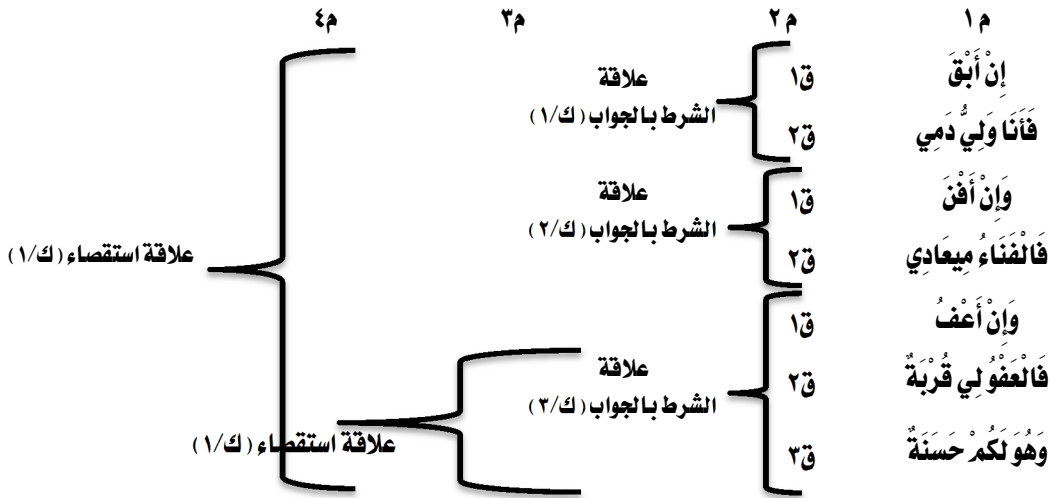
**(٣) علاقة الشرط بالجواب:** تربط هذه العلاقة بين القضايا في نصوص الرسائل والوصايا في نهج البلاغة بوساطة أدوات الربط النحوية (إذا، إن، لو، لولا، من)، وهي إحدى العلاقات المنطقية التي تحكم النص وتؤدي إلى انسجامه، إذ تفيد هذه العلاقة الدلالية في بناء موضوع الرسالة أو الوصية من

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/١٥٣ (ك ٣٧).

(٢) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ٣/٤٣٩.

خلال ربط عناصر الجملة الواحدة أو سلسلة من الجمل مما يسهم في تماسك النص من ناحية وتحقيق مقاصد صاحبه من ناحية أخرى<sup>(١)</sup>، فتعاوض هذه العلاقة ما في النص من علاقات لفظية أو منطقية تؤدي إلى ظهوره نصاً متماسكاً إذا بناءً رصين قادر على التأثير والبقاء وقابل للتأويل والمشاركة.

ومن أمثلة هذه العلاقة قوله (عليه السلام) في كلام له قاله قبيل موته على سبيل الوصية لما ضربه ابن ملجم لعنه الله: ((إِنْ أَبَقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي، وَإِنْ أَفْنُ فَاَلْفَنَاءُ مِيعَادِي، وَإِنْ أَعْفُ فَاَلْعَفْوُ لِي قُرْبَةً، وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ))<sup>(٢)</sup>. يتكون هذا النص من ثلاثة تراكيب شرطية اشتركت جميعها بأداة الشرط (إن) وقد حلت على قلة وقوع ما بعدها واحكمت هذه الأداة المعنى المطلوب من النص، فولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) على دمه مرتبطة بمدة بقائه وإن قلت، إذ لا يمكن لأحد أن يقتص من ابن ملجم (لعنه الله) والإمام باق على قيد الحياة وميعاده في الرجل مرتبط ببقائه، وهذا يعني أن بقاءه على فراش الموت لا يلغي حقوقه التي كان عليها وهو في كامل نشاطه وحيوته، فهو لا يزال حيا حتى وقت تكلمه، فإن مات (فني) تحولت الأمور إلى من خلفه، ولذلك ختم هذه الفقرات بأحقيته في التصرف بأمر ابن ملجم (لعنه الله). ويمكن تمثيل كيفية تنظيم هذه العلاقة بالمخطط الآتي:



إذ نلاحظ في هذا المخطط تعاوض علاقة الشرط بالجواب مع علاقة الاستقصاء مما يضيف على النص سمة الترابط والتماسك النصي. وقد يتعدى تأثير علاقة الشرط بالجواب إلى مستوى البنية العليا، وهذا ما نتلمسه في قوله (عليه السلام) في وصيته لابنه الإمام الحسن (عليه السلام): ((فَإِنْ أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعْ، وَتَمَرَّ رَأْيُكَ فَاجْتَمِعْ، وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذَلِكَ هَمًّا وَاحِدًا، فَانظُرْ فِيمَا فَسَّرْتَ لَكَ))<sup>(٣)</sup>.

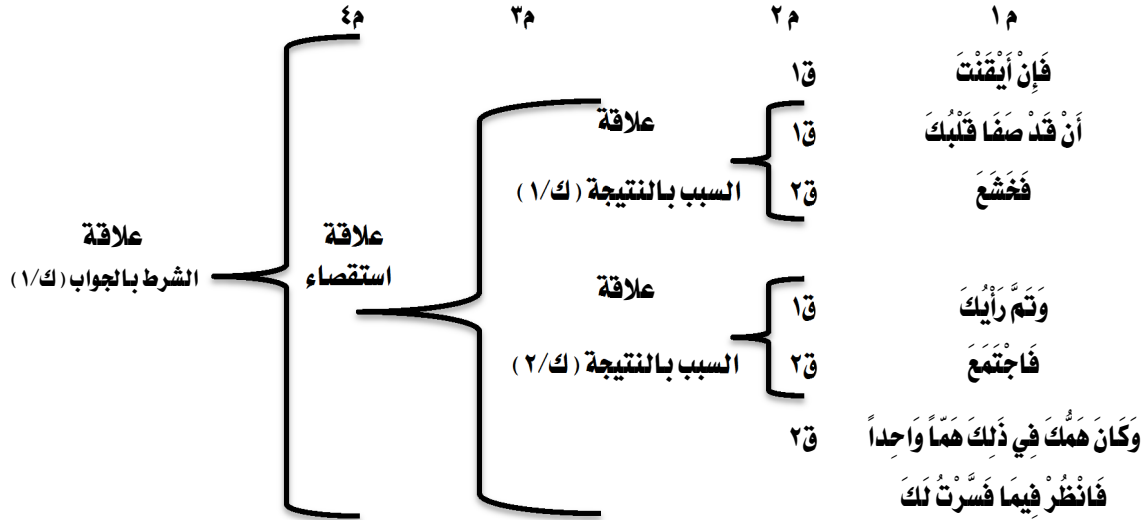
(١) ينظر: لسانيات النص، ليندة قياس: ١٥٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥/١٤٣ (و ٢٣).

(٣) نفسه: ١٦/٧٠ (و ٣١).



لقد حققت علاقة الشرط والجواب ترابطا بين هذه المتتاليات الجمالية إذ كانت رابطا منطقيين أول النص وآخره ليحقق ما يبغيه الإمام (عليه السلام) من الوعظ والنصح لابنه، فترتبت هذه العلاقة على النحو الآتي:



لقد كان لهذه العلاقة أثر كبير في معنى النص لأنها جاءت على مستوى البنية العليا. كذلك نلاحظ أن أدوات الشرط جاءت متناسبة مع سياقاتها ف (إن) استعملها الإمام (عليه السلام) فيما كان مشكوكا في حدوثه.

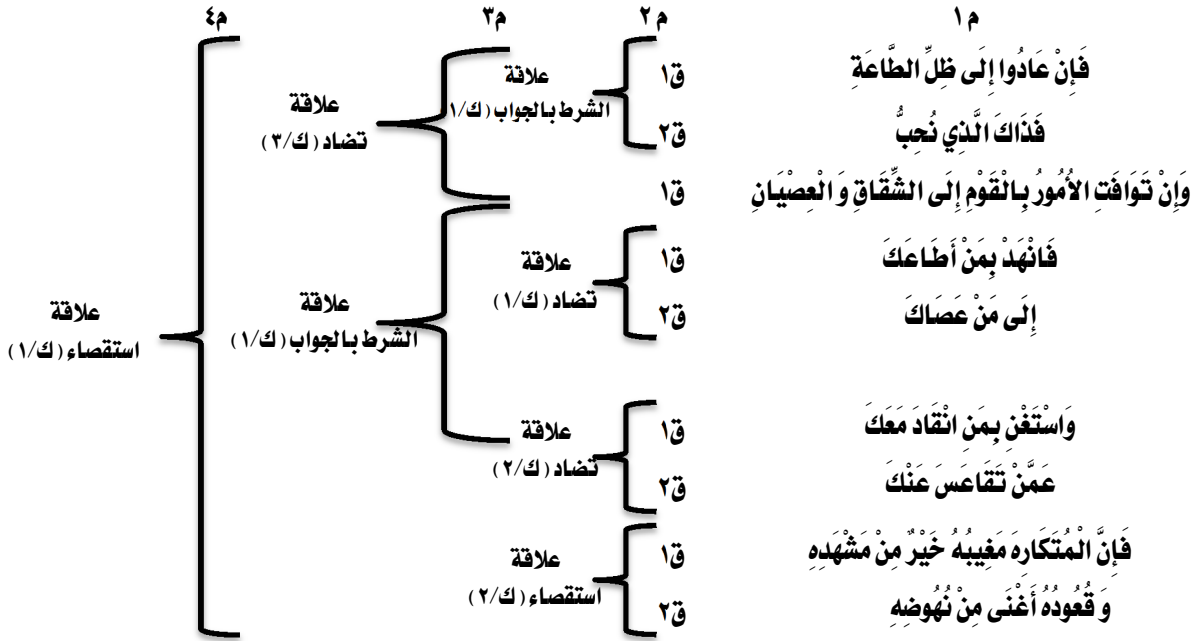
(٤) **علاقة التضاد:** من العلاقات الدلالية الأساسية علاقة التضاد، وهي ((ناتجة عن تتابع قضيتين، كل منهما تحمل عكس معنى الأخرى. والتضاد إجراء يقوم به الكاتب ليضفي الشمولية على معنى ما، وذلك بإظهار الشيء ونقيضه كما أنه يعمل على تمييز المعنى وبلورته وبالتالي تناسبه))<sup>(١)</sup>.

وقد لجأ الإمام (عليه السلام) إلى هذه العلاقة الدلالية إما لإقامة مقارنة بين فريقين أو حالين ذكرا في النص، وإما مبالغة في تقرير المتلقي، وفي كلا الحالين يكون المتلقي قادرا على ربط أجزاء الكلام بعضها ببعض. ومن أمثلة هذه العلاقة قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى بعض أمراء جيشه: ((فَإِنْ عَادُوا إِلَى ظِلِّ الطَّاعَةِ، فَذَلِكَ الَّذِي نُحِبُّ، وَإِنْ تَوَافَتِ الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَى الشَّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ فَانْهَدُ بِمَنْ أَطَاعَكَ، إِلَى مَنْ عَصَاكَ وَاسْتَفَنَ بِمَنْ انْقَادَ مَعَكَ، عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ، فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ مَغِيْبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ، وَقَعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ))<sup>(٢)</sup>.

(١) نظرية علم النص: ١٤٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٣٢/١٤ (ك ٤).

لقد بدأ النص بالتركيب الشرطي ليفتح الطريق إلى المقارنة بين موقفين (الطاعة والعصيان) ثم ختم هذا النص بتقريع المتلقين العاصين والمتقاعسين عن نصرة هذا الأمير، إن الاتكاء على هذه العلاقة يجعل المتلقي في حالة ترقب لبيان حال المتقاعس والمتكاه، فأحدث بذلك المبالغة في التقريع. لقد تداخلت علاقات دلالية أخرى مع هذه العلاقة عملت على تفصيل عناصرها وتوضيحها كما في المخطط الآتي:



نلاحظ أن علاقة التضاد -هنا- ارتبطت بعلاقتي الشرط بالجواب والاستقصاء (الإضافة)، إذ استقصى بها الإمام (عليه السلام) المعنى نفسه فشكلت جميعاً حدود تلك القضية الكبرى التي يشير النص إليها. كذلك تعد هذه العلاقة ((إحدى العلاقات الدلالية التي يتم عن طريقها تشكيل قضايا كبرى في مستويات النص الهرمكية المتتابعة. فقد تجمع تلك العلاقة بين قضيتين صغيرتين لتكون قضية كبرى))<sup>(١)</sup>.

مثال ذلك ما جاء في وصيته (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه السلام): ((أَحْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصَّلَاةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللَّطْفِ وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبُذُلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللَّيْنِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ))<sup>(٢)</sup>. إذ برز أثر هذه الظاهرة واضحاً في أداء المعنى أفضل مما لو اعتمد على وسيلة دلالية أخرى وتوزعت كما في المخطط الآتي:

(١) نظرية علم النص: ١٤٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٠٤/١٦ (و ٣١).

	٢م	٢م	١م	
	علاقة استقصاء (ك/١)		احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ	
		علاقة	عِنْدَ صِرْمِهِ	
		تضاد (ك/١)	١ق	عَلَى الصَّلَاةِ عَلَى الصَّلَاةِ
		علاقة	٢ق	وَعِنْدَ صُدُودِهِ
		تضاد (ك/٢)	١ق	عَلَى اللَّطْفِ وَالْمُقَارَبَةِ
		علاقة	٢ق	وَعِنْدَ جُمُودِهِ
		تضاد (ك/٢)	١ق	عَلَى الْبَدَلِ
		علاقة	٢ق	وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ
	تضاد (ك/٤)	١ق	عَلَى الدُّنُوِّ	
	علاقة	٢ق	وَعِنْدَ شِدَّتِهِ	
	تضاد (ك/٥)	١ق	عَلَى اللَّيْنِ	
	علاقة	٢ق	وَعِنْدَ جُرْمِهِ	
	تضاد (ك/٦)	١ق	عَلَى الْعُذْرِ	

(٥) **علاقة إعادة الصياغة:** من العلاقات الدلالية الأساسية علاقة إعادة الصياغة ونعني بها ((استعادة معطى باستعمال تعبير لغوي مختلف عن التعبير المستعمل))<sup>(١)</sup> ، وتقع غالباً في العبارات القصيرة والمتتابعة لأن استعمال هذه الوسيلة في المقطوعات الطويلة، قد تكون ضارة؛ لأنها ((تحبط الإعلامية ما لم يكن هناك تحفيز قوي))<sup>(٢)</sup> . ويقر علماء لغة النص أن إعادة الصياغة وسيلة تمنح ((منتج النص القدرة على خلق صور لغوية جديدة؛ لأن أحد العناصر المكررين قد يسهل فهم الآخر))<sup>(٣)</sup> ، وتتخذ علاقة إعادة الصياغة أشكالاً متعددة لكن ((العلاقة التي تجمع بين هذه الأشكال المتعددة هي علاقة التكافؤ التي تظهر على سطح النص وتسهم في تشييد المعنى، وتقع المتلقي))<sup>(٤)</sup> . فمن أشكال علاقة إعادة الصياغة.

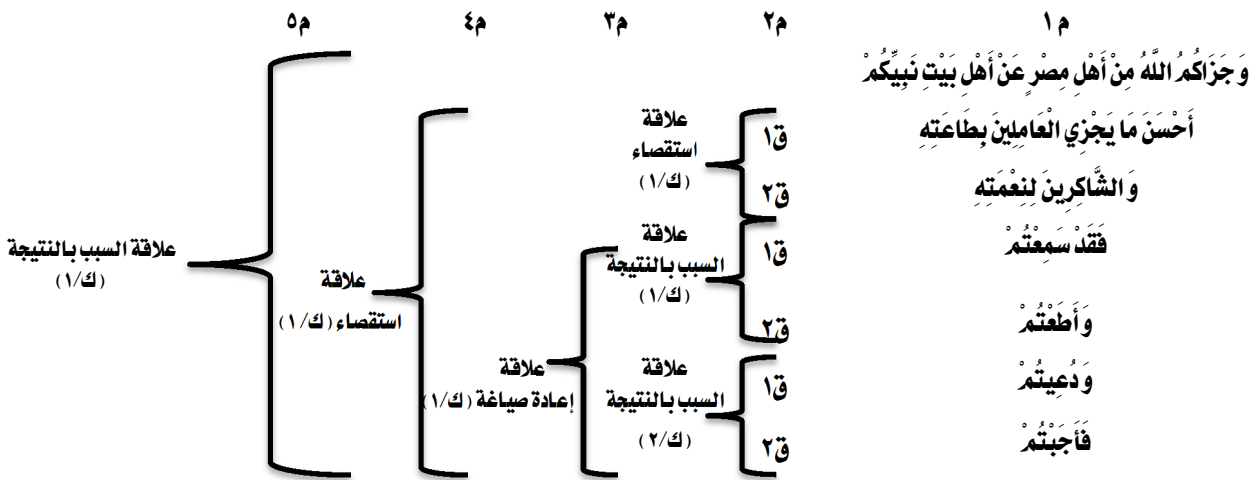
(١) معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو- دومنيك مانغونو: ٤٧٦، وينظر: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومنيك مانغونو: ١٠٧.

(٢) النص والخطاب والإجراء: ٣٠٦.

(٣) نفسه: ٣٠٦.

(٤) أثر التكرار في التماسك النصي، مقارنة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف: ٦٤.

(أ) **الترادف التركيبي**: وهو نوع من أنواع الترادف ولا نقصد به ((الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد))<sup>(١)</sup>، وإنما هو الترادف التركيبي الذي يقع في سياق الجمل، ويقصد به ((تكرار المحتوى، مع نقله بتعبيرات مختلفة))<sup>(٢)</sup>، فتكرار العبارة يضيف على النص سمة خاصة تزيد من تماسكه وترابطه، ويعتمد ذلك على سعة المعجم اللغوي للمتكلم خاصة المترادفات، حيث يقوم المتكلم بتقليب العبارة بوساطة المترادفات<sup>(٣)</sup>. ومن نماذج الترادف التركيبي في النصوص المدروسة ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى أهل الكوفة بعد فتح البصرة: ((وَجَزَاكُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَدُعَيْتُمْ فَأَجَبْتُمْ))<sup>(٤)</sup>. تمثلت علاقة إعادة الصياغة عن طريق الترادف التركيبي في قوله ((فقد سمعتم وأطعتم؛ ودعيتم فأجبتم)) وهذه الصورة من صور الترادف تمهد الطريق أمام القضية الأساس في النص بأن تتواجد في مسافة أكبر في النص؛ (( مما يخلق تواجدا دلاليا أكثر فاعلية لها، كما أنه يعطيها الفرصة للدخول في أكثر من علاقة دلالية مع قضايا عديدة في أجزاء النص المختلفة، فتزداد ظهورا ووضوحا في عقل القارئ، ويتضح دورها عنده في وضع حدود القضية الكبرى))<sup>(٥)</sup>. إن تركيز الإمام (عليه السلام) على مدح هؤلاء القوم دفعه إلى أن يضعه في مركز الاهتمام فأظهره من خلال علاقات دلالية متنوعة كما في المخطط الآتي:



(١) علم الدلالة: ٢١٥.

(٢) مدخل إلى علم النص، إلهام أبو غزالة وعلي خليل الحمد: ٧٢، ينظر: نظرية علم النص: ١٤١.

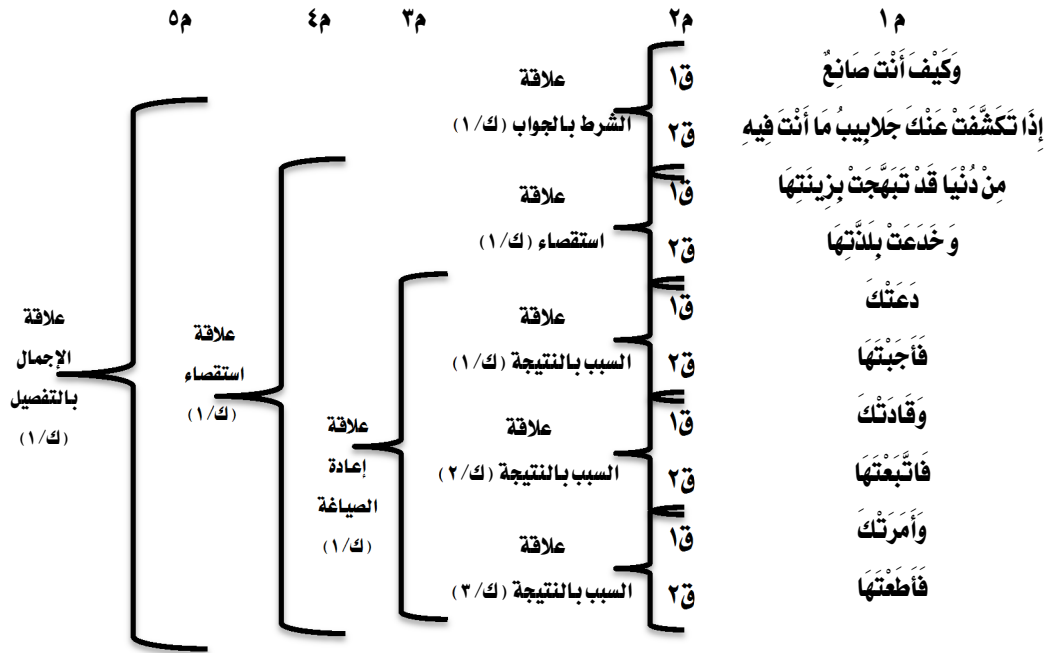
(٣) ينظر: أثر التكرار في التماسك النصي، مقارنة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات دكتور خالد المنيف: ٦٤.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٦/١٤ (ك ٢).

(٥) نظرية علم النص: ١٤١.

إذ وصف الإمام أهل الكوفة بخمس صفات استحقوا على أثرها دعاء الإمام لهم وهي: العمل بطاعة الله، أداء شكره على نعمته، الاستماع لأوامره، إطاعة أمره، إجابة دعوته، وهذه كلها في الحقيقة تعبيرات مختلفة لحقيقة واحدة<sup>(١)</sup>. فإننا نجد أن لعلاقة الترادف في الجمع بين هاتين البنيتين أثرا بارزا في تكون الإطار الدلالي الذي يكون أكثر اتساعا للمعنى، إذ إن لكل بنية محتوى دلاليا خاصا يشكل ظللا للمعنى الرئيس للنص. وهي حالة الموافقة على القيام بالعمل<sup>(٢)</sup>.

ومثله أيضا قوله في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية: ((وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بَرِيْنَتِهَا، وَخَدَعَتْ بِلَدَّتِهَا، دَعَّتْكَ فَأَجَبْتَهَا، وَقَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا، وَأَمَرْتَكَ فَأَطَعْتَهَا))<sup>(٣)</sup>. تحققت علاقة إعادة الصياغة من خلال الترادف التركيبي في ثلاث بنى نصية هي: ((دعتك فأجبته، وقادتك فأتبعته، وأمرتكم فأطعتم))، وقد جاءت في معرض توبيخ معاوية وذمه لانخداعه بالذوات الحاصلة له في الدنيا بمتاعها وزينتها، فعكست التراكيب المترادفة مدى انصياعه وطاعته لهذه الدنيا الموهمة له، مما أسهم في أن تشغل هذه القضية مساحة أكبر في النص فهيأها ذلك أن تتداخل مع علاقات دلالية متنوعة في النص مما أضفى عليه تواجدا دلاليا أكثر فاعلية كما يوضحه المخطط الآتي:



(١) ينظر: نفحات الولاية: ٢٦/٩.

(٢) ذكر ((أن الطاعة تكون من الأدنى للأعلى، لأنها في موافقة الإرادة الواقعة موقع المسألة، ولا تكون إجابة إلا بأن تفعل لموافقة الدعاء بالأمر)). الفروق اللغوية، العسكري: ٢٥٠، ينظر: بهجة خاطر ونزهة الناظر في الفروق اللغوية والاصطلاحية، الشيخ يحيى البحراني: ٣٩.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥ / ٧٩ (ك ١٠).

نلاحظ هنا أن لعلاقة إعادة الصياغة أثرا في الجمع بين البنى النصية الصغرى التي يقوم عليها النص، وقد اشتركت مع علاقات دلالية أخرى لإظهار الوحدة الدلالية على المستوى الرأسي للنص.  
**(ب) العكس والتبديل:** إن الحديث عن العكس والتبديل ما هو إلا الحديث عن التقديم والتأخير، الذي يحدث أثرا في النص على المستوى الإيقاعي والدلالي من خلال تركيبته المرنة التي تمنح النص جمالا ورونقا

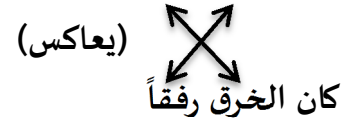
وقد عرفه العسكري (ت ٤٠٠هـ) بقوله: ((العكس: أن تعكس الكلام فتجعل في الجزء الأخير منه ما جعلته في الجزء الأول، وبعضهم يسميه التبديل))<sup>(١)</sup>. ويتضح من هذا التعريف أن العكس ذو طبيعة تكرارية لكن التأمل في بنية العكس يؤدي بنا إلى القول أنها ((عملية توقف مؤقتة تعدل فيها الصياغة خط سيرها، لتجعله خطأ مزدوجا يعتمد على (التقديم والتأخير) الذي تتبادله الدوال المتماثلة...؛ لأن الدهن يتحرك إلى الامام، فيدفع الصياغة إلى متابعته، ثم يرتد للوراء، فتلاحقه الصياغة أيضا وبين التقدم والتراجع تتوافق البنية السطحية وتتخالف بنية العمق))<sup>(٢)</sup>، ويجب الإشارة إلى مسألة مهمة فيما يخص العكس والتبديل وهي أن بنيته الثنائية ((لا تتم إلا بين التراكيب، فلا مدخل لها بين المفردات، كما أن هذه الثنائية لا تقوم على نفي أحد الطرفين للآخر، بل من المحتم تلازمهما. لكنه تلازم مع المغايرة، على معنى أن اكتمال بنية العكس بمجىء الطرف الثاني، يترتب عليه تعديلا في المعنى على نحو من الأنحاء، لأن التغيرات في شكل التركيب ... يقتضي تغير الناتج الدلالي))<sup>(٣)</sup>. الذي يهدف ((إلى تمكين المعنى وتقرير الأغراض))<sup>(٤)</sup>. وقد تحقق هذا المظهر من مظاهر علاقة إعادة الصياغة في الرسائل والوصايا على شكلين:

**الأول: العكس والتبديل الاسمي.**

**الآخر: العكس والتبديل الفعلي.**

فمن أمثلة العكس والتبديل الاسمي قوله (عليه السلام) في وصيته لابنه الإمام الحسن (عليه السلام): ((إِذَا كَانَ الرَّفْقُ خُرْقًا، كَانَ الْخُرْقُ رَفْقًا، رَبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً، وَالدَّاءُ دَوَاءً))<sup>(٥)</sup>. تحدث الإمام (عليه السلام) -هنا- عن وجوب مراعاة كل مقام وأن يؤدي الإنسان حقه. وقد حصل العكس والتبديل -هنا- في موضعين:

**الأول: إذا كان الرفق خرقا**



**كان الخرق رفقا**

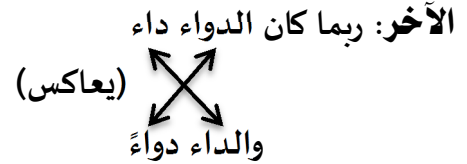
(١) كتاب الصناعتين: ٣٧١.

(٢) البلاغة العربية قراءة أخرى، د. محمد عبد المطلب: ٣٧٨.

(٣) بناء الأسلوب في شعر الحدائث (التكوين البديعي)، د. محمد عبد المطلب: ٣٢١.

(٤) التكرير بين المثير والتأثير: ٢١٦.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩٧/١٦ (و ٣١).



إن تبادل العبارتين أسهم في تحريك الدلالة مع تحريك التراكيب عما كانت عليه في الصياغة الأولى، فبنية العكس ((تقدم لنا شكلا تعبيريا فريدا يأتي فيه التقابل من التوافق، فهو علامة على تداخل الدلالات في وعي المبدع أولا، ثم تداخلها على مستوى الصياغة ثانيا))<sup>(١)</sup>. فتحريك الدلالة حاصل؛ لأن الخرق ضد الرفق<sup>(٢)</sup>، فالرفق ((عبارة عن وضع كل شيء موضعه، ومن الناس من لا ينفع معه الرفق))<sup>(٣)</sup>.

ومثال ذلك ((أنه إذا أقدم عليك العدو في الحرب فتأنيت في دفعه وقتله، فهذا يكون رفقا بالإضافة إلى العدو، وهو بالإضافة إليك خرقا لأنه يؤدي إلى هلاك نفسك ومثال ما يكون الخرق رفقا هو أنك إذا خاطرت وعاجلت في قتل العدو، وكان هذا خرقا بالإضافة إلى العدو ورفقا بالإضافة إلى نفسك، وحاصل المعنى... هو أن الرفق في بعض المواضع قد يكون خرقا والخرق في بعض المواضع قد يكون رفقا))<sup>(٤)</sup>، أما من جهة التركيب فإن كلا الاسمين من خلال العكس الذي حصل فمرة يكون حكمهما (اسم كان) ومرة يكونا (خبر كان)، فبنية العكس اكتملت بين الاسمين في ضوء تقديمهما المعنى المطلوب. أما الموضع الآخر فتحريك الدلالة حاصل بين الداء والدواء من خلال استواء الدلالة بينهما ف((ربما كان الدواء داء لأنه موجب لازدياد المرض والداء دواء لأنه موجب لدفع مرض أشد))<sup>(٥)</sup>. وذلك يعني أنه ((ربما أهلك الدواء الذي ترجأ منه صحة الإنسان، وربما كان الشيء الذي يؤلم ويؤدي دواء مفيدا للصحة مثل: الكي، وقطع بعض الأعضاء لسلامة الروح))<sup>(٦)</sup>، فعند التأمل في هذا النص نلاحظ ((إعادة تنظيم العناصر التي تتكون منها الجملة مع الحفاظ على أصواتها وتغيير دلالتها))<sup>(٧)</sup>.

أما تحريك التركيب فحاصل في كلتا العبارتين اللتين جرى بهما التبديل فكان كل منهما مرة يرد اسم كان، ومرة يأتي خبرها كما في الموضع الأول. من ذلك كله يظهر لنا أن علاقة إعادة الصياغة عن طريق العكس والتبديل كانت علاقة أساسية في توجيه المعنى المقصود من النص وذلك لتحقيق الغرض المطلوب من الوصية وهو النصح والإرشاد فانتظمت العلاقات الدلالية فيه على النحو الآتي:

(١) بناء الأسلوب في شعر الحدادة: ٣٢٢.

(٢) ((الخرق بالخاء المعجمة بفتحين هو المصدر والاسم منه الخرق بضمين هو العنف: والرفق نقيضه))، لسان العرب، مادة (خرق): ٣٥٥/٣.

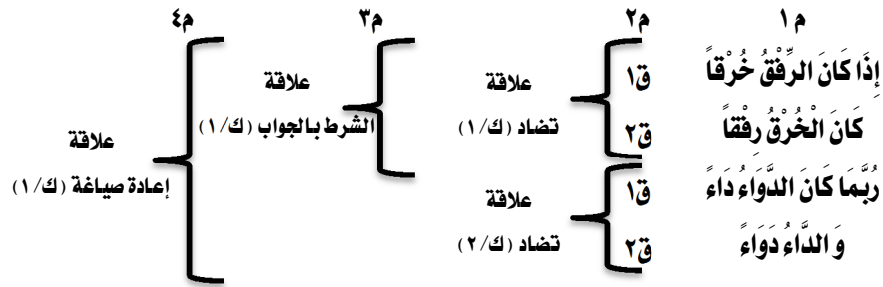
(٣) توضيح نهج البلاغة، الشيرازي: ٧٦/٤.

(٤) الديباج الوصي في الكشف عن أسرار كلام الوصي: ٢٣٤٦/٥.

(٥) توضيح نهج البلاغة: ٧٦/٤.

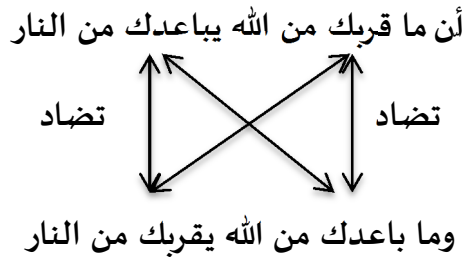
(٦) الديباج الوصي في الكشف عن أسرار كلام الوصي: ٢٣٤٥/٥.

(٧) بلاغة الخطاب وعلم النص: ١٩٥.



ف نجد أن علاقات (التضاد والشرط بالجواب) كان لها أثر في الربط بين البنى الصغرى التي يقوم عليها النص، وكان لعلاقة إعادة الصياغة بالاشتراك مع هذه العلاقات أثر في إيضاح الوحدة الدلالية على المستوى الرأسي للنص. ومن العكس والتبديل الفعلي قوله (الرفق) في وصية له لعبد الله بن العباس (عند استخلافه إياه على البصرة): ((سَعِ النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَحُكْمِكَ، وَإِيَّاكَ وَالْغَضَبَ فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَأَعْلَمُ أَنَّ مَا قَرَبَكَ مِنَ اللَّهِ يَبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا بَاعَدَكَ مِنَ اللَّهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ))<sup>(١)</sup>.

لقد جاء العكس والتبديل في



فنلاحظ مجيء الفعل الماضي في الجزء الأول من التركيبين (قربك، باعدك)، ثم عدل الإمام إلى صيغة المضارع في الجزء الآخر من التركيبين. فحرك دلالة النص، إذ ((رغبه فيما يقربه من الله بما يستلزمه من كونه مباعدا له من النار، ونفره عما يبعده من الله بما يستلزمه من كونه مقربا له إلى النار))<sup>(٢)</sup>، ففي فعل الأعمال الصالحة سعادة وفي تركها شقاء، أما الأعمال السيئة فإن الاتيان بها الشقوتين البعد عن رضا الله سبحانه والقرب من النار<sup>(٣)</sup>.

لقد ظهرت جمالية التقديم والتأخير في العكس التي خضعت ((بالضرورة لطابع اللغة ونمطها المألوف في ترتيب أجزاء الجملة، من حيث كان العدول عن هذا النمط بمثابة منبهات فنية يعمد إليها المبدع ليخلق صورة فنية متميزة))<sup>(٤)</sup>، ألقت بأثرها على المتلقي عند سماعها ومعابنتها.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧٠/١٨ (و ٧٦).

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٢٨٧/٥.

(٣) ينظر: توضيح نهج البلاغة: ٢٦٣/٤.

(٤) البلاغة والأسلوبية. د. محمد عبد المطلب: ٢٧١-٢٧٢.





وإنما يقوم المرء بتزويد ما يلزم من العلاقات لاستخراج المعنى من النص<sup>(١)</sup>، فتجعل منه نصا متماسكا وتعرف هذه العلاقة بأنها ((الطرق، والوسائل التي فيها يؤثر موقف، أو حدث على الظروف المهيئة لوقوع حدث آخر))<sup>(٢)</sup>، وهذا يعني أن هذه العلاقة تعمل عندما يكون هناك سبب يؤدي إلى نتيجة تظهر على سطح النص، فلا يمكن فهم جملة النتيجة إلا بالرجوع إلى الجملة التي سبقها وكانت سببا في إيجادها، فهما مترابطتان معا وهذا الترابط يسمح للنص بالاستمرارية في تقديم المعاني المرجوة منه، ومن جانب آخر فإنه يعمل على تماسك النص وانسجامه ويسد ثغراته إن وجدت، وقد عملت هذه العلاقة في الرسائل والوصايا في نهج البلاغة من جانبين:

**الجانب الأول:** عملت علاقة السبب بالنتيجة على ربط النص بالسياق ويقصد بذلك أن يستعمل السبب ((لإيضاح علاقة بين حدث وحدث آخر تلاه فالحدث الأول أتاح الظروف لحدوث حدث آخر وعلى العكس))<sup>(٣)</sup>.

وهذه الأحداث مرتبطة بالسياق الذي أنتجت فيه، ويتمثل ذلك في إرسال الكتب إلى المتلقين نتيجة وجود حدث سابق حفز كتابة هذه النصوص، إذ بدأها الإمام (عليه السلام) بالفعل (بلغني)، وذلك متحصل في الكتب المرقمة (٣، ٣٤، ٤٠، ٤٣، ٤٥، ٦٣، ٧٠)، وقد خدم توظيفها في هذه النصوص بطبعها بسمات تكاد تكون مشتركة فيها.

١- استياء الإمام (عليه السلام) من تصرفات متلقي هذه الكتب، فغالبا ما يبدأ الإمام (عليه السلام) بالدخول المباشر إلى مضمون الكتاب دون مراعاة البناء الفني في كتابة الرسائل، ولعل هذا نابع من حالته الشعورية وحرصه على تطبيق الأحكام الشرعية.

٢- اهتمامه (عليه السلام) بمراقبة عماله وولاته بشكل دقيق، فينظر في تحركاتهم وسلوكياتهم، لئلا ينحرف العامل أو الوالي أدنى أنحراف، فكان الإمام (عليه السلام) في غاية التدبير ومنتهى الدقة في إدارة الدولة.

٣- التأكد من صحة الخبر (فالبلوغ) يعني الوصول والنهاية<sup>(٤)</sup>، وكأنه (عليه السلام) يريد أن يؤكد للمتلقي تيقنه من فعله ولا يدع له مجالاً للشك بعدم قيامه بعمله السبيء.

ويتضح أثر علاقة السبب بالنتيجة في ضوء ربط النص بسياق في قوله في كتاب له إلى بعض عماله: ((أَمَا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَّغْنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتُ رَبِّكَ، وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ، وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ. بَلَّغْنِي أَنْكَ جَرَدْتَ الْأَرْضَ فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ، وَأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ، فَأَرْفَعُ إِلَيْ حِسَابِكَ، وَأَعْلَمُ أَنَّ حِسَابَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ))<sup>(٥)</sup>.

(١) مدخل إلى علم لغة النص، إلهام أبو غزالة وعلي خليل الحمد: ٢٧.

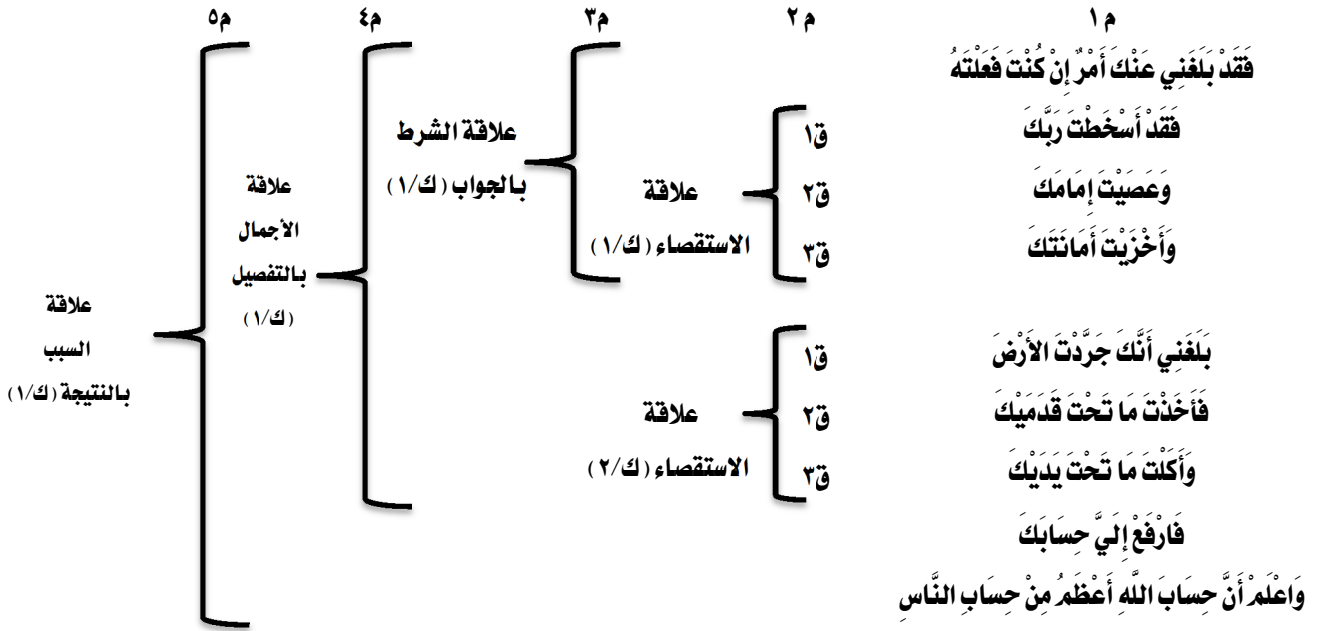
(٢) الدلالة والنحو: ٢٢٨.

(٣) نفسه: ٢٢٨ - ٢٢٩.

(٤) ينظر: لسان العرب مادة (بلغ): ٤٥١ / ٢.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦٤/١٦ (ك ٤).

يبين الإمام (عليه السلام) السبب الحقيقي لكتابة هذه الرسالة الموجهة إلى عامله الذي خان الأمانة التي كلف بها، فكانت علاقة السبب بالنتيجة هي العلاقة الرئيسة في النص والموجهة له، فوصول خبر خيانة هذا العامل لأمانته كان باعثاً لإرساله هذا الكتاب له؛ ليعبر عن استياء أمير المؤمنين (عليه السلام) من تصرف هذا العامل، وقد تضافرت مع علاقة السببية بالنتيجة علاقات أخرى تكاملت جميعها لإظهار ترابط المعنى في النص كما يوضحه المخطط الآتي:



وقد أسميت علاقة السبب بالنتيجة في ربط النص بسياقه الذي أنتج فيه، فخيانة هذا العامل دفعت الإمام (عليه السلام) إلى كتابة نص الرسالة ثم تحولت هذه النتيجة إلى سبب لنتيجة أخرى وهي أن يرفع هذا العامل حسابه لأمر المؤمنين وإنهاء عمله. والمخطط الآتي يوضح ذلك:



إن ما يقوم به الإمام (عليه السلام) من تفصيل للأسباب يضيفي ((معقولية لكيفية تتابع قضايا الرسالة وتسمها دائماً بسمة المنطقية، خاصة وأنها من العلاقات ذات الحضور المكثف. وانتشارها يؤدي إلى قوة البناء المنطقي للرسالة))<sup>(١)</sup>. إلا أن الملاحظة المهمة أن علاقة السبب بالنتيجة لم تظهر إلا على مستوى الأفكار العامة والقضايا الكبرى، إذ شغل الإمام (عليه السلام) نفسه أثناء بناء كل قضية باستقصاء جزئياتها بشكل تراكمي، ثم أخذ يفسر منطقياً سبب وجود هذه العناصر ككل في نص واحد.

(١) نظرية علم النص: ١٤٣.

ومن أمثلة الربط السياقي أيضا قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى عثمان بن حنيف الأنصاري، وهو عامله على البصرة، وقد بلغه أنه دعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها: ((يَا ابْنَ حُنَيْفٍ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَادِبَةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا، تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ، وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوءٌ، وَغَنِيهِمْ مَدْعُوءٌ. فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضِيهِ مِنْ هَذَا الْمَقْضَى، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطَيْبِ وُجُوهِهِ فَنَلِّ مِنْهُ))<sup>(١)</sup>.

إن وصول خبر حضور عثمان بن حنيف مأدبة ذلك الرجل من أهل البصرة إلى مسامع الإمام (عليه السلام) سبب في إرساله لهذه الرسالة، والتأمل في هذا النص يثير اشكالات متعددة منها: إنها مأدبة اختصت بالأغنياء دون الفقراء، كثرة الأطعمة وتنوعها، حضور عثمان بن حنيف إلى هذه المأدبة، والأمر الأهم اشتمال هذه المأدبة على طعام حرام وهذا ما صرح به (عليه السلام) في قوله: ((فما اشتبه عليك علمه فالفظه))، وهنا يتضح لنا أمران من إرسال هذه الرسالة حققتهما علاقة السبب بالنتيجة:

**الأول:** (الأمر المباشر): هو إبلاغ هذا العامل بحقيقة هذه المأدبة واشتمالها على الشهية بطعامها وضيوفها.

**الأخر:** (الأمر غير المباشر) يرى الإمام (عليه السلام) ((إن الولاية والمسؤولين في الحكومة الإسلامية ينبغي أن يقفوا إلى جانب الناس وجمهور المستضعفين والمحرومين وأن لا يعتنوا أبدا بالطبقة المترفة الذين تزداد توقعاتهم وتقل معونتهم، والتجارب تؤكد على أن المحرومين المستضعفين هم أول المدافعين عن الدين والبلاد الإسلامية في مواقع الخطر والظروف الصعبة))<sup>(٢)</sup>.

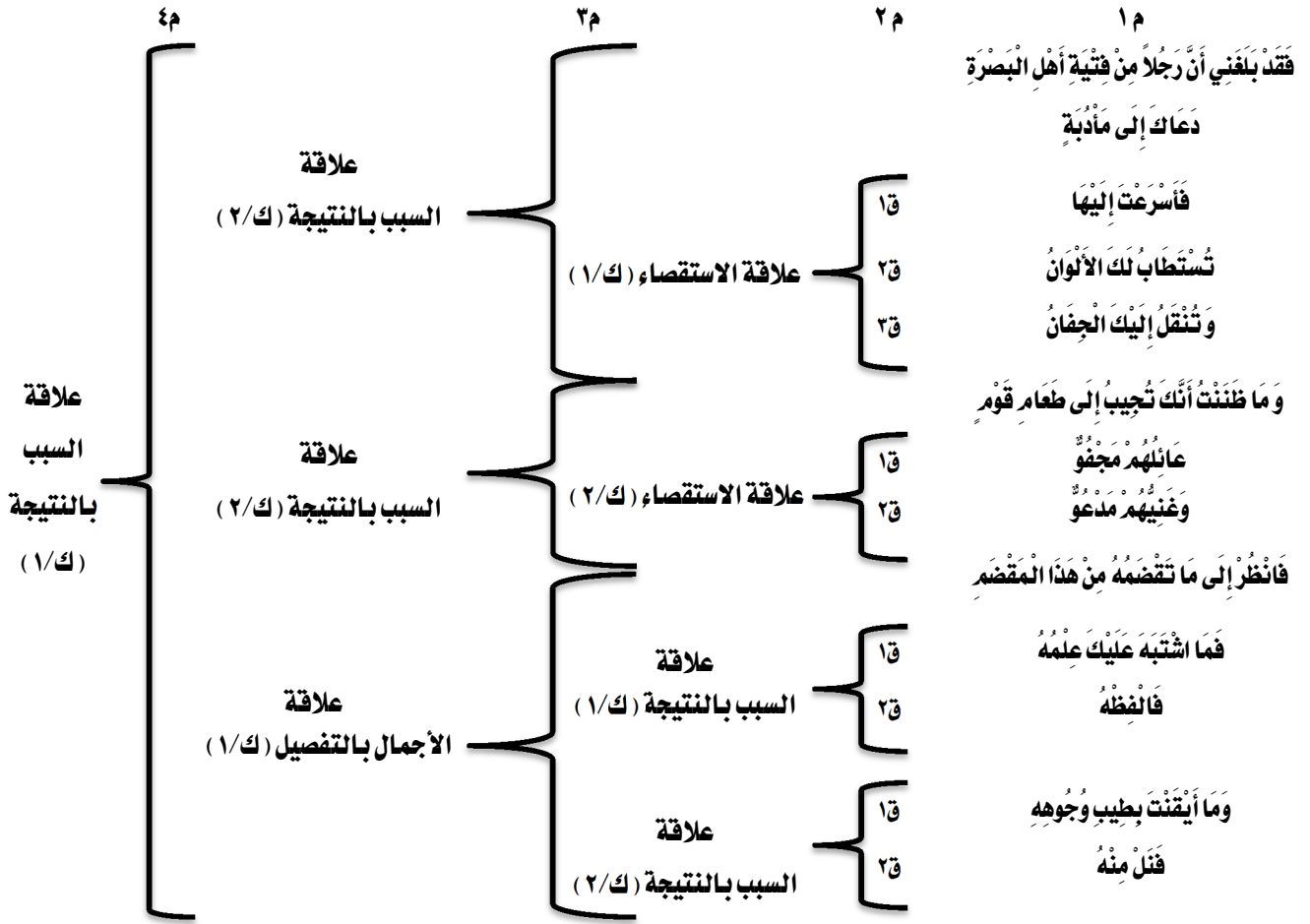
لقد أسهمت علاقة السبب بالنتيجة في ربط نص الرسالة بالسياق الذي أنتجت فيه، فالإمام (عليه السلام) يذكر في مقدمة الرسالة أن حضور هذا العامل لهذه المأدبة سبب في كتابة هذه الرسالة ثم تحولت هذه النتيجة إلى سبب آخر هو تحقيق الإبلاغية المرجوة من النص كما يوضحه المخطط الآتي:



(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦ / ٢٠٥ (ك ٤٥).

(٢) نفحات الولاية: ١٠ / ١٤١.

فانتظمت العلاقات الدلالية في النص على النحو الآتي:



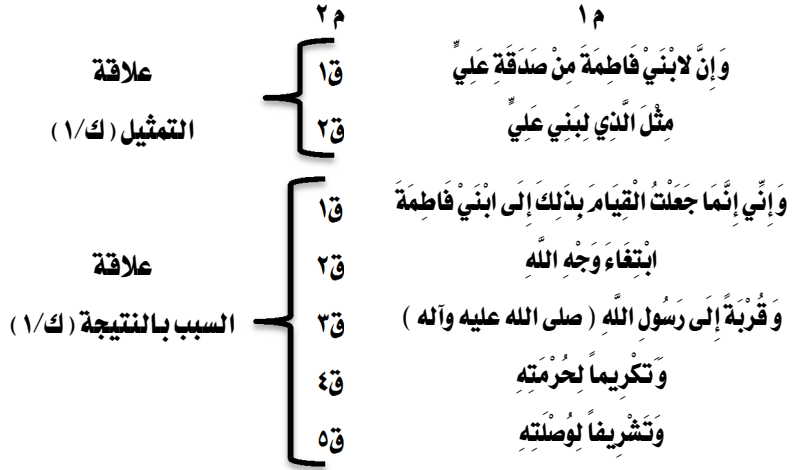
فلنلاحظ هنا وجود علاقات دلالية حركية بين القضايا الكبرى في المستوى الثاني كانت علاقة الاستقصاء (الإضافة) وعلاقة السبب بالنتيجة، وقد كانتا على مستوى البنى الصغرى وفي المستوى الثالث نجد علاقتي السبب بالنتيجة وعلاقة الإجمال بالتفصيل اللتين عبرتا خير تعبير عن فكرة النص وينهي الإمام (عليه السلام) إطار النص بذكره الأسباب مستعملا في ذلك علاقة السبب بالنتيجة في المستوى الرابع وعلى هذا عملت علاقة السبب بالنتيجة على تحقيق ترابط النص من ناحية البنى الصغرى من جانب ومن ناحية البنى الكبرى من الجانب الآخر مما أفضى إلى قوة تماسكه وانسجامه.

**والجانب الآخر:** لا تقتصر علاقة السبب بالنتيجة على ربط النص بالسياق فقط، وإنما لها أثر

بارز في ترابط المعاني داخل النص كما في النص الذي سبق ذكره وكذلك قوله في وصية له (عليه السلام) بما يعمل في أمواله كتبها بعد منصرفه من صفين: ((وَأَنَّ لِابْنِي فَاطِمَةَ مِنْ صَدَقَةٍ عَلَيَّ مِثْلَ الَّذِي لِبَنِي عَلِيٍّ. وَإِنِّي إِنَّمَا جَعَلْتُ الْقِيَامَ بِذَلِكَ إِلَى ابْنِي فَاطِمَةَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، وَقُرْبَةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله)، وَتَكْرِيماً لِحُرْمَتِهِ، وَتَشْرِيفاً لِمَوْلَاتِهِ))<sup>(١)</sup>.

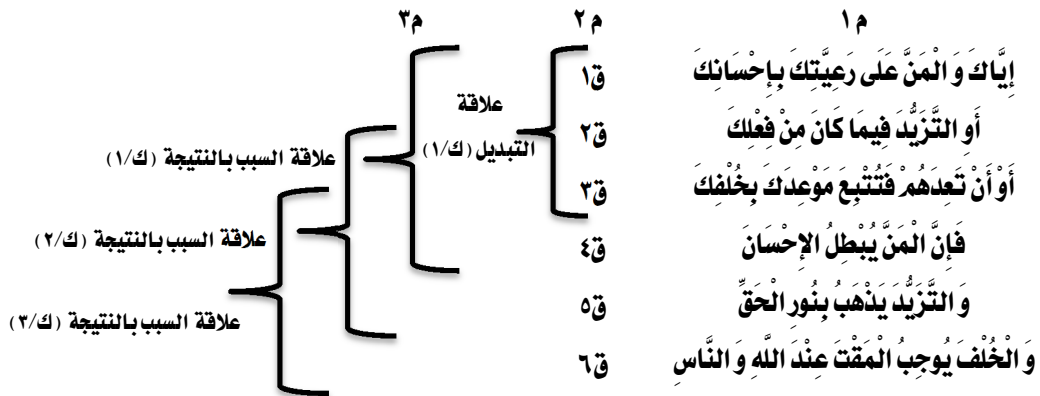
(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤٧/١٥ (و ٢٤).

ينبغي نص الوصية على كيفية التصرف بالأموال الموقوفة وفي هذا الجزء يخص الإمام (عليه السلام) ابني السيدة فاطمة (عليها السلام) بالتصرف فيها، وقد استثمر الإمام (عليه السلام) علاقة السبب بالنتيجة في عرض أربعة أدلة مرتبطة ببعضها على اختياره هذا، وهي: ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى، التقرب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، اكراما واحتراماله ولكريمته، التشرف بقربته، ويمكن أن توضح طبيعة العلاقات الدلالية في النص بالمخطط الآتي:



لقد أسهمت علاقة السبب بالنتيجة في ترابط النص وتماسكه، كذلك جاءت أكثر عمقاً لأنها عملت على نطاق المستويات العليا في النص. ومثله قوله (عليه السلام) في عهده إلى مالك الأشتر حين ولاه مصر: ((إِيَّاكَ وَالْمَنْ عَلَى رِعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ؛ أَوْ التَّزْيِيدِ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ، أَوْ أَنْ تَعْدَهُمْ، فَتَتَّبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ، فَإِنَّ الْمَنْ يَبْطُلُ الْإِحْسَانَ، وَالتَّزْيِيدُ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ، وَالْخُلْفُ يُوجِبُ الْمَقْتَّ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ))<sup>(١)</sup>.

بدأ النص بأسلوب التحذير لينبه مالكا الأشتر إلى الأمور التي يجب الحذر منها ثم أخذ (عليه السلام) بسرد تلك الأمور معتمدا على علاقة البديل التي تنتج فرصة عرض التصرفات المتوقعة كافة، ثم ذكر نتائج القيام بكل أمر منها والغاية النصيح والإرشاد بما يحسن علاقة الوالي برعيته، فنلاحظ تشابك هذه العلاقات مع بعضها، كما يوضحه المخطط الآتي:



(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١١٣/١٧ (ك ٥٣).

لقد أسهمت علاقة السبب بالنتيجة في انسجام النص وترابط أوله بأخره مما مكن ذلك المعنى في ذهن المتلقي

(٧) **علاقة البديل:** تعد علاقة البديل ((من علاقات الانفصال في النص التي تفيد التخيير بين معنيين))<sup>(١)</sup>، وتحصل هذه العلاقة بوساطة حرف العطف الذي يفيد التخيير (أو)<sup>(\*)</sup>، و (أم)، ويرتبط استعمال علاقة البديل في الرسائل والوصايا بمقاطع الوصف، ويتضمن ذلك وصف الأشياء والأماكن والشخصيات.

من ذلك ما جاء في وصية له (عليه السلام) وصى بها جيشا بعثه إلى العدو: ((فَإِذَا نَزَلْتُمْ بَعْدُ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ، فَلْيَكُنْ مَعْسَكُكُمْ فِي قُبُلِ الْأَشْرَافِ، أَوْ سَفَاحِ الْجِبَالِ، أَوْ أَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ كَيْمَا يَكُونُ لَكُمْ رَدَاءٌ، وَدُونَكُمْ مَرَدًّا. وَلْتَكُنْ مَقَاتِلُكُمْ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ أَوْ اثْنَيْنِ، وَاجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صِيَاصِي الْجِبَالِ، وَمَنَاكِبِ الْهَضَابِ لِنَلَا يَأْتِيَكُمْ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانٍ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ. وَاعْلَمُوا أَنَّ مَقْدِمَةَ الْقَوْمِ عَيْونُهُمْ؛ وَعَيْونُ الْمَقْدِمَةِ طَلَانِعُهُمْ. وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ، فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانزَلُوا جَمِيعًا، وَإِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعًا، وَإِذَا غَشِيَكُمْ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً وَلَا تَذَوْقُوا النَّوْمَ إِلَّا غَرَارًا أَوْ مَضْمَضَةً.))<sup>(٢)</sup>.

تتضمن هذه الوصية حديثا مفصلا ((عن جميع الأمور الهامة التي تتعلق بأساليب القتال والدفاع في مواجهة العدو وكيفية الاستفادة من الفرص وتجنب الوقوع في كمين الأعداء وكيفية حماية أفراد الجيش في الليل عند استراحة المقاتلين، وغير ذلك من المسائل الدقيقة التي تتصل بمسؤوليات القيادة العسكرية... بحيث أن هذه التوصيات والتعليمات للإمام (عليه السلام) يمكن الاستفادة منها في الجيش الإسلامي في كل عصر وزمان))<sup>(٣)</sup>.

لقد استعمل الإمام (عليه السلام) -هنا- علاقة البديل لبيان المسائل التي تتصل بقيادة الجيش وترتيب وضعه العسكري في ساحات القتال؛ لضمان النصر على العدو. وقد تداخلت علاقة البديل مع العلاقات الدلالية فزاد ذلك النص وضوحا في ذهن المتلقي نتيجة لتجمع القضايا الصغرى بصورة متتابعة لتعبر عن القضية الكبرى التي يحتويها نص الوصية، فترتبت هذه العلاقات على النحو الآتي:

(١) علم لغة النص، د. عزة شبل محمد: ٢١٤.

(\*) سبق الإشارة إليه في الفصل الأول في موضوع العطف من البحث.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٨٩/١٥ (و ١١).

(٣) نفحات الولاية: ١٣٥/٩-١٣٦.

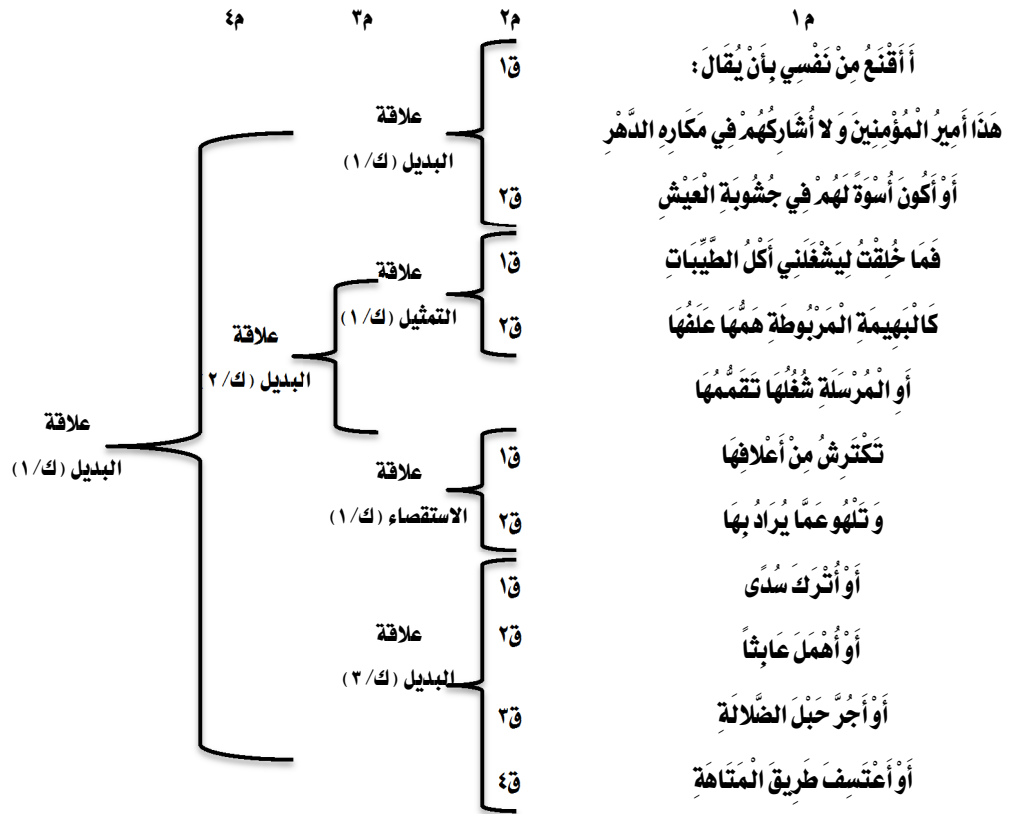
			١ م
			فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوِّكُمْ
			أَوْ نَزَلَ بِكُمْ
			فَلْيَكُنْ مَعْسَكَكُمْ فِي قَبْلِ الْأَشْرَافِ
			أَوْ سَفَاحِ الْجِبَالِ
			أَوْ أَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ
			كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رَدٌّ أَوْ دُونَكُمْ مَرَدًّا
			وَلْتَكُنْ مَقَاتِلَكُمْ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ
			أَوْ اثْنَيْنِ
			وَاجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صِيَاصِي الْجِبَالِ
			وَمَنَاكِبِ الْهَضَابِ
			لِنَلَا يَأْتِيَكُمْ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانٍ مَخَافَةٍ
			أَوْ آمِنٍ
			وَاعْلَمُوا أَنَّ مَقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عِيُونُهُمْ
			وَعِيُونَ الْمَقَدِّمَةِ طَلَانُهُمْ
			وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ فَإِذَا نَزَلْتُمْ
			فَانْزِلُوا جَمِيعًا
			وَإِذَا ارْتَحَلْتُمْ
			فَارْتَحِلُوا جَمِيعًا
			وَإِذَا غَشِيَكُمْ اللَّيْلُ
			فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً
			وَلَا تَذُوقُوا النَّوْمَ
			إِلَّا غَرَارًا
			أَوْ مَضْمُضَةً
٤م	علاقة	السبب بالنتيجة (ك/١)	
٣م	علاقة	البديل (ك/١)	علاقة
	علاقة	الشرط بالجواب (ك/١)	
٢م	علاقة	البديل (ك/٢)	علاقة
	علاقة	البديل (ك/٢)	
	علاقة	الاستقصاء (ك/١)	علاقة
	علاقة	البديل (ك/٤)	علاقة
	علاقة	الاستقصاء (ك/٢)	علاقة
	علاقة	الشرط بالجواب (ك/٢)	علاقة
	علاقة	الشرط بالجواب (ك/٣)	علاقة
	علاقة	الشرط بالجواب (ك/٤)	علاقة
	علاقة	الاستثناء (ك/١)	علاقة
	علاقة	البديل (ك/٥)	علاقة

يظهر لنا أن علاقة البديل مهمة جدا في هذا النص لأنها استطاعت أن تقدم لنا البدائل الممكنة في النص مما أسهم في ربط البني الصغرى داخله فربطت بين أجزاء النص، وعبرت عن مقاصد الإمام علي (عليه السلام) من الوصية، وتزداد المعاني عمقا إذا كانت القضية الكبرى جماع بني صغرى مثل ذلك قوله



(عليه السلام) في كتاب له إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة: ((أَفْنَعُ مِنْ نَفْسِي بَانَ يُقَالُ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا أَشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ، أَوْ أَكُونُ أَسْوَأَ لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ! فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْفَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ، هَمَّهَا عَفْهًا، أَوْ الْمُرْسَلَةِ؛ شُغْلُهَا تَقَمُّمُهَا، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلَافِهَا، وَتَلْهُو عَمَّا يَرَادُ بِهَا، أَوْ أُتْرِكَ سُدَى، أَوْ أَهْمَلَ عَابِثًا، أَوْ أُجْرَّ حَيْلَ الضَّلَالَةِ أَوْ أَعْتَسَفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ))<sup>(١)</sup>.

وظف الإمام (عليه السلام) علاقة البديل للحديث عن الغرض من خلق الإنسان، فنفى عنه خمسة أمور هي: ((الأول: أن يكون حال الإنسان حال سائر الحيوانات السائبة أو المعلوفة التي همها علفها، والآخر: أن لا يكون هناك أي غرض من خلقه ويترك لحاله، والثالث: أن يكون الغرض من خلقه اللعب واللهو، والرابع: أن يكون سبب الإضلال الآخرين وإغوائهم، والخامس: ان يتحرك الإنسان نفسه في وادي الحيرة والضلالة))<sup>(٢)</sup>. وعليه فإن الغاية من خلق الإنسان القرب من الله عز وجل وتحصيل الكمال الإنساني والفضائل النفسية ويمكن توضيح البنى الهيكلية للعلاقات الدلالية في هذا الجزء من الرسالة بالمخطط الآتي:



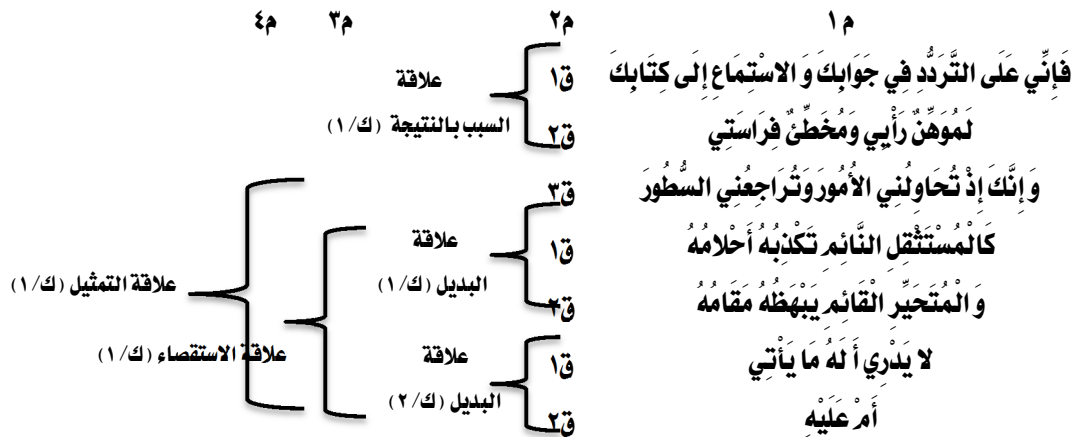
فلنحظ -هنا- أن لعلاقة البديل أهمية بالغة في إحداث التماسك النصي على الصعيد الدلالي في النص، إذ جاءت على نطاق المستويات العليا في النص.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٨٧/١٦ (ك ٤٥).

(٢) نفحات الولاية: ١٠/١٦٠.

(٨) **علاقة التمثيل:** تقوم علاقة التمثيل بالربط بين القضايا في النص، وتتضافر هذه العلاقة ((مع العلاقات الدلالية الأخرى في بناء الوصف داخل النص))<sup>(١)</sup>، وتعتبر عنها الروابط اللفظية (الكاف، مثل، كأن، ...إلخ)، فنرى أثر هذه العلاقة في بناء الوصف ما نجده في قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى معاوية: ((فَإِنِّي عَلَى التَّرَدُّدِ فِي جَوَابِكَ، وَالِاسْتِمَاعِ إِلَى كِتَابِكَ، لَمْوهنَّ رَأْيِي، وَمَخَطُّنُ فِرَاسَتِي، وَإِنَّكَ إِذْ تُحَاوَلُنِي الْأُمُورَ، وَتُرَاجِعُنِي السُّطُورَ، كَأَلْمُسْتَنْقِلِ النَّائِمِ، تَكْذِبُهُ أَحْلَامُهُ، وَالْمُتَحَيِّرِ الْقَائِمِ يَبْهَظُهُ مَقَامُهُ؛ لَا يَدْرِي أَلَهُ مَا يَأْتِي أَمَ عَلَيْهِ))<sup>(٢)</sup>.

أراد الإمام (عليه السلام) إخبار معاوية بأن ((شهوة السيطرة والحكم قد اعمت قلبك، وحطمت اعصابك حتى صرت كالنائم نوما عميقا وقد رأى في منامه أنه نال ما تمنى ... أو كالقلق التائه المضروب على رأسه يقول ويفعل ولا يدري هل الذي حدث منه خير أو شر))<sup>(٣)</sup>، والمشكل هذا التمثيل في قوله (أو المتحير) لأن معاوية بارتكابه اعماله ليس متحيرا لأنه يدري ما له وما عليه، فهذا التمثيل ((إما من عكس التشبيه أو من باب أن المتحير أهون عاقبة من مثل معاوية الذي عاقبته وخيمة والأضعف يشبهه بالأقوى))<sup>(٤)</sup>. وقد ربطت بنية النص بوساطة علاقات دلالية يوضحها المخطط الآتي:



فلا يخفى أثر علاقة التمثيل في إحداث التماسك النصي إذ وقعت على صعيد المستويات العليا في النص. كذلك نجد أن علاقة التمثيل كانت وسيلة لإدخال التناس، بما يثري الإعلامية بما يعبر عن المخزون الثقافي لدى الكاتب وتفاعله مع النص<sup>(٥)</sup>. كقوله في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية جوابا وهو من

(١) علم لغة النص، د. عزة شبل محمد: ٢١٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦٢/١٨ (ك) ٧٣.

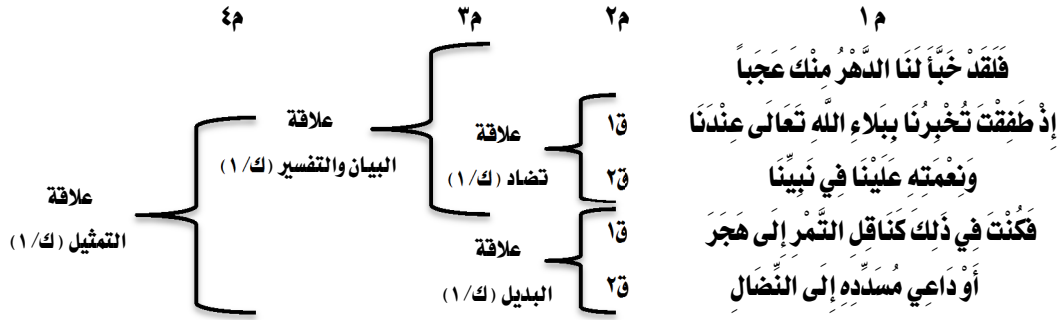
(٣) في ظلال نهج البلاغة: ٥٩٧/٥.

(٤) توضيح نهج البلاغة: ٢٥٨/٤.

(٥) ينظر: علم لغة النص، د. عزة شبل محمد: ٢١٤.

محاسن الكتب: ((فَلَقَدْ خَبَأْنَا لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَبًا، إِذْ طَفَقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا، فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجْرٍ، أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النَّضَالِ))<sup>(١)</sup>.

أراد الإمام (عليه السلام) أن يبين فساد كلام معاوية وقبحه فيما يتصل بوصف الإسلام وعظمة النبي محمد (ﷺ) فجاء بمثلين ((كل واحد منهما أبلغ وأقوى من الآخر))<sup>(٢)</sup>، وقد تضمن النص علاقات دلالية أخرى غير علاقة التمثيل لتحقيق الترابط الدلالي والانسجام النصي فيه، فتوزعت على النحو الآتي:



لقد ربطت علاقة التمثيل بين أجزاء النص، فعملت على تصعيد البناء النصي من خلال التداخل بين هذه العلاقات النصية بعضها ببعض لتوصلنا إلى البنية العليا للنص التي تظهره كقطعة واحدة.

(٩) **علاقة الإجمال والتفصيل:** تعد هذه العلاقة من أبرز العلاقات الدلالية التي ركز عليها اهتمام علماء النص؛ لأنها تضمن اتصال المقاطع النصية بعضها ببعض الآخر بفضل ما تمنحه هذه العلاقة من استمرارية دلالية بين مقاطع النص<sup>(٣)</sup>.

ويقصد بها أن تأتي في النص بنية تحمل دلالة مختصرة، يأتي تفصيلها موزعاً على أبنية عدة تكون متقدمة عليها أو لاحقة، إذ إن البنية المجملية تكون بمنزلة مرجعية تحيل إليها البنى المفصلة<sup>(٤)</sup>. وهذا التفصيل ما جاء إلا ليوفر أو يحقق غاية سعى لها منشئ النص لأن ((علاقة التفصيل بالإجمال لا تخلو من غاية، وهي تأكيد التفصيل للإجمال))<sup>(٥)</sup>.

إذ تجري علاقة الإجمال والتفصيل ((في الأنساق اللغوية التي تتشكل وفق علاقات بنائية مختلفة تكشف عن الحكمة العقلية التي شكلت النص المكتوب، وذلك إن العقل يتحرك بطبيعة تفصيلية

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥ / ١٨١ (ك ٢٨).

(٢) نفعات الولاية: ٩ / ٣٤٦.

(٣) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٢٧٢.

(٤) ينظر: علم اللغة النصي، د. صبحي إبراهيم الفقي: ٢ / ١٨٠، ١٨٤-١٨٥.

(٥) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ١٨٨.

تكشف عن أن هذه الفكرة تتحلل إلى عناصر جزئية صغيرة غير قابلة للجزئية أحيانا أو أنها تتحرك مع عناصر مختلفة تكون هذه العناصر مجتمعة فكرة عامة او كلية. ومن هنا فإن ذكر الشيء ثم تقسيمه إلى عناصر مختلفة في شيء واحد أو ذكر شيء وتفريقه مع عناصره ما هو إلا أسلوب في الإجمال والتفصيل<sup>(١)</sup>.

وعند استقرائي لأمثلة الإجمال والتفصيل في الرسائل والوصايا وجدت أن بنياتها موزعة بين البنية الثنائية وهي أن ((يتعلق بالإجمال عنصران متضمنان في التفصيل لا أكثر))<sup>(٢)</sup> والبنية المتعددة ((وفما ترد ثلاثة عناصر أو أكثر في التفصيل))<sup>(٣)</sup>، لكن جميع هذه البنى مرتبطة فيما بينها بالمستوى التركيبي أي أن تعتمد عناصر التفصيل على ألفاظ وتراكيب لإقامة الصلات والعلاقات بالإجمال أي بالطرف الأول من البنية التركيبية<sup>(٤)</sup>. وقد أدار الإمام (عليه السلام) دلالات الإجمال والتفصيل في مجالات وموضوعات هي:

(أ) **النصح والإرشاد:** تظهر علاقة الإجمال والتفصيل في سياق النصح والإرشاد في قوله في كتاب له (عليه السلام) كتبه لشريح بن الحارث قاضيه: ((هَذَا مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ، مِنْ مَيْتٍ قَدْ أُزْعَجَ لِلرَّحِيلِ، اشْتَرَى مِنْهُ دَارًا مِنْ دَارِ الْغُرُورِ، مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ، وَخِطَّةِ الْهَالِكِينَ. وَتَجَمَّعَ هَذِهِ الدَّارُ حُدُودَ أَرْبَعَةٍ: الْحُدُّ الْأَوَّلُ يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْأَفَاتِ، وَالْحُدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ، وَالْحُدُّ الثَّلَاثُ يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَى الْمُرْدِي، وَالْحُدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي. وَفِيهِ يُشْرَعُ بِأَبْ هَذِهِ الدَّارِ))<sup>(٥)</sup>.

جاءت علاقة الإجمال والتفصيل من نوع البنية المتعددة إذ جاءت تقسيمات حدود الدار رباعية وفاقاً إلى جهات المساحة الأربعة المعروفة في كتب الشروط والأحكام، والمعمول بها حتى وقت قريب من عصرنا، وصيغتها ((هذا ما اشترى فلان من فلان، اشترى منه داراً من شارع كذا وخطة كذا، ويجمع هذه الدار حدود أربعة، فحد منها ينتهي إلى دار فلان، وحد آخر ينتهي إلى ملك فلان، وحد آخر ينتهي إلى ما كان يعرف بفلان، وهو الآن بفلان، وحد آخر ينتهي إلى كذا ومنه شروع باب هذه الدار وطريقها: (((اشترى هذا المشتري المذكور من البائع المذكور جميع الدار المذكورة بثمن مبلغه كذا وكذا ديناراً أو درهماً فما أدرك المشتري المذكور من درك فمرجوع به على من يوجب الشرع الرجوع به عليه)). ثم تكتب الشهود في آخر الكتاب شهد فلان ابن فلان بذلك، وشهد فلان ابن فلان به أيضاً))<sup>(٦)</sup>. عمد الإمام (عليه السلام) إلى تحويل صيغة عقد شراء الدار إلى كتاب وعظي ونصحي ناقلاصيغة الشرط الفقهي إلى معنى آخر جديد لم

(١) الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم، دراسة تحليلية (بحث منشور)، د. فايز القرعان: ١٠.

(٢) نفسه: ١٥.

(٣) نفسه: ١٦.

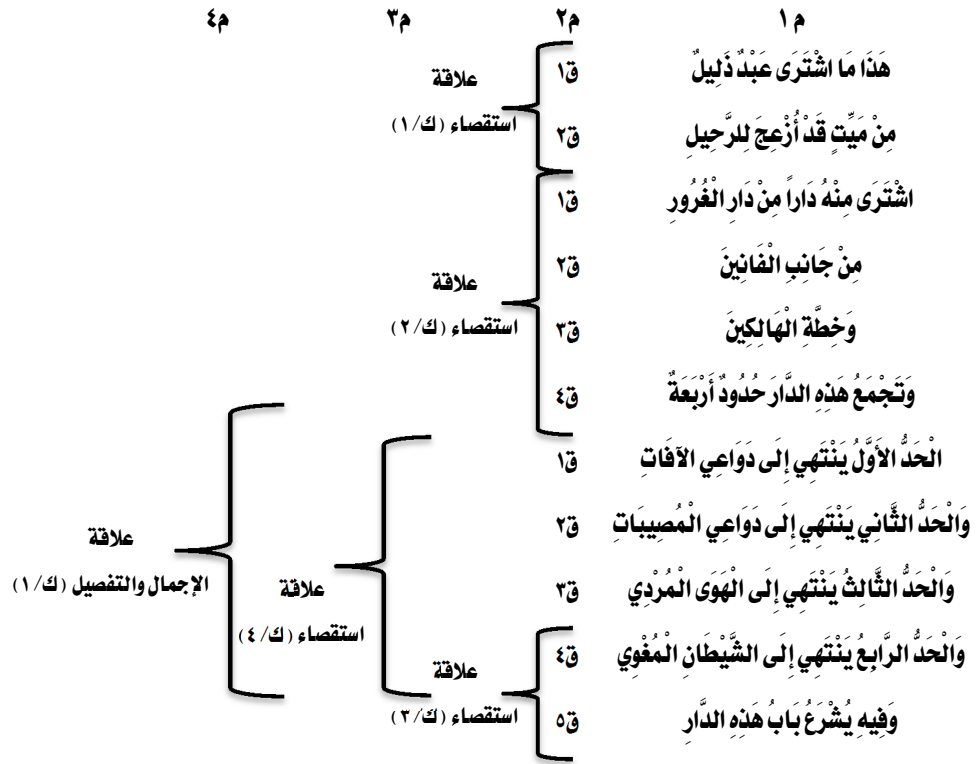
(٤) ينظر: نفسه: ١٥-١٦.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤ / ٢٧ (ك ٣).

(٦) نفسه: ١٤ / ٣٠ - ٣١.

يسبق لأحد أن صاغه على الطريقة التي صاغها بها الإمام (عليه السلام) ((ولا غرو فما زال سبلقا إلى العجائب والغرائب))<sup>(١)</sup>.

فكانت علاقة الإجمال والتفصيل خير توضيح وأفضل إبانة عن الفكرة التي أريد ترسيخها في ذهن المتلقي، يضاف إلى ذلك أن التفصيل بعد الإجمال استطاع أن يضمن للنص استمراريته وتطوره وان يؤدي وظيفته الحقيقية من النص وهي الوظيفة التوجيهية التي ((هي من ضرورات نمو النص وسيورته، إذ كل جملة تلقي مزيدا من الضوء على المنطلق، سواء أ جاء على أصله أم لا، فقد يحدث أن المنطلق يكون في البداية ثم تتوالى جمل تخصصه))<sup>(٢)</sup>. لقد أظهرت علاقة الإجمال والتفصيل هذا النص مترابطا قويا اجتمعت معها علاقات دلالية أخرى ساعدت على ظهوره نصا منسجما مترابلا وهذا ما أهله للقبول والتأثير في المتلقي وتوضح هذه العلاقة من خلال المخطط الآتي:

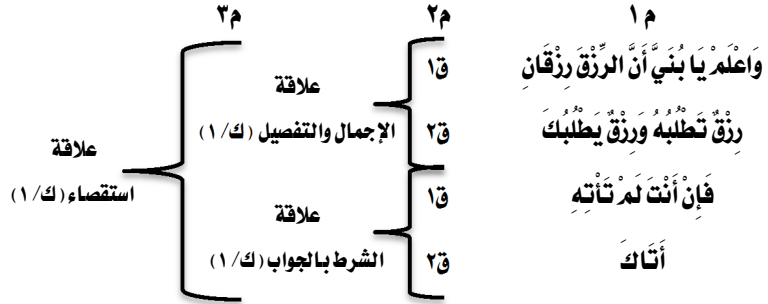


قامت علاقة الإجمال والتفصيل - بحسب البنية المتقدمة - بالربط بين أجزاء نص الرسالة من خلال ربطها بعدد من البنيات، فلفظة (حدود) مجملة، جاء التفصيل بعد ذلك موزعا على عدد من البنى النصية أسهمت في إظهار قضية النص وهي (شراء الدار) ومن النصح أيضا ما جاء في قوله (عليه السلام) في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام): ((وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ أَنَّ الرِّزْقَ: رِزْقَانِ رِزْقٌ تَطْلُبُهُ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ، فَإِنَّ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٣١ / ١٤.

(٢) النص من القراءة إلى التنظير: د. محمد مفتاح: ١٣.

أَتَاكَ<sup>(١)</sup>. لقد جاء الإجمال والتفصيل من نوع البنية الثنائية، فقد ثنى الإمام (عليه السلام) لفظة (الرزق) وقسمها على نوعين وذلك على سبيل الوعظ والنصح لابنه الحسن (عليه السلام) فعملت هذه العلاقة على تحريك ذهن المتلقي إلى أن يخمن المعنى العام من النص مع ما فيه من علاقات دلالية أخرى، كما يوضحها المخطط الآتي:



(ب) ذم أصحابه والزمان والدنيا: استثمر الإمام (عليه السلام) علاقة الإجمال والتفصيل في بيان أحوال أصحابه الذين دعاهم إلى غياث محمد بن أبي بكر، وكان ذلك في الكتاب الذي وجهه إلى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر: ((وَقَدْ كُنْتُ حَثَّتُ النَّاسَ عَلَى لِحَاقِهِ، وَأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ، وَدَعَوْتُهُمْ سِرًّا وَجَهْرًا، وَعَوْدًا وَبَدَأً، فَمِنْهُمْ الْآتِي كَارِهَاً، وَمِنْهُمْ الْمُعْتَلُّ كَاذِبًا؛ وَمِنْهُمْ الْقَاعِدُ خَاذِلًا))<sup>(٢)</sup>.

لقد مثلت لفظة (الناس) مركز الثقل في الإجمال، ثم تلاه التفصيل بالبنية المتعددة وبعناصرها المركبة متصلة به، ومتمثلة بتقسيم صفات هذه الفئات من أجل إفهام المخاطب، وهذا الإفهام يتحقق ((من خلال ما يحمله النص من رموز وإيحاءات ودلالات لتحقيق الاستجابة في الفهم))<sup>(٣)</sup>، فجاء هذا التقسيم مشيرًا إلى ما كان عليه أصحاب الإمام (عليه السلام) من التناقل في تلبية نصرة محمد بن أبي بكر كذلك أفاد معنى الشكوى منهم.

فمنهم من أجابه وخرج معه، لكنه كارهًا للخروج وهؤلاء ((يحضرون إلى الميدان كارهين لا يوفقون للقيام بأي عمل إيجابي))<sup>(٤)</sup>، ومنهم من قعد معتلين بعلى كاذبة فهم ((ينسلون من ميدان المواجهات بتبريرات واعدار مختلفة لإبعاد أنفسهم عن مواجهة العدو))<sup>(٥)</sup>، ومنهم من تأخر مصرحًا بالعودة والخذلان وهم ((الذين يخالفون الحضور في الميدان بصراحة ويحرضون الناس على القعود معهم))<sup>(٦)</sup>.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١١٢ / ١٦ (و ٣١).

(٢) نفسه: ١٤٥ / ١٦ (ك ٣٥).

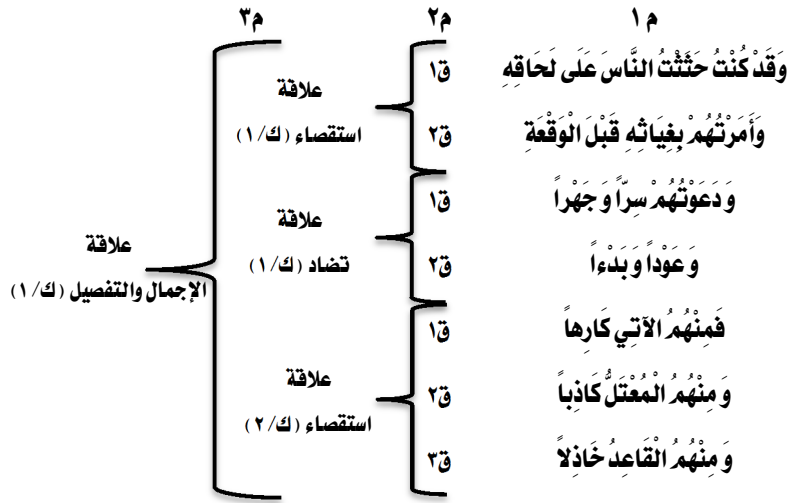
(٣) النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، د. هناء محمود اسماعيل: ١٧١.

(٤) نفحات الولاية: ٣٤ / ١٠.

(٥) نفسه: ٣٤ / ١٠.

(٦) نفحات الولاية: ٣٤ / ١٠.

فجاء هذا التقسيم ضروري لفهم المعنى المراد وإقناع المخاطب ويمكن تمثيل العلاقات الواردة مع علاقة الإجمال والتفصيل بالمخطط الآتي:



يتضح لنا من هذا المخطط ما لعلاقة الإجمال والتفصيل من أثر كبير في لم شتات النص والتقريب بين أجزائه من خلال ربط أوله بآخره مع ما احتواه النص من توازن موسيقي لأن التقسيم بما احتواه من التوازن والانسجام في ظواهره الإيقاعية يشد النفس إليه ويشوقها ويجعلها أكثر قبولاً للفن القولي المتوفر عليه عن طريق الإيحاء الموسيقي (النغمي) بما يتناسب مع تموجات النفس البشرية<sup>(١)</sup>، فجاء النص كلاموح دامنسجما ومترباطاله تأثيره الواضح على متلقيه. ومن ذم الزمان والدنيا قوله (الخطيب) في كتاب له إلى عبد الله بن العباس: ((فإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقِ أَجَلِكَ، وَلَا مَرزُوقٍ مَا لَيْسَ لَكَ، وَأَعْلَمُ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ، وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُولٍ، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ))<sup>(٢)</sup>.

تحدث الإمام (الخطيب) في هذا النص عن أجل الإنسان ورزقه ممهداً للوصول إلى علاقة الإجمال والتفصيل وهي من نوع البنية الثنائية، ولو أمعنا النظر في أطراف هذه العلاقة نجدتها ترتبط بعلاقة التضاد التي أسهمت في تصعيد المعنى في النص وجاء الإجمال والتفصيل في هذا النص في موضعين: الأولى: فيما يخص الدهر، فقوله: (الدهر يومان) إجمال وقوله: (يوم لك ويوم عليك) تفصيل. وأما الآخر: فهو ما يخص الدنيا، فالإجمال في قوله: (الدنيا دار دول) والتفصيل في قوله: (فما كان فيها لك أتاك على ضعفك وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك). والمخطط الآتي يبين العلاقات الدلالية المؤثرة في النص.

(١) ينظر: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: ٦٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦٠/١٨ (ك ٧٢).

	٢م	١م
	علاقة	فإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقِ أَجَلِكَ
	استقصاء (ك/١)	وَلَا مَرزُوقٍ مَا لَيْسَ لَكَ
	علاقة	وَأَعْلَمُ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ
علاقة	علاقة	يَوْمٌ لَكَ
الإجمال والتفصيل (ك/١)	تضاد (ك/١)	وَيَوْمٌ عَلَيْكَ
	علاقة	وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُولٍ
علاقة	علاقة	فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ
الإجمال والتفصيل (ك/٢)	تضاد (ك/٢)	وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ

نلاحظ هنا أن تقسيمات الإمام العقلية مستوفية معانيها سليمة من النقص والخلل، ((فلم يغادر ركناً من أركان المعنى إلا ذكره، فتم المعنى وجاء في نهاية البلاغة))<sup>(١)</sup>. فأسهمت علاقة الإجمال والتفصيل في تعميق المعنى وتوضيحه من جهة، وعملت على تثبته في ذهن المتلقي من جهة أخرى، إذ وقعت هذه العلاقة في المستوى الثالث من مستويات البنية النصية.

**جد الأمور الدينية:** تناول الإمام (عليه السلام) ضمن علاقة الإجمال والتفصيل عرض مجموعة من الأمور الدينية منها ما جاء في عهده (عليه السلام) للأشتر النخعي عندما أمره بالإحسان للرعية، فقال: ((وَأَشْعُرْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ؛ وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعاً ضَارِباً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَحَ لَكَ فِي الدِّينِ؛ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلْلُ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلْلُ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَأِ))<sup>(٢)</sup>. جاءت علاقة الإجمال والتفصيل من نوع البنية الثنائية، إذ تمثل الإجمال في قوله:

(صنفان)، ثم تلاه تفصيل ذلك، إذ قسمها على قسمين: أح لك في الدين وإما نظير لك في الخلق.

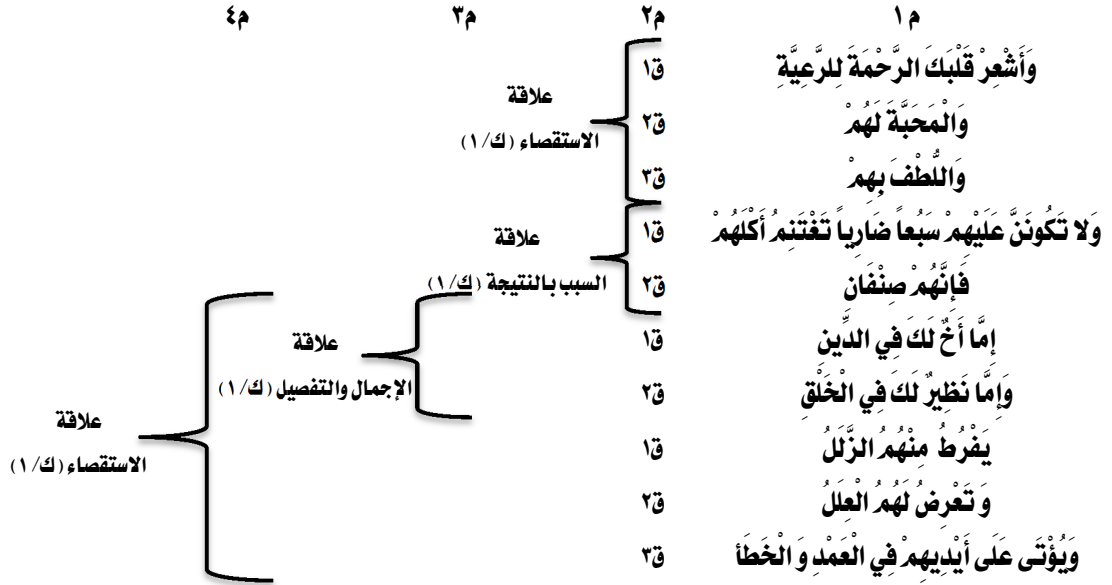
لقد ساعدت العلاقات المنطقية في ظهور النص محكما اتسم بالانسجام والترابط، وهذا ما أهله للقبول وامده بالقدرة على التأثير في المتلقي؛ لأنه نص عابر لحدود الزمان والمكان لكون الفكرة التي يقدمها فكرة إنسانية؛ لأنه ((يتجاوز حدود الطوائف والأديان، تجعل الناس كلهم مهما كانت ألوانهم وأديانهم تحت مسمى الرعية والحاكم مسؤول عن حماية أمنهم وحياتهم. إنها شراكة عادلة أن يتناصف الناس بقسمين الأخوة في الدين والشبه في الإنسانية، وهما أدعى لاحترامهما كما يرى أمير المؤمنين (عليه السلام))<sup>(٣)</sup>. فانتمت العلاقات الدلالية في النص على النحو الآتي:

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، القرطاجني: ١٥٦.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٣٢/١٧ (ك ٥٣).

(٣) بلاغة النهج في نهج البلاغة، د. عباس علي الفحام: ١٩١.

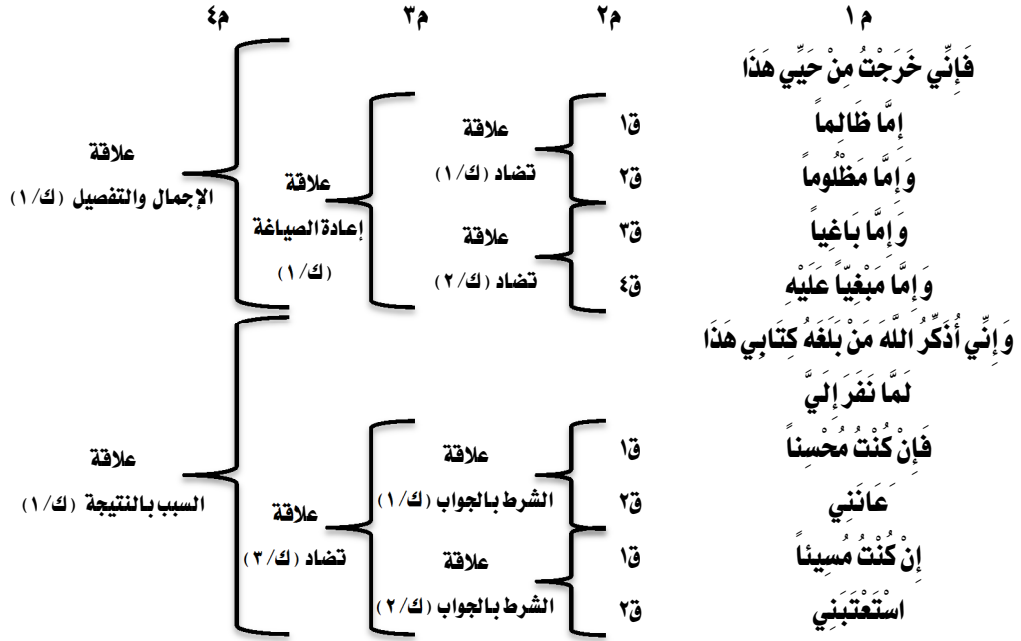




ف نجد أن علاقة الإجمال والتفصيل تشترك مع العلاقات الأخرى في إيضاح الوحدة الدلالية على المستوى الرأسي للنص فضلا عن أنها قد عملت على إيجاد العلاقات بين أجزاء الكلام على وفق قواعد منطقية مما يبعث على تشويق المتلقي وشحن ذهنه لملاحقة الأجزاء وإعادة تركيبها لتأويل الدلالة المتضمنة فيها مما يعمل على انسجام النص ومثلها أيضا ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة: ((أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي خَرَجْتُ مِنْ حَيِّي هَذَا إِمَّا ظَالِمًا وَإِمَّا مَظْلُومًا، وَإِمَّا بَاغِيًا وَإِمَّا مَبْغِيًا عَلَيْهِ وَأَنَا أَذْكَرُ اللَّهِ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَذَا لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ، فَإِن كُنْتُ مُحْسِنًا أَعَانَنِي، وَإِن كُنْتُ مُسِيئًا اسْتَعْتَبَنِي))<sup>(١)</sup>.

يتضمن هذا النص حديث الإمام (عليه السلام) عن نفسه فقد قسم أحواله على أمرين: إما أن يكون ظلما أو مظلوما وإما باغيا أو مبعيا عليه والغاية من الإجمال والتفصيل هنا أن يحرك همة الناس ويستميلهم إليه، فمعنى كلامه فلينفروا إلي الناس فإن وجدوني مظلوماً أعانوني وإن وجدوني ظلما نهوني عن ظلمي لأعتب وأرجع إلى الحق، وعكس التضاد الاختلاف بين هذه الأحوال ويلحظ هنا ان الامام بدأ الكلام بالتضاد وختمه بالتضاد أيضا والمخطط الآتي يوضح انتظام هذه العلاقات الدلالية:

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/١٤٠ (ك ٥٧).



فتظهر العلاقات الدلالية بين سلسلة من الجمل مما يشكل ((عناقيد من الدلالات))<sup>(١)</sup> أسهمت في تماسك أجزاء النص وتحقيق مقاصد الامام (عليه السلام) في تنفير الناس وحثهم على التحرك معهم مما تقدم يتضح لنا هذه العلاقة تعتمد على طريقين: يكون أحدها مجملا والآخر يمثل تفصيلا لذلك المجمل من خلال إيراد عناصر أو أقسام مختلفة تجتمع كلها لتعود من ثم فتعطي معنى الطرف الاول وقد وجدت أن الإمام (عليه السلام) يستعمل علاقة الإجمال والتفصيل في نصوص الرسائل والوصايا؛ إذ تسمح تلك العلاقة بالامتداد النصي من خلال تناسل الموضوعات المختلفة المرتبطة بمركز واحد، هو الطرف المجمل.

(١٠) **علاقة القسم والجواب:** من العلاقات التي تربط بين أجزاء النص ولاسيما جزئي التركيب القسمي (تركيب القسم وتركيب جواب القسم)، وغالبا ما يرد استعمال هذه العلاقة في النصوص المدروسة في مواضع التقرير والتهديد والوعيد وذلك لتوكيد الكلام، كما قال سيبويه: ((اعلم أن القسم توكيد لكلامك))<sup>(٢)</sup>. ولتلمس أثر هذه العلاقة في احداث الانسجام النصي نأخذ قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى زياد بن أبيه: ((وَإِنِّي أَقْسَمُ بِاللَّهِ قَسَمًا صَادِقًا، لَنْ بَلِّغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فِيءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا، لِأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شِدَّةَ تَدْعَاكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ، ضَبِيلَ الْأَمْرِ))<sup>(٣)</sup>.

إن دلالة التهديد واضحة جلية في النص<sup>(\*)</sup>، وبالطبع فإن علاقة القسم وجوابه تكشف جانبا من جوانب القضية الكبرى، التي تكتمل جوانبها الأخرى في ضوء مجموعة من العلاقات الدلالية الأساسية

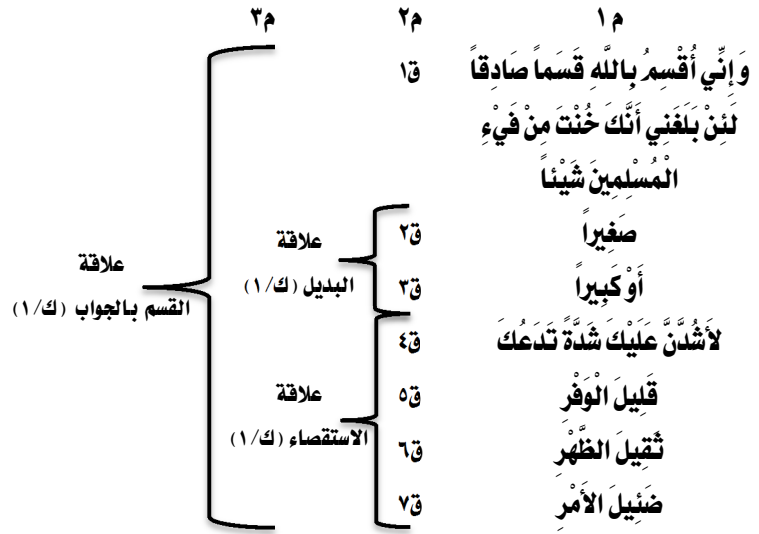
(١) علم لغة النص، د. عزة شبل محمد: ٢١٢.

(٢) الكتاب: ١٠٤/٣.

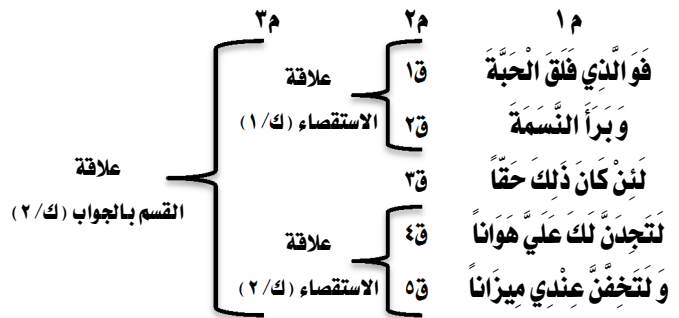
(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٣٨/١٥ (ك ٢٠).

(\*) قد سبق تناوله في المبحث الأول من الفصل الأول في موضوع السجع المرصع، ينظر: الصفحة (١٨) من البحث.

كالاستقصاء والبديل لإبراز المعنى وإظهار مشاعر الاستياء من أفعال المخاطب (زياد بن أبيه) ويمكن تمثيل ذلك بالمخطط الآتي:



لقد أسهم عقد العلاقات فيما بينها على المستويات المتدرجة كافة في الوصول إلى القضية الكبرى للنص الذي برز علاقة القسم بالجواب إذ عملت على صعيد البنية العليا للنص. وقد يرتبط أكثر من جواب بالقسم المتقدم كما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامله على أردشير وقد بلغ الإمام (عليه السلام) أنه يقسم في المسلمين وقد تصرف فيه: ((فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسْمَةَ؛ لِنِّينِ كَانَ ذَلِكَ حَقًّا. لَتَجِدَنَّ لَكَ عَلِيَّ هَوَانًا، وَلَتَخْفَنَّ عِنْدِي مِيزَانًا))<sup>(١)</sup>. بدأ الإمام (عليه السلام) بالقسم بهذه الصفات الإلهية التي تشير إلى عظمة الله سبحانه وتعالى وقدرته اللامتناهية، ((وكان (عليه السلام) كثيرا ما يحلف بقوله والذي فلَقَ الحبة وبرأ النسمة إذا اجتهد في يمينه وهذا مما لم يسمع من غيره أن يقسموا به وكان (عليه السلام) متفردا بإنشائه والحلف به))<sup>(٢)</sup>، وذلك لتبلغ دلالة التهديد منهاها عند المتلقي. وقد عملت علاقة القسم على تحقيق التماسك النصي لأنها جاءت على صعيد المستويات العليا كما في المخطط الآتي:



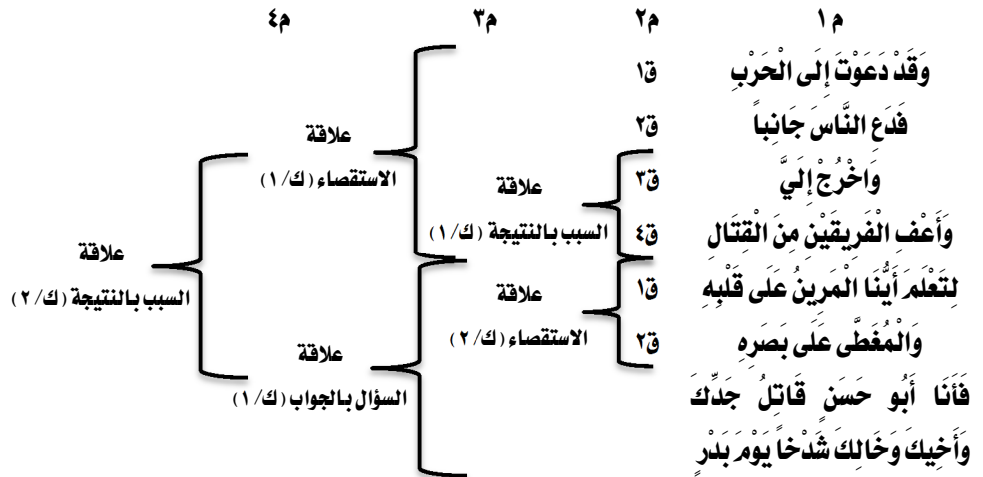
(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦ / ١٧٥ (ك ٤٣).

(٢) منهاج البراعة: ١٨ / ١٩٢.

نلاحظ هنا أن علاقة الاستقصاء عملت مع علاقة القسم بالجواب في إيضاح المعنى عند المخاطب وربط أجزاء النص بعضها مع بعضها الآخر.

(١١) **علاقة السؤال والجواب:** تقوم هذه العلاقة بوظيفة أساسية داخل نصوص الرسائل والوصايا في نهج البلاغة تتمثل في بناء الحوار ويعبر عنها من خلال أدوات الاستفهام (الهمزة، أي ، أين ، ...)، على نحو ما نجد في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية: ((وَقَدْ دَعَوْتُ إِلَى الْحَرْبِ فَدَعَّ النَّاسَ جَانِبًا، وَأَخْرَجَ إِلَيَّ، وَأَعْفَ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ، لَتَعْلَمَ أَيْنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ، وَالْمُعْطَى عَلَى بَصْرِهِ! فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ، قَاتِلُ جَدِّكَ وَأَخِيكَ وَخَالِكَ شَدْحًا يَوْمَ بَدْرٍ))<sup>(١)</sup>.

أسهمت علاقة السؤال والجواب في ربط أول خيط لهذا النص من الرسالة بآخره؛ لأنها من العلاقات المهمة التي تربط بين معاني الجمل فتحقق لها التماسك الدلالي، إذ كانت إحدى الوسائل التي استعان بها الإمام (عليه السلام) في بيان الاختلاف الواضح بينه وبين معاوية الذي يعكس الاختلاف بين الحق والباطل وتمت هذه العلاقة بين قوله: ((أينا المرين على قلبه...)) وقوله: ((فأنا أبو حسن...))، وقد تداخلت مع هذه العلاقة علاقات دلالية أخرى لتؤدي جميعها إلى ترابط المعنى وتماسكه، ويمكن توضيح ذلك بالمخطط الآتي:



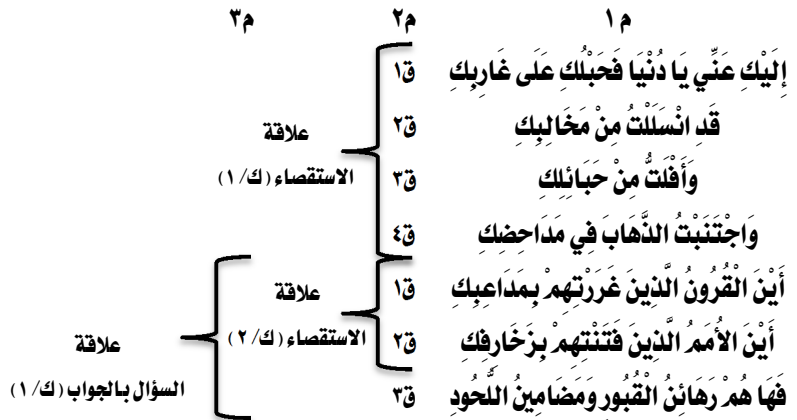
ومثل هذه العلاقة أيضًا ما جاء في قوله في كتابه له (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة: ((إِيَّاكَ عَنِّي يَا دُنْيَا، فَحَبْلُكَ عَلَى غَارِبِكَ، قَدْ أُنْسَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكَ، وَأَفَلْتُ مِنْ حَبَائِكَ وَاجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَا حُضِّكَ أَيْنَ الْقُرُونِ الَّذِينَ غَرَّرْتَهُمْ بِمَدَاعِبِكَ! أَيْنَ الْأَمْرُ الَّذِينَ فَتَنْتَهُمْ بِزُخَارِفِكَ! فَهَا هُمْ رَهَائِنُ الْقُبُورِ، وَمَضَامِينُ اللَّحُودِ))<sup>(٢)</sup>.

نرى في هذا النص أن هناك نوعين من المخاطبين الأول: (مخاطب مباشر) وهو عثمان بن حنيف، والآخر: (مخاطب غير مباشر)، وهو جميع المخاطبين على امتداد التاريخ البشري محذرا أيهم جميعا من مغبة الوقوع في مصائد الملذات الدنيوية والنوازع النفسية بلغة في غاية الجمال الأدبي والروعة

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧٩/١٥ (ك ١٠).

(٢) نفسه: ٢٩٢-٢٩٣ (ك ٤٥).

والبلاغة، فقد شبه الدنيا بأربعة أشياء لتنفير المخاطبين منها. الأول: أن الدنيا تشبه الناقة التي تغري صاحبها فما أن يتركها في مرعاها حتى تنشغل عنه بالرعي في المرتع والثاني: يشبه الإمام (عليه السلام) الدنيا بالسبع الذي يروم صيد الفريسة بمخالبه القوية. والثالث: يشبه الإمام (عليه السلام) الدنيا بالصياد الذي نصب حباله وشراكه لصيد الحيوانات أو الطيور. والرابع: يشبه الدنيا بالمنزلق الخطير والوادي السحيق الذي يحوي مزالق كثيرة من المال والمنصب والزوجة والأبناء والماديات المغرية، فذكر الإمام (عليه السلام) أنه لا يسقط في حبالها ولا في مخالبها ولا في منزلقها<sup>(١)</sup>. ثم جاءت علاقة السؤال والجواب لأجل النصح والوعظ والإرشاد من خلال الاعتبار بمصير الأقسام السابقة وقد تضافرت معها علاقة الاستقصاء (الإضافة) لإتمام المعنى كما موضح في المخطط الآتي:



لقد كان أثر هذه العلاقة واضحاً في النص لأنها جاءت على مستوى البنية العليا، إذ جاءت على صعيد المستوى الثالث.

(١٢) **علاقة التفسير والبيان:** قد يلجأ الإمام (عليه السلام) إلى تفسير لفظ أو حكم أو رده، فيقيم علاقة بين المفسر والمفسر: إذ هما في الحقيقة شيء واحد، إلا إن المفسر يحمل دلالات إضافية كإزالة إبهام في المفسر أو تحديد المعنى أو زيادة المفسر ووضوحاً

ومن أمثلة هذه العلاقة قوله في عهده لمالك الأشتر حين ولاه مصر: ((وَأَرَدُّ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ، وَيَشْتَبِيهِ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحِبَّ إِرْشَادَهُمْ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾، فَالردُّ إِلَى اللَّهِ الْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفْرَقَةِ))<sup>(٢)</sup>.

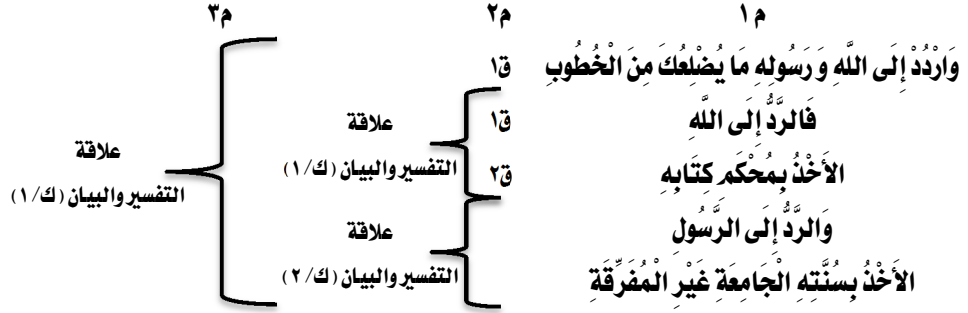
لقد أراد الإمام (عليه السلام) تفسير ما تحمله هذه الآية القرآنية من معنى، فقد تحمل في طياتها إبهاماً وهو أمر قد يقع فيه بعض المتلقين ومن أجل إبعاد المتلقين عن هذا الإبهام اتبع كل لفظ بتفسيره حتى يميز بين الرد إلى الله والرد إلى الرسول كذلك نلاحظ أن الرد إلى الرسول فيها تتبين أكثر، إذ إنه ((سنة

(١) ينظر: نفحات الولاية: ١٠/١٦٧-١٦٨.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/٥٢ (ك ٥٣).

الرسول كلها جامعة ولكن رويت عنه سنن اختلفت بها الآراء، فإذا أخذت فخذ بما أجمع عليه مما لا يختلف في نسبه إليه<sup>(١)</sup>.

والحاصل في هذا التفسير أنه جعل الامتداد في النص مشتبكا بعبئه ببعض، فلا يمكن للمتلقي الاكتفاء بذكر الألفاظ والأحكام دون تفسيرها ويمكن توضيح سير هذه العلاقة بالمخطط الآتي:



أما اللجوء لعلاقة التفسير للفظ متقدم في النص، فنجد له مثالا في كتاب له (عليه السلام) إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة: ((وَمُرَّ أَهْلَ مَكَّةَ أَلَّا يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنِ أَجْرًا، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ ﴿سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ فَأَلْعَاكِفُ: الْمُقِيمُ بِهِ، وَالْبَادِي الَّذِي: يَحْجُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ))<sup>(٢)</sup>. لقد عمد الإمام (عليه السلام) إلى تفسير لفظتين حملتهما هذه الآية القرآنية فأتبع كل لفظة بما يفسرها وكأنه (عليه السلام) يشرح للمتلقي معنى تلك الألفاظ، فيقرب معناها من ذهن المتلقي وقد أقام بذلك التفسير تماسكا دلاليا بين المفسر والمفسر إن هذا الأثر الدلالي لعلاقة التفسير لا ينكشف إلا من خلال تتبع سبب النص وتتبع الوحدات النصية للوصول إلى ربط دلالي لها.

(١٣) **علاقة التتابع المفاجئ**: تشهد نصوص الرسائل ظهور علاقات دلالية ثانوية، لأن نسبة تواترها أقل من أنواع العلاقات الأخرى، لكنها يعتمد عليها في بناء النص ومن هذه العلاقات علاقة التتابع المفاجئ في ظهور الأفعال وتضفي على النصوص التي توجد فيها طابع المصادفة أو سمة المفاجأة بظهور شيء جديد لا يترتب ظهوره على ما سبقه<sup>(٣)</sup>. وقد ذكر أرسطو أن عدم التوقع في النص يحدث ((روعة أعظم مما تحدثه لو وقعت من تلقاء نفسها أو بمحض الاتفاق))<sup>(٤)</sup>، لذلك يستعين المرسل بالروابط اللفظية بين الجمل مثل (إذا) الفجائية التي تعبر عن الظهور المفاجئ في النص<sup>(٥)</sup>.

إذن وظيفة هذه العلاقة أنها تقوم ((بتقديم مراجع جديدة أخرى في النص))<sup>(٦)</sup>، ومن أمثلة هذه العلاقة قوله (عليه السلام) في وصيته لأبنيه الحسن (عليه السلام): ((وَأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لَا يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ، وَلَا يَفُوتُهُ

(١) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ٤٦٥/٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨ / ٣٠ (ك ٦٧).

(٣) ينظر: علم لغة النص، د. عزة شبل محمد: ٢٠٤.

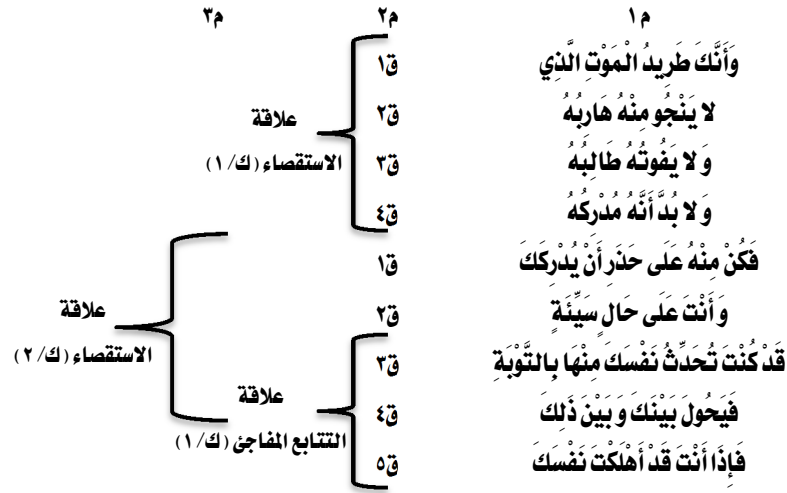
(٤) في الشعر، أرسطو طاليس: ٦٨.

(٥) ينظر: معاني النحو: ٩٨/٤.

(٦) علم لغة النص، د. عزة شبل محمد: ٢٠٥.

طَالِبُهُ، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ، فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ؛ قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ، فَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ))<sup>(١)</sup>.

نلاحظ في النص دلالة الوعظ والإرشاد فضلا عن اتسامه بالانفتاح إذ تمكن الإمام أن يقدم هذه الموعدة لتشمل الإنسانية جمعاء في مختلف الأزمان والأمكنة، فبينما الإنسان يحدث نفسه بالتوبة قبل موته إلا إن اغتراره بالحياة تمنعه من ذلك فيتفاجأ بتحول حاله إلى حال أخرى، وهذا ما أفادته (إذا الفجائية) وقد تضافرت علاقات دلالية أخرى مع علاقة التتابع المفاجئ لإظهار مدى تماسك النص وانسجامه إذ عملت هذه العلاقة على صعيد مستوى البنية الثانوية على تحقيق الترابط بين حدثين منفصلين كل منهما يمثل حالة مختلفة عن الحالة الأخرى ويمكن توضيح ذلك كما في المخطط الآتي:



وقد توجد هذه العلاقة على مستوى البنية الكبرى، وذلك لتحقيق مقاصد الإمام (عليه السلام) من ذلك ما نجده ماثلا في قوله (عليه السلام) في كتابه إلى قاضيه شريح بن الحارث: ((فَانظُرِيَا شَرِيحَ لَا تَكُونِ ابْتَعَتْ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الآخِرَةِ))<sup>(٢)</sup>.

نلاحظ في هذه الجمل عناية بالغة بالدلالة والمعنى اللتين فرضتا العناية في صياغتها، فالجمل الأولى بدأت بفعل منفي (لا تكون) التي تنفي وقوع هذا الفعل من قاضيه أو تستبعده مع تأكيد الإمام (عليه السلام) من حصول الفعل ووقوعه فعلا دون أدنى شك ولكنه عمد إلى هذا الأسلوب اللغوي ليحقق غايتين أو مقصدين.

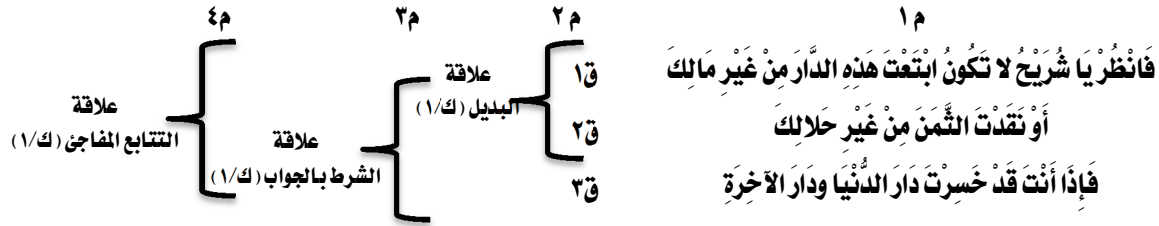
الغاية الأولى (المقصد المباشر) مراعاة الحالة النفسية للمتلقي حتى لا يكون وقع الأمر قويا عليه، فيبعد النص عن غايته من الوعظ والإرشاد. والأخرى (المقصد غير المباشر) إكسابنا معرفة بكيفية صياغة عبارتنا بما يتناسب مع المواقف التي تواجهنا وعدم التسرع في اتخاذ القرارات إلا بعد مشاورة ذوي الألباب، والا فإن ذلك يوقعنا في الخطأ والإثم. وبذلك حققت علاقة التتابع المفاجئ قبولا عند المتلقي؛ لأنه لكي يكون النص مقبولا عند المتلقي لابد من أن تكون مجموعة الوحدات الكلامية تشكل نصا متماسكا يمس المتلقي من طرف ما، ويحدث منه تغيرا وعندها لابد أن يكون النص ((ذا

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٨٩/١٦ (و ٣١).

(٢) نفسه: ٢٧/١٤ (ك ٣).



نفع للمستقبل أو صلة ما به، أي اكتسابه معرفة جديدة أو قيامه بالتعاون لتحقيق خطة ما))<sup>(١)</sup>، فانتمت البنى الهيكلية للنص على النحو الآتي:



وكذلك ظهرت هذه العلاقة في قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى المنذر بن الجاورد العبدي (وقد خان في بعض ما ولاه من أعماله): ((فَإِنْ صَلَاحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هُدْيَهُ، وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ، لَا تَدْعُ لِهَوَاكَ انْقِيَادًا، وَلَا تُبْقِي لِأَخْرَتِكَ عِتَادًا، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ أَخْرَتِكَ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ))<sup>(٢)</sup>.

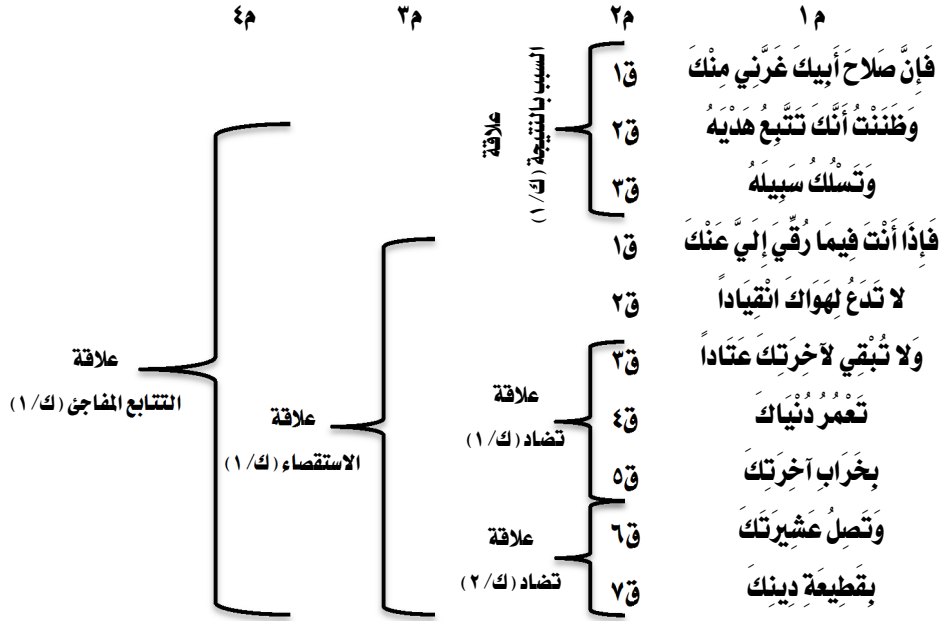
فعمت علاقة التتابع المفاجئ صورتين متناقضتين، الأولى صورة الأب الصالح، والأخرى صورة الابن الطالح، فوظف الإمام (عليه السلام) (إذا الفجائية) التي أفادت عنصر المفاجأة في النص من هذا السلوك المنكر الذي غذته علاقة التضاد الرابطة بين الجمل المتتالية لتقدم هذه العلاقات الدلالية جميعها السبب الحقيقي وراء كتابة هذا النص، إذ تمثل علاقة السبب والنتيجة العلاقة الأساسية في النص فاجتمعت مع (إذا الفجائية) الفاء السببية لأن الإمام (عليه السلام) أراد معني السبب والمفاجأة في النص، وقد وظف الإمام (عليه السلام) دلالة صيغة الفعل المبني للمجهول (رقي) التي تدل على عدم القصد من الإمام مدعماً ذلك بدلالة الفعل (رقي)<sup>(٣)</sup>، لبيان السبب الذي دفعه لكتابة هذه الرسالة ويمكن توضيح ذلك بالمخطط الآتي:

(١) مدخل إلى علم لغة النص، إلهام أبو غزالة وعلي الحمد: ٣١.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٥٤/١٨ (ك ٧١).

(٣) رقي إلى: رفع وأنهى إلى، ينظر: لسان العرب، مادة (رقا): ٢٠٩/٦.





لقد كانت علاقة التتابع المفاجئ علاقة رئيسية في النص، إذ إنها أسهمت مع علاقات دلالية أخرى كعلاقة الاستقصاء وعلاقة السبب والنتيجة والتضاد، التي ترابطت لإظهار انسجام النص وتماسكه. وخلاصة لما تقدم ذكره أنه لوحظ في أغلب النصوص ترابط العلاقات الدلالية فيما بينها إذ نادرا ما يشمل النص على علاقة واحدة فضلا عن أن هذه العلاقات الدلالية عملت في إطار بنية عليا هي بنية تلك العلاقات بما يتلاءم مع موضوع الرسالة أو الوصية مما حقق قوة تماسك النصوص وانسجامها.

### ثانيا الأبنية العليا.

لكل نص بنية عليا تميزه وتجعله ينتمي إلى نوع معين من النصوص رغم أن هذه البنية العليا ترتبط بالجانب الشكلي من النص وهي ((لا تكشف في النص عن بنية كلية خاصة تالية فحسب، بل إنها تحدد في الوقت ذاته النظام الكلي لأجزاء النص أيضا...، ومن ثم فإنها نوع من التخطيط (مخطط Schema) الذي يتواءم النص معه))<sup>(١)</sup>.

إذ تعد ((إحدى الروابط النصية على المستوى الأعلى باعتبارها أداة تنظيمية تحدد النظام الكلي لأجزاء النص))<sup>(٢)</sup>. وتعرف أنها ((المخطط المجرد الذي يحدد النظام الكلي لنص ما، وتتكون من مجموعة من المقولات التي تركز إمكاناتها التأليفية على قواعد عرفية))<sup>(٣)</sup>. أي إن هذه البنية - شأنها شأن الأبنية النحوية - تركز على قواعد عرفية ولكن هناك سمة مشتركة أخرى بين البنيتين (العليا والكبرى) في أنهما لا تتحددان بالنظر إلى جمل مستقلة أو تتابعات جزئية في الجمل، بل بالنسبة للنص بوصفه كلا<sup>(٤)</sup>.

(١) علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات: ٢١٠.

(٢) نظرية علم النص: ١٥٧.

(٣) علم النص: مدخل متداخل الاختصاصات: ٢١٢.

(٤) ينظر: نفسه: ٢٠٩.

وعليه هناك أساسان للبنية العليا، الأول: هيكلية<sup>(\*)</sup> يستند إلى قواعد عرفية، والآخر: تداولي مرتبط بغرض الكاتب ومقصده<sup>(١)</sup>، وكلاهما مترابطان حيث يشترك عند تكوين النص أن يعلم منتج النص ماذا يريد بوساطة النص المخطط له؛ لذلك فهو ينشط القالب المناسب لهذا المطلب ذي الصورة النمطية الذي يصبح حينئذ ذا قيمة توجيهية في عملية استقبال النص وتفسيره<sup>(٢)</sup>.

ونحن في هذه الدراسة يجب علينا تحديد النصوص المدروسة من الرسائل والوصايا وبيان أنواعها وأشكالها النصية، إذ يرى (فان دايك) أن ((التفريق بين أنواع مختلفة من الأبنية النصية ضروري، لأن هذا يرتبط بمعايير إدراكية واتصالية واجتماعية وثقافية متباينة))<sup>(٣)</sup>. فضلا عن أن لكل نوع من أنواع النصوص ملامح وصفات خاصة، وقد قسمها (فان دايك) على ثلاثة أنواع رئيسية هي:

☒ النصوص السردية.

☒ النصوص الجدلية (الحجاجية).

☒ النصوص البحثية.

وقد حدد أسس الترميز أو التجنيس النصي في ضوء السمات الدلالية الضرورية لاستقبال أمثل للمعنى، كالعناوين الرئيسة والفرعية، والإشارات إلى نمط النص التي يحملها النص والبنية العليا، والصياغات الخاصة بالنصوص<sup>(٤)</sup>. وقدم (روبرت دي بوجراند) وصفا أشمل لأنواع النصوص هو الآتي<sup>(٥)</sup>:

- ١- النصوص الوصفية: ونجد مراكز الضبط في عالم النص في معظمها تصورات للشيء والموقف، ويتم إثراء بياناتها بكثرة الاتجاهات إلى كشف الوصلات مع تكرار وجود أنواع من الوصلات مثل الحال والصفة والتخصيص، أعم ما يجري تطبيقه من أنماط المعلومات هو الإطار.
- ٢- النصوص القصصية: ومراكز الضبط في عالم النص في أغلبها تصورات الحدث، والعمل التي تنتظم في توجه مرتب للوصلات، ويتكرر ورود الوصلات مثل: العلة، والسبب، والتمكين، والغرض، والمقاربة الزمنية، وأعم نمط للمعلومات فيها هو المشروع.
- ٣- النصوص الجدلية: ومراكز الضبط فيها قضايا كاملة تنسب إليها قيم صدق وأسباب لاعتقاد كونها حقائق، وتتكرر أنواع من الوصلات مثل: القيمة، الإفادة، الإدراك، الإرادة، والسبب، ويشتمل النص السطحي على حشد من عبارات تحديد القيمة، وأكثر نماذج المعلومات تطبيقا هو نموذج الخطة الذي غايته الانتهاء إلى مشاركة في المعتقدات.

(\*) قد وضعت في المخططات داخل هذا المبحث العلاقات الدلالية التي عن طريقها تكونت القضايا الكبرى من أخرى صغرى.

(١) ينظر: نظرية علم النص: ١٥٧.

(٢) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هانيه مان ديتير فيمفجر: ٢٤٥-٢٤٦.

(٣) علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات: ٢٥٤.

(٤) ينظر: نفسه: ٢٤٩-٢٥٢.

(٥) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٤١٥-٤١٧.

- ٤- النصوص الأدبية: يبدو عالم النص فيها في علاقة تبادلية مع الأنماط المناسبة من المعلومات حول العالم الواقعي المقبول، والمقصود هنا حث بعض النظرات الثابتة إلى تنظيم العالم الواقعي بواسطة التقابلات وإعادة الترتيب.
- ٥- النصوص الشعرية: وفيها يتسع التخطيط للخيارات بين المستويات المتداخلة كالأصوات، والنحو، والأفكار، والعلاقات، والخطط، ... هكذا. وهذه الطريقة يتم تحوّل التنظيم بالنسبة لكل من العالم الحقيقي والتخاطب حول العالم إلى مشكلة، وإن زيادة التحفيز بالنسبة للمنتج والتركيز بالنسبة للمستقبل ستزداد ومدة حتى تصلح عناصر النص لأن تؤدي وظائف متعددة.
- ٦- النصوص العلمية: ويتوقع فيها أن تتفق اتصالاتها مع العالم الواقعي المقبول ما لم تقم دلائل على العكس كنظرية مرفوضة مثلاً.
- ٧- النصوص التعليمية: وينبغي أن يعرض عالم النص فيها من خلال عملية تدريجية من المزج، لأنه يفترض في مستقبل النص أن يكون لديه معلومات كافية عن مساحات المعرفة التي يتطلبها النص العلمي، فيتخذ النص طابع المشكلة ثم يتخلى عن هذا الطابع فيما بعد.
- ٨- نصوص المحادثة: ويتخذ التنظيم السطحي للمحادثة طابعاً خاصاً بسبب التغيير في نوبات التكلم.
- ولعل ((إدراج نص ما ضمن هذا النوع أو ذاك يعتمد اعتماداً واضحاً على وظيفة النص في الاتصال، وليس على شكل إخراجه في ظاهر النص فحسب))<sup>(١)</sup>. ومن قراءة نصوص الرسائل والوصايا نجد أن بعضها منها نصوص سردية تستثمر لتنظيم الوقائع والأحداث وترتيبها بشكل تتابعي، وبعضها الآخر نصوص جدلية جاء بها لتأكيد بعض الأمور الدينية وبعض الأفكار الاجتماعية ويستغل فيها الإمام (عليه السلام) وسائل الإقناع وترتبط بوساطة علاقات بين التصورات والمفاهيم، ويشتمل سطح النص فيها على حشد من وسائل الترابط وله (عليه السلام) نصوص أخرى وصفية معظمها تصورات للشخصيات كشخصية معاوية، ومالك بن الأشتر... وغيرها والمواقف، كذلك نجد تداخلاً بين هذه الأنواع في نصوص رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه فيتداخل السرد بالوصف والوصف بالجدل ... وهكذا<sup>(\*)</sup>.

(١) مدخل إلى علم لغة النص، د. إلهام أبو غزالة وعلي خليل الحمد: ٢٣٦.

(\*) يمكن متابعة ذلك في الجدول الخاص بها: ٣١٠ - ٣١١.

## مدخل:

بعد ان انتهينا من دراسة معياري (الاتساق والانسجام) في الفصلين الأول والثاني على التوالي، سنتناول في هذا الفصل دراسة بقية المعايير النصية التي أقرها (دي بوجراند دريسلر) وهي (القصدية، المقبولية، الإعلامية، السياق، التناسق).

وقد أرتأيت تقسيم هذا الفصل على مبحثين، وتوزيع هذه المعايير عليهما وفق إلماح وجه الاشتراك بين هذه المعايير، فتشترك معايير (القصدية والمقبولية والإعلامية) بأنها تختص بمستعملي النص (المتكلم / الكاتب) و (المتلقي / القارئ).

أما المبحث الثاني فسندرس فيه معياري ((السياق والتناسق)) ووجه الاشتراك بينهما في انهما يختصان بالمؤثرات الخارجية التي تؤثر في النصوص المدروسة والمتمثلة بالسياق الخارجي أو النصوص الخارجية. وسوف نوضح كل معيار من هذه المعايير في المباحث الآتية:



## أولاً : القصديّة.

إذا كان الاتساق والانسجام من المعايير التي تركزت في النص أي التي تشير إلى عمليات متجهة ناحية مادة النص، ففضلا عن هذا النوع من الأفكار، يحتاج المتلقي إلى أفكار تركزت في مستعمل النص، وهي ذات تأثير على نشاط الاتصال بوساطة النصوص بوجه عام سواء أكان ذلك من قبل المنشئ أم المتلقي. وهذا يشمل ثلاثة معايير نصية هي (القصديّة والمقبولية والإعلامية).

ويسلط هذا الجزء من البحث الضوء على معيار القصديّة بوصفه المعيار الذي ((يتعلق بموقف منتج النص من اتخاذ مجموعة من الوحدات المتناسكة، والمتسقة وسيلة لإنجاز قصد المتكلم، ومثال ذلك توزيع المعرفة، أو الوصول إلى هدف يحدد في ضوء خطة ما Plan))<sup>(١)</sup>.

وقد أشار اللغويون العرب القدامى إلى هذا المعيار بربطه بالمعنى، فهذا أحمد بن فارس يقول: ((فأما المعنى - فهو القصد))<sup>(٢)</sup>، أما عبد القاهر الجرجاني، فيرى أن توفر القصد في النص يعد من الأمور البديهية وهذا ما نستشعره في قوله: (( وكان مما يعلم ببدائه المعقول، أن الناس إنما يكلم بعضهم بعضا ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده))<sup>(٣)</sup>.

أما القصد (Intentionality) في الدراسات النصية، فهو: ((يتضمن موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصا يتمتع بالسبك والالتحام))<sup>(٤)</sup>، وهذا يعني أن أي نص ((ليس بنية عشوائية وإنما هو عمل مقصود به أن يكون متناسقا ومترابطا من أجل تحقيق هدف محدد، وبمعنى آخر هو عمل مخطط له غاية يود بلوغها))<sup>(٥)</sup>.

إذ إن ((منتج النص يقصد من أية تشكيلة لغوية ينتجها أن تكون نصا متضلما متقائنا))<sup>(٦)</sup>. ويلحظ الدكتور سعيد حسن بحيري في ضوء مناقشته لأراء (دي بوجراند دريسلر) أنهما يشيران إلى أمرين مهمين الأول: الصلة الوثيقة بين هذا المعيار ومعيار الربط والتناسك (الاتساق والانسجام)، إذ يمكن أن تحافظ على هذين المعيارين بدرجة ما من خلال الصياغة لتحقيق أهداف نصية متغايرة.

الأخر: ضرورة محافظة منتج النص عليها تتضمن حرصه على دوام التواصل، ورغبته في إيصال مقاصده إلى متلقيه، فإذا تجاهله تنخفض درجة الاتصال بينهما إلى أن تنقطع نهائيا<sup>(٧)</sup>

(١) الدلالة والنحو: ٢٣١.

(٢) الصاحبي في فقه اللغة، أحمد بن فارس: ١٩٨.

(٣) دلائل الإعجاز: ٥٣٠.

(٤) النص والخطاب والإجراء: ١٠٣، ينظر: علم لغة النص، د. عزة شبل: ٢٨.

(٥) من لسانيات الجملة إلى علم النص: ٢٦.

(٦) مدخل إلى علم لغة النص، د. إلهام أبو غزالة وعلي الحمد: ١٥٢.

(٧) ينظر: اتجاهات لغوية معاصرة: ١٧٧.

((وترجع هذه الرؤية النظر إلى تلك العلاقة الجوهرية القائمة بين هذا المعيار ومعياري النصية (السبك والحبك)، ذلك أن محافظة منتج النص عليها معاً تتضمن حرصه ورغبته على إيصال مقاصده إلى متلقيه))<sup>(١)</sup>.

فالقصدية شرط ضروري في التفاعل الاتصالي؛ لأنه ((لا غنى لأية تشكيلة لغوية يراد استغلالها في التفاعل الاتصالي، عن توافر القصد بأن تكون نصاً))<sup>(٢)</sup>. وقبل إجراء معيار القصدية في نصوص الرسائل والوصايا في نهج البلاغة لابد من الوقوف على أنماط المقاصد وأقسامها في الدراسات النصية ومن ثم عرض تطبيقاتها في النصوص المدروسة. إذ يقسم النصيون المقاصد على قسمين، فمنها: المقاصد المباشرة، ومنها: المقاصد غير المباشرة<sup>(٣)</sup>.

١- المقاصد المباشرة (الصريحة أو الظاهرة): وهي تلك المقاصد المرتبطة بالمعنى المباشر للكلمات والجمل<sup>(٤)</sup> ونجد تطبيق ذلك في معايير سابقة كالاتساق والانسجام ولاحقة كالإعلامية والسياق والتناسق<sup>(٥)</sup>، ويدخل ضمن المقاصد المباشرة ما تشير إليه مقدمات النصوص وهي - عموماً مقدمات قصيرة نسبياً- يعبر بها الإمام علي (عليه السلام) عن كتابة النص ويكفي تبين ذلك أن نقف على ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى عبد الله بن عباس وهو عامله على البصرة: ((وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إبْلِيسَ، وَمَغْرَسُ الْفِتْنِ، فَحَادَثْ أَهْلَهَا بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَاحْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ. وَقَدْ بَلَغَنِي تَنَمُّرُكَ لِبَنِي تَمِيمٍ، وَغَلِظَتُكَ عَلَيْهِمْ...))<sup>(٥)</sup>.

لقد تضمنت مقدمة هذا النص صراحة مقصد الإمام (عليه السلام) وهدفه بعد أن بلغه أن ابن عباس قد أضرب أهل البصرة بعد أن عرف ما وقع منهم يوم الجمل لأنهم كانوا انصار طلحة والزبير وعائشة، فدعاه الإمام (عليه السلام) إلى ((أن يستخدم أسلوب الإحسان معهم في مقابل موقفهم السيء يوم الجمل، لكي يغسل درن الأحقاد والكراهية ويجعلهم يعيشون الندم والخجل على ما بدر منهم، وربما كانت مخالفتهم له بسبب خوفهم من العقوبة والانتقام، فعندما يتعامل معهم ابن عباس بالرفقة والرحمة، فهذا من شأنه أن يعيد إليهم روح الهدوء والطمأنينة ويزيل حالات الخوف والقلق))<sup>(٦)</sup>.

(١) الدرس النحوي النصي في كتب اعجاز القرآن الكريم: ١٥٨.

(٢) مدخل إلى علم لغة النص: ١٥٢.

(٣) ينظر: علم لغة النص، د. عزة شبل: ٣٦، نظرية علم النص: ٤٨.

(٤) ينظر: نظرية علم النص: ٤٨.

(\*) لقد أشير إلى مقاصد الإمام (عليه السلام) في كل معيار بحسب موضوعه في البحث مما يغنينا عن إعادة ذكره في هذا الموضوع من البحث.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥ / ١٢٥ (ك ١٨).

(٦) نفعات الولاية: ٩ / ٢٠٦.

ومثل ذلك ما جاء في وصية له (عليه السلام) بما يعمل في أمواله كتبها بعد منصرفه من صفين: ((هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَالِهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ لِيُؤَلِّجَهُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَيُعْطِيَهُ بِهِ الْأَمْنَةَ))<sup>(١)</sup>. يتضمن محتوى النص ما أمر به الإمام (عليه السلام) بالنسبة لما له، ويكشف لنا في هذا المقطع من النص عن ثلاثة مقاصد صريحة هي:

الأول: في قوله: ((ابتغاء وجه الله)) أي رغبة في ثواب الله سبحانه وتعالى.

الثاني: في قوله: ((ليؤلجه به الجنة)) أي يدخله الله سبحانه بسبب هذا الأمر وهذا العمل الجنة.

الثالث: في قوله: ((يعطيه به الأمانة)) أي الامن في الآخرة من النار والعذاب.

٢- المقاصد (غير المباشرة): ويطلق عليها أيضا المقاصد الضمنية وهي ((التي لا يصرح بها النص، ولا يكشف عنها الكاتب صراحة، ولكنها متضمنة في معنى النص))<sup>(٢)</sup>. ويربط الدكتور حسام أحمد فرج بين هذه المقاصد وأفعال الكلام، فيعرف المقاصد المتضمنة بأنها ((التي ترتبط بالمغزى من استخدام هذا الفعل أو ذاك في إشارة واضحة إلى أفعال الكلام))<sup>(٣)</sup>. فعلى وفق المفهوم الأول للمقاصد الضمنية يمكن أن نجملها بالمقاصد الآتية:

أ- نقل فن الكتابة من مرحلة إلى مرحلة أخرى:

فالإمام (عليه السلام) ((أول من أطال الكتب والرسائل، وتفنن في بداياتها وخواتمها ... وجمع بين الإيجاز والإطناب مراعاة لمقتضى الحال، وتخير الألفاظ الفصيحة وأكثر من الصور الفنية وجمع بين فنون البيان وألوان البديع كما أثر لجملة توازنا وإيقاعا عروضيا وما إلى ذلك))<sup>(٤)</sup>.

ب- تصوير الأوضاع الاجتماعية والسياسية:

يمثل عالم النص ((عملية تواصل أو تفاعل مع العالم الواقعي، ومن ثم فالنص شبكة عمل ليست لغوية فقط، وإنما نفسية واجتماعية أيضا))<sup>(٥)</sup>. لقد صور الإمام (عليه السلام) ما يحيط بالمجتمع الإسلامي من حوادث وطبقات اجتماعية، فحاول أن يخلق توازنا في الواقع الاجتماعي، فنجده يعالج في رسائله ووصاياه ((حالة خاصة في مجتمعه الذي بدا غافلا عن مصيره التعس، مهملا لواجباته في جهاد النفس، وجهاد العدو متلهفا على المتع والثراء اللذين لا يستحقهما إلا مجتمع مستقر أحكم وضعه الأمني

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥ / ١٤٦ (و ٢٤).

(٢) علم لغة النص، د. عزة شبل: ٤١.

(٣) نظرية علم النص: ٤٨.

(٤) رسائل الإمام علي (عليه السلام)، دراسة أدبية نقدية: ١٠٨.

(٥) علم لغة النص، د. عزة شبل: ٤٤.



والسياسي والاجتماعي<sup>(١)</sup>، ويكفي أن نقرأ النصوص الآتية لتكوين تصور واضح للمجتمع الإسلامي والسياسي آنذاك منها:

ك١، ك٢، ك٣، ك٤، ك٥، ك١١، ك١٢، ك١٤، ك١٦، ك١٨، ك١٩، ك٢٠، ك٢١، ك٢٢، ك٢٣، ك٢٤، ك٢٥، ك٢٦، ك٢٧، ك٣١، ك٣٣، ك٣٤، ك٣٦، ك٣٨، ك٣٩، ك٤٠، ك٤١، ك٤٢، ك٤٣، ك٤٥، ك٤٦، ك٤٧، ك٥٠، ك٥١، ك٥٣، ك٥٦، ك٥٩، ك٦٠، ك٦١، ك٦٢، ك٦٦، ك٦٧، ك٦٨، ك٦٩، ك٧٠، ك٧١، ك٧٢، ك٧٤، ك٧٦، ك٧٧، ك٧٨، ك٧٩.

ج- تقديم وثائق تاريخية.

من قراءة رسائل الإمام (عليه السلام) - ولا سيما - رسائله إلى معاوية<sup>(\*)</sup> يمكننا القول إنها تعد مصادر لدارسي التاريخ الإسلامي ولا سيما مدة خلافته (عليه السلام) حتى استشهاده، وبذلك تأخذ الرسائل والوصايا بعدا اجتماعيا وإنسانيا وسياسيا فضلا عن أنها نشاط لغوي منظم، ومن هنا يمكن القول: إنها سلسلة متتابعة من الأقوال، التي تصدر من قبل الإمام (عليه السلام) لتؤدي ما يروم إليه، إذ يمكن أن تكتشف مقاصد منتج النص اعتمادا على تشكيلة النص اللغوية، أو بمرعاة العوامل السياقية<sup>(٢)</sup>.

ومما يرتبط بالمقاصد غير المباشرة الحديث عن نظرية أفعال الكلام؛ لأن مصطلح القصديّة بالمعنى الواسع يشير ((إلى جميع الطرق التي يتخذها منتج النص في استغلال النصوص من أجل متابعة مقاصدهم وتحقيقها))<sup>(٣)</sup>.

تبين مما تقدم أن للقصديّة تأثيرا في بنية النص وأسلوبه؛ لذلك فإن الكاتب يبني نصه بناء معينا ويختار لذلك الوسائل اللغوية الملائمة بما من شأنه أن يضمن تحقيق قصده، وبذلك نلاحظ أن النص يعد مظهرا من مظاهر السلوك اللغوي، وشكلا من أشكال اللغة يتضمن - لا محالة - قصدا معينا وتكمن أهمية القصد في أنه يمثل جزءا مهما من دلالة النص، بل لا يكتسب النص دلالة إلا بفعل قصد المتكلم<sup>(٤)</sup>.

(١) حركة التاريخ عند الإمام علي (عليه السلام)، دراسة في نهج البلاغة، الشيخ محمد مهدي شمس الدين: ٤٨.

(\*) ينظر الكتب المرقمة: ك٦، ك٧، ك٩، ك١٠، ك١٧، ك٢٨، ك٣٠، ك٣٢، ك٣٧، ك٤٨، ك٤٩، ك٥٥، ك٦٤، ك٦٥، ك٧٣، ك٧٥.

(٢) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص، فولفجانج هاينه مان وديترفيم فجر: ١٢١.

(٣) مدخل إلى علم النص، د. إلهام أبو غزالة وعلي خليل الحمد: ١٥٧، ينظر: علم لغة النص، د. عزة شبل: ٢٨.

(٤) ينظر: مدخل إلى علم النص، د. إلهام أبو غزالة وعلي خليل الحمد: ١٥٢.

## القصدية وأفعال الكلام:

تعد الأفعال الكلامية من أبرز المقولات اللسانية التداولية التي تعنى بالأفعال اللغوية وعلاقتها بالسياق، وقد تأسست هذه النظرية على يد اللغويين (أوستين) و (سيرل) وانبثقت من الفلسفة التحليلية التي نشأت على يد الفيلسوف الألماني (غوتلوب فريجه) في كتابه أسس علم الحساب<sup>(١)</sup>. ويعرف الفعل الكلامي على أنه ((كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري. وفضلا عن ذلك، يعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعلا قولية (Acteslocutoires) لتحقيق أغراض إنجازية (Actesillocutoires) كالطلب والأمر والوعد والوعيد، وغايات تأثيرية (Actesperlocutoires) تخص ردود فعل المتلقي (كالرفض والقبول))<sup>(٢)</sup>. مما نعنيه عادة بقولنا إننا نفعل شيئا هو أننا نقوم بإنجاز فعل اجتماعي كأن نعد وعدا أو ننصح أو نفرح. والرسائل والوصايا في نهج البلاغة كانت تمثل نوعا نصيا يمكن أن يعرض فعلا إنجازيا واحدا أو أفعال إنجازية عدة متباينة، وقد تم تقسيم الأفعال الكلامية من قبل (أوستين) على خمسة أقسام حسب قوتها الإنجازية هي<sup>(٣)</sup>:

١- أفعال الأحكام (Verdictives): تتمثل في حكم يصدر عن قاضي محكمة أو هيئة معينة، وليس ضروريا أن تكون هذه الأحكام نافذة أو نهائية، فقد يكون هذا الحكم الصادر في صورة رأي أو حكما تقديريا ومما يدل عليها الأفعال الآتية: يقدر، يحكم على، يبرئ، يشخص، يحلل، يصنف، يصف.

٢- أفعال القرارات (Exercitives): وتتمثل في اتخاذ قرار معين، أو ممارسة سلطة تشريعية أو قانونية كالإذن والطرء، والحرمان، والتعيين، ... ومما يدل عليها الأفعال الآتية: يأذن، يطرء، يحرم، يعين، يأمر، يرجو، بأسف.

٣- أفعال التعهد (Commissives): إن الغاية منها أن يلزم المتكلم نفسه بإنجاز فعل معين، أي يتعهد بفعل شيء ما والأفعال المعبرة عنها هي: يعد، يضمن يؤيد، يكفل، ... والسمة المميزة لهذا النوع عن سابقة كونه لا يبتغي التأثير في السامع.

٤- أفعال السلوك (Behabitives): وتعبّر عن رد فعل لسلوك ما، والأفعال المعبرة عنها: يعتذر، يشكر، يواسي، يتحدى، ... والغرض من هذا الصنف التعبير عن مواقف نفسية تعبيراً صادقاً

(١) ينظر: لسانيات النص، ليندة قياس: ١٩٠.

(٢) التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي: ٤٠.

(٣) ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، أوستين: ١٧٤-١٨٥، استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي ظافر الشهري: ١٥٦، لسانيات النص، ليندة قياس: ١٩٢-١٩٣.

٥- أفعال الإيضاح (Expositives): والغاية منها تبرير وجهة نظر معينة، أو الإفصاح عن رأي وإثبات ذلك بالبراهين والحجج ومما يدل عليها الأفعال الآتية: أثبت، أنكر، ألاحظ، أشكك، أصوب، .... إذ في سياق الكلام يكون المتكلم في حاجة إلى طرائق شتى ليبين عن رأيه حتى يقتنع المخاطب بصحة ما أورده، وتبني فكرة ما يحتاج إلى مجموعة من الحجج والبراهين حتى تنتقل من مستوى العرض إلى مستوى الإقناع والتسليم بها، وهذا الصنف من الأفعال يدخل ضمن نطاق ((الحجاج والنقاش والتبرير))<sup>(١)</sup>، ويقتضي إسقاط مفاهيم هذه النظرية (نظرية الأفعال الكلامية) على نماذج الرسائل والوصايا في نهج البلاغة أن نتأمل هذه النصوص ونتعامل معها مبدئياً مع أول صنف للأفعال الكلامية كما قسمها (أوستين):

(أ) الأفعال الدالة على الأحكام ومن أمثلتها ما ورد في قوله (عليه السلام): ((فَانظُرِيَا شَرِيحَ لَا تَكُونُ ابْتَعَتْ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ، أَوْ نَقَدْتَ التَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ؛ فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الْآخِرَةِ، أَمَا إِنَّكَ لَوَكُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ، لَكَتَبْتُ لَكَ كِتَابًا عَلَى هَذِهِ النُّسْخَةِ، فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِرَاءِ هَذِهِ الدَّارِ بِدَرَاهِمٍ فَمَا فَوْقَ))<sup>(٢)</sup>. تضمنت هذه البنيات اللغوية أفعالاً عدة، شكلت بنية أساسية في تكوين الجمل والأساليب، إذ اختار الإمام (عليه السلام) هذه الصيغ ليؤدي أغراضاً ومقاصد، وقد ورد بعضها مثبتاً (فانظر، ابتعت، نقدت، خسرت، اتيتني، اشتريت، لكتبت)، وبعضها منفياً (لا تكون، فلم ترغب) فبوساطة هذه الأفعال تمكن الإمام (عليه السلام) من أن يبين حكم شراء دار من مال حرام.

إذ بدأ جملة بفعل أمر (أنظر) لتنبيه المتلقي بما سيلقى إليه من كلام ثم استعمل أسلوب النداء زيادة في التنبيه ثم قال: (لا تكون) استعمل أسلوب النفي وكأنه أراد أن يبعد المتلقي من هذا العمل مع أنه متحقق وواقع بالفعل، ومما يؤكد هذه الحقيقة مجيء الأفعال الماضية في هذا النص أكثر من غيرها من الأفعال إذ استعمله الإمام (عليه السلام) ست مرات وهو يدل على حدوث الشيء في الزمن الماضي ثم إن مجيء (إذا الفجائية التي ربطت بين حدثين منفصلين كان لها أثر كبير في إثارة المتلقي وتنبيهه إلى خطئه.

وكذلك قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى بعض أمراء جيشه: ((فَإِنْ عَادُوا إِلَى ظِلِّ الطَّاعَةِ، فَذَلِكَ الَّذِي نُحِبُّ، وَإِنْ تَوَافَتِ الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَى الشَّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ فَانْهَدُ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ، وَاسْتَفْنِ بِمَنْ انْقَادَ مَعَكَ، عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ؛ فَإِنَّ الْمَتَكَارَهُ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ، وَقَعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ))<sup>(٣)</sup>.

(١) استراتيجيات الخطاب: ١٥٦، ينظر: أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: د. محمود أحمد: ٤٦، ٦٩ - ٧٠.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٧/١٤ (ك ٣).

(٣) نفسه: ٣٢/١٤ (ك ٤).

تعتبر أفعال الأحكام الواردة في هذا النص عن الظروف السياسية التي عاصرت مدة خلافة أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ يستتر وراء النظام اللغوي لهذه الرسالة أحكام لأفعال إنجازية عبرت عنها الأفعال الآتية: (عادوا، حُب، توافت، فانهت، أطاعك، عصاك، استعن، انقاد، تقاعس، أغنى)، قد اختارها الإمام (عليه السلام) لتؤدي اغراضاً ومقاصد، إذ تحيل دلالة التضاد بين الأفعال (اطاعك وعصاك) (انقاد وتقاعس) إلى نوع من المفاضلة والموازنة فبوساطة هذه الوسيلة اللغوية تمكن الإمام (عليه السلام) أن يفاضل بين صنفين من الناس الموالي والمخالف. وقد وردت أغلب الأفعال - بصيغة الماضي - لتفيد وصف حقيقة الأوضاع السياسية وتقريرها آنذاك. كذلك خدم وقوع أفعال الأحكام ورود التركيب الشرطي بأداة الشرط (إن) إذ ارتبط الحكم الوارد بطبيعة فعل الشرط سواء كان إيجابياً أم سلبياً ويتناسب مع أفعال الأحكام أيضاً الحضور الواضح لصيغ التفضيل (خير، وأغنى)، إذ تعد وسيلة لغوية مهمة للفصل بين نوعين من الناس. وعليه فقد عبرت أفعال الأحكام عن قضايا مهمة في حياة المجتمع الإسلامي آنذاك وقد أوردها الإمام علي (عليه السلام) لتخدم أغراضاً وهي إحداث التأثير الفعال وبث التوجيه الصارم وإشاعة النصح والإرشاد العام لإصلاح أمور الناس الخاصة والعامة.

٢- أفعال القرارات ومن أمثلتها ما ورد في كتاب له (عليه السلام) إلى جرير بن عبد الله البجلي، لما أرسله إلى معاوية: ((فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ، وَخُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ، ثُمَّ خَيْرُهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجَلِيَّةٍ، أَوْ سَلْمٍ مُخْزِيَّةٍ، فَإِنْ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَاَنْبِذْ إِلَيْهِ، وَإِنْ اخْتَارَ السَّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ))<sup>(١)</sup>.

تكشف أفعال القرارات عن براعة الإمام (عليه السلام) ومقدرته بصفته يمثل الحكومة الشرعية التنفيذية إذ تمثلت أفعال القرارات بأفعال الأمر (أحمل، خذه، خيره، انبذ، خذ) وهي موجهة إلى مخاطب معين وهو جرير بن عبد الله البجلي والأفعال الماضية (أتاك، اختار) وهي موجهة إلى مخاطبين وهما (جرير ومعاوية) والتأمل في هذه الأفعال نجد أنها عنيت بإبراز نوعين من السلوكيات المتضادة وهي في الحقيقة انعكاس لصورة الواقع السياسي الذي عاشه الإمام (عليه السلام)، إذ صور كيفية تعامل الناس معه بين (العصيان والطاعة) و (الرفض والقبول).

ومن أفعال القرارات قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى أميرين من أمراء جيشه: ((وَقَدْ أَمَرْتُ عَلَيْكُمَا وَ عَلَى مَنْ فِي حَيْزِكُمَا مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْتَرِ، فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا، وَاجْعَلَاهُ دِرْعًا وَمِجْنًا))<sup>(٢)</sup>. يقدم لنا أمير المؤمنين سلسلة من الأوامر ضمن أسلوب إنشائي واحد (الأمر) ليؤدي غرض الإمام ومقصده من النص، فقد وظف الأفعال الإنفاذية الآتية (اسمعا، وأطيعا، واجعلاه) على سبيل الإلزام المباشر بعمل هذه الأوامر، وبهذا تكون أفعال القرارات (الأوامر) الإنفاذية قد أحكمت سيطرتها على النسيج اللغوي

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٤٥/١٤ (ك ٨).

(٢) نفسه: ٩٨/١٥ (ك ١٣).

لهذا النص، فضلا عن أنها موجهة إلى أميرين من أمراء جيشه قصد الإمام (عليه السلام) بها الوعظ السياسي فجاءت أفعال القرارات منسجمة مع الغرض المقصود من النص.

٣- أفعال التعهد ومن أمثلتها قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة: ((فَوَاللَّهِ لَا أَذِلُّ لَكَ فَتَسْتَذِلِّي، وَلَا أَسْلُسُ لَكَ فَتَقُودِي. وَيَأْمُرُ اللَّهُ يَمِينًا أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، لِأُرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهْشُ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُومًا، وَتَقْنَعُ بِالْمَلْحِ مَادُومًا؛ وَ لِأَدْعُنَّ مَقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِينِهَا، مُسْتَفْرَعَةً دُمُوعَهَا. أَتَمْتَلِي السَّائِمَةَ مِنْ رَعِيهَا فَتَبْرُكُ، وَتَشْبَعُ الرِّبِيضَةَ مِنْ عَشْبِهَا فَتَرِيضُ، وَيَأْكُلُ عَلَيَّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعُ! قَرَّتْ إِذَا عَيْنُهُ إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السِّنِّينِ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ، وَالسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَّةِ))<sup>(١)</sup>.

يشتمل هذا النص على طائفة من أفعال التعهد والصيغ والأدوات التي استعملها الإمام علي (عليه السلام) للدلالة على القوة الإنجازية التي يريد تضمينها كلامه كالقسم، والنفي، والتوكيد، والشرط، والاستفهام... وقد خدمت هذه الوسائل اللغوية غرض الإمام (عليه السلام)، إذ اتخذها الإمام أداة مطواعة للتعبير عن قوة شخصيته في مواجهة هذه المغريات المادية والدينية.

وقد حضرت الأفعال الإنجازية (المضارعة) بنسبة أكبر في قوله: (أذل، تستذلي، أسلس، تقودني، استثنى، أروضن، تهش، وتقنع، أدعن، تمتلي، تبرك، تشبع، تريض، يأكل، يهجع) إذ وردت خمس عشرة مرة، أما الأفعال (الماضية) فقد وردت أربع مرات في قوله: (قدرت، نضب، قرت، اقتدى)، وإذا دققنا النظر وجدنا اثنين منهما في سياق جملة دالة على الحال وهما (قدرت واقتدى) بقيد أداة الشرط. أما الفعلان الآخران (نضب وقرت) فليسا بأفعال إنجاز، فالأول للوصف والآخر للدعاء، وعلى هذا فالأفعال الإنجازية كلها للحال والاستقبال مضارعة وماضية، وهذا هو الذي يعطي للنص الحركية والتجدد وعدم توقف الدلالة على زمن محدد.

والجامع المشترك بين هذه الأفعال المختلفة هو خدمة مقاصد الإمام (عليه السلام) من النصح والإرشاد الديني.

ومثله أيضا ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى أمرائه على الجيوش: ((أَلَا وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَلَا أَحْتَجِرُ دُونَكُمْ سِرًّا إِلَّا فِي حَرْبٍ، وَلَا أَطْوِي دُونَكُمْ أَمْرًا إِلَّا فِي حُكْمٍ، وَلَا أُؤَخِّرُ لَكُمْ حَقًّا عَنْ مَحَلِّهِ، وَلَا أَقْفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ، وَإِنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءً، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ وَجَبَتْ لِي عَلَيْكُمْ النِّعْمَةُ وَلِي عَلَيْكُمْ الطَّاعَةُ، وَأَلَا تَنْكُصُوا عَنْ دَعْوَةٍ، وَلَا تُفْرَطُوا فِي صَلَاحٍ، وَإِنْ تَخَوْصُوا الْغَمْرَاتِ إِلَى الْحَقِّ، فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا لِي عَلَى ذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ أَعْوَجِّ مِنْكُمْ، ثُمَّ أَعْظَمُ لَهُ الْعُقُوبَةَ، وَلَا يَجِدُ عِنْدِي فِيهَا رُخْصَةً، فَخُذُوا هَذَا مِنْ أَمْرَائِكُمْ، وَأَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَكُمْ))<sup>(٢)</sup>. حوت هذه البنيات اللغوية على أدوات وصيغ عدة أسهمت في دعم القوة

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/٢٩٤ (ك ٤٥).

(٢) نفسه: ١٦/١٧ (ك ٥٠).

الإنجازية لأفعال التعهد وهي (التوكيد، والنفي، والاستثناء، والشرط). إذ خدمت هذه الوسائل المعنى المقصود من هذا النص. وقد حضرت الأفعال الإنجازية بصيغها الثلاث (الماضي والمضارع والأمر) مع تفاوت ملحوظ في المقدار الزمني مع تراوحها بين الإثبات والنفي وكما موضح في الآتي:

- الأفعال المضارعة (لا احتجز، لا أطوي، لا أوفر، لا أقف، أن تكونوا، لا تنكصوا، ولا تفرطوا، وأن تخوضوا، لم تستقيموا، لم يكن، أعظم، ولا يجد، يصلح).
- الأفعال الماضية (فعلت، وجبت، اعوج)، فالفعلان الأولان خرجا إلى الحال بقريئة أداة الشرط، أما (اعوج) فجاء للوصف وهو ليس فعلا إنجازيا
- افعال الأمر (خذوا، أعطوهم).

فكانت الأفعال المضارعة أكثر الأفعال تليها الماضية ثم الأمر وهذا يتناسب مع طبيعة أفعال التعهد التي تلزم المتكلم بإنجاز عمل معين ويترتب أيضا على المخاطب القيام بعمل معين نتيجة لهذا التعهد، فتكون كل الأفعال المضارعة والماضية المنحولة زمنيا إلى الحال والاستقبال أفعالا حركية تضيف على النص الحيوية والاستمرارية.

٤- أفعال السلوك ومن أمثلتها قوله (ﷺ) في كتاب له إلى بعض عماله: ((فإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ، وَأَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الْأَثِيمِ، وَأَسُدُّ بِهِ لِهَاتَةِ النَّفْرِ الْمُخَوِّفِ. فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ عَلَى مَا أَمَّكَ، وَأَخْلَطَ الشَّدَّةَ بِضَغْتِ مِنَ اللَّيْنِ؛ وَأَرْفُقْ مَا كَانَ الرَّفْقُ أَرْفَقُ، وَاعْتَزِمْ بِالشَّدَّةِ حِينَ لَا تُغْنِي عَنْكَ إِلَّا الشَّدَّةُ. وَأَخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ، وَأَبْسِطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَإِنَّ لَهُمْ جَانِبَكَ وَأَسَ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ، وَالْإِشَارَةِ وَالتَّحِيَّةِ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعِظْمَاءُ فِي حَيْفِكَ، وَلَا يَبْأَسَ الضُّعْفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ))<sup>(١)</sup>.

تشير حركة الأفعال في هذا النص بصيغها الثلاث (الماضي والمضارع والأمر) إلى طغيان الجملة الفعلية على حساب الجملة الأسمية، لما تقتضيه طبيعة هذا النص من إبراز للسلوكيات والأفعال التي تصدر من العامل العادل، وقد طغى فعل الأمر على بقية الأفعال إذ كان له ظهورا بارزا في النص متمثلا بـ (استعن، اخلط، ارفق، اعتزم، اخفض، ابسط، الن، وأس) ويليه الفعل المضارع الذي كان على نوعين المثبت (استظهر، أقمع، أسد)، والمنفي (لا تغني، لا يطمع، لا ييأس) يشير عن طريقها إلى السلوكيات المختلفة من قبل رعيته.

أما الفعل الماضي فكان أقل الأفعال حضورا وقد تمثل بـ (أهمك، كان، أرفق) ومثل ذلك أيضا قوله (ﷺ) في كتاب له إلى معاوية: ((وَقَدْ أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ ذُو أَفَانِينَ مِنَ الْقَوْلِ ضَعُفَتْ قَوَاهَا عَنِ السَّلْمِ، وَأَسَاطِيرَ لَمْ يَحْكُمَا مِنْكَ عِلْمٌ وَلَا حِلْمٌ، أَصْبَحَتْ مِنْهَا كَالْخَائِضِ فِي الدَّهَاسِ، وَالْخَابِطِ فِي الدِّيْمَاسِ، وَتَرَقَّيْتُ إِلَى

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٣/١٧ (ك ٤٦).

مَرْقَبَةٌ بَعِيدَةٌ الْمَرَامِ، نَازِحَةٌ الْأَعْلَامِ، تَقْصُرُ دُونَهَا الْأَنْوُقُ، وَيُحَادِي بِهَا الْعَيُوقُ<sup>(١)</sup>. يحشد الإمام (عليه السلام) طائفة من الأفعال الماضية والمضارعة لتعبر تعبيراً صادقاً عما يختلج في نفسه من كتاب معاوية، الذي اعتاد على التلاعب بصيغ الكلام لنيل ما يطمح إليه.

- فتمثلت الأفعال الماضية بـ (أتاني، ضعفت، أصبحت، وترقيت).
- وتمثلت الأفعال المضارعة بـ (لم يحكمها، تقصر، ويحاذي).

وقد كانت هذه المواد اللغوية ضرورية في تشكيل النسيج اللغوي للنص في عكس سلوكيات معاوية في كتبه إلى الإمام علي (عليه السلام) ولما لها من زخم حجاجي لا يخفى.

٥- أفعال الإيضاح ومن أمثلتها ما جاء في وصيته (عليه السلام) لابنه الحسن (عليه السلام): ((وَاعْلَمَ يَا بَنِيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكَ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَعْمَالَهُ وَصِفَاتِهِ وَكَانَهُ إِلَهُ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ، لَا يُضَادُهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَلَا يَزُولُ أَبَدًا وَلَمْ يَزَلْ، أَوَّلَ قَبْلِ الْأَشْيَاءِ بِأَوَّلِيَّةٍ، وَآخِرَ بَعْدِ الْأَشْيَاءِ بِأَخِيرِيَّةٍ، عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ<sup>(٢)</sup>)).

طغت أفعال الإيضاح على هذا النص من الوصية لبيان صفات الله سبحانه وتعالى - وقد اعتمد على العبارات السهلة والجمل القصيرة التي احكم سبكها نازعاً إلى التركيب النحوي السهل، وقد حفلت هذه الجمل بكثرة استعمال أساليب التوكيد (إن، الشرط، التكرار، ...). وقد تعددت أفعال الإيضاح وتعددت أزمنتها لتشمل (الماضي، المضارع، الأمر) وكما موضح في الآتي:

- الأفعال الماضية (كان، لأتتك، لرأيت، ولعرفت، وصف، عظم).
- الأفعال المضارعة (لا يضاده، ولا يزول، ولم يزل، أن تثبت).

• وفعل الأمر (اعلم) وهو أقل الأفعال مقارنة بالأفعال المتقدمة لأن هذا النص مشغول بصدد عرض الصفات الإلهية وشرحها ولا سيما استعمال الفعل المضارع المنفي، كذلك تشير حركة الأفعال بصيغها الثلاث (الماضي والمضارع والأمر) داخل هذا النص إلى طغيان الجمل الفعلية على حساب الجملة الأسمية، لما تقتضيه طبيعة هذا النص لإبراز الأفعال والصفات الإلهية.

ومثله أيضاً قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى عمر بن أبي سلمة المخزومي، وكان عامله على البحرين فعزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقي مكانه: ((فَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِيَ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ اسْتَظْهَرَهُ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ<sup>(٣)</sup>)).

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٢/١٨ (ك ٦٥).

(٢) نفسه: ٧٧/١٦ (و ٣٠).

(٣) نفسه: ١٧٣/١٦ (ك ٤٢).

اشتمل هذا النص على طائفة من أفعال الإيضاح التي عمد الإمام (عليه السلام) إلى استعمالها لأنها تحيل إلى السبب عزل هذا العامل واستعمال غيره، وقد تضمن النص نوعين من الأفعال الماضية وتتمثل بـ (أردت، وأحببت، شاء)، وأفعال مضارعة وتتمثل بـ (تشهد، استظهر)، وقد عضد الإمام (عليه السلام) كلامه باستعمال أدوات التوكيد (قد، إن) لأنه أراد كلامه أن يكون واضحاً ومقنعاً ومؤثراً في الوقت نفسه، ولا يتأتى ذلك إلا باستعمال الأساليب التوضيحية من أفعال وأدوات لغوية (أدوات التوكيد) مما تقدم يتضح لنا أن الأفعال الكلامية قد ساهمت في تحقق الترابط النصي، إذا استطاعت أن تكون تماسكاً نصياً بأغراضها التخاطبية المتوازية التي تؤدي في النهاية إلى المشاركة في بناء البنية الكلية لنصوص الرسائل والوصايا في نهج البلاغة إذ تتوسل أفعالاً انجازية لتخدم أغراض المتكلم (الإمام (عليه السلام)) من ناحية، ولتخدم غايات تأثيرية من ناحية أخرى (أي التأثير في المتلقين (المخاطبين)).

### ثانياً المقبولية

تعد المقبولية الوجه الآخر لقصد المنتج، فهي رغبة نشطة للمشاركة في عملية الإنتاج التي تتكون من (المنتج والنص والمتلقي)<sup>(١)</sup>. وهذا يعتمد ((على التفاعل بين مقاصد المنتجين ورغبة المتلقين في المعرفة وصياغة مفاهيم مشتركة))<sup>(٢)</sup>، إذ تتكئ المقبولية على إيضاح الدور الذي يقوم به المتلقي في عملية إنتاج النص، فالنص مهما كان نوعه فهو في نظر علم لغة النص موجه حتماً ((إلى المتلقي، كي يتفكر فيه ويعمل فيه عقله ومشاعره، ولا شك أن النص يكتسب حياته من خلال المتلقي))<sup>(٣)</sup>، فهو يتدخل بوجود النص وطبيعة بنيته.

ولنتعرف أولاً على المقصود بالمقبولية قبل التعرف على أثرها في توجيه نصوص الرسائل أو الوصايا وبنائها في نهج البلاغة، فالمقبولية يقصد بها ((موقف المتلقي وتقييمه لأهمية النص))<sup>(٤)</sup>، كذلك تعرف بـ ((تقبلية المستقبل للنص باعتباره متضمناً مقارناً إذا نفع للمستقبل، أو إذا صلة به))<sup>(٥)</sup>.

وهذا يعني أن فكرة التقبلية تتجه صوب المخاطب، وهي بصورة عامة تعني أن ثمة تفاعلاً مع النص من المتلقي، وهو ما يلخصه (محمد عزام) بـ (الاستجابة والقبول)<sup>(٦)</sup>، ((فعملية القراءة تفاعل

(١) ينظر: علم لغة النص، د. عزة شبل: ٣٤.

(٢) نظرية علم النص: ٥٢.

(٣) علم اللغة النصي: ٢١٣/٢.

(٤) أسس لسانيات النص: ١٥٢.

(٥) مدخل إلى علم لغة النص، إلهام أبو غزالة و د. علي خليل الحمد: ١٢.

(٦) ينظر: النص الغائب: ٥٠.



بين النص والخلفية المعرفية المسبقة للقارئ أو مخطط الذاكرة Memory Schemata والتوقعات المعينة حول البنية العامة للنصوص<sup>(١)</sup>. وتتحكم في عملية القبول مجموعة من العوامل تحمل المتلقي على قبول النص، نوجزها على النحو الآتي<sup>(٢)</sup>:

(١) أن يحتوي النص على مقدمات سياقية تساعد المتلقي على الفهم والتأويل.

(٢) معرفة المتلقي بالمتكلم وبنوع النص.

(٣) وضوح المضمون العام للنص.

(٤) أهمية الرسالة بالنسبة للمتلقي.

(٥) تعدد الخلفيات الفكرية والأيدولوجية للقراء.

(٦) العوامل النفسية ويظهر هذا في رد المتلقي أو في مدى استيعابه الكامل للنص، إذ إن حالته النفسية تؤثر على حالته الذهنية.

وبلحاظ هذه العوامل ومدى توافرها في نصوص الرسائل والوصايا يمكننا أن نقول إن هذه النصوص لا تخلو من معيار المقبولية، لأنها تكمن في أن الإمام (عليه السلام) عمل جاهداً بأن تظهر رسائله ووصاياه بمظهر تتضح من خلاله الأفكار والمعلومات التي يريد إيصالها إلى متلقيها على نحو أفضل. فقايل هذه النصوص (أي منتجها) هو الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو معروف بفصاحته وبلاغته التي فاقت فصاحة الفصحاء وبلاغة البلغاء، فكان هذا عاملاً مهماً يدفع المتلقي - أياً - كان إلى قبول النص الموجه إليه والتفاعل معه. وسنقف فيما يأتي على بعض مظاهر المقبولية في الرسائل والوصايا.

منها اتباع أسلوب كتابة الرسائل بتقديم اسم المرسل والمرسل إليه ((فذلك أسلوب متبع من قبل في اقتضاء التصريح بالاسم منذ عهد النبوة والرسائل التي بعثها إلى الملوك لنشر الدعوة الإسلامية، وأصبحت تلك سنة متبعة في التصريح بالاسم))<sup>(٣)</sup> ويختتمها بالسلام، وهذا حاصل أيضاً حتى في الوصايا، فمنها ما تسير على آداب الرسائل وتلتزم بقيودها الموضوعية كوصيته إلى ابنه الحسن (عليه السلام)، فعلى الرغم من طولها وضخامتها وتنوع مضامينها فإنها مقبولة عند متلقيها لإلتزامها بقواعد الكتابة فضلا عن طبيعة لغتها التي جاءت متناسبة مع موضوعها الوعظي فقد افتتحها بقوله: ((مِنَ الْوَالِدِ الْفَانِ، الْمُقَرَّرِ لِلزَّمَانِ، الْمُدْبِرِ الْعَمْرِ، الْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ، الذَّامِ لِلدُّنْيَا السَّاكِنِ مَسَاكِنِ الْمَوْتَى، وَالظَّاعِنِ عَنْهَا غَدَاً. إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤْمَلِ مَا لَا يُدْرِكُ، السَّالِكِ سَبِيلِ مَنْ قَدْ هَلَكَ، غَرَضِ الْأَسْقَامِ،

(١) علم لغة النص، د. عزة شبل: ٣٤.

(٢) ينظر: نظرية علم النص: ٥٦-٥٥.

(٣) بلاغة النهج في نهج البلاغة: ١٥١.

وَرَهِينَةَ الْأَيَّامِ، وَرَمِيَّةَ الْمَصَائِبِ، وَعَبْدَ الدُّنْيَا وَتَاجِرَ الْغُرُورِ، وَغَرِيمَ الْمَنَايَا، وَأَسِيرَ الْمَوْتِ، وَحَلِيفَ الْهُمُومِ، وَقَرِينَ الْأَحْزَانِ، وَنُصْبَ الْأَقَاتِ، وَصَرِيحَ الشَّهَوَاتِ، وَخَلِيفَةَ الْأَمَوَاتِ))<sup>(١)</sup>.

نلاحظ - هنا - استعمال الإمام (عليه السلام) لفظي (الوالد، المولود) لأنه أراد أن يجعلهما موجّهتين إلى عموم الناس فحقق النفع للمستقبل العام وهذا مما يشير إليه مفهوم المقبولية، وقد جعل الإمام (عليه السلام) أوصاف الوالد سبعة وأوصاف المولود أربع عشرة صفة ((لأنه المقصود بالوصية والموعظة))<sup>(٢)</sup> واختتمها بقوله: ((اسْتَوْدِعِ اللَّهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ، وَأَسْأَلُهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَالْأَخْرَةِ. وَالسَّلَامِ))<sup>(٣)</sup>. مما يشعر المتلقي بنهاية النص واستكمال الوصية لكل مضامينها وكذا الحال في عهد له (عليه السلام) كتبه للأشتر النخعي. ا ولاه على مصر واعمالها حين اضطرب أمر أميرها (محمد بن أبي بكر)، وهو أطول عهد وأجمع كتبه للمحاسن قال فيه: ((هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الْأَشْطَرِ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَاوَاهُ مِصْرَ جَبَايَةَ خَرَجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا))<sup>(٤)</sup>.

فنجد استعمال الإمام (عليه السلام) لقب (أمير المؤمنين) الذي يحمل ((ايحاء بأنه المسؤول الأول الذي يحمل على عاتقه هموم الرعية ومواساة فقرائها. وقوله: أمير المؤمنين إشعار بأنه هذا الشعار تكليف ينبغي اداؤه على أتم مراد وأسد منهاج وليس منصبا يثير في النفس الشعور بالزهو والاستطالة على الناس... وهي تكشف عن عظمة ما انطوت عليه ذات علي من سمو في القدرة على الإحساس بالآخرين ومشاركتهم معاناتهم))<sup>(٥)</sup>.

ويختتم نص هذا الكتاب بما يشير المتلقي بالالتزام بكل ما أمر به الإمام علي (عليه السلام) بما يخص فئات المجتمع وطبقاته المختلفة بقوله: ((وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ، أَنْ يُوقِّعَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ، مِنْ الْإِقَامَةِ عَلَى الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ، مَعَ حُسْنِ التَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ، وَجَمِيلِ الْأَثَرِ فِي الْبِلَادِ، وَتَمَامِ النُّعْمَةِ، وَتَضْعِيفِ الْكِرَامَةِ؛ وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلِكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ. إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ))<sup>(٦)</sup>. ففيه دعاء واضح لمالك الأشتر يعكس رضا الإمام (عليه السلام) عنه مما يدفع مالك إلى تقبل أوامر الإمام (عليه السلام) وتنفيذها لتفاعله معها.

ومن مظاهر المقبولية في النصوص المدروسة هو توشيح رسائله ووصاياه بالنصوص الدينية (قرآنية وأحاديث نبوية) والنصوص الأدبية (الأمثال والأشعار) وهذا ما سنتناوله في موضوع لاحق

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦ / ٩ (و ٣١).

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٨ / ٥.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦ / ١٢٢ (و ٣١).

(٤) نفسه: ٣٠ / ١٧ (ك ٥٣).

(٥) بلاغة النهج في نهج البلاغة: ١٦٤.

(٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧ / ١١٧ (ك ٥٣).

(التناص). وتتمثل مظاهر مقبولية نصوص الرسائل والوصايا أيضا ((في تقديم عنصر جديد يفجر لدى المتلقي رغبات نحو قبول النص))<sup>(١)</sup>.

وهذا يظهر في توظيف العناصر الموسيقية كالسجع المرصع في كتاب له (عليه السلام) إلى زياد بن أبيه، وهو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة وعبد الله عامل أمير المؤمنين عليهما، وعلى كور الأهواز، وفارس وكرمان، قال فيه: ((وَأَنِّي أَقْسَمُ بِاللَّهِ قَسَمًا صَادِقًا، لَنَنْ بَلَّغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا، لِأَشَدَّنَّ عَلَيْكَ شِدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ، ثَقِيلَ الظَّهْرِ؛ ضَنْيِلَ الْأَمْرِ وَالسَّلَامِ))<sup>(٢)</sup>.

فالنص قصير جدا، تحتشد الشدة في عباراته وألفاظه لتفديد غرض التوبيخ والتهديد، موشحا ذلك بأساليب التوكيد (القسم، إن، اللام، نون التوكيد الثقيلة، التكرار) ولإضافة غرض الإثارة جاء السجع المرصع بين (قليل الوفر، ثقیل الظهر، ضئيل الأمر)، الذي كان له أثر في استقبال النص عند المتلقي وتقبله. وقد تحصل مقبولية النص من خلال التميز والتفرد الأسلوبي وهذا يظهر جليا في كتاب له (عليه السلام) إلى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر: ((أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَصْرَقًا فَتَتَحَتَّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ اسْتَشْهَدَ، فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ وَلِدًا نَاصِحًا، وَعَامِلًا كَادِحًا، وَسَيِّفًا قَاطِعًا، وَرُكْنًا دَافِعًا. وَقَدْ كُنْتُ حَنَنْتُ النَّاسَ عَلَى لِحَاقِهِ، وَأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ، وَدَعَوْتُهُمْ سِرًّا وَجَهْرًا، وَعَوْدًا وَبَدَاءً، فَمِنْهُمْ الْآتِي كَارَهَا، وَمِنْهُمْ الْمُعْتَلُّ كَاذِبًا، وَمِنْهُمْ الْقَاعِدُ خَاذِلًا. أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَرَجًا عَاجِلًا؛ فَوَاللَّهِ لَوْ لَا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ، وَتَوَطُّيْنِي نَفْسِي عَلَى الْمَنِيَّةِ، لِأَحْبَبْتُ أَلَا أَبْقَى مَعَ هَؤُلَاءِ يَوْمًا وَاحِدًا، وَلَا أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَدًا))<sup>(٣)</sup>.

إذ يبرز لنا التميز والتفرد الأسلوبي في اختتام نهايات الجمل والتراكيب بأسماء منصوبة تمثل مواقع إعرابية متنوعة، فهي أما صفات تتمثل في (ناصحًا، كادحًا، قاطعًا، دافعًا)، أو أحوال كما في (سرًا) عودًا، كارهًا، كاذبًا، خاذلًا)، أو معطوف عليه كما في (جهرا وبدءًا)، أو تمييز كما في قوله (واحدًا) أو ظرف كما في قوله (أبدًا). وقد أثار بناء النص على هذه الصورة إعجاب بعض الشراح، فهذا ابن أبي الحديد يقول: ((وأعجب لهذه الألفاظ المنصوبة، يتلو بعضها بعضها كيف تواتيه وتطاوعه؛ سلسلة سهلة، تتدفق من غير تعسف ولا تكلف... وأنت وغيرك من الفصحاء إذا شرعوا في كتاب أو خطبة، جاءت القرائن والفواصل تارة مرفوعة، وتارة مجرورة وتارة منصوبة، فإن أرادوا قسرهما بإعراب واحد ظهر منها في التكلف أثربين، وعلامة واضحة، وهذا الصنف من البيان أحد أنواع الإعجاز في القرآن... ثم إن فواصل كل واحد منهما تنساق سياقة بمقتضى البيان الطبيعي لا الصناعة التكلفية، ثم أنظر إلى الصفات والموصوفات في هذا الفصل، كيف قال: ((ولدا ناصحًا) و

(١) علم لغة النص، د. عزة شبل: ٣٥.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥ / ١٣٨ (ك ٢٠).

(٣) نفسه: ١٦ / ١٤٥ (ك ٣٥).

((عاملا كادحا)) و ((سيف ٍ اقاطعا)) و ((ركنا دافعا)). لو قال: ((ولدا كادحا)) و ((عاملا ناصحا)) وكذلك ما بعده لما كان صوابا ولا في الموقع واقعا، فسبحان من منح هذا الرجل هذه المزايا النفيسة والخصائص الشريفة))<sup>(١)</sup>.

فضلا عما تقدم قد يصح المتلقي بموقفه وتقييمه للنص مثلما جاء في كتاب له ((الخطبة)) إلى عبد الله بن العباس وكان يقول ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله كانتفاعي بهذا الكلام: ((أما بعد، فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسْرُهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَقُوتَهُ، وَيَسُوؤُهُ قُوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكْهُ، فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نَلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ، وَلْيَكُنْ أَسْفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا، وَمَا نَلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحًا، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعًا، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيهَا بَعْدَ الْمَوْتِ))<sup>(٢)</sup>. يدور النص حول موضوع الوعظ الديني، فنلاحظ لين العبارات وسهولتها، فليس فيها تقريع أو تهديد، مما له أثر في توغل معناه في نفس المتلقي، وجعله مقبولا لديه.

يتضح مما تقدم أن معيار المقبولية يتحقق من خلال أثر شخصية منتج النص في نصه، فضلا عن طبيعة النص وصياغته وموضوعه مما يدفع المتلقي إلى الاستجابة والقبول حتى وإن كان النص يحمل بين طياته نغمة التوبيخ والاستهزاء والتقريع والنقد لشخصية المتلقي.

### ثالثا الإعلامية

تعد الإعلامية المعيار الخامس من المعايير النصية، ويعرفها (دي بوجراند) بأنها ((العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم Uncertainty في الحكم على الوقائع النصية، أو الوقائع في عالم نصي Textual في مقابلة البدائل الممكنة. فالإعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلي لبديل من خارج الاحتمال. ومع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى على الأقل تقوم وقائعها في مقابل عدم الوقائع))<sup>(٣)</sup>. فالإعلامية تتعلق ((بمدى (توقع / عدم توقع) أو (معرفة / عدم معرفة) العناصر (الوقائع) التي يقدمها النص، ويقصد بذلك المعلومات الجديدة التي يقدمها النص للمتلقي، فإن كان المتلقي يتوقع هذه المعلومات الجديدة، فإن النص يوصف بأنه أقل إعلامية، أما إذا كان المتلقي لا يتوقع هذه المعلومات الجديدة، فإنه يوصف بأنه أكثر إعلامية وهذا يعني أن المعلومة الجديدة، إذا قدمت للمتلقي فإن النص يكون أقل إعلامية، أما إذا تركت لحدس المتلقي فإن النص يكون أكثر إعلامية))<sup>(٤)</sup>.

وتقول الدكتورة إلهام أبو غزالة ((إن لكل نص حظه من الإعلامية فمهما يكن نصيب الشكل والمحتوى من التوقع، فإنه لا مندوحة عن وجود بعض الوقائع المتغيرة التي يتعذر التنبؤ بها بحذافيرها

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦ / ١٤٥-١٤٦.

(٢) نفسه: ١٥ / ١٤٠ (ك ٢٢).

(٣) النص والخطاب والإجراء: ١٠٥.

(٤) الدلالة والنحو: ٢٣١، ينظر: نظرية علم النص: ٦٦.

ومن المحتمل أن يؤدي ضعف الإعلامية بوجه خاص إلى الارتباك، وإلى الملل، بل إلى رفض النص في بعض الأحيان<sup>(١)</sup>. وقد اختلف بعض الباحثين والدارسين في وضع المصطلح العربي المقابل لـ (Informativity)، وكما موضح في الجدول الآتي:

المقابل العربي	اسم الباحث أو الدارس	الموضع
الإخبارية	<ul style="list-style-type: none"> <li>▪ د. أحمد عفيفي</li> <li>▪ أحمد محمد عبد الراضي</li> <li>▪ الأزهر الزناد</li> <li>▪ اشرف عبد البديع عبد الكريم</li> <li>▪ بشير إبرير</li> <li>▪ د. سعيد حسن</li> <li>▪ ليندة قياس</li> <li>▪ محمد يحياتن</li> <li>▪ محمد عزام</li> <li>▪ هناء محمود اسماعيل</li> </ul>	<p>نحو النص: ٨٦.</p> <p>نحو النص بين الأصالة والحداثة: ٩٦.</p> <p>نسيج النص: ١٥.</p> <p>الدرس النحوي النصي في كتب إجاز القرآن الكريم: ٧٦.</p> <p>من لسانيات الجملة إلى علم النص: ٢٦.</p> <p>اتجاهات لغوية معاصرة: ١٧٨.</p> <p>لسانيات النص: ٢٤.</p> <p>المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: ١٢٨.</p> <p>النص الغائب: ٥٠.</p> <p>النحو القرآني في ضوء لسانيات النص: ١٦٦.</p>
الإعلامية	<ul style="list-style-type: none"> <li>▪ د. أحمد عفيفي.</li> <li>▪ أحمد محمد عبد الراضي</li> <li>▪ إلهام أبو غزالة وعلي خليل الحمد</li> <li>▪ تمام حسان</li> <li>▪ جبار سويس الذهبي</li> <li>▪ حسام أحمد فرج</li> <li>▪ سعد مصلوح</li> <li>▪ شريفة بلحوت</li> <li>▪ صلاح حسنين</li> <li>▪ عبد الخالق فرحان شاهين</li> <li>▪ عثمان أبو زنيد</li> <li>▪ عزة شيل</li> <li>▪ ليندة قياس</li> </ul>	<p>نحو النص: ٨٦.</p> <p>نحو النص بين الأصالة والحداثة: ٩٦.</p> <p>مدخل إلى علم لغة النص: ٣٣.</p> <p>النص والخطاب والإجراء: ١٠٥.</p> <p>الاتساق في العربية: ٢٨.</p> <p>نظرية علم النص: ٦٦.</p> <p>نحو أجرومية للنص الشعري: ١٥٤.</p> <p>الإحالة دراسة نظرية: ٩٨.</p> <p>الدلالة والنحو: ٢٣١.</p> <p>أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: ٦٤.</p> <p>نحو النص: ٢٧.</p> <p>علم لغة النص: ٦٨.</p> <p>لسانيات النص: ٢٤.</p>
الإفادة	<ul style="list-style-type: none"> <li>▪ عثمان أبو زنيد</li> </ul>	<p>نحو النص: ٢٧.</p>
المعلوماتية	<ul style="list-style-type: none"> <li>▪ تمام حسان</li> <li>▪ فالح شبيب العجمي</li> <li>▪ د. موفق محمد جواد</li> </ul>	<p>اجتهادات لغوية: ٣٧٩.</p> <p>مدخل إلى علم اللغة النصي: ٩٤.</p> <p>أسس لسانيات النص: ١٥٢.</p>

ويتبنى البحث مصطلح (الإعلامية) لكثرة استعماله بين الباحثين والدارسين. وقد حدد علماء لغة النص لمصطلح (الإعلامية) ثلاثة مفاهيم وهي<sup>(٢)</sup>:

- ١- الإعلامية بالمعنى العام، تدل على أن أي نص لا بد أنه يقدم خبراً ما، فالنصوص تشترك كلها في هذه الوظيفة.
- ٢- الإعلامية بمعنى الجودة وعدم التوقع، وهذا يدل على ما يجده المتلقي في النص من جدة وإبداع ومخالفة الواقع، على مستوى صياغة النص أو مضمونه، ويحدث هذا في النصوص الأدبية.
- ٣- الإعلامية بمعنى الدعاية، إيجاباً أو سلباً لشخص ما أو لفكرة ما، أو لمذهب ما.

(١) مدخل إلى علم لغة النص، إلهام أبو غزالة وعلي خليل الحمد: ٣٣.

(٢) ينظر: نظرية علم النص: ٦٦-٦٨، أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: ٦٥.

وقد وصفت الإعلامية بالمفهومين الأول والثالث بأنها إعلامية منخفضة؛ لأن أثرها في النص يقتصر على الإخبار والدعاية فحسب. أما الإعلامية بالمفهوم الثاني فقد وصفت بأنها إعلامية مرتفعة، لأنها تتعامل مع الجانب الإبداعي أو الأدبي في النص<sup>(١)</sup>.

وفي هذه الحالة يجب على المتلقي أن يبذل جهداً أكبر من الحالين الآخرين، بيد أنه يكون أكثر إمتاعاً ويجب كذلك على منتج النص أن يتوخى الحذر، كي لا تنوء قدرة المتلقي بالعبء عندما يعالج جدة المعلومات إلى الحد الذي قد يتعرض فيه الاتصال إلى التشتت والانهيار<sup>(٢)</sup>، ففي الواقع أن لكل نص إعلاميته ومعلوماته التي تقدم بأي شكل من الأشكال<sup>(٣)</sup>، إلا إن ((مقدار المعلوماتية هو الذي يوجه اهتمام السامع: الحد المنخفض جداً من المعلوماتية (الابتدال، الأمور البديهية لمجموعة معينة من السامعين) تكون مللاً ويمكن أن تقود إلى رفض النص؛ أما المعلوماتية ذات الدرجة العالية (لمجموعة معينة من السامعين) فإنها تكلف الشريك من جهتها أكثر من طاقتها، ويمكن أن تدفعه إلى الانصراف عن مثل ذلك النص. فالمقدار المناسب من المعلوماتية في النص -المعتمد على المقصد والتوقع والموقف- يشكل بذلك عاملاً نصياً أساسياً<sup>(٤)</sup>. وبناء على ما تقدم ف ((إن الإعلامية ترتبط بإنتاج النص واستقباله لدى المتلقي، ومدى توقعه لعناصره))<sup>(٥)</sup>.

وستتناول دراسة الإعلامية في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه في نهج البلاغة بوصفها عاملاً نصياً من جانبين: الأول: شكلي، والآخر: مضموني. ويقوم كلا الجانبين على نوع من كسر النمط المعتاد في الشكل والمحتوى. فعلى المستوى الشكلي خرجت بعض رسائل الإمام (عليه السلام) عن نمط كتابة الرسائل بذكر اسم المرسل واسم المرسل إليه إذ يكتفي الإمام (عليه السلام) بعبارة (أما بعد) وهذا يكثر في الرسائل التي فيها نوع من المخاشنة أو العتاب<sup>(٦)</sup>.

وقد يدخل الإمام (عليه السلام) إلى الموضوع مباشرة دون أن يذكر اسم المرسل والمرسل إليه أو عبارة (أما بعد)<sup>(٧)</sup>، وذلك تبعاً لموضوع الرسالة وطبيعة المرسل إليه والظروف السياسية، إذ كانت هذه الرسائل خير مرآة عكست كل ذلك، أضف إلى ذلك أن عدم ذكر (المرسل) و (المرسل إليه) يقود إلى

(١) ينظر: نظرية علم النص: ٧٠.

(٢) ينظر: مدخل إلى علم لغة النص، د. الهام أبو غزالة و د. علي خليل الحمد: ٣٣.

(٣) ينظر: نحو النص، د. أحمد عفيفي: ٨٦.

(٤) مدخل إلى علم اللغة النصي: ٩٤.

(٥) نحو النص، د. أحمد عفيفي: ٨٦.

(٦) ينظر: الكتب والرسائل الآتية (٧، ٨، ١٩، ٢٢، ٢٨، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٤٩، ٥٢، ٥٤، ٥٧، ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣).

(٧) ينظر: الكتب والرسائل الآتية (٣، ٤، ٥، ٦، ٩، ١٠، ١٣، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٣، ٤٤، ٤٨، ٥٨، ٦٩، ٧٤، ٧٨).

القول: إن الإمام (عليه السلام) ربما قصد بذلك تعميم محتوى الرسائل لكي تكون أكثر فائدة بتعميم متلقيها وعدم اختصاصها بفرد معين سوف يؤدي إلى أن ترتقي في أكثر مضامينها إلى أن تكون أكثر من رسالة عادية لتصبح بذلك دستوراً إنسانياً واجتماعياً يعتمد عليه في بناء المجتمعات الإنسانية. فكانت هذه وسيلة لإظهار إعلامية هذه النصوص بإثارة المتلقين بخروجها عن نمط الكتابة المعروف في كتابة الرسائل في عصر صدر الإسلام. أما على مستوى محتوى النص ومضمونه ((فمصطلح الإعلامية يستعمل للدلالة على ما يجده مستقبلو النص في عرضه من جدة وعدم توقع. وفي العادة تطبق هذه الفكرة على المحتوى والربط بين الوقائع في النص))<sup>(١)</sup>. وتظهر ملامح الجدة في نصوص الرسائل والوصايا على مستوى:

## ١ - اختيار الألفاظ ويشمل:

### (أ) اختيار ألفاظ النص من ناحية الشكل.

تتحصل الجدة وعدم التوقع باختيار ألفاظ غريبة، لأن استعمال الكلمات الغريبة يجعل النص يختلف إعلامياً وهذا الأمر يرتبط بثقافة الكاتب أو المتكلم<sup>(٢)</sup>، ((فكلما كان هناك ابتعاد عن التوقع وكثرة المعتاد والمألوف، زادت الكفاءة الإعلامية))<sup>(٣)</sup>.

من أمثلة ذلك ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى عبد الله بن العباس وهو عامله على البصرة يتحدث فيه عن بني تميم: ((وَأَنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِمًا مَاسَةً، وَقَرَابَةً خَاصَّةً، نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلَى صَلَاتِهَا، وَمَأْزُورُونَ عَلَى قَطِيعَتِهَا))<sup>(٤)</sup>. فاسم المفعول (مأزورون) جاء بالهمز شذوذاً على غير القياس لأنه مأخوذ من (الوزر) بالواو وهنا حصلت الإعلامية المطلوبة في النص بإحداث نوع من المفارقة ففيها ((تبدو الأنماط المعروضة من النص غير مواكبة لأنماط المعرفة المختزنة ويستلزم الأمر قيام مستقبل النص بالبحث في الدافعية ... وسبب اختيارها واستيعابها المحدد في إطار الاستمرار الذي يؤلف الاتصال))<sup>(٥)</sup>، فكان أصل (مأزورون) مأزورون إلا أنه (عليه السلام) عدل عن الأصل طلباً للمطابقة الصوتية بين مأزورين ومأزورين<sup>(٦)</sup> بحصول (الجناس اللاحق) الذي كفاءته الإعلامية أعلى من قوله (مأزورون)، فقد حقق

(١) علم لغة النص، د. عزة شيل: ٦٨.

(٢) ينظر: نفسه: ٧٠.

(٣) نفسه: ٦٨.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٢٥/١٥ (ك ١٨).

(٥) مدخل إلى علم لغة النص، د. الهام أبو غزالة ود. علي خليل الحمد: ١٩٠.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٢٦/١٥، منهاج البراعة: ٢٦٣/١٨.

الجناس إثارة أكبر لدى المتلقي باشعاره بدلالة الثبوت التي أرادها الإمام (عليه السلام)، وقد حققها صيغة اسم المفعول، فالثواب والعقاب أمران ثابتان لا جدال فيهما<sup>(١)</sup>.

ومن اختيار الألفاظ لصيغتها الصرفية التي أثرت كفاءة الإعلامية في النص قوله (عليه السلام) في كتاب إلى معاوية جواباً عن كتاب منه إليه: ((وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ فَكَذَلِكَ نَحْنُ، وَلَكِنْ لَيْسَ أُمِّيَّةٌ كَهَاشِمٍ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيْقِ، وَلَا الصَّرِيْحُ كَالصَّبِيْقِ))<sup>(٢)</sup>.

استعمل الإمام (عليه السلام) كلمة (الطليق) ومعناها ((الذي أسرف أطلق بالمن عليه أو الفدية. وأبو سفيان ومعاوية كانا من الطلقاء يوم الفتح وهاجر تخلصاً منها))<sup>(٣)</sup>، إذ دلت صيغة (فعل) على اسم المفعول (المطلق سراحه) وهي أكثر إعلامية إذ ((يأتي اسم المفعول بصيغة (فعل) كثيراً في رسائله لتدل على الثبوت أو معنى قريب منه))<sup>(٤)</sup>.

فلم يستعمل الصيغة (مطلق) لأنها تؤدي إلى خفض مستوى الإعلامية أما صيغة (طليق)، فقد رفعت الإعلامية للأسباب الآتية: ((١- لثبات هذه الصفة عليه (معاوية). ٢- (مطلق) يحتمل الحال والاستقبال لكن (طليق) للماضي لأنه اتصف بها كما نقول قتيل للذي قتل فعلا ٣- في استعمالها مراعاة للانسجام الصوتي وموسيقى النص التي من شأنها التأثير في النفس))<sup>(٥)</sup> من خلال تكرار صيغة (فعل) ثلاث مرات في النص. فضلاً عن ذلك إن الوصف بفعيل أبلغ وأشد من مفعول؛ لأن ((صيغة (مفعول) تدل على الشدة والضعف في الوصف بخلاف (فعل) التي تفيد الشدة والمبالغة في الوصف فالمجروح جرحاً صغيراً أو بالغا يصح أن يسمى مجروحاً ولا يقال جريح إلا إذا كان جرحه بالغاً))<sup>(٦)</sup>.

فكان استعمال هذا الوصف أشد في إظهار حقيقة معاوية مهما حاول إخفاءها مما جعل إعلامية النص أقوى مما لو استعمل صيغة (مفعول) (مطلق). ولذلك ذهب الدكتور عبد الكريم حسين السعداوي إلى أن الإمام (عليه السلام) ((مولع في صوغ فعيل بدلاً من مفعول))<sup>(٧)</sup>. ويبدو لي أن الموضوع ليس متعلقاً بقضية ولع أو ميل أو رغبة بقدر كونه متعلقاً ببلاغة الخطاب وفصاحته.

(١) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة، دراسة لغوية: ٢٢٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١١٧/١٥ (ك ١٧).

(٣) نهج البلاغة، تح: د. صبيح الصالح: ٦٧٨.

(٤) رسائل الإمام علي (ع) في نهج البلاغة، دراسة لغوية: ٢٢٤.

(٥) نفسه: ٢٢٥.

(٦) معاني الأبنية: ٦٢.

(٧) غريب نهج البلاغة، د. عبد الكريم حسين السعداوي: ٢٠١.



(ب) اختيار ألفاظ النص من ناحية دلالتها ومعناها.

وهذا متحقق في ألفاظ كثيرة<sup>(١)</sup>، إذ يتم اختيارها لدعم إعلامية النص، وقد أشار (دي بوجراند) إلى أن ((المدى الذي تكون فيه العناصر / المعلومات / داخل النص / معتادة في معناها وفي أسلوب التعبير عنها وطريقة عرضها؛ فهي تمثل كفاءة إعلامية منخفضة الدرجة، أو تكون غير معتادة؛ فتمثل كفاءة عالية الدرجة))<sup>(٢)</sup>. ويمكن أن نمثل لذلك بالنماذج الآتية التي فيها تصوير للموضوع عن طريق الإيحاء أو الظل الذي يلقيه في الخيال.

قال الإمام علي (عليه السلام) في كتاب له إلى معاوية: ((فَارَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا، وَاجْتِيَا حَ أَصْلِنَا، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ، وَفَعَلُوا بِنَا الْأَفَاعِيلَ))<sup>(٣)</sup>. جاء استعمال لفظة (اجتياح) مفيداً لرفع الكفاءة الإعلامية بدرجة أعلى مما لو كرر الإمام (عليه السلام) المادة اللغوية (أصل) بقوله: (استئصال) قياساً على ما جاء في النص نفسه (هموا، الهموم) و (فعلوا، الأفاعيل)، لكنه (عليه السلام) عدل إلى استعمال هذه اللفظة دون مرادفها (استئصال) على الرغم من أن الأخيرة تحمل المعنى نفسه. يقال: ((استأصل الله بني فلان، إذا لم يدع لهم أصلاً، واستأصله: أي قلعه من أصله، ... واستأصل القوم قطع أصلهم))<sup>(٤)</sup>، أما الاجتياح فيقال فيه: ((الجوح الاستئصال من الاجتياح جاحتهم السنة جوحاً وجياحة واجاحتهم واجتاحتهم، استأصلت أموالهم))<sup>(٥)</sup>. ويعود ذلك إلى أن ((لفظة اجتياح قوية حادة سهلة النطق جزلة في حين أن كلمة استئصال باهتة ثقيلة طويلة متعثرة))<sup>(٦)</sup>.

إذ تثير هذه اللفظة بما تحمله من جرس قوي امتدتها به أصواتها، في مخيلة المتلقي معاني كثيرة تدفعه لاستحضار صور ذلك الاجتياح<sup>(٧)</sup> المتمثلة في إزالة الشيء من مكانه بقوة مصورة حرب قريش لرسول الله ﷺ والقضاء على الإسلام، لأنها نظرت إليه بوصفه ثورة تجتاح سيطرتها، وتنزع منها سلطتها، وتستأصل امتيازها بين القبائل، فجاء استعمال الإمام (عليه السلام) لها مفضلاً إياها على غيرها من الألفاظ المرادفة ((لأنه أراد التعبير عن معنى محدد لا تؤديه المفردات الأخرى))<sup>(٨)</sup>.

(١) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام)، دراسة أدبية نقدية: ٣١٥-٣١٧.

(٢) نظرية علم النص: ٦٦.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٤٧/١٤ (ك ٩).

(٤) لسان العرب، مادة (أصل): ٣١٥/١.

(٥) نفسه، مادة (جوح): ٤٠٩/٢.

(٦) رسائل الإمام علي (عليه السلام)، دراسة أدبية نقدية: ٣١٥.

(٧) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة، دراسة لغوية: ٨٦-٨٧.

(٨) رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة، دراسة لغوية: ٨٦.

ومن الألفاظ أيضا قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى معاوية: ((فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ، قَاتِلُ جَدِّكَ وَأَخِيكَ وَخَالِكَ شَدْخًا يَوْمَ بَدْرٍ، وَذَلِكَ السَّيْفُ مَعِي، وَبِذَلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي))<sup>(١)</sup>. فقد استعمل الإمام علي (عليه السلام) لفظة (شدخا) التي أسهمت في رفع درجة الكفاءة الإعلامية أكثر مما لو استعمل الإمام اللفظة المرادفة لها في معناها، قال ابن أبي الحديد في معناها: ((قوله عليه السلام (شدخا)، الشدخ كسر الشيء الأجوف، شدخت رأسه فانشدخ))<sup>(٢)</sup>.

وعليه فإن دلالة الشدخ تختص بكسر رؤوس هؤلاء الأشخاص الذين ذكروهم الإمام (عليه السلام) في نصه وهذه الدلالة تختلف عن دلالة لفظة (كسر) المرادفة لها ((لأن لفظة شدخا هي التي تعبر عما يريده الإمام في هذا الموضوع تهديدا وتخويفا نلمسها فيها بدقة وقوة، بينما يأتي مترادفها كسرا علما هين الوقع))<sup>(٣)</sup>، فأراد الإمام أن يخبر معاوية بحقيقة مهمة ((وهي أن جد وخال وأخا معاوية قتلوا في معركة بدر وأن جماجمهم كانت فارغة من العقل والتفكير السليم))<sup>(٤)</sup>. لأنهم لو كانوا خلاف ذلك لقبوا الدعوة الإسلامية، ولم يتجنّدوا لقتال رسول الله ﷺ، وكأنه يريد أن يخبر معاوية أن ما ذكره في رسالته التي أرسلها إليه هو عبارة ((عن مدعيات خاوية دون إسنادها بالمدارك التاريخية، بينما نرى الإمام (عليه السلام) أخذ معاوية إلى الماضي من صدر الإسلام وبين له سوابقه التاريخية في معركة بدر وأنه هو علي بن أبي طالب الذي قتل جده وأخاه وخاله))<sup>(٥)</sup>.

فكان اختيار الإمام (عليه السلام) للألفاظ ذات الجرس الموسيقي الموحى بالمعنى: إذ جاءت معرفة أصدق تعبير عن همومه الشخصية إزاء ما رافقه من أحداث، فقد اختار أقواها إثارة وأكثرها إيحاء وأوضحها دلالة وأجملها تصويرا وأحسنها نسقا إلى جانب ذلك كان اختيار الألفاظ المترادفة في النص يزيد من الكفاءة الإعلامية في النص ما لو استعمل اللفظ المكرر نفسه. وقد سبق تناول هذا بالتفصيل في موضوع الاتساق المعجمي من الفصل الأول، إذ تنبه مستقبلو النص إلى عدول صاحب النص من ذكر المادة اللغوية نفسها إلى ذكر مرادفها، وهذا العدول يضفي قوة تعبيرية في النص.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧٩/١٥ (ك ١٠).

(٢) نفسه: ٨٣/١٥.

(٣) رسائل الإمام علي (عليه السلام)، دراسة أدبية نقدية: ٣١٦.

(٤) نفحات الولاية: ١٢٦/٩.

(٥) نفسه: ١٢٧/٩.

## ٢- ملامح الجدة على المستوى النحوي.

قد تبرز الإعلامية في نص ما نتيجة ترتيب الألفاظ فيه إذ ((يستند إلى أساليب ترتيب التتاليات بحسب إعلامية العناصر أو مجموعات العناصر))<sup>(١)</sup>، وهذا يكون في مظهرين: الأول: في دراسة أثر التنغيم في الاتساق الصوتي، ولا سيما في خروج الاستفهام إلى أغراض مجازية: ((فقد أطر التنغيم الصاعد خروج الاستفهام إلى معنى الاستبعاد والافتخار، والأمر، والتأكيد والتبكي، والتحذير، والتخصيص، والتذكير، والتشويق، والتعجب، والتعظيم والتفخيم، والتقدير، والتنبيه، والتهديد، والتهويل، والنفي، والنهي، والوعيد. في حين كانت النغمة الهابطة تصحب خروج الاستفهام إلى معنى الاستبطاء، والاسترشاد، والاكتفاء، والإنكار، والاياس، والإيناس، والتجاهل، والتحقير، والتفجع، والتكثير، والتمني، والتهكم، والتوبيخ، والدعاء، والعتاب))<sup>(٢)</sup>.

أما من ناحية تحقق الإعلامية فلن ((العناصر ذات الإعلامية المرتفعة تنزع إلى الظهور عند نهاية التركيب وإلى الخطوة بطبقة صوتية مرتفعة وفي المقابل تميل العناصر ذات الإعلامية المنخفضة إلى الظهور عند بدايات التراكيب وإلى أن تكون لها طبقة صوت منخفضة))<sup>(٣)</sup>.

وقد سبق دراسة نصوص من الرسائل والوصايا مما يغني عن الإعادة -هنا- وهذا يشعنا أن تحقق بعض المعايير النصية (ولا سيما الاتساق والانسجام) يقودنا إلى تحقق غيرها (الإعلامية). الأخر: تعدد التأويلات النحوية، يعمل تعدد التأويلات النحوية على إبراز معيار الإعلامية فكلما ((زاد عدد البدائل الممكنة في لحظة ما، ارتفعت القيمة الإعلامية لاستعمال واحد منها، وأكثر الطرق ضبطاً لتحديد البدائل الممكنة الظهور عندها. هي إجراء مسح للتتاليات المتيسرة في اللغة))<sup>(٤)</sup>. وقد تحقق هذا المظهر في أربع مواضع فقط<sup>(٥)</sup>.

ومما تعدد فيه التأويل النحوي قوله (عليه السلام) في كتاب كتبه إلى أهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين: ((وَمَنْ لَجَّ وَتَمَادَى فَهُوَ الرَّأْسُ الَّذِي رَانَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ، وَصَارَتْ دَائِرَةُ السَّوْءِ عَلَى رَأْسِهِ))<sup>(٦)</sup>. لو وقفنا عند التأويلات التي أدارها الشراح والنحويون لوجدنا أن لكل تأويل دلالة نحوية تؤدي إلى مقصد معنوي؛ لأن المعنى ((يتبع) الموقع)، ويتغير بتغيره، فتعدد التأويلات النحوية يؤدي إلى تعدد المعاني الدلالية))<sup>(٧)</sup>.

(١) مدخل إلى علم لغة النص: ١٩٥.

(٢) المعنى في الدراسات البلاغية (الثراء، التمكين، التوجيه): ٩٠.

(٣) مدخل إلى علم النص: ١٩٥.

(٤) نفسه: ١٨٥.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٨٣/١٧، ١٠٦، (ك ٥٣)، ١٤١ (ك ٥٨)، ٣٠/١٨ (ك ٦٧).

(٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤١/١٧ (ك ٥٨).

(٧) غريب نهج البلاغة: ٢٥١.

فمن، يعن النظر في هذا النص يجد فيه موضعاً يجعله الشراح صعباً بما فرعوا له من تأويلات، فصار كل تأويل يؤدي إلى معنى نحوي يختلف عن التأويل الآخر وهذه التأويلات ذكرها ابن أبي الحديد في قوله: ((قال قوم: الراكس هنا بمعنى المركوس، فهو مقلوب فاعل بمعنى مفعول، كقوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾<sup>(١)</sup> أي مرضية، وعندني أن اللفظة على بابها، يعني أن من لج فقد ركس نفسه، فهو الراكس وهو المركوس، يقال: ركسه وأركسه بمعنى، والكتاب العزيز جاء بالهمزة فقال: ﴿وَاللَّهُ أَزْكَبُهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾<sup>(٢)</sup>، أي ودهم إلى كفرهم))<sup>(٣)</sup>.

وأول تأويل (راكس) بمعنى (مركوس) فقد أُلِّ استعمل اللفظة على أساس المجاز، فهو مجاز عقلي علاقته المفعولية والدليل الاستعمال القرآني في راضية بمعنى مرضية، أما الفاعل فلا يكون غير لفظ الجلالة (الله) بقرينة (ران الله)، ولا يجوز أن يكون (نفسه) فاعلاً لأن فاعل المبني للمجهول ينبغي أن يكون خارجياً لا داخلياً

أما التأويل الآخر فهو يمثل رأي ابن أبي الحديد في أن استعمال (راكس) على الحقيقة وهو اسم فاعل بمعنى (طارد) نفسه... أو (راد) نفسه إلى الكفر، وهو (مركوس)، فكلاهما (راكس) و (مركوس) من (ركس)، ولا يمكن أن نرفض هذه الآراء لأنها مقبولة نحويًا وأسلوبياً ولكن نريد أن نحاكم مدى الكفاءة الإعلامية لكل رأي من الآراء، إذ نرى أن الرأي الأول يمثل الكفاءة الإعلامية المرتفعة، لأن ((عادية الأسلوب تساعد المرء على المعالجة السهلة في حين يؤدي الخروج على المؤلف إلى جعل المعالجة تصبح تحدياً مثيراً))<sup>(٤)</sup> فالاستعمال المجازي يثير المتلقي على نحو أكثر من الاستعمال الحقيقي وعليه تكون إعلاميته أعلى كذلك اختلاف المؤلِّين مع أن الموضوع واحد يجعلنا ندرك مدى حيوية النص وقبوله القراءات المتنوعة، لأن الدلالة في كل تأويل تختلف عن الدلالة في التأويل الآخر. ولو عينا إلى النص العلوي في قوله: ((وران الله على قلبه)) فإن الفاعل لفظ الجلالة المذكور. أما قول ابن أبي الحديد: ((وران على قلبه، أي ران هو على قلبه، كما قلنا في الراكس؛ وقد يجوز أن يكون الفاعل - وهو الله - محذوفاً لأن الفاعل لا يحذف بل يجوز أن يكون الفاعل كالمحذوف، وليس بمحذوف، ويكون المصدر وهو الرين، دل الفعل عليه كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِنَا﴾<sup>(٥)</sup> أي بدا لهم البداء. وران بمعنى غلب وغطى))<sup>(٦)</sup>. أي إنه يفترض أن يكون الإمام (العلامة) قد قال: (ران على

(١) القارعة: ٧.

(٢) النساء: ٨٨.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/١٤٣.

(٤) مدخل إلى علم لغة النص: ١٨٧، وينظر: علم لغة النص، د. عزة شبل: ٦٩.

(٥) يوسف: ٣٥.

(٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧/١٤٣.

قلبه) فيضع تساؤلاً مفاده هل أن الفاعل هنا محذوف؟! ثم يبدأ بالإجابة بأن الفاعل لا يحذف إطلاقاً بل على ثلاثة احتمالات:

١ - مضمرو يقدر بلفظ الجلالة (الله).

٢ - مضمرو يقدر ب (هو) يعود على (نفسه) كما في (راكس).

٣ - كالمحذوف ويقدر بمصدر للفعل كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِنَا﴾، أي ران الرين على قلوبهم... هذا ما يبدو لي، لكن إذا عدنا إلى النص نفسه كما ذكره الإمام (عليه السلام) (ران الله على قلبه) أعلى مستوى للإعلامية لأنه ما ((اسند إليه صراحة يكون أثبت وأقوى مما لم يسند إليه))<sup>(١)</sup>. يليه في الإعلامية الاحتمال الأول لإعلاميته أعلى من الاحتمالين الآخرين.

ومن تعدد التاويلات النحوية قوله (عليه السلام) في كتاب له كتبه إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة: ((وَلَا يَكُنْ لَكَ إِلَى النَّاسِ سَفِيرٌ إِلَّا لِسَانُكَ، وَلَا حَاجِبٌ إِلَّا وَجْهُكَ))<sup>(٢)</sup>. ينهى الإمام (عليه السلام) عامله عن توسط السفراء والحجاب بينه وبين الناس، بل ينبغي أن يكون لسانه سفيره ووجهه حاجبه. ولو نظرنا إلى التاويلات التي يتضمنها قول الإمام (عليه السلام)، نجد اختلاف الشراح والنحويين في إعراب النص وتاويل هذا الإعراب، ويظهر لنا هذا في ما ذكره ابن أبي الحديد في قوله: ((وروي (ولا يكن إلا لسانك سفيرا لك إلى الناس) بجعل (لسانك) اسم كان مثل قوله: ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ فَكَأْتُوا﴾<sup>(٣)</sup> والرواية الأولى هي المشهورة، وهو أن يكون (سفيرا) اسم كان، و (لك) خبرها، ولا يصح ما قاله الرواندي: إن خبرها (إلى الناس)، لأن (إلى) ها هنا متعلقة بنفس (سفيرا)، فلا يجوز أن تكون الخبر عن (سفيرا)، تقول: سفرت إلى بني فلان في الصلح، وإذا تعلق حرف الجر بالكلمة صار كالشيء الواحد))<sup>(٤)</sup>.

وسوف نقف عند الرواية المعتمدة في النهج وهي (ولا يكن لك إلى الناس سفيرا إلا لسانك، ولا حاجب إلا وجهك)) فرأي ابن أبي الحديد هو الأصح وحجته في ذلك أقوى لأن (إلى) متعلق ب (سفيرا) على معنى (مسافر) أو (ذاهب). وأن (لك) خبر مقدم و (لسانك) منصوب على الاستثناء. أما الرواية الثانية فهي (ولا يكن إلا لسانك سفيرا لك إلى الناس).

(١) هذه الرواية يبدو أنها ضعيفة لأن حكم اسم كان وخبرها حكم المبتدأ والخبر من حيث التقديم والتأخير، وإذا كان حكم المبتدأ المحصور ب (إلا) وجوب التأخير فإن (اسم كان) هنا يجب

(١) بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرائي: ٨٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٣٠/١٨ (ك ٦٧).

(٣) النمل: ٥٦.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٣١/١٨.

تأخيره<sup>(١)</sup> فالأصح أن يقول ((ولا يكن سفيرا لك إلى الناس إلا لسانك)) كما في قوله تعالى:  
﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ ينصب (جواب).

(٢) وإذا صحت العبارة على رأي من يجيز تقدم الاسم المحصور فإن الإعراب كالاتي:  
لا: ناهية.

يكن: فعل مضارع ناقص مجزوم علامة جزمه السكون.

إلا: أداة استثناء مفرغ.

لسانك: اسم كان مرفوع.

سفيرا: خبرها منصوب.

لك: جار ومجرور وشبه الجملة نعت.

إلى الناس: جار ومجرور متعلقان بـ (سفيرا).

أما ما ذكره ابن أبي الحديد عن رأي الراوندي إن كان كما هو فهو على حق في تخطئته لأن (إلى الناس) متعلق بسفير، وقد يكون كلام الراوندي (الجار والمجرور) وفسره الشارح بـ (إلى الناس)، هذا كل ما بدا لي من رأي الشارح.

أما أكثر هذه الروايات إعلامية فهي الأقوى في الإشارة إلى المعنى والتي سارت وقلقا للقواعد النحوية التي أسهمت في إبراز المعنى المقصود من النص وايضاحه عند المتلقي. مما تقدم يتضح لنا أن معيار الإعلامية يظهر على نحو بارز في النصوص التي تقدم مجموعة من الاحتمالات والبدائل وفي الوقت نفسه ترجح كفة أحد الاحتمالات أو البدائل لأنه أقوى في إبراز المعنى وإظهاره ومن ثم أدت إلى بيان مقصد الإمام من النص.

### (٣) الجودة في محتوى النص والربط بين الوقائع.

من المعلوم أن مصطلح الإعلامية يستعمل ((للدلالة على ما يجده مستقبلي النص في عرضه من جدة وعدم توقع. وفي العادة تطبيق هذه الفكرة على المحتوى والربط بين الوقائع في النص))<sup>(٢)</sup>. وهذا المستوى يظهر في النموذجين الآتيين:

النموذج الأول: قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى معاوية: ((وَقُلْتُ : إِنِّي كُنْتُ أَقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى أَبَايعَ ؛ وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ ؛ وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ ؛ وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاظَةٍ فِي أَنْ

(١) ينظر: شرح ابن عقيل، بهاء الدين بن عقيل: ٢٢٦/١، الجملة الإسمية، علي أبو المكارم: ٥٦.

(٢) علم لغة النص: د. عزة شبل: ٦٨.

يَكُونُ مَظْلُومًا مَا لَمْ يَكُنْ شَاكًا فِي دِينِهِ ؛ وَلَا مُرْتَابًا بِبَيْتِيهِ ! وَهَذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا ، وَلَكِنِّي  
أَطَلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرٍ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا))<sup>(١)</sup>.

تظهر ملامح الإعلامية في قوله: (( لَدَأْتُ لَكُمْ فَصَحْتُ وَ... فَتَضَحُّ فَافْتَضَحْتُ ))، إذ تتمثل الإعلامية في الجودة التي يمثلها اختيار المحتوى أو الفكرة الأساس، وكيفية التعبير عن هذا المحتوى وتتجلى المفارقة التي يبينها استعمال الكلمات المتناقضة في النص (تذم × فمدحت) (تفضح × فافتضحت فيمثل التحول من ((النقيض إلى النقيض درجة عالية من درجات الإعلامية... وكلما ازداد التناقض ازدادت إعلامية النص))<sup>(٢)</sup>.

فالمخالفة بين (تذم) و (مدحت) تناقضية المعنى، كما قال ابن منظور (ت ٧١١هـ) في لسانه: ((الذم: نقيض المدح))<sup>(٣)</sup> ودل التناقض على جهل معاوية بالأمر السياسي، فلم يفرق بين ما فيه ذم لعدوه مما فيه مدح له.

فكان توظيف التناقض دليلاً قلمه الإمام (عليه السلام) للإخبار بخواء إدعاءات معاوية وضحالة فكره لأنها لا تستند إلى دلائل قوية ((ذلك بأن الذي يذم حقا هو الظالم الغاصب أمثالك يا معاوية أما المظلوم فالله وليه ونصيره وعلى منطلقك هذا ينبغي أن تمدح أباك وتذم الرسول الأعظم ﷺ - استغفر الله- لأنه عانى الكثير من أبيك أبي سفيان))<sup>(٤)</sup>.

والتناقض الآخر بين أن (تفضح وافتضحت) وقد أعانت الصيغة الصرفية للفعل (افتضحت) الدالة على المطاوعة<sup>(٥)</sup> على إظهار هذا المعنى وعلى رأي أن صيغة المبني للمجهول ما هي إلا صيغة مطاوعة<sup>(٦)</sup> غيرت حال معاوية بكونه مفضوحاً لا فاضحاً فالتناقض إذن حاصل بين اسمي الفاعل والمفعول (فاضح ومفضوح)، وهذا كله يشير إلى أمرين ((أ) ولا تعترف بأنني وقعت مظلوماً وأن الآخرين ظلموا حقي في هذا المجال، فهذا يمثل مدحاً لي وذلماً للظالمين، وثانياً أنك أثبتت أن خلافتهم لم تكن بإجماع الصحابة.

في حين أنك تدافع عن مثل هذه الخلافة وقلت: إن الخليفة الأول أقرب إلى الله من الجميع وأعلى مكانة فكيف يمكن ذلك في حين أنه ارتكب ظلماً بحق أول مسلم وأقرب الناس للنبي الأكرم ﷺ وأعلمهم بدينه وأشدهم دفاعاً عن رسالته))<sup>(٧)</sup>. وهكذا استطاع الإمام (عليه السلام) أن يخبر معاوية وكل من

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨٣/١٥ (ك ٢٨).

(٢) علم لغة النص، د. عزة شيل: ٧١.

(٣) لسان العرب، مادة (ذمم): ٤٣/٦.

(٤) في ظلال نهج البلاغة: ١٧٤/٥ - ١٧٥.

(٥) ينظر: المطاوعة حقيقتها وأوزانها (بحث منشور)، د. هاشم طه شلاش: ١٥٩.

(٦) ينظر: نفسه: ١٤٩.

(٧) نفعات الولاية: ٣٧٤/٩ - ٣٧٥.

يشكك بأحقيته بالخلافة، فالإعلامية تحققت بعدم ذكر كل هذه التفاصيل في النص، ليستنتجها العقل، وبذلك أصبح النص ذا إعلامية عالية.

النموذج الثاني: ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة: ((وَاللَّهِ لَو تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا، وَلَوْ أَمَكَّنْتِ الْفُرْصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا))<sup>(١)</sup>. حري بمصطلح الإعلامية أن يدل على ناحية الجودة التي توصف بها المعلومات التي تشكل محتوى الاتصال في نص ما<sup>(٢)</sup>، لأن الإعلامية ((تتضمن على عامل الجودة))<sup>(٣)</sup>.

وتظهر الجودة في النص المعروف الذي جاء كلامه فيه (عليه السلام) من موقع التأكيد على شجاعته فلم ((يسمع بمثل هذا الكلام من أي شخص قبل ذلك، ومعلوم أن الإمام علي (عليه السلام) لا يتحدث بذلك من موقع المبالغة بل إن ما يقوله هو عين الواقع، وقد أثبت هذه الحقيقة في ميادين الجهاد والقتال ضد قوى الشرك والباطل ... إلى درجة أنه لقب بكونه ((كرار غير فرار))<sup>(٤)</sup>.

لقد استند الإمام (عليه السلام) في كلامه على حقائق تاريخية مع أنه لم يصحح بها إلا إن المتلقي يمكن أن يقرأ التاريخ الإسلامي ليعرف هذه الحقيقة، ففي معارك بدر والخندق والغزوات الأخرى كان الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو الذي واجه الأعداء ولم يتردد أو يرتعب من كثرتهم وتظافرتهم عليه، فالإعلامية تحققت بعدم ذكر كل هذه التفاصيل في النص، ليستنتجها العقل وبذلك أصبح ذا إعلامية مرتفعة لجدة مضمونه.

مما تقدم يتضح لنا أن الإعلامية هي مدى الجودة أو عدم التوقع في المواد المعروضة وأن ضوابطها لا بد أن تكون عاملاً مالمالدي تحديد استعمال خيارات خاصة في جميع أنواع السياقات ولدى منح الدافعية لهذا الاستعمال. دون غيره من الاستعمالات المحتملة التي تعمل على خفض درجة الكفاءة الإعلامية، بينما يؤدي الاستعمال المطلوب إلى رفع درجة الكفاءة الإعلامية لدى المتلقي.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٨٩/١٦ (ك٤٥).

(٢) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ٢٤٩.

(٣) مدخل إلى علم لغة النص، د. إلهام أبو غزالة ود. علي خليل الحمد: ١٢.

(٤) نفعات الولاية: ١٠/١٦٤.



من المعايير التي تتصل بالمؤثرات الخارجية للنص (السياق والتناس) وفيما يأتي عرض لدراسة تفصيلية لهذين المفهومين وبيان تأثيرهما على نصوص الرسائل والوصايا في نهج البلاغة.

## أولا : السياق.

### مدخل:

لقد عنى علماء العربية القدماء بالسياق وأطلقوا عليه المقام أو مقتضى الحال في ضوء مقالاتهم الشهيرة ((لكل مقام مقال))<sup>(١)</sup> التي عدت مثلا سائرا وهذا ما صاغه (مالينوفسكي) تحت عنوان (Context of Situation)<sup>(٢)</sup>، يقول القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) في منهاج البلغاء: ((وأحسن مواقع التخيل: أن يناط بالمعاني المناسبة للغرض الذي فيه القول كتخييل الأمور السارة في التهناني، والأمور المفجعة في المراثي. فإن مناسبة المعنى للحال التي فيها القول وشدة التباسه بها يعاون التخيل على ما يراد من تأثير النفس لمقتضاه ...، ويحسن موقع التخيل من النفس، أن يتزامى بالكلام إلى أنحاء من التعجيب، فيقوى بذلك تأثير النفس لمقتضى الكلام))<sup>(٣)</sup>.

أما اللغويون المحدثون فقد أولوا السياق وأثره في تحديد المعنى عناية كبيرة، ومن أهم المدارس التي أهتمت به المدرسة الإنكليزية بزعامة (فيرث)، التي قامت على أساس المعنى، إذ صرح (فيرث): ((بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة، ويقول أصحاب هذه النظرية في شرح وجهة نظرهم: (معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وإن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها))<sup>(٤)</sup>.

وخلص (فيرث) إلى أن تحديد المعنى يتوقف على الشروط الآتية<sup>(٥)</sup>:

- ١- تحليل السياق اللغوي (Verbal Context) صوتيا و صرفيا ونحويا ومعجميا
- ٢- بيان شخصية المتكلم والمخاطب والظروف المحيطة بالكلام.
- ٣- بيان نوع الوظيفة الكلامية.
- ٤- بيان نوع الأثر الذي يتركه الكلام.

(١) الألسنية محاضرات في علم الدلالة، د. نسيم عون: ١٦١.

(٢) ينظر: نفسه: ١٦١.

(٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٩٠.

(٤) علم الدلالة: ٦٨-٦٩.

(٥) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١/٧٠، الكلمة، دراسة لغوية معجمية: ١٥٨.

فهذه الشروط تؤكد بقوة أن المعنى متصل بالسياق اتصالاً كبيراً إذ يتعذر الفصل بينهما ولا يتصور أحدهما والآخر ليس متلبساً به<sup>(١)</sup>. وفيما يأتي دراسة لخصائص السياق وضروبه في الرسائل والوصايا.

### السياق وخصائصه.

يرى (براون ويول) أن السياق يعد من أهم مبادئ الانسجام؛ لأنه يتحتم على ((محلل الخطاب أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي ورد فيه مقطع ما من الخطاب))<sup>(٢)</sup>. فالسياق لدهما يشمل كلا من (المتكلم/ الكاتب) و (السامع/ القارئ) و (الزمان والمكان)<sup>(٣)</sup>. إذن هما يقصدان السياق المقامي المادي الذي ينشأ فيه الخطاب ويلعب أثراً مهماً في تحقيق الانسجام؛ لأنه ((يجعل القول الواحد متى ظهر في مقامين مختلفين ذا تأويلين مختلفين))<sup>(٤)</sup>.

ويشير (هايمز) إلى أثر السياق في الفهم بكونه يحصر من جهة عدد المعاني الممكنة، وأنه يساعد من جهة أخرى على تبني المعنى المقصود<sup>(٥)</sup>. ويذكر أن للسياق خصائص واقترح تصنيفها في ضوء العناصر الآتية:

- ((- المرسل: وهو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول.
- المتلقي: وهو السامع أو القارئ الذي يتلقى القول.
- الحضور: وهم مستمعون آخرون حاضرون يساهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي.
- الموضوع: وهو مدار الحدث الكلامي.
- المقام: وهو زمان ومكان الحدث التواصل، وكذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين من إشارات وإيماءات وتعبيرات الوجه....
- القناة: كيف تم التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي: كلام، كتابة، إشارة....
- النظام: اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل.
- شكل الرسالة: ما هو الشكل المقصود: دردشة هي جدال، عظة، خرافة، رسالة غرامية....
- المفتاح: ويتضمن التقويم: هل كانت الرسالة موعظة حسنة شرحاً مثيراً للعواطف....
- الغرض: أي أن ما يقصده المشاركون ينبغي أن يكون نتيجة للحدث التواصل<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: أصول تحليل الخطاب: ١١٧/١.

(٢) تحليل الخطاب: ٣٥، وينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٥٢.

(٣) ينظر: تحليل الخطاب: ٣٥، لسانيات النص: ٥٢.

(٤) أصول تحليل الخطاب: ١٥٩/١.

(٥) ينظر: الانسجام النصي وأدواته: ٦٥.

(٦) لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٥٣.

فهذه الخصائص تسهل على الدارس عملية تحليل النصوص المختلفة، فكلما زادت معرفة المحلل أو الدارس بها زادت قدرته على التنبؤ بما يمكن قوله؛ لأن ((النص المنجز لا يتم تحليله لغويا إلا عن طريق هذا التفاعل بين المبدع والمتلقي، بين جسد النص ومدلولاته الحديثة والزمانية والمكانية، إنه باختصار شديد كائن حي يتشكل مع القراءة الواعية والتحليل الهادف الذي يجعل للسياق والموقف اللغوي دوراً أساسياً عند التحليل، هذا السياق هو الذي يحدد مكونات النص بل ويوجدتها))<sup>(١)</sup>، فالسياق له أثر كبير في تحديد معنى النص ف ((النص والسياق يكمل أحدهما الآخر))<sup>(٢)</sup> وبانعدام السياق يفقد النص انسجامه، ومن ثم يفقد نصيته.

إن التأمل في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه يجعلنا نتلمس خصائص السياق فيها، والغاية من ذلك إظهار مدى التأثير المتبادل بين السياق وبين النص، بما يفسر لنا ذلك النص بشكل موضوعي. عموماً تشترك نصوص الرسائل والوصايا بأن المرسل هو (الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام))، إما المرسل إليه (المتلقي)، فهو طرف مهم في تماسك النص ((فلا نتصور وجود نص ما مالم يكن هناك متلق له وإلا فقد النص مضمونه))<sup>(٣)</sup>، فالمتلقي هو الذي يحكم على ترابط النص وتماسكه، وعليه تنوعت نصوص الرسائل والوصايا بتنوع المرسل إليه، الذي برز على نمطين: الأول: مرسل إليه خاص (محدد)، والآخر: مرسل إليه عام (غير محدد)، وكما موضح فيما يأتي:

#### أولاً: المرسل إليه في نصوص الرسائل:

##### (أ) المرسل إليه (الخاص) في نصوص الرسائل.

رقم الرسالة	المرسل إليه	رقم الرسالة	المرسل إليه
٤٢	- عمر بن ابي سلمة	٥٥ . ٤٩ . ٤٨ . ٣٧ . ٣٢ . ٣٠ . ٢٨ . ١٧ . ١٠ . ٩ . ٧ . ٦	- معاوية
		٧٥ . ٧٣ . ٦٥ . ٦٤	
٤٣	-مصقلة بن هبيرة	٧٦ . ٧٢ . ٦٦ . ٢٢ . ١٨	-عبد الله بن العباس
٤٥	-عثمان بن حنيف	٤٤ . ٢١ . ٢٠	- زياد بن أبيه
٥٣	-الأشتر النخعي	٣٤ . ٢٧	-محمد ابن أبي بكر
٥٤	- طلحة والزبير	٦٧ . ٣٣	-قثم بن العباس
٥٩	-الأسود بن قصبه	٧٨ . ٦٣	-أبو موسى الأشعري
٦١	-كميل بن زياد	٣	-شرح بن الحارث
٦٨	-سلمان الفارسي	٥	-أشعث بن قيس
٦٩	-الحارث الهمداني	٨	-جرير بن عبد الله
٧٠	-سهل بن حنيف الأنصاري	٣٦	-عقيل بن أبي طالب
		٣٩	-عمرو بن العاص

(١) نحو النص، د. أحمد عفيفي: ٤٧.

(٢) اللغة والمعنى والسياق، جون لايتز: ٢١٨.

(٣) الانسجام في النص القرآني مظاهره وجمالياته: ٣١٢.

(ب) المرسل إليه (العام) في نصوص الرسائل وينقسم على ثلاثة أقسام هي: الأمصار، العمل، الأمراء، وكما موضح فيما يأتي:

رقم الرسالة	الأمراء	رقم الرسالة	العمال	رقم الرسالة	الأمصار
٥٠، ١٣، ٤	- أمراء الجيش	٤٦، ٤١، ٤٠، ٢٦، ١٩	-بعض عماله	٥٧، ٢، ١	-أهل الكوفة
٥٢	-أمراء البلاد			٦٢، ٣٨	-مصر
٧٩	-أمراء الأجناد	٥١	-عماله على الخراج	٢٩	-أهل البصرة
		٦٠	-العمال الذين بظأ الجيش عملهم	٥٨	-أهل الأمصار
				٧٤	-ربيعة واليمن

ثانياً: المرسل إليه في نصوص الوصايا:

(أ) المرسل إليه (الخاص) في نصوص الوصايا.

رقم الوصية	المرسل إليه	رقم الوصية	المرسل إليه
٤٧	- الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام)	٧٧، ٧٦	-عبد الله بن العباس
٥٦	- شريح بن هاني	١٢	-معقل بن قيس
		٣١	- الإمام الحسن (عليه السلام)

(ب) المرسل إليه (العام) في نصوص الوصايا.

وينقسم على أربعة أقسام: الجيش والعسكر، الأبناء والأهل، الأصحاب، العمال. وكما

موضح فيما يأتي:

رقم الوصية	المرسل إليه	رقم الوصية	المرسل إليه
١٦	-أصحابه	١٤، ١١	-الجيش والعسكر
٢٥	-عامله على الصدقات	٢٤، ٢٣	-ابناءه وأهله

إن للمتلقي (المرسل إليه) اثراً أساسياً في الحكم على تماسك النص، إذ هو أحد أركان التحليل النصي، ((فهو القراءة الثانية للنص. ولهذا لم يغفل علماء اللغة هذا الدور للمتلقي، فالنص يعد حواراً قائماً بين قائل النص والمتلقي))<sup>(١)</sup>.

وقد تنبه علماء النص لدور المتلقي في الحكم على النص، ولم يعدوه مجرد مستهلك، بل عد بمثابة المشارك في النص ((وهذه المشاركة لا تضمن قطيعة بين البنية والقراءة، وإنما تعني اندماجها في عملية دلالية واحدة، فممارسة القراءة إسهام في التأليف، فللقارئ مكان جوهري في عملية التفسير لا يقل عن دور المنتج))<sup>(٢)</sup>. فالذي يحكم على قيمة النص، هو المتلقي الذي استوعب قراءة هذا النص. وهذا يعني أن القارئ شريك للمؤلف في تشكيل المعنى، وهو شريك مشروع لأن النص لم ينشأ

(١) علم اللغة النصي: ١١٠/١.

(٢) نفسه: ١١٠-١١١/١.

إلا من أجله، وعلى هذا النحو لا تتمثل حقيقة النص إلا من خلال تداخل القارئ معه ((بل إن المبدع يخلق عملا ينتزع فيه الكلمات من عالم المحسوسات مجسمة في نسيج عالم خيالي... محكم الربط والبناء، ومهياً لأن يستكمل على نحو خاص لدى كل قارئ))<sup>(١)</sup>، ولهذا لا بد من أن ندرك أثر المتلقي، إذ إن النص لا يتحقق وجوده إلا به ففي نصوص الرسائل والوصايا نجد أن المتلقي يدرك الأسلوب العلوي، والسياق الذي أنتج فيه قصد فك شفراته أو على الأقل الاقتراب من معناه، وبذلك يكشف الكيفية التي تماسك بها النص، إذ إن وجوده كان من أجله.

ولعل هذا ما يلفت نظرنا إلى افتراض أن ثمة شروطا خاصة لمتلقي (النص)، فهو لا يقوم بقراءة نص ما إلا وقد امتلك معارف وثقافات وأدوات تؤهله للقيام بهذا الدور المهم، لاسيما أن كثيرا من النصوص بحاجة إلى إحالة فكر، وتشكيل رؤيا<sup>(٢)</sup>، وإمعان نظر للوصول إلى استخراج العلاقات الخفية التي تجعل منه وحدة دلالية. ومن خصائص السياق أيضا (الحضور) ويتم إدراجهم ضمن عنصر المتلقي.

أما الموضوع فقد تنوعت موضوعات الرسائل والوصايا تبعاً لطبيعة المتلقي وشخصيته والظروف السياسية والاجتماعية وهذا ما يستشعره قارئ النهج عموماً والرسائل والوصايا على وجه الخصوص، ((فنهج البلاغة يعج بالسلوكيات البشرية المختلفة وابعادها، ويجعل المتطلع وكأنه يرى ويتلمس الشخصية بحواسه المختلفة وكله شفق في هذا اليم العظيم الذي يرى فيه وصف الاستقرار السلوكي والتخبط السلوكي))<sup>(٣)</sup>. وقد توزعت موضوعات الرسائل والوصايا على النحو الآتي:

#### (أ) الرسائل: تنوعت موضوعات الرسائل فدارت في فلك الموضوعات الآتية:

عدد المرات	رقم الرسالة	الموضوع	
١٩	٣، ٥، ١٨، ٢٢، ٢٦، ٢٧، ٤٥، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٦، ٦٧، ٧٨، ٧٢، ٦٩، ٦٨	الوعظ الديني والاجتماعي	الوعظ والإرشاد
١٤	١، ٤، ٨، ١٩، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٤٦، ٥٠، ٥٤، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٧٥	الوعظ السياسي	
١٥	٧، ٩، ١٠، ١٧، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٧، ٣٩، ٤٩٨، ٤٩، ٥٥، ٦٤	النقد والتعريض	
١٠	٦، ٢١، ٣٣، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٦٣، ٧٠، ٧١، ٧٩	التوبيخ والتفريع	
٥	٢، ١٣، ٣٨، ٤٢، ٧٤	المديح	
٣	٢٠، ٢٩، ٤٤	التهديد والإنذار	

(١) علم اللغة النصي: ١١٠-١١١.

(٢) ينظر: تحليل الخطاب الشعري ثنائية الاتساق والانسجام: ٧٨.

(٣) علم النفس في نهج البلاغة، هاشم حسين ناصر المحنك: ٩٥.

(ب) الوصايا: إن الموضوع الأساس في وصايا الإمام علي (عليه السلام) هو الوعظ والإرشاد وهو على قسمين، وكما هو موضح في الجدول الآتي:

عدد المرات	رقم الوصية	اقسام الوعظ والإرشاد
٨	٧٧، ٧٦، ٥٦، ٤٧، ٣١، ٢٥، ٢٤، ٢٣	الوعظ الديني والاجتماعي
٤	١٦، ١٤، ١٢، ١١	الوعظ السياسي (الحربي)

فنلاحظ أن موضوع الوعظ والإرشاد كان له النصيب الأكبر في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه سواء أكان دينياً أم اجتماعياً أم سياسياً<sup>(\*)</sup>، ولا غرابة في ذلك لأن الإمام خليفة الله على الأرض ومن الطبيعي أن يركز على ما يصلح أمر الناس في دينهم ودنياهم. وجاءت الموضوعات الأخرى متناسبة مع الوقائع والأحداث التي مرت بها حياة الإمام علي (عليه السلام) وأعمال أعدائه وحساده ومواليه.

- أما المقام: وهو زمان الحدث التواصلية ومكانه، فهما قد يكونان غير محددتين في رسائل الإمام ووصاياه وقد يكونان محددتين، وكما موضح في الجدول الآتي:

نوع النص	أرقام النصوص التي فيها الزمان والمكان غير محددتين	أرقام النصوص التي فيها الزمان محدد فقط	أرقام النصوص التي فيها الزمان والمكان محددان	أرقام النصوص التي فيها المكان محدد فقط
الرسائل	١٩، ١٨، ١٧، ١٣، ١٠، ٩، ٨، ٧، ٦، ٥، ٤، ٣، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٦، ٤٨، ٣٩، ٦٤، ٦١، ٦٠، ٥٩، ٥٧، ٥٥، ٥٤، ٥٢، ٥١، ٥٠، ٧٨، ٧٤، ٧٣، ٧٢، ٧١، ٧٠، ٦٩، ٦٧، ٦٦، ٦٥	٢، ٢٧، ٣٥، ٣٨، ٤٥، ٥٣، ٦٣، ٦٨، ٧٩	٦٢، ٣٤	١، ٥٨
الوصايا	٢٥، ١٦، ١١	١٢، ٣١، ٤٧، ٥٦، ٧٧، ٧٦	٢٤، ٢٣، ١٤	

- لما القناة: فقد تم التواصل بين المشاركين في الخطاب عن طريق الكتابة وهي الأكثر أو عن طريق الكلام وهذا حاصل في بعض نصوص الوصايا وهي النصوص المرقمة (٢٣، ١٦).

- لُما النظام: فقد استعمل الإمام علي (عليه السلام) لغة سهلة واضحة، حافلة بالمعاني والأساليب البلاغية المتنوعة.

(\*) هذه النتيجة تتوافق مع ما ذكرته الباحثة رملة خضير مظلوم البديري، ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة، دراسة لغوية: ١٣٨.

- أما شكل الرسائل والوصايا: فقد جاءت النصوص المدروسة متراوحة الحجم بين القصر والطول وهي تتراوح بين نصوص جدلية ووعظية ووصفية.
- المفتاح: تختزن الرسائل والوصايا مسائل مهمة جدا في التقوى، بناء الذات إدارة البلاد، نصح الأعداء وفتح المجال لهم من أجل العودة إلى طريق الحق، ومسائل أخرى تثير في نفوس المتلقين المشاعر والأحاسيس بجميع هذه المضامين.
- الغرض: إن الغرض من نصوص الرسائل والوصايا النهوض بالواقع الاجتماعي والسياسي ليس في زمن الإمام فحسب وإنما على صعيد مختلف الأزمنة والأمكنة، ولعل هذا السر في حيوية هذه النصوص وديمومتها، ومن كل هذا تبرز أهمية السياق بعده أداة من الأدوات التي تسهم في انسجام النص وفي تماسكه أيضا وكل هذه الخصائص تعين المحلل على التأويل والفهم إلا أنها ليست ضرورية كلها في جميع الأحداث التواصلية، فكلما كان المحلل أكثر معرفة بالخصائص كلما كان بإمكانه تأويل النص وفهمه بقدر أكبر، فنسبة معرفة الخصائص تحدد نسبة التأويل والتنبؤ.

### ضروب السياق في الرسائل والوصايا

يقول (دي سوسير): إن الكلمة إذا وقعت في سياق ما لا تكتسب قيمتها إلا بفضل مقابلتها لما هو سابق ولما هو لاحق بها أو لكليهما معا<sup>(١)</sup>.

وقد أثرت هذه المقولة باللغويين المحدثين فدفعتهم لدراسة السياق وعلاقته بالنص من جانب وعلاقته باللغة والمعنى في إطار ما يسمى بالنظرية السياقية للمعنى من جانب آخر<sup>(٢)</sup>، فدراسة السياق وعلاقته بالنص تعني دراسة كل ما له صلة بالنص مثلما يحدث الآن، الأداءات الصوتية والمرئية المصاحبة، والخلفية الثقافية للمشاركين في الخطاب وهذا يدفعنا إلى أن ننظر إلى النص على نحو موسع فهناك عوامل سياقية تؤدي إلى ظهور النص وهناك عوامل مصاحبة وقت حدوثه، وأخرى تعقبه، ومن ثم فإن أضرب السياق هي: (السياق السابق، السياق المصاحب، السياق اللاحق)<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: علم اللغة العام، دي سوسير: ١٤٢.

(٢) ينظر: نظرية علم النص: ٢٣.

(٣) ينظر: نفسه: ٢٤.

## السياق السابق:

ينقسم السياق السابق على قسمين<sup>(١)</sup>:

١- سياق الموقف

٢- السياق الثقافي

وفيما يأتي دراسة لكل قسم منهما وعرض تطبيقاتهما في الرسائل والوصايا في نهج البلاغة.

### ١- سياق الموقف<sup>(\*)</sup>.

يطلق هذا المصطلح على ((الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة))<sup>(٢)</sup>، ويعد عالم الاجتماع (مالينوفسكي) أول من استعمل مصطلح سياق الموقف للتعبير عن الموقف أو المحيط الذي ينتج فيه النص، إذ أكد أنه من الصعب أن نفهم رسالة ما، إن لم نكن على دراسة بالإداء الصوتي والمرئي المصاحب لها<sup>(٣)</sup>، ((ويظهر ذلك في العبارات المصطلحية في الظروف الاجتماعية المعينة مثل تبادل التحية والتعزية في حال الوفاة، والنداء بالألقاب فهذه العبارات لا يمكن فصلها عن ظروفها الاجتماعية التي أتت فيها))<sup>(٤)</sup>، إذ إن ((ما يؤديه المقام للمعنى من تحديد ومناسبات ظرفية، يتطلب من الباحث الإمام بالمعطيات الاجتماعية))<sup>(٥)</sup>، وقد أشار علماء النص إلى محورين مهمين في حديثهم عن سياق الموقف، هما مجال الخطاب، وأدوار الخطاب<sup>(٦)</sup>.

#### ( أ ) مجال الخطاب.

يشير مجال الخطاب ((إلى تلك العناصر التي تكون أساس عملية الاتصال. وتتضح هيمنة مجال الخطاب فيما يجلبه من حقل دلالي خاص يحتوي على كلمات هي الأكثر شيوعاً معه))<sup>(٧)</sup>.

وقد استقرت رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه - على تعدد متلقيها - حول مجموعة معروفة من مجالات الخطاب مثلت أغراض تلك النصوص الوعظ والإرشاد (الديني والاجتماعي والسياسي)، النقد والتعريض والتوبيخ والتقرع والمدح والتهديد والإنذار. هذه الأغراض (المجالات) تتناسب مع طبيعة الظروف السياسية والاجتماعية في عصر خلافة أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ شهدت خلافته أحداثاً

(١) ينظر: نظرية علم النص: ٢٤-٤٢.

(\*) لقد أطلق علماء النص على سياق الموقف تسمية (المقامية أو الموقفية) التي هي أحد المعايير النصية السبعة.

(٢) علم الدلالة: ٧١.

(٣) ينظر: علم لغة النص، د. عزة شبل محمد: ٢، نظرية علم النص: ٢٤-٢٥.

(٤) في علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث. شرف الدين علي الراجحي: ١٣٦.

(٥) الألسنية محاضرات في علم الدلالة، د. نسيم عون: ١٦٢.

(٦) ينظر: نظرية علم النص: ٢٥.

(٧) نفسه: ٢٥.



معقدة ومواقف متعددة، إذ إن لكل موقف أو حادثة كتاب أو وصية خاصة وقد مهدت كتب التاريخ والأدب لهذه النصوص معلومات كثيرة عن سياقها والمواقف التي كتبت فيها والحوادث المحيطة بها. وأهم المواقف في حياته هو تحمله مسؤولية الأمة بعد وفاة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وتحمله المسؤولية أمام الله والناس بعد توليه الخلافة بصورة رسمية<sup>(١)</sup>، فكل الرسائل والوصايا جاءت بعد توليه (عليه السلام) الخلافة بصورة رسمية إذ لم يكتب أي شيء قبل توليه الخلافة سنة (٣٥ هـ)<sup>(\*)</sup>، ولما كان المجتمع مكوناً من طبقات مختلفة متفاوتة لذلك جاءت نصوصه متفاوتة فمرة مرسله إلى أفراد معينين ومرة أفراد غير معينين، ومرة يتعامل مع فئات محددة، ومرة يتعامل مع فئات غير محددة وقد كان لذلك أثره في نصوص الرسائل والوصايا من حيث الطول والقصر والشدة واللين كذلك تنوعت أغراضها على حسب المرسل إليه (المتلقين)، وقد سبقت الإشارة لتلك الأغراض.

### (ب) أدوار الخطاب:

يدور موضوع أدوار الخطاب في طبيعة المشاركين في الخطاب وحالاتهم وعلاقتهم، وتباين الأبعاد النفسية للمتخاطبين من حيث السيطرة والمودة ودرجة القرابة والصدقة وهذا كله له أثر بارز على اللغة<sup>(٢)</sup>.

فمع أن صاحب النصوص هو الإمام علي (عليه السلام) فإن متلقيه متنوعون من الأبناء والأصحاب والعمال والأعداء والأمصار...إلخ، فلم يكتب نصاً من النصوص المدروسة دون أن يكون هناك متلق له: لأن ((وجود المتلقي أو المرسل إليه أمر لا بد منه، فكل رسالة لا بد وأن لها متلقياً وبه يصبح النص مؤثراً وذا قيمة، ويحمل أبعاده الاجتماعية، وتتحقق وظيفته في التواصل))<sup>(٣)</sup> وأنعكس أثر المتلقي على لغة الإمام (عليه السلام) فاللغة التي يستعملها في كتاباته لأصحابه تختلف عن اللغة المستعملة مع أعدائه وكذلك الحال مع عماله فالعامل العاصي يكلمه الإمام (عليه السلام) بلغة تختلف عن لغة العامل المطيع وكذا الحال في حديثه عن فئات المجتمع المختلفة كل على حسب موقفه من خلافة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وسوف نقف على نماذج من الرسائل والوصايا لبيان أثر مجال الخطاب وأدواره في توجيه لغة النص، ويكفي أن نقارن النصوص بعضها ببعض لتوضيح ذلك، من ذلك ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة قال فيه: ((مَنْ عَبْدَ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ جَبْهَةَ الْأَنْصَارِ وَسَنَامِ الْعَرَبِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعْيَانِهِ إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ

(١) ينظر: خطب الإمام علي (ع) في نهج البلاغة مقارنة في ضوء علم لغة النص: ٧٨.

(\*) باستثناء (ك ٦٨) وهو يدور حول موضوع الوعظ الديني إذ يتناول فيه الحديث عن الدنيا وذمها فقد جاء مكتوباً قبل أيام خلافته، ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٣٤ / ١٨.

(٢) ينظر: نظرية علم النص: ٢٨.

(٣) نفسه: ٢٩.

فَكُنْتُ رَجُلًا مِّنَ الْمُهَاجِرِينَ أَكْثَرَ اسْتِعْنَابِهِ وَأَقْلَّ عِتَابِهِ وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنَ سَيْرِهِمَا فِيهِ الْوَجِيفُ وَأَرْقَى حَدَانِهِمَا الْعَنِيفُ وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَتَنَةٌ غَضِبَ فَاتِيحٌ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ وَيَا بَعْنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ وَاعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهَجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا، وَجَاشَتْ جَيْشَ الْمَرْجَلِ، وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُطْبِ، فَاسْرِعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ، وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ<sup>(١)</sup>. وما جاء في كتاب له (عليه السلام) إليهم بعد فتح البصرة: ((وَجَزَاكُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ، وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَدُعَيْتُمْ فَأَجَبْتُمْ))<sup>(٢)</sup>.

وكذلك ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة قال فيه: ((أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي خَرَجْتُ مِنْ حَيِّي هَذَا إِمَامًا ظَالِمًا وَإِمَامًا مَظْلُومًا، وَإِمَامًا بَاغِيًا وَإِمَامًا مَبْغِيًا عَلَيْهِ، وَإِنِّي أَذْكَرُ اللَّهَ مِنْ بَلَاغِهِ كِتَابِي هَذَا لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ، فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِنًا أَعَانِي، وَإِنْ كُنْتُ مُسِيئًا اسْتَعْتَبَنِي))<sup>(٣)</sup>.

نلاحظ هنا أثر الموقف في اختلاف بناء هذه النصوص، فنرى فارقاً واضحاً بين هذه الأساليب الثلاثة في مخاطبة الفئة نفسها (أهل الكوفة)، وهذا ((يدل على أن تشكيل النص يتفاوت ويختلف باختلاف المواقف المحيطة وإن كان المتلقي واحداً))<sup>(٤)</sup>.

فإن النصين الأول والثالث يقعان ضمن مجال (النصح والإرشاد) (الوعظ السياسي) والظاهر أن النص الأول كان أول نص كتبه (عليه السلام) بعد استلامه ناصية الخلافة فقد عرض فيه كثيراً من القضايا التي قد يكون أهل هذا المصر غير مطلعين عليها منها قضية خلافة عثمان وطبيعة سياسته الإدارية وموقف طلحة والزبير وعائشة من عثمان، وقضية مقتله، وقضية البيعة، وبيان أحوال المدينة آنذاك وحث أهل الكوفة على الوقوف بجانب الخلافة الجديدة. أما النص الثالث فمن الواضح أنه قد أتى تالياً للنص الأول لأنه قد اقتصر فيه على الحديث عن استنفارهم للوقوف إلى جانبه (عليه السلام).

أما النص الثاني فقد كتبه الإمام (عليه السلام) بعد فتح البصرة ووقوف أهل الكوفة إلى جانب الإمام (عليه السلام) وموازرتة فانعكس ذلك على لغة النص إذ دارت حول موضوع المديح لهم والثناء عليهم والدعاء لهم بقوله: ((وجزاكم الله... أحسن ما يجري...)) وهذا يعني أن ((كل نص كيفما كان نوعه يتم انتاجه ضمن بنية اجتماعية محددة، وتكمن إنتاجيته في كون التفاعل يحصل معه في إطار البنية نفسها، وبانعدام هذا التفاعل، تنعدم إنتاجية النص))<sup>(٥)</sup> وإذا قارنا لغة هذا النص مع نص آخر وهو

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦/١٤ (ك ١).

(٢) نفسه: ٢٦/١٤ (ك ٢).

(٣) نفسه: ١٧/١٤٠ (ك ٥٧).

(٤) خطب الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة مقارنة في ضوء علم لغة النص: ٨٦.

(٥) انفتاح النص الروائي: ١٣٤.

كتاب منه (عليه السلام) إلى سهل بن حنيف الأنصاري وهو عامله على المدينة (في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية): ((أَمَا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِمَّنْ قَبْلَكَ يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ، فَلَا تَأْسَفْ عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ، فَكْفَى لَهُمْ غِيًّا، وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِيًّا فِرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ، وَإِيضَاعُهُمْ إِلَى الْعَمَى وَالْجَهْلِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا، وَمَهْطِعُونَ إِلَيْهَا، وَقَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَرَأَوْهُ، وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِّ أَسْوَةٌ، فَهَرَبُوا إِلَى الْأَثَرَةِ، فَبَعْدًا لَهُمْ وَسُحْقًا!))<sup>(١)</sup>.

لقد انعكس التغيير في الأدوار والمجال انعكاسا واضحا على لغة هذا النص إذ نجد النص يحفل بألفاظ التوبيخ والتقريع والذم لهؤلاء الفئة من أهل المدينة فما هذا التبدل الملحوظ إلا نتيجة سبها التغيير في الموقف المحيط بالنص، ذلك أن ((التغيرات الاجتماعية تفرض تبديلا في الرؤية والمواقف والمفاهيم وكذلك في الأشكال واللغة))<sup>(٢)</sup>.

فيذكر النص بما يعبر عن موقف الإمام (عليه السلام) منهم في قوله: ((فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم، كفى لهم غيا إضاعهم إلى العمى والجهل، هم أهل الدنيا مقبلون عليها ومهطعون إليها، هربوا إلى الأثرة، فبعدهم وسحقا)) وهذا يدل على أن ((نصية الخطاب لا تكتمل ولا تستقيم إلا إذا راعى صاحبه في إنجازها، الظروف المحيطة التي سيظهر فيها النص))<sup>(٣)</sup>. فجاءت لغة كل نص متناسبة مع مجاله وموضوعه، فلو قارنا النصين لوجدنا بونا شاسعا وفاقا وروايات بين الأسلوبين بين الدعاء للفئة الأولى من أهل الكوفة ((وجزاكم الله ... أحسن ما يجزي ...)) وبين الدعاء على الفئة الأخرى من أهل المدينة ((فبعدهم وسحقا)) فلغة كل نص متوافقة مع طبيعة كل فئة الموالية والمخالفة، الطائفة والعاصية وهذا كله تابع لهذا النوع من السياق (سياق الموقف).

## ٢- السياق الثقافي.

أولى (مالينوفسكي) اهتماما واضحا بالخلفية الثقافية للنص، لأن الكشف عن الجوانب الثقافية تمنح النص قيمة خاصة من جهة، كذلك تساعد على فهمه وتأويله من جهة أخرى<sup>(٤)</sup>. فهو ((الذي يحدد الدلالة المقصودة من الكلمة التي تستخدم استخدامها علما))<sup>(٥)</sup>، وهو يهتم بتحديد المحيط الاجتماعي أو الثقافي الذي يمكن أن تستعمل فيه الكلمة، ذلك أن كل لغة تتضمن عبارات وألفاظا لا يمكن ترجمتها إلى غيرها من اللغات، لأنها تعبر عن مدى خصوصية ذلك المجتمع دون غيره

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٥٢/١٨ (ك ٧٠).

(٢) في نظرية الأدب، شكري عزيز الماضي: ٨٧.

(٣) مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، محمد الأخضر الصبيحي: ٩٨.

(٤) ينظر: نظرية علم النص: ٢٩-٣٠.

(٥) الألسنية محاضرات في علم الدلالة: ١٦٢.

فهي ترتبط به في كل نواحي الحياة المادية والمعنوية وهذا ينطبق أيضا على الأمثال والجمل التي تجري مجراها فلا يمكن ترجمتها إلى لغة أخرى إلا إذا تبينا الحقائق الثقافية التي تكمن وراء هذه الجمل<sup>(١)</sup>. وهنا يبرز بوضوح ضرورة الاهتمام بالسياق الثقافي للنص لأن له أثرا مهما في تحديد المعنى العام للنص فهو يساعدنا على ((فهم كيفية تبادل الناس للمعاني وتفاعلهم مع بعضهم البعض))<sup>(٢)</sup>. وأهم مظاهر السياق الثقافي في الرسائل والوصايا ما يأتي:

### ( أ ) طبيعة لغة الخطاب :

يقصد بهذا المفهوم ((نوع هذه اللغة التي تعد أداة لسانية هامة للتعبير عن أفكار الكاتب ومعتقداته، ومن ثم يمكن تمييز الأنواع الأدائية للغة: رسمية / غير رسمية، منطوقة / مكتوبة))<sup>(٣)</sup>.

وقبل الحديث عن هذا المفهوم لابد من الإشارة إلى أن الإمام عليا (عليه السلام) استطاع أن يخرج الكتابة من مرحلة البساطة ويدخلها إلى مرحلة الكتابة الفنية المتطورة. ويدفعنا الحديث عن طبيعة لغة النص أن نقسم الأنواع الأدائية للغة الرسائل والوصايا على قسمين هما<sup>(٤)</sup>:

(١) رسائل ووصايا رسمية: وتتمثل برسائله ووصاياه السياسية والعسكرية والعهود والأحلاف والمناظرة والمحاكمة.

(٢) رسائل ووصايا غير رسمية: وتتمثل في النصوص الموجهة إلى الأبناء أو الأصحاب لغرض النصيح والإرشاد، ويمكن أن نوضحها بالجدول الآتي:

نوع النص	رسمية	غير رسمية
الرسائل	ك ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٣، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٧، ٦٨، ٧٠، ٧١، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٨، ٧٩.	ك ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩.
الوصايا	١١، ١٢، ١٤، ١٦، ٢٥، ٤٧، ٥٦، ٧٦، ٧٧.	٢٣، ٢٤، ٣١.

فنلاحظ من ذلك أن النصوص الرسمية جاءت أكثر من النصوص غير الرسمية وهذا يشعنا بحرص الإمام (عليه السلام) على إصلاح اوضاع البلاد فضلا عن أنها تشعنا بأعباء المسؤولية الواقعة على عاتقه والروح الدينية العميقة واهتمامه كان منصبا على الجزئيات والكليات على حد سواء<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: في علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث: ١٣٧.

(٢) علم لغة النص، د. عزة شبل محمد: ٣.

(٣) لسانيات النص، ليندة قياس: ١٧٣.

(٤) ينظر: رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة، دراسة لغوية: ١٧.

فأنعكس تأثير ذلك على لغة النصوص إذ طغى عليها شدة اللهجة التي يخاطب بها بشيوع أساليب الأمر والنهي إذ جاءت في الأعم الأغلب مكتوبة؛ لكن الإمام (عليه السلام) استطاع أن يوظف الأساليب والوسائل اللغوية لإضفاء روح التواصل الشفاهي وهما ما سنعرضه لاحقاً في موضوع السياق المصاحب كذلك وشح كتبه ووصاياه باستعمال الأساليب الصوتية من سجع وجناس وغيرها التي أسهمت في ربط أجزاء النصوص بعضها ببعض وقد درسناها في موضع سابق من البحث<sup>(\*)</sup>، كذلك ضمن هذه اللغة الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي والشعر والأمثال المستقاة من واقع البيئة العربية، وهذا ما نحاول الكشف عنه لاحقاً في مبحث خاص بالتناص<sup>(\*\*)</sup>، وعليه فقد كانت اللغة المكتوبة هي الوسيلة لتواصل الإمام (عليه السلام) مع متلقيه وهذا فرض على عاتقه مهمة خلق سياق مواز للسياق المصاحب لعملية الكلام.

### (ب) نوع الخطاب.

يشير مصطلح النوع إلى أجناس النصوص الأدبية مثل: الرواية، القصة، الرسالة،...إلخ، وهذا المصطلح يتسم بالتعقيد وعدم الاستقرار لاختلاف مفهومه باختلاف معارف الأفراد وثقافتهم، وإنه يقوم في مجتمعات متنوعة الثقافات وتحوي العديد من الخبرات. فالنوع ((قيد على علاقة النص بالموقف الاتصالي وعليه فإن الكاتب يتنبأ باستمرار في اتجاهين: يتنبأ بالنص من خلال معرفته بالسياق، ويتنبأ بالسياق من خلال معرفته بالنص))<sup>(١)</sup>.

وعلى صعيد الحديث عن أنواع الرسائل، قدم الكلاعي (ت ٥٥٠هـ) تصورات تفصيلية لفن كتابة الرسائل طبقاً لاعتبارات البديع والشكل وعلى أساس تمثل موضوعي للمرسل إليه وأثره في بناء الرسالة، فالرسائل مختلفة باختلاف الأزمان ومنوعة على أنواع<sup>(٢)</sup>، مشيراً إلى أن هذه الأنواع يمكن أن تخضع لها الوصايا، منوهاً إلى أن للرسائل من حيث البناء تقاليد محددة، عليها وبها يلتزم الكتاب وغدت عندهم أمورا لا بد من اتباعها حتى تصبح الرسالة رسالة لها قيمتها<sup>(٣)</sup>.

ومن المعلوم أن ((لكل مقام مقال، ولكل طبقة تخير وكلام))<sup>(٤)</sup> فإننا نجد أن نصوص الرسائل والوصايا راعي فيها الإمام (عليه السلام) ذلك فهو يعرف أن الناس فرق وأجناس فهو يخاطب كل فريق بما يليق به من التركيب ويشاكله من الألفاظ والمعاني، فاللغة التي يخاطب بها أعداءه تفتقر عن اللغة

(\*) ينظر: الصفحة (١٤ - ٢٩) من البحث.

(\*\*) ينظر: الصفحة (٢٤٧ - ٢٦٩) من البحث.

(١) نظرية علم النص: ٣٤.

(٢) ينظر: إحكام صنعة الكلام: ١٠٤ - ١٥٨.

(٣) ينظر: نفسه: ٦٠ - ١٠٢.

(٤) نظرية علم النص: ٣٧.

التي يخاطب بها أصحابه وكذلك اللغة التي يخاطب بها الموالين تفترق عن اللغة التي يخاطب بها المخالفين... وهكذا. وعلى هذا نصل إلى أن الإمام (عليه السلام) كان على وعي باعتبارات المرسل إليه وأحواله. مما تقدم يتضح لنا أن سياق الموقف مهم جدا في تفسير أمور كثيرة في النص بحيث تتضافر معها العلاقات القائمة بين المشاركين، ووسيلة التواصل، والمكان، والمحيط الثقافي بكل ما يفرضه من أعراف وتقاليد.

### ٣- السياق المصاحب.

إن السياق المصاحب يعبر ((عن البيئة اللفظية للنص أو الأداء الصوتي المصاحب له من نبر وتنغيم. كما يعبر عن الأداء السيميولوجي المصاحب من إيماءات وحركات للجسد وفي النص المكتوب يمكن تحديد عناصره من خلال أساليب لغوية أخرى مثل علامات الترقيم والجمل الإعتراضية ... وأساليب السجع والجناس الدالة على وجود أداء صوتي خاص للنص))<sup>(١)</sup>.

ويؤكد بعض الباحثين في علم النص أن تصور السياق المصاحب وسيلة يلجأ إليها القارئ لفهم النص، إذ يلجأ إلى تعويض نموذج العالم الفعلي بعالم ممكن (متخيل). والعلاقة بين هذين العالمين ليست علاقة انفصال تام بل هناك تفاعل دينامي بينهما بوساطته نفهم هذا بذاك مما يساعد على انسجام ومعقولية للعالم المتخيل<sup>(٢)</sup>.

ويشتمل هذا المفهوم على أشياء كثيرة لغوية وغير لغوية فمن الصعب أن نفهم أي نص ما لم نعلم ماذا يحدث الآن؟ وإن تكون على علم بالإداء الصوتي، وهذا يؤكد حقيقة مهمة أن الفهم الحقيقي للكلمات مستمد من الخبرة الفعلية والمعروفة بمظاهر الواقع الذي تنتمي إليه<sup>(٣)</sup>.

لذلك يحاول الإمام (عليه السلام) في رسائله ووصاياه أن يجد المعادل الموضوعي لعناصر السياق المصاحب اللغوية والسيميولوجية بحيث لا يفقد نصه أي عنصر يجعله أقل أداء من النص الشفاهي، ويجد القارئ ذلك في عناصر دالة، مثل السجع والجناس، والصيغ الدعائية (الإعتراضية)، وبعض الصيغ الحوارية، واستعمال ضمير المخاطب.

إن استعمال الكاتب هذه الأشكال الأسلوبية المعادلة لتلك المتصلة بالحديث الشفاهي ما هي إلا محاولة ((لرسم صورة اجتهادية وناجحة لحوار متخيل بينهما، بكل ما فيه من معان ومواقف متبادلة))<sup>(٤)</sup>. وسنعرض لهذه الأشكال الأسلوبية المعادلة في رسائل الإمام ووصاياه في نهج البلاغة.

(١) نظرية علم النص: ٢٤.

(٢) ينظر: لسانيات النص، د. محمد خطابي: ٣٠١.

(٣) ينظر: نظرية علم النص: ٤٠.

(٤) نظرية علم النص: ٤٢.

كقوله في كتاب له (عليه السلام) إلى زياد بن أبيه: ((فَدَعِ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِدًا، وَادْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَدًا، وَأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدَرِ ضَرُورَتِكَ، وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ، أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ، وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ! وَتَطْمَعُ وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَالْأَرْمَلَةَ، أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ))<sup>(١)</sup>.

فمن خلال قراءة هذا النص يمكن أن نلاحظ ما به من سجع بين الألفاظ (مقتصدا، غدا) و (ضرورتك، حاجتك) و (المتواضعين، المتكبرين، المتصدقين)، ومعلوم أن السجع من الظواهر الصوتية المستعملة من أجل إظهار الدلالة وجلالها وقد درسنا ذلك فيما تقدم من الفصل الأول<sup>(\*)</sup>، كذلك يساعد هذا التمثل استعماله لضمائر المخاطب بشكل بارز في النص المسترة والبارزة في الألفاظ (فدع، اذكر، أمسك، ضرورتك، وقدم حاجتك، ترجو، يعطيك، انت، وتطمع، وأنت، تمنعه، لك) إذ تمثل صورة من صور الحوار مع المتلقي.

وقد يلجأ الإمام (عليه السلام) إلى استعمال بعض صور الحوار بصورة صريحة باستعماله كلمات تمثل إجابات عن سؤال سواء مع غيره من ذلك ما جاء في كتاب له إلى معاوية: ((وَقُلْتُ: إِنِّي كُنْتُ أَقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى أَبَايَعُ؛ وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ! وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاظَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُومًا مَا لَمْ يَكُنْ شَاكًا فِي دِينِهِ؛ وَلَا مُرْتَابًا بِبَقِيئِهِ! وَهَذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا، وَلَكِنِّي أَطَلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَخَّحَ مِنْ ذِكْرِهَا. ثُمَّ ذَكَرْتُ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عَثْمَانَ، فَلَمْ أَنْ تَجَابْ عَنْ هَذِهِ؛ لِرَحِمِكَ مِنْهُ فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ، وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ! أَمِنْ بَدَلٍ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكْفَهُ، أَمِنْ مَنْ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاحَى عَنْهُ وَبَتَّ الْمُنُونِ إِلَيْهِ؛ حَتَّى أَتَى قَدْرَهُ عَلَيْهِ! كَلَا وَاللَّهِ))<sup>(٢)</sup>. إذ تمثلت صورة الحوار بينه (عليه السلام) وبين معاوية بالألفاظ (وقلت)... وجوابه (عليه السلام) على مقولته ((ولعمركم الله لقد أردت أن تذم فمدحت، وأن تفضح فافتضحت)) و قوله: ((ثم ذكرت...)) و ((فلك أن تجاب)) والاستفهام بأي، والهمزة ثم اعقبا بالجواب (ك لا والله) إذ تمثلت جميعها حوارا دائريا بين طرفين.

وقد يكون حوار (عليه السلام) مع نفسه من ذلك قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة: ((أَتَمْتَلِي السَّائِمَةَ مِنْ رِعِيهَا فَتَبْرِكُ، وَتَشْبَعُ الرَّبِيبَةَ مِنْ عَشْبِهَا فَتَرْبِضُ، وَيَأْكُلُ عَلَيَّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعُ! قَرَّتْ إِذَا عَيْنُهُ))<sup>(٣)</sup>. ف (إذا) حرف جواب لما تقدم من كلام، لتصور هذا الحوار مع النفس لأنه صرح باسمه (عليه السلام) في النص ومن الصيغ الحوارية البارزة الظهور (النداء)، فهو ((يجذب السامع أو القارئ، ويثير إنتباهه، ويشركه في الموضوع، ويوقظ شعوره ويلفت ذهنه ويحرك عوامل الشوق في نفسه، ويدفعه في ذلك إلى التفكير فيما يسمع أو يقرأ، فيقبل ما يقال له ويتلقاه برضى بعد

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٣٩/١٥ (ك ٢١).

(\*) ينظر: الصفحات (١٤ - ١٩) من المبحث الأول من الفصل الأول.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨٣/١٥ (ك ٢٨).

(٣) نفسه: ٢٩٤/١٦ (ك ٤٥).

الاستجابة له))<sup>(١)</sup>، وقد استعمل الإمام (عليه السلام) النداء الصريح بأداتي النداء (يا للبعيد وأي للقريب) في الرسائل في (١٤) موضعا<sup>(٢)</sup>، أما في الوصايا فقد تركز استعماله في وصية الإمام علي لابنه الحسن (عليهما السلام) إذ استعمله في (١٤) موضعا<sup>(٣)</sup>.

وقد جاءت جل هذه المواضع لنداء العاقل باستثناء موضع واحد جاء فيه لنداء غير العاقل وذلك فيما جاء في كتاب له إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة: ((إِلَيْكَ عَنِّي يَا دُنْيَا، فَحَبْلِكَ عَلَيَّ غَارِبِكَ، قَدْ أَنْسَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكَ، وَأَقَلْتُ مِنْ حَبَائِلِكَ))<sup>(٤)</sup>.

والغاية من نداء غير العاقل هي طلب الامتثال حسا أو (معنى) فضلا عن التنبيه<sup>(٥)</sup>. كذلك ورد النداء محذوف الأداة في (٥) مواضع<sup>(٦)</sup> حقيقية لقد جاء استعمال حروف النداء في النصوص المدروسة متناسبا مع سياقاتها والتنوع في المواقف ويكفي أن نقف عند ما جاء في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام) لتلمس أثر السياق في ذلك، إذ وظف النداء في سياق الإغراء ((وهو سياق يتوجه إلى المتلقي؛ لحثه على لزوم شيء بعينه، لكن الغالب أن يستحضر هذا السياق المتكلم أيضا))<sup>(٧)</sup>، وقد استعمل (أي) في (٣) مواضع وعدل عنها إلى حرف النداء (يا) في المواضع الأخرى لتناسب المعاني المقصودة في كل جزء من أجزاء الوصية قال (عليه السلام): ((فَأَنِّي أَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ أَيُّ بَنِي وَلِزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ وَالْإِعْتِصَامَ بِحَبْلِهِ))<sup>(٨)</sup>. وقال: ((أَيُّ بَنِي إِنِّي لَمَّا رَأَيْتَنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنًا، وَرَأَيْتَنِي أُرْدَادُ وَهْنَا، بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي))<sup>(٩)</sup>. وقال: ((أَيُّ بَنِي، إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمَرْتُ عُمَرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي، فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسَرْتُ فِي أَسْرِهِمْ؛ حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ))<sup>(١٠)</sup>. لقد استعمل الإمام (عليه السلام) (أي) حرف النداء وهي لنداء القريب في سياق الإغراء ((تنبيه لابنه (عليه السلام))، وإغراء له، لينبئ بقرب منزلة الابن من الأب، وسمو مكانته))<sup>(١١)</sup>، وكذلك يستشعر المتلقي هذا الأمر من توالي عبارة (أي بني) لتحكم سيطرتها على

(١) النداء في اللغة والقرآن، د. أحمد محمد فارس: ١٧٠.

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٧/١٤<sup>(٣)</sup> (ك ٣)، ٣٥ (ك ٦)، ٧٩/١٥ (ك ١٠)، ١٦٤ (ك ٢٧)، ١٨١ (ك ٢٨)، ١٣٢/١٦ (ك ٣٢)، ١٦٧ (ك ٤١)، ٢٠٥، ٢٩٢، ٢٩٥ (ك ٤٥)، ٣٠/١٧ (ك ٥٣)، ١٣١ (ك ٥٤).

(٣) ينظر: نفسه: ٦٦/١٦، ٦٦، ٦٧، ٧٠، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٨٢، ٨٤، ٨٩<sup>(٢)</sup>، ٩٣، ١١٢ (و ٣١)، ٦/١٧ (و ٤٧).

(٤) نفسه: ٢٩٢/١٦ (ك ٤٥).

(٥) ينظر: البلاغة العربية (قراءة أخرى): ٢٩٩.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٢٥/١٥ (ك ١٨)، ١٥١ (ك ٢٥)، ١٦٣<sup>(٣)</sup> (ك ٢٧).

(٧) السياقات الانتاجية للخطاب الإنشائي في نهج البلاغة (أسلوب النداء أنموذجا)، (بحث منشور)، د. رحيم كريم علي الشريفي والدكتور حسين علي هادي: ١٥٩.

(٨) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦٢/١٦ (و ٣١)

(٩) نفسه: ٦٦/١٦ (و ٣١)

(١٠) نفسه: ٦٧/١٦ (و ٣١).

(١١) السياقات الانتاجية للخطاب الإنشائي في نهج البلاغة (أسلوب النداء أنموذجا): ١٥٩.



النسيج اللغوي للنص، مما يعكس مدى ترابط الأجزاء المشكلة لنص الوصية. ثم يعدل الإمام (عليه السلام) إلى استعمال حرف النداء (يا) وهي لنداء البعيد مع أن ابنه (عليه السلام) قريب منه وذلك للإشارة ((على عظم الأمر، وإغراء ابنه للإتيان بهذه الأمور والتمسك بها))<sup>(١)</sup> فجاءت عبارة (يا بني) متحكمة في كل الأمور التي نبه ابنه على وجوب التفكير فيها والالتزام بتعاليمه وتوجيهاته الدينية وسوف ندرج أقواله (عليه السلام) في هذا المجال: ((وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ أَنْ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي...، فَتَفَهَّمْ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي، وَأَعْلَمُ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ الْحَيَاةِ، وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ الْمُمَيِّتُ، وَأَنَّ الْمُفْنِيَ هُوَ الْمُعِيدُ...، وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يُنْبِئْ عَنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ (صلى الله عليه وآله)؛ فَارْضُ بِهِ رَانِدًا وَإِلَى النَّجَاةِ قَانِدًا...، وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَيْتَ رُسُلَهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مَلِكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أَعْمَالَهُ وَصِفَاتِهِ...، يَا بُنَيَّ، إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا، وَزَوَالِهَا وَانْتِقَالِهَا، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الْآخِرَةِ...، يَا بُنَيَّ، اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيرَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ...، أَعْلَمُ يَا بُنَيَّ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا...، يَا بُنَيَّ، أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَذِكْرٍ مَا تَهْجُرُ عَلَيْهِ، وَتُنْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ...، وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيئَتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَإِنَّهُ يُسَارِبُهُ وَإِنْ كَانَ وَقِيفًا...، وَأَعْلَمُ يَا بُنَيَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ: رِزْقٌ تَطْلُبُهُ وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ...))<sup>(٢)</sup>.

لقد استطاع الإمام (عليه السلام) باستعماله أسلوب النداء من إقامة حوار مع ابنه الحسن (عليه السلام) فضلا عن معنى الإغراء الذي فرضه السياق مما يضيف على حرف النداء شفافية مستمدة من هذا المعنى فيتلون حرف النداء، ويظهر وجوه الإغراء واضحا بارزا<sup>(٣)</sup>، فضلا عما يشير إليه من امتداد هذا النداء إلى أبعد زمان ومكان وعدم اقتصره على الموصى فقط.

ومن الصيغ الحوارية ((الجمل الاعتراضية)) إذ إنها من الجمل التي ((لها صلة وثيقة بخطط التخاطب وبسلمية المقاصد والأغراض، كما أنها تمثل وجهًا من وجوه الحركة التي تقوم عليها عملية التخاطب))<sup>(٤)</sup>، فهذه الجمل ((تعبّر بشكل مكثف ومباشر عن موقف الكاتب تجاه المخاطب))<sup>(٥)</sup> وقد لجأ الإمام (عليه السلام) إلى استعمال هذه الوسيلة أيضا بوصفها صورة من صور الحوار مع الآخرين في رسائله ووصاياه، فقد استعملها في رسائله في (٩) مواضع<sup>(٦)</sup>، وفي الوصايا في موضع واحد<sup>(٧)</sup>، ومن أمثلتها ما جاء في كتاب له إلى معاوية جوبلا وهو من محاسن الكتب، إذ قال فيه: ((فإِنَّكَ لَذَهَابٌ فِي النَّيِّهِ، رَوَّاعٌ عَنِ الْقَصْدِ أَلَّا تَرَى - غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحَدِّثُ - أَنْ قَوْمًا اسْتَشْهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ

(١) السياقات الانتاجية للخطاب الإنشائي في نهج البلاغة (أسلوب النداء أنموذجا): ١٥٩.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١١٢-٧٠/١٦ (و ٣١)

(٣) ينظر: النداء في اللغة والقرآن: ١٦٤.

(٤) أصول تحليل الخطاب: ٣٩٧/١.

(٥) نظرية علم النص: ٤٢.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٨/١٤ (ك ٣)، ١٨١/١٥ (ك ٢٨)، ١٤٨/١٦ (ك ٣٦)، ١٦٧ (ك ٤١)، ١٧٥ (ك ٤٣).

(٤٣) ٢٨٦ (ك ٤٥)، ١٣١/١٧ (ك ٥٤)، ١٤٩ (ك ٦١)، ٧٤/١٨ (ك ٧٨).

(٧) ينظر: نفسه: ٥٧/١٦ (و ٣١).

المُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَلِكُلِّ فَضْلٍ))<sup>(١)</sup>، فالجملة الاعتراضية (غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحْدِثُ) قد صورت الحوار بين الإمام (عليه السلام) ومعاوية إذ وظف فيها ضميري المخاطب في قوله: (لك) والمتكلم المستتر تقديره (أنا) في قوله (أحدث) وهي جاءت في سياق الإخبار العام عن تفضيل آل النبي على سواهم إذ وظف الإمام (عليه السلام) الاستدراك بـ (لكن) للرد على ما يتوهمه معاوية بأن ما يذكره الإمام (عليه السلام) ليس لمعاوية وإنما هو لعموم الناس مسائرا لما نص عليه القرآن الكريم: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾<sup>(٢)</sup> ومن أمثلته أيضا في كتاب له (عليه السلام) إلى أبي موسى الأشعري جوابا في أمر الحكيمين: ((وَلَيْسَ رَجُلٌ - فَاعْلَمْ - أَحْرَصَ عَلَى جَمَاعَةِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) وَأُفْتَهَا مِنِّي))<sup>(٣)</sup>.

فالجملة الاعتراضية جاءت عبارة عن صيغة فعل الأمر (اعلم)، إن هذه الصيغة تدل على أن المتكلم يطلب من المخاطب القيام بعمل معين وهو (طلب العلم) ولزيادة انتباه المتلقي إلى مضمون كلامه نجد أن الجملة الاعتراضية جاءت واقعة بين اسم ليس وخبرها مما يثير المخاطب (المتلقي) إلى هذه الجملة الفاصلة.

#### ٤- السياق اللاحق.

تقوم دراسة السياق اللاحق على أساس ما أدى له النص من تغيرات اجتماعية وايدولوجية، وفي ضوء هذا التصور فإن النص يدخل بعد كتابته حيز السياق على اتساعه، فتتشكل بوجوده نصوصا أخرى لاحقة له تمثل امتدادا لمقولاته<sup>(٤)</sup>.

ومن مظاهر السياق اللاحق ما نلاحظه في الرسائل التي جاءت ودامن قبل الإمام (عليه السلام) على كتب سابقة فعملية التبادل هذه تشبه ((تبادل المتكلم والمستمع دوريهما في الحديث الشفاهي))<sup>(٥)</sup>، فهناك كتب عدة تمثل هذه الظاهرة، فـ (ك١٧) جاء جوابا عن كتاب معاوية للإمام (عليه السلام)<sup>(٦)</sup>، وقد عمد الإمام (عليه السلام) إلى استعمال وسائل حوارية كضمائر المتكلم والمخاطب واستعمال بعض التعبيرات من ذلك قوله: ((وَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامِ...)) و ((وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلَّا حَشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ...))، و ((وَاسْتَوَأْنَا فِي الْحَرْبِ وَالرَّجَالِ...)) و ((وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ...))، ومثله

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨١/١٥ (ك ٢٨).

(٢) الضحى: ١١.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧٤/١٨ (ك ٧٨).

(٤) ينظر: نظرية علم النص: ٤٢.

(٥) نفسه: ٤٢.

(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١١٧/١٥.

كتاب ( ٢٨ ) الذي جاء ردا على كتاب معاوية<sup>(١)</sup>، وقد صرح الإمام (عليه السلام) بمجيء كتاب معاوية إليه، بقوله: (( فَقَدْ أَنَانِي كِتَابُكَ تَذَكُّرٌ فِيهِ... ))، وقد استعمل وسائل حوارية عدة منها ضمائر المتكلم والمخاطب، استعمال بعض الأفعال التي عملت بوصفها بديلا موضوعيا للحديث الشفاهي وهي (تذكر، تخبر، زعمت، قلت، ذكرت،...).

ومن الكتب الأخرى التي جاءت جوابا عن كتاب سابق لها كتاب (٧) إلى معاوية<sup>(٢)</sup>، كتاب (٣٦) إلى عقيل بن أبي طالب في ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء، وهو جواب كتاب كتبه إليه عقيل<sup>(٣)</sup>، وكتاب (٦٤) إلى معاوية جوابا<sup>(٤)</sup> وكتاب (٦٥) إلى معاوية أيضا<sup>(٥)</sup>. ومما يدخل أيضا ضمن حدود السياق اللاحق التوصيات والأوامر العسكرية والإدارية، إذ إن تحقيق المتلقي (القارئ) لهذه المطالب يعد من قبيل السياق اللاحق ويشمل هذا النصوص ((ك (٤)، و (١١)، و (١٢)، ك (١٣)، و (١٤)، و (١٦)، ك (١٨)، ك (١٩)، و (٢٣)، و (٢٤)، و (٢٥)، ك (٢٦)، ك (٢٧)، و (٣١)، ك (٣٤)، ك (٣٨)، ك (٤٢)، ك (٤٦)، و (٤٧)، ك (٥١)، ك (٥٢)، ك (٥٣)، و (٥٦)، ك (٦٠)، ك (٦٣)، ك (٦٦)، ك (٦٧)، ك (٦٨)، ك (٦٩)، و (٧٦)، و (٧٧)).

لقد كان للسياق اللاحق أثره في هذه النصوص، إذ إن وجوده في النص ((دليل على نجاحه، وقبول القارئ له، كما يعد امتدادا أيديولا وجيا واستمرارا للوجود النوع))<sup>(٦)</sup>: لأنه عكس قوة التفاعل الحاصل بين المرسل (الكاتب) والمرسل إليه (المخاطب) مما أضفى حيوية ودينامية للنص العلوي، كما في قوله في وصية له (عليه السلام) بما يعمل في أمواله كتبها بعد منصرفه من صفين: ((فَإِنَّهُ يَقُومُ بِذَلِكَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيُنْفِقُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ، فَإِنْ حَدَّثَ بِحَسَنٍ حَدَّثَ وَحُسَيْنٍ حَيٌّ، قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ وَ أَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ))<sup>(٧)</sup>.

بعد استشهاد الإمام علي (عليه السلام) تولى الإمام الحسن (عليه السلام) أمر التصرف بأموال أمير المؤمنين (عليه السلام) كذلك فقد أوصاه وبعد استشهاده يتولى الإمام الحسين (عليه السلام) هذا الأمر تطبيقا لوصية أبيه فهذا من قبيل السياق اللاحق. ومثله قوله (عليه السلام) في وصية للحسن والحسين (عليهما السلام) لما

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨١/١٥-١٨٤.

(٢) ينظر: نفسه: ٤١/١٤.

(٣) ينظر: نفسه: ١٤٨/١٦.

(٤) ينظر: نفسه: ٢٥١-٢٠٥/١٧.

(٥) ينظر: نفسه: ٢٢/١٨.

(٦) نظرية علم النص: ٤٣.

(٧) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤٧/١٥ (و ٢٤).

ضربه ابن ملجم (لعنه الله): ((انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربةً، بضربةٍ ولا تمثّلوا بالرجل، فإنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور))<sup>(١)</sup>.

فمن يراجع التاريخ يجد أن نص الوصية هذا قد طبق حقيقة فبعد استشهاد أمير المؤمنين (عليه السلام)، قام الإمام الحسن (عليه السلام) بضرب عنق ابن ملجم (لعنه الله) تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فأرداه قتيلاً ولم يمثل به استناداً للكلام جده وأبيه (عليهما أفضل الصلاة والسلام) وهذا العمل يعد من قبيل السياق اللاحق من ذلك كله نجد أن السياق ضروري في فهم النص وتفسيره، كذلك نجد أن خصائص السياق ضرورية في رسائل الإمام ووصاياه متوافقة مع تلك التي تناولها الدارسون في علم النص من حيث أنواعها وأساليبها.

## ثانياً: التناص

### مدخل:

لقد كان التناص أساساً من الأسس الرئيسية التي قام عليها علم لغة النص، وهو يبحث في طبقات النص، أي التراكمات الطباقية (نصوص دينية، نصوص أدبية، إشارات تاريخية، ...إلخ) التي يتركب منها النص، فلا شك أن ((النص لا يتمظهر في شاكلة واحدة، وإنما في كيفيات مختلفة وراءها مقصدية المرسل، ومراعاة مقصدية المخاطب، والظروف التي يروج فيها النص، وجنس النص، وهذه الماورائيات نفسها تؤدي إلى اختلاف استراتيجية التأويل من عصر إلى عصر ومن مجموعة إلى مجموعة ومن شخص إلى شخص، بل إن الممارسة التأويلية الشخصية دينامية))<sup>(٣)</sup>.

فالقارئ تحدث له تراكمات في ضوءها ينمي عملية التأويل، فضلعن أن النص الإبداعي يحمل في طياته صيرورة لغوية منظمة قد يبوح عن المعنى دون جهد وكد للذهن، وقد تقدم بطريقة مهمة وغامضة تحتاج إلى أعمال الفكر لتفهم وتؤول، وقد تصاغ في تمثيل تدرك معانيه الحرفية ولكنها لا تكون كافية لإدراك المغزى، وعليه يقتضي التناص بعده واقعا للقراءة أن يكون القارئ على قدرة عالية وذاكرة قوية من أجل الكشف عن النصوص المتناصّة مع النص الأصلي.

فالتناص هو ((العلاقة بين نصين أو أكثر، وهي التي تؤثر في طريقة قراءة النص المتناص (Intertext)، أي الذي تقع فيه آثار نصوص أخرى أو أصداؤها))<sup>(٤)</sup>. وقد أخذ مصطلح التناص بالظهور بين الباحثين الغربيين إلا إن الباحثة البرتغالية (جولياكريتسيفيا) هي التي بلورت مفاهيمه

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦/١٧ (و ٤٧).

(٢) البقرة: ١٧٩.

(٣) مجهول البيان، د. محمد مفتاح: ١٤٦-١٤٧.

(٤) المصطلحات الأدبية الحديثة، د. محمد عناني: ٤٦.

((في عدة أبحاث كتبت بين ١٩٦٦-١٩٦٧ وصدرت في مجلتي تيل -كيل Tel-Que وكريتك Critique وأعيد نشرها في كتابها سيميوتيك Semeiotike ونص الرواية Latextedduvomah))<sup>(١)</sup>.

وترى أن التناص لا يأتي من فراغ فهو ((ترحال للنصوص وتداخل نصي، ففي فضاء نصي معين تتقاطع وتتنافي ملفوظات عديدة مقطعة من نصوص أخرى))<sup>(٢)</sup>.

ثم حاول الباحثون الغربيون تحديد مفهوم التناص إلا أن أيا منهم لم يضع تعريفا جامعاً مانعاً، لذا استخلص بعض الدراسين (الدكتور محمد مفتاح) مقومات التناص من مختلف التعريفات التي ذكرها<sup>(٣)</sup>، وأشهرها: ((فسيفساء من نصوص أخرى ادمجت فيه بتقنيات مختلفة - ممتص لها يجعلها من عندياته وبتصويرها منسجمة مع فضاء بنائه، ومع مقاصده.

- محول لها بتمطيها أو تكثيفها بقصد مناقضة خصائصها ودلالاتها أو بهدف تعضيدها))<sup>(٤)</sup>.

ويخلص من ذلك إلى ((أن التناص هو تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة))<sup>(٥)</sup>.

أما الدارسون والباحثون العرب فلم يتفقوا-بعد- على تعريف مصطلح (Inter textulty)، فبعضهم ترجمه إلى النص الغائب، هجرة النصوص، التداخل النصي، التناص، التعالق النصي، التفاعل النصي، التناصية، النصومية، المتناص... الخ. ومع ذلك فإن مصطلح التناص هو الذي شاع وانتشر<sup>(٦)</sup>.

وقد وضح (الدكتور صلاح فضل) أن التناص لا يتحقق في النص بدرجة واحدة أو على مستوى واحد ((بل هناك درجات عديدة للتناص، مما يمكن أن يقودنا إليه التحليل النصي فهناك مثلا خواص شكلية محددة. مثل الإيقاعات، والأوزان والأبنية المقطعية: ومثل أنماط الشخصيات والمواقف التي يمكن استخدامها كحد أدنى للتناص على اعتبار ما تفرضه في استخدامها مجموعة الأعراف التقليدية المتصلة بكل جنس من الأجناس الأدبية، وتتمثل الدرجة الوسطى من التناص في الإشارات المتضمنة والانعكاسات غير المباشرة سواء كانت بالقبول أو الرفض لنصوص أخرى تتعالق معها. مما يعتد به كمجال فعلي للتناص الحقيقي. أما الدرجة القصوى من التناص فتقوم فيها تلك الممارسات الإقتباسية التي نراها مثلاً في ((الباروديا Parodie)) والمعارضات، مما يحيل على مجموعة الشفرات الإسلوبية والبلاغية المستخدمة في نصوص سابقة بشكل لا يمكن أن يخفى على القارئ

(١) في أصول الخطاب النقدي الجديد، تور دورف وآخرون: ١٠٢.

(٢) علم النص، جوليا كريستيفا: ٢١.

(٣) ينظر: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، د. محمد مفتاح: ١٢٠-١٢١.

(٤) نفسه: ١٢١.

(٥) نفسه: ١٢١.

(٦) ينظر: التفاعل النصي التناصية، النظرية والمنهج، د. نهلة الأحمد: ١٧١-١٧٤، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني،

د. محمد عبد المطلب: ١٣٧، النص الغائب، د. محمد عزام: ٤١.

المتوسط، وهو المجال الذي تمثله أبواب السرقات في النقد القديم مغفلة أهمية التوليد والتواصل ومدرجة للتحليل الأدبي في نطاق النقد المعياري والأخلاقي بالرغم من استخدامها لمصطلح الحسن في بعض الأحيان<sup>(١)</sup>.

فدراسة التناص وفق المنظور اللساني الحديث (علم لغة النص) ليس مجرد نقل شيء من نصوص سابقة إلى النص الحاضر، إنما لابد أن يقتضي هذا النقل تفاعلا وتعالقا بين النصوص الغائبة والحاضرة، وعليه فإن كل تعريفات التناص ((تظهر هذا التفاعل والتعاليق والالتقاء والتداخل (اللفظي أو المعنوي) بين نص ما ونصوص أخرى سبقتها))<sup>(٢)</sup>. وهذا يعني ((أن النصوص السابقة تشكل خبرة لتكوين النصوص اللاحقة والكشف عنها، وتؤسس النصوص اللاحقة هي بدورها لنصوص أخرى تأتي بعدها))<sup>(٣)</sup> للتعبير بها عن موقف يستدعيها وللدكتور محمد عبد المطلب رأي لطيف حينما قال: ((إن أكثر المبدعين أصالة من كان تركيبه الفني ذا طبيعة تراكمية، على معنى أن الروافد السابقة قد وجدت فيه مصبا صالحا لاستقبالها))<sup>(٤)</sup>.

فالتناص يحسن حين يتم ((بطريقة إبداعية، تعطي للنص قيمة فنية لا يمكن الوصول إليها بدونها، كما أنه يربط النص بالموروث الأدبي والثقافي، ويفتح حوارا بين النصوص الأدبية، كما يكسر تلك الثنائية التي تعتمد على الفروق بين الشعر والنثر، وبذلك تسمح بتداخل الأجناس))<sup>(٥)</sup>، وهذا الأمر لا يحصل إلا إذا أصبح النص منفتحاً على ما يسبقه، أو يزامنه، أو يلحقه من نصوص<sup>(٦)</sup>. ويقسم علماء اللغة النصيون التناص على قسمين.

• التناص المباشر ويعني اجتزاء قطعة من نص سابق، أو نصوص سابقة تجعلها تتلاءم مع الموقف الاتصالي الجديد وموضوع النص، وهذا هو الشكل البسيط من أشكال التناص الذي يتحقق بنقل التعبير من غير تغيير<sup>(٧)</sup>.

• التناص غير المباشر وهو الذي ((يستنبط من النص استنباطاً، ويرجع إلى تناص الأفكار أو المقروء الثقافي، أو الذاكرة التاريخية التي تستحضر تناصها بروحها أو بمعناها لا بحرفيتها أو لغتها، وتفهم من تلميحات النص وإيماءاته وشفراته وترميزاته))<sup>(٨)</sup>. وعند إجراء هذا المعيار في رسائل الإمام علي

(١) بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٢٢-٢٢٣.

(٢) نحو النص، د. أحمد عفيفي: ٨١.

(٣) من لسانيات الجملة إلى علم النص: ٢٦.

(٤) قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، د. محمد عبد المطلب: ١٦٢.

(٥) أدوات النص، محمد تحريشي: ٦٢.

(٦) ينظر: المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (عليه السلام)، دراسة بلاغية: ٢١٠.

(٧) ينظر: علم لغة النص، د. عزة شبل: ٧٩.

(٨) نفسه: ٧٩.

(عليه السلام) ووصاياه في نهج البلاغة، ونظرالسعة إطلاع الإمام (عليه السلام) وجدنا مواضع كثيرة تناص فيها الإمام مع نصوص أخرى مما زاد في جمالية نصوصه وتأثير جماله من ناحية التصوير، وتأثيره من حيث القداسة وصدق التعبير، الشيء الذي ساعد الإمام (عليه السلام) على خلق نص جديد تماسكت أجزاءه وتعالقت ألفاظه ومعانيه؛ فخرجت الصورة التي عر فيها عن الفكرة واضحة الأبعاد والدلالات. ولكي تسهل دراسة هذا الموضوع تمت تجزئته وفقاً للنصوص المتناصّة على النحو الآتي:

(١) تناص ديني: (قرآني وحديث نبوي).

(٢) تناص أدبي: (أمثال وأشعار).

(٣) تناص تاريخي.

وكما موضح في الجدول الآتي:

المجموع	الوصايا (عدد المرات)	الرسائل (عدد المرات)	نوع التناص		
			ديني	أدبي	تاريخي
٥٠	٢	٥	مباشر	قرآني	ديني
	١٢	٣١	غير مباشر		
١٤	٨	٦	غير مباشر	حديث نبوي	ديني
٣٢		٣	مباشر	مثلي	أدبي
	٢٤	٥	غير مباشر		
٩	-	٣	مباشر	شعري	أدبي
	٢	٤	غير مباشر		
١	-	١	تاريخي		

نلاحظ من هذا الجدول ما يأتي:

١- أن التناص الديني - ولاسيما التناص القرآني - قد جاء أكثر من أنواع التناص الأخرى وهذا يظهر تأثر الإمام (عليه السلام) بالقرآن الكريم مستغلاً بلاغته الأسلوبية وقوته ودقته في تأدية التعبير عن المعنى المقصود.

٢- طغيان التناص غير المباشر على المباشر لكل أنواع التناص المختلفة إذ يعكس قدرة الإمام (عليه السلام) الإبداعية على إنتاج نص جديد، بما يضيف عليه من أسلوبه وشخصيته ليجعله متناسباً مع نص الرسالة أو الوصية ولفظاً لعلاقة النص الجديد بهما.

وقبل الخوض في أنواع التناص في الرسائل والوصايا نذكر ما نقله أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: ((لولا أن الكلام يعاد لنفد))<sup>(١)</sup>، فهذا القول إشارة صريحة

(١) كتاب الصناعتين: ١٩٦.

عن التناص، فالناس يستعملون ألفاظا واحدة لكن طريقتهم تختلف في التعبير عنها وعليه فإن ((التناص شيء لا مناص منه لأنه لا فكاك للإنسان من شروطه الزمانية والمكانية ومحتوياتهما، ومن تاريخه الشخصي أي من ذاكرته، فأساس إنتاج أي نص هو معرفة صاحبه للعالم، وهذه المعرفة هي ركيزة تأويل النص من قبل المتلقي))<sup>(١)</sup>.

## أنواع التناص في الرسائل والوصايا.

تشتمل نصوص الرسائل والوصايا على أنواع مختلفة، هي:

**أولا** : **التناص الديني**: حظ التناص الديني بالنصيب الأكبر والحظ الأوفر من بين أنواع التناص،

وينقسم على قسمين:

١- التناص القرآني.

٢- تناص الأحاديث النبوية.

إذ إن قطع هذه النصوص الدينية من سياقها وإدخالها في سياق آخر يعكس أن للمبدع دوره في عملية التناص حين يقطع النص القرآني أو الحديث النبوي ويدخله في سياق متحرك جديد فيصبح خلاصة لما لا يحصى من النصوص قبله<sup>(٢)</sup>.

فالقسم الأول هو التناص القرآني وهو أن ترد في رسائل الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه في نهج البلاغة نص آية قرآنية أو معناها لغرض اقتضاه السياق، والغاية المرجوة من ذلك هي ((أن الإمام قد قرب عن طريق رسائله لغة القرآن إلى الجمهور الذين كاتهم في كتبه وخاطبهم في عهده ووصاياه، علما بأن الناس كانوا يتهيبون من القرآن))<sup>(٣)</sup>، فضلا عن ذلك فإنه أسهم في انفتاح هذه النصوص فهي صالحة لكل زمان ومكان لأن القرآن الكريم ((نص فاعل ومؤثر ومرجعية لنصوص ونظريات ومقولات وما زال بعضها متداولاً ونعيش بحضوره))<sup>(٤)</sup>.

فالمعروف في مفهوم النص أنه ((مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة))<sup>(٥)</sup>، فالإمام كان مدوكاً لأثر التوظيف القرآني في خدمة نصوص الرسائل والوصايا، فهو يجعل التواصل بين الكاتب والقارئ تواصلًا أخلاقياً لما يجمع بينهما من رصيد زاخر بتقديس القرآن والتأثير بمعانيه العظيمة فمثال التناص القرآني المباشر قوله (عليه السلام) وصية له قبيل وفاته لما ضرب ابن ملجم (لعنه الله): ((أنا

(١) تحليل الخطاب الشعري، (استراتيجية التناص): ١٢٣.

(٢) ينظر: الخطيئة والتكفير، عبد الله الغدامي: ١٥.

(٣) رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة أدبية نقدية: ٢٩٨.

(٤) القرآنية في نهج البلاغة (بحث منشور)، علي ذياب محي العبادي: ٦٩.

(٥) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص): ١٢٠.



بِالْأَمْسِ صَاحِبِكُمْ، وَالْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَدًا مُفَارِقُكُمْ، إِنْ أَبَقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي، وَإِنْ أَقْبَ فَاَلْفَنَاءُ مِيعَادِي، وَإِنْ أَعْفَ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ، وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ، فَاعْفُوا ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وَاللَّهُ مَا فَجَّانِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدَ كَرِهَتُهُ، وَلَا طَالِعَ أَنْكَرْتُهُ وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدَّ، وَطَالِبٍ وَجَدَ؛ ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾<sup>(١)</sup>.

على الرغم من قصر النص فإنه احتوى تناصين قرآنيين، الأول: قول الإمام (عليه السلام):  
 ((أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ))، تناص من قوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>. والآخر:  
 قول الإمام: ((وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ)) تناص من قوله: ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾<sup>(٣)</sup>.

فجاء الإمام (عليه السلام) بالآيات ولم يأت بمعناها ليشعر المتلقي أن هذا الكلام ليس من عنده وإنما من كتاب الله الذي لا يختلف فيه أثنان من المسلمين، فيكون أشد وقعاً وتأثيراً على نفوس المتلقين. معززاً بذلك التأثير الذي كونه النسق الصوتي المنسجم المتمثل بـ (السجع) في المتلقين من أجل الإغراء الإلهي الذي يحث على العفو ويرغب فيه، فمعنى كلامه في التناص الأول ((كما تتوقعون من الله العفو والصفح فلن الآخرين أيضاً يتوقعون منكم العفو والصفح في مقابل العمل السيء الذي أرتكبوه))<sup>(٤)</sup>، أما في التناص الثاني فنجد أن الإمام ينتقل نقلة سريعة ليتحدث عن نفسه، موظفاً أساليب التوكيد (القسم والقصر) لإبراز المعنى، فلو قارنا بين الاستعمال القرآني والنهجي نجد أن القرآن يتحدث في مطلع الآية عن ثواب المتقين ويختمها بالجملة المذكورة (وما عند الله خير للأبرار)، أما في النهج فقد جاءت في سياق بيان السبب الموجب لحبه الموت، فهو عرض وترغيب وكلام محمول على الندب<sup>(٥)</sup>. فأضاف التناص بالقرآن للصيغة النصية رقياداً ليا مماً أكسبها رونقاً وجمالاً.

ومن التناص القرآني المباشر أيضاً قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى معاوية: ((ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرَ عَثْمَانَ، فَلَا أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِهِ لِرَحْمِكَ مِنْهُ، فَإِنَّا كَانُوا أَعْدَى، لَهُ وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ! أَمِنْ بَدَلٍ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَمْعَدَهُ وَاسْتَكْفَهُ أَمِنْ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَخَى عَنْهُ وَبِثَّ الْمُنُونِ إِلَيْهِ؛ حَتَّى أَتَى قَدْرَهُ عَلَيْهِ! كَلَّا وَاللَّهِ ﴿لَقَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾))<sup>(٦)</sup>، يتضمن هذا المقطع من نص

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤٣/١٥ (و ٢٣).

(٢) النور: ٢٢.

(٣) آل عمران: ١٩٨.

(٤) نفحات الولاية: ٩/ ٢٤٦.

(٥) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٤٥/١٥.

(٦) نفسه: ١٨٣/١٥ (ك ٢٨).

الرسالة تناصاً قرآنياً مباشراً من سورة الأحزاب، وقد نزلت في شأن طائفتين من المنافقين أحدهما امتنعت عن الجهاد والقتال في معركة الأحزاب، والأخرى هم الذي قالوا لأخوانهم هلم إلينا ولا تقحموا أنفسكم في هذا الخطر<sup>(١)</sup>. إذ وقعت في معرض جواب لإسلوب الاستفهام، فعمل التناص على تمة المعنى عند المتلقي (معاوية) وفيه إشارة إلى أنك يا معاوية ((إذ تستخدم أساليب الدجل والتمويه أمام الناس فيما يتصل بحادثة قتل عثمان، فإن الله تعالى لا يخفى عليه شيء وأنه يعلم أن عثمان طلب منك النصر ولكنك لم تتقدم خطوة في هذا السبيل (بل كنت مسروراً لمقتله) لعل الخلافة تصل إليك))<sup>(٢)</sup>. فظاهر الأمر هو تشبيه حال معاوية بحال المنافقين الذين ذكروا في القرآن الكريم.

أما النوع الآخر من التناص القرآني فهو غير المباشر (المعنوي) ويتمثل في قوله (عليه السلام) في وصيته للإمام الحسن (عليه السلام): ((وَأَعْلَمُ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، وَتَكْفَلُ لَكَ بِالْإِجَابَةِ، وَأَمْرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيكَ، وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحِمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مِنْ يَحْجُبُكَ عَنْهُ، وَلَمْ يُلْجِئَكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ))<sup>(٣)</sup>. عند التمعن في هذه السطور نجد أن الإمام (عليه السلام) قد جمع معاني آيات متنوعة في نسيج نصي واحد دال. إذ إن كلام الإمام (عليه السلام) يحمل في فضائه معاني قرآنية (تناص) ففي قوله: ((قد أذن لك في الدعاء، وتكفل لك بالإجابة)) تناص من قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله (عليه السلام): ((وأمرتك أن تسأله ليعطيك)) تناص من قوله: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(٥)</sup>، وقوله (عليه السلام) ((ولم يمنعك إن أسأت من التوبة))، تناص من قوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾<sup>(٦)</sup>. على الرغم من أن هذه الآيات وردت في مواضع متنوعة وتناولت موضوعات مختلفة فإنها دارت في مركز واحد وهو لفظ الجلالة (الله) فهو الذي يدعى ويستجيب الدعاء، ويسأل من فضله، ويتوب عن عباده.

وهكذا كان لفظ الجلالة هو الرابط اللفظي الذي ربط بين نصوص الآيات المتناصية التي ظهر صدها في هذا المقطع من نص الوصية، ويعكس هذا مدى تشرب روح أمير المؤمنين (عليه السلام) للآيات القرآنية ومعانيها، فقد أحسن استثمارها مع ما يتلاءم والسياق النصي: إذ نجده يطوع ما يقتبسه من آيات وفاقاً للسياق العام للنص بعده ((المرجع الذي يحال إليه المتلقي كي يتمكن من إدراك مادة

(١) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ قَالَ تَلَّافَةٌ مِنْهُمْ يَتَأَهَّلُ بِرَبِّ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْتَجِعُوا وَاسْتَعِذْ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيُّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (١٣) وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَأَنزَلْنَاهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا بَسِيرًا (١٤) ﴿ الأحزاب: ١٣-١٤.

(٢) نفحات الولاية: ٣٨٠/٩.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/٨٦-٨٧ (و ٣١).

(٤) غافر: ٦٠.

(٥) النساء: ٣٢.

(٦) الفرقان: ٧٠.

القول ويكون لفظياً أو قابلاً للشرح اللفظي))<sup>(١)</sup> إذ عدل عن ضمائر الجمع الواردة في الآيات القرآنية التي تحيل إلى العباد عموماً إلى ضمير المفرد (كاف الخطاب) التي تحيل إلى الإمام الحسن (عليه السلام) لأن الوصية موجهة له.

ومن التناص المعنوي (غير المباشر) للقرآن الكريم أيضاً قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى الحارث الهمداني: ((وَتَمَسَّكَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَانْتَصَحَهُ، وَأَحْلَّ حَلَالَهُ، وَحَرَّمَ حَرَامَهُ، وَصَدَّقَ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ))<sup>(٢)</sup>. يأمر الإمام (عليه السلام) الحارث الهمداني في هذا المقطع من الرسالة بوجوب الاعتصام بالقرآن الكريم والأخذ بأحكامه جميعها، مستعمله لفظ (حبل) وهو استعارة، إذ شبه الأخذ بأحكام القرآن بحبل النجاة الذي ينقذ من الوقوع في المعاصي والمويقات. فهي صورة واضحة وبسيطة إلا إنها عبرت عن الفكرة خير تعبير من خلال إظهارها المعنى بأثر مادي، وقد أخذ هذا المعنى من قوله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>(٣)</sup>. لقد استحضر الإمام (عليه السلام) الصورة القرآنية إذ أصبح القرآن جسماً مادياً وقد أمر الإمام (عليه السلام) بوجوب التمسك بحبله عن السقوط في المعاصي، فطريق ((التصوير هو القاعدة الأولى في التعبير))<sup>(٤)</sup>.

وقد عمد الإمام (عليه السلام) لإظهار النص متلائماً مع سياق المقام إلى العدول من ضمائر الجمع في النص القرآني إلى الضمير المفرد في النص العلوي، وإظهار دلالة التناص واضحة وجلية في النص جاء بالترار والتضاد والسجع لشد انتباه المتلقي بالنص، وتفاعله معه.

وقد يأخذ المعنى من مجموعة من الآيات القرآنية التي تأتي في مواضع مختلفة من القرآن إلا أن معناها واحد فيستحضرها جميعاً في نص واحد كما في قوله في عهد له (عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر: ((فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسْأَلُكُمْ مَعَشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ، وَالظَّاهِرَةِ وَالْمُسْتَوْرَةِ، فَإِنَّ يُعَذَّبُ فَاَنْتُمْ أَظْلَمُ؛ وَإِنْ يَعْفُ فَهِيَ أَكْرَمُ))<sup>(٥)</sup>. فقد صاغ الإمام (عليه السلام) معانيه في هذا النص من معاني قرآنية فعند إمعان النظر فيه نجده يحيلنا إلى المنابع القرآنية التي استقى منها تلك المعاني، وهي:

(١) الخطيئة والتكفير: ٩.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨ / ٤١ (ك ٦٩).

(٣) آل عمران: ١٠٣.

(٤) التصوير الفني في القرآن: ٨٦.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥ / ١٦٣ (ك ٢٧).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾<sup>(١)</sup>.  
 قَالَ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ خَائِبَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾<sup>(٢)</sup>. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾<sup>(٣)</sup>. قَالَ تَعَالَى:  
 ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْنَانًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

لقد جمع الإمام (عليه السلام) هذه النصوص القرآنية في مقطع تأخذ جمعه بعضها برقاب بعض لتوصل المتلقي (القارئ) إلى ساحة الفهم والإدراك بأسلوب وعظي معتمد على التكثيف والاختزال للنصوص القرآنية بصورة مؤثرة بتوظيفه للتضاد والتوازي التركيبي والسجع على نحو متناسق بعيد عن التكلف أو الملل. ومثله أيضا قوله في كتاب له إلى الحارث الهمداني: ((وأطع الله في جمل أمورك، فإن طاعة الله فاضلة على ما سواها))<sup>(٥)</sup>.

ازدحم هذا النص بأصداء وظلال لنصوص قرآنية عديدة ارتبطت بوشاح معنوي وعظي يوحداه، وتلك المرجعيات القرآنية هي، قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(٦)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾<sup>(٧)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾<sup>(٨)</sup>، وقوله تعالى: ﴿يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(٩)</sup>.

فقد استحضر الإمام (عليه السلام) المعنى من كتاب الله عز وجل. إذ مثل النص حشداً دلاليًا لكل هذه النصوص القرآنية التي اختزلها في تعبير (أطع الله في جمل أمورك) لادراكه حاجة المقام لهذا التعبير في إيصال المعنى للمتلقي.

(١) الإسراء: ٣٦.

(٢) غافر: ١٩.

(٣) القمر: ٥٣.

(٤) الزلزلة: ٦.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٤٢/١٨ (ك ٦٩).

(٦) النساء: ١٣.

(٧) النساء: ٦٩.

(٨) النور: ٥٢.

(٩) الأحزاب: ٧١.

ويذهب بعض الباحثين إلى أن هذا الحشد للآيات يكثر في مواضع النصح والوعظ والتذكير والزجر والتهديد<sup>(١)</sup>، ومعلوم أن الغرض المرجو من النص هو الوعظ الديني، وقد مكه التناص المعنوي من التوصل ((إلى وحدة معنوية، ضمن بناء موحد فتجعل النص متماسكا في مستوى ادبي جميل وفاعل))<sup>(٢)</sup>.

إذ عمد الإمام أيضا إلى العدول عن ضمائر الجمع إلى ضمير المفرد ليتلاءم مع سياق النص وحتى تظهر دلالة التناص واضحة وجليّة في النص جاء بالتكرار في التعليل موضحا سبب الأمر بطاعة الله سبحانه وتعالى وكذلك أضاف التناص القرآني بعدا دلاليا إلى نصوص الرسائل والوصايا في نهج البلاغة فالاستحضار القرآني من جهة اللفظ أو المعنى وتوظيفه في سياقات هذه النصوص زاد من قيمتها الإبداعية إلى جانب ما حققه من تماسكها وترباطها وربطها بين أجزاء النص المكونة له.

### القسم الثاني: تناص الأحاديث النبوية.

ونعني بتناص الأحاديث النبوية استحضارها في نصوص الرسائل والوصايا من جهة اللفظ والمعنى أي بصورة كاملة، أو من جهة المعنى فقط، والظاهر من البحث أن كل تناص للأحاديث النبوية قد جاء استحضارها من جهة المعنى فقط؛ لأن علماء البلاغة يرون أن التناص هو أن بضمن الكلام نظما أو نثرا شيئا من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف تزيينا للنظامه، وتفخيما لشأنه، لاعلى أنه منه، بأن لا يقال فيه (قال تعالى، أو قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونحوه، فإن ذلك لا يكون تناصا<sup>(٣)</sup>، وعليه فما ورد متصديرا ب (قال النبي أو قال رسول الله) لا يدخل في باب التناص، وإنما يعد من باب الاستشهاد. وقد اعتمد الإمام على الأحاديث النبوية بعدها المصدر الثاني من مصادر التشريع ومصدقا للسنّة النبوية وأهميتها عند المسلمين، فيحدث بذلك تأثير قوي وفعال عند المتلقي.

ومن أمثلة التناص مع الحديث النبوي قوله (ﷺ) في وصيته للإمام الحسن (ﷺ): ((يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ فَاحْبِبْ لِنَفْسِكَ مَا تَكْرَهُ لَهَا))<sup>(٤)</sup>. قدم الإمام (ﷺ) في هذا المقطع درسا أخلاقيا للحياة المتوازنة عكسه قوله: ((فَأَحْبِبْ لِنَفْسِكَ مَا تَكْرَهُ لَهَا)) وهذا القول جاء متناصا مع حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من جهة المعنى وأصل الحديث: ((من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه))<sup>(٥)</sup>، فهو معنى عام يشمل الناس

(١) ينظر: الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة (دراسة أسلوبية)، أطروحة دكتوراه، كاظم عبد فريح المولى: ١٥٠.

(٢) نفسه: ١٥٠.

(٣) ينظر: نهاية الإيجاز: ٢٨٨، حسن التوصل في صناعة الترس: ٣٢٣.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦ / ٨٤ (و ٣١).

(٥) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، ونستك: ١ / ٣٥، ١١١، ٤٠٦.

جميعها ((لأن الحب معناه الأخوة، والإنسانية، والتكافل والتضامن، والقوة، والنجاح، وبالحب تستقيم الحياة، ولا معنى لحياة بلا حب، وأيضاً معنى للكراهية إلا الحرب، والشقاق، والفسل، والتخلف))<sup>(١)</sup>، وهكذا كان مركز هذا المقطع لفظ (الميزان) لأنه يكون عادة ذا كفتين، وليتحقق الوزن الصحيح فيه يجب أن تكون الأوزان في كفتيه متساوية في الخط الأفقي، فهو إذن المعادل الموضوعي بين سلوكي المتلقي، إذ ينبغي عليه أن يحب للأخرين ما يحبه لنفسه، وما يكره لنفسه ينبغي أن يكرهه للأخرين لتساوي كفتا الميزان في عرض واحد<sup>(٢)</sup>. وعمق الإمام (عليه السلام) فكرة المساواة بين كفتي الميزان المعروضة في النص من خلال التوازي التركيبي في قوله: ((فَأَحِبُّ لغيرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَآكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا)).

فعل أمر + جار ومجرور + (ما) الموصولة + فعل مضارع + جار ومجرور

فضلاً عما أضافه التضاد من إضاءات جديدة للنص الذي استوحاه الإمام من النفي الصريح في الحديث النبوي الشريف (لا يؤمن)، مجسداً للرفض الضمني من خلال طرح النقيض له إذ تساوت هذه المتضادات<sup>(\*)</sup> (أحبب وأكره)، (تحب، تكره) في عدد حروفها مما عكس صورة التساوي الحاصلة بين كفتي الميزان النفسي في ((أجعل نفسك ميزاناً))، وهكذا كان لمتناص أثره في النص مما عمق الفكرة فيه، وقد قدمها الإمام (عليه السلام) بصورة تجعلها أكثر فعالية وإثارة للمتلقي.

ومن التناص غير المباشر للحديث النبوي قوله (عليه السلام) كتاب له ما استخلف إلى أمراء الأجناد: ((أما بعد؛ فإنما أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا الناس الحق فأشتروه، وأخذوهم بالباطل فافتدوه))<sup>(٣)</sup>. لقد كان هذا النص صدى معنوياً للحديث النبوي الشريف: ((إنما هلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد))<sup>(٤)</sup>.

وقد أراد الإمام (عليه السلام) من استعمال معنى الحديث النبوي إحداث التأثير الفاعل في نفوس أمراء الأجناد لذا نقله (عليه السلام) من دلالاته العامة إلى دلالة قصدية محددة نحو المتلقي على نحو غير مباشر لبيان النتائج المترتبة لهذا الفعل السيء لأنهم ((حجبوا عن الناس حقهم فاضطر الناس لشراء الحق بالرشوة، فانقلبت الدولة عن أولئك المانعين فهلكوا، وأنهم... كلفوهم بإتيان الباطل فأتوه وصار

(١) في ظلال نهج البلاغة: ٢١٤/٥.

(٢) ينظر: نفحات الولاية: ٤٩٣/٩.

(\*) جاء في لسان العرب ((كره إليه الأمر تكريه؛ صيره كرهها إليه نقيض حبيته إليه)). لسان العرب. مادة (كره): ٥٨/١٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧٧/١٨ (ك ٧٩).

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث: ٢٧٠/١، ٤٣١، ١٠٤/٣، ٥١٢، ٥٩٢/٥، ٩٩/٧.

قدوة لهم يتبعها الأبناء بعد الآباء))<sup>(١)</sup>. فمثل هذا الفساد الإداري لسياسة الدولة حالة كمال الفساد الإداري الذي أشار إليه الحديث النبوي بإقامة الحد على الفقير إذا سرق وترك الغني بدون محاسبة إذا فعل المنكر نفسه فوجه الشبه بين الحالين هو الذي دفع الإمام (عليه السلام) إلى الإتيان بالحديث النبوي الشريف لإبراز الفكرة وإيضاحها لإبقائها راسخة في ذهن المتلقي.

## ثانياً التناص الأدبي.

ويقسم هذا التناص على قسمين:

- ١- تناص الأمثال. ٢- تناص الأشعار.

إذ وظف الإمام (عليه السلام) المثل والشعر القديم بأساليب بنائية لا تختلف كثيراً عن أساليب استعمال التناص الديني من حيث التصريح بنسبة النص المتناص إلى صاحبه، أو عدم التصريح به، أو الحفاظ على صياغته الوحيدة، وربما حدث تغيير فيها لكي تترابط مع أجزاء النص. فأما تناص الأمثال فهو: أن يضمن الإمام (عليه السلام) في رسائله ووصاياه قسماً من الأمثال المشهورة لغرض يقتضيه السياق، وهي تعد ((ثروة أدبية كبيرة تعكس واقع كل من يستعملها ولذلك ترى أن المثل حينما يستحسنه المتلقي تراه يود د بين الحين والآخر، ويبقى خالداً على مر الأجيال وهذا يعود للصياغة الأدبية العالية عند قائلها الأول))<sup>(٢)</sup>. وقد أهتم العرب بها إذ ((ليس في كلامهم أوجز منها، ولا أشد اختصاراً))<sup>(٣)</sup>. وللمثل القدرة على دعم الطاقة الدلالية للنص؛ لأنه يمثل ((صورة حية ماثلة لمشهد واقعي، أو متخلى، مرسومة بكلمات معبرة موجزة، يؤتى بها غالباً بالتقريب ما يضرب له من طريق الاستعارة، أو الكناية أو التشبيه))<sup>(٤)</sup>.

ومن بين نصوصه (عليه السلام) التي وردت فيها الأمثال مباشرة دون تغيير قوله في كتاب له (عليه السلام) إلى معاوية جواباً وهو من محاسن الكتب: ((أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذَكُّرُ فِيهِ اصْطِفَاءَ اللَّهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِدِينِهِ، وَتَأْيِيدَهُ إِيَّاهُ لِمَنْ أَيْدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ فَلَقَدْ خَبَأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَبًا؛ إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا، فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجْرٍ))<sup>(٥)</sup>.

(١) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ٥٠٠/٣.

(٢) المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (عليه السلام)، دراسة بلاغية: ٢١٨.

(٣) المثل السائر: ٥٤/١.

(٤) الصورة الفنية في المثل القرآني، د. محمد حسين علي الصغير: ٦٠.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨١/١٥ (ك ٢٨).

فالمثل المتناص هنا ((كأقل التمر إلى هجر))<sup>(١)</sup> ويقال لكل من يحمل شيئاً أو يتحدث بأمر من الأمور عند من هو أعلم منه وأخبر به<sup>(٢)</sup>. وإن حديث معاوية في بيان عظمة الإسلام والنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) كحال من ينقل التمر إلى (هجر)، وهي مدينة اشتهرت بكثرة تمورها، فجاء بالمثل كناية عن العمل الذي لا فائدة من ورائه، فكان عاملاً ((من عوامل الإقناع النفسي للسامع، وجاء به (عليه السلام) ليحقق هذه الغاية، ووقع الأمر في اختياره وتوجيهه وفق منظومة نفسية تستند إلى شيوع المعنى ومعرفة المغزى للاستدلال على ما أريد بيانه))<sup>(٣)</sup>، لذا قصد الإمام الإتيان بهذا المثل في نهاية عرضه لعمل معاوية هذا من باب بيان النتيجة المترتبة على القيام به.

ومن التناص المباشر للمثل أيضاً ما جاء في الرسالة نفسها: ((وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ، وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ! وَمَا لِلطَّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطَّلَقَاءِ وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ، وَتَرْتِيبِ دَرَجَاتِهِمْ، وَتَعْرِيفِ طَبَقَاتِهِمْ! هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا))<sup>(٤)</sup>.

فالمثل المتناص هنا (حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا)<sup>(٥)</sup> وهو مثل عربي معروف، يضرب لكل شخص أدخل نفسه في جماعة لم يكن جديراً بهم، وجعل نفسه في فئة ليس من مستواهم وقدرهم<sup>(٦)</sup>. وقد استعمله الإمام (عليه السلام) في مورد معاوية، لأنه أراد ان يقول له: انك ((تخلط نفسك مع جماعة لست منهم، فأنت من الكفار الطلقاء الذين أطلق سراحهم النبي يوم فتح مكة، فما أنت والمجاهدين والمهاجرين الأولين... أنت بهذه السوابق السيئة تعتبر من زمرة المحكومين ومن الرعية، فكيف تجلس على كرسي الحكم وتدعي التحكيم فيما بينهم؟))<sup>(٧)</sup>.

فجاء الإمام (عليه السلام) بهذا المثل كناية عن حال معاوية بالنسبة للمهاجرين الأولين، وقد وظف أسلوب التوكيد باسم الفعل (هيات) بمعنى (بعد) و (لقد) الذي خدم دلالة المثل أولاً وتدفع الشك عن كلام الإمام ثانياً فضلاً عن ذلك السجع في (منها، لها) الذي تزينت به عبارتا الإمام (عليه السلام) فجاء مختوماً بصوت (الهاء) لتعبر عن الحالة الانفعالية والشعورية الخاصة بالإمام تجاه معاوية.

(١) المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري: ٢ / ٢٣٣، مجمع الأمثال، الميداني: ٢ / ١٥٢، وقد ورد فيها بصيغة أخرى (كمستبضع التمر إلى هجر).

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٤ / ٥٢٠.

(٣) الاقتباس والتضمن في نهج البلاغة، دراسة أسلوبية: ١٩٤.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥ / ١٨١ (ك ٢٨).

(٥) المستقصى في أمثال العرب: ٢ / ٦٨.

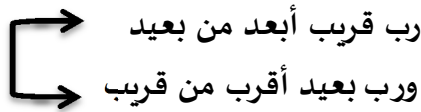
(٦) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٤ / ٥٢١.

(٧) نفحات الولاية: ٩ / ٣٤٩.



ومن التناص غير المباشر للمثل العربي قوله (عليه السلام) في وصيته لأبنه الحسن (عليه السلام): ((وَالصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ، وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبَهُ، وَالهُوَى شَرِيكُ الْعَمَى، وَرَبٌّ بَعِيدٌ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ وَقَرِيبٌ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ))<sup>(١)</sup>. نبه الإمام (عليه السلام) ((على أن في البعداء من هو أقرب وأنفع من النسيب، وفي الأقرباء من هو أبعد من البعيد وهو مشهور))<sup>(٢)</sup>، وهذا المعنى يرجعنا إلى المثل العربي المعروف ((رب أخ لك لم تلده أمك))<sup>(٣)</sup>، فمن معرفة متلقي هذا النص نفهم الغاية المرجوة منه وهي النصيح والإرشاد وهذه تعيننا في فهم وأدراك مقدار الوعظ وعظمتها، والسياق هو الآخر يساعد في إدراك التبادل بين المعاني الموضوعية والمعاني العاطفية والانفعالية.

لذا نجد الإمام (عليه السلام) يوظف عددا من الوسائل اللغوية للتعبير عن المعنى المقصود وهي التضاد (قريب وبعيد) و (أبعد وأقرب) والتكرار (قريب وأقرب) و (بعيد وأبعد)، والتوازي التركيبي بين:



حرف الجر + اسم مجرور + اسم مرفوع + حرف الجر + اسم مجرور

(رب) على وزن (فعليل) (مبتدأ) على وزن (أفعل) صيغة التفضيل (من) على وزن (فعليل)

فهذه الوسائل اللغوية أسهمت في إثارة انتباه المتلقي وشده إلى معنى النص إذ استفاد من معنى المثل لكن صياغته (عليه السلام) جاءت على نحو أرقى وأرفع من الصياغة اللغوية للمثل العربي المتناص، ولا غرابة في ذلك ((فهو عليه السلام إمام الفصحاء وسيد البلغاء وفي كلامه قيل: دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق))<sup>(٤)</sup>.

ومن التناص المعنوي (غير المباشر) للمثل أيضا قوله (عليه السلام) في كتاب له لأبي موسى الأشعري، وهو عامله على الكوفة، وقبلغه عنه تثبيطه الناس عن الخروج إليه، لما نادى بهم لحرب أصحاب الجمل: ((أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ بَلَّغْنِي عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَعَلَيْكَ، فَإِذَا قَدِمَ رَسُولِي عَلَيْكَ فَارْفَعْ ذَيْلَكَ، وَأَشْدُدْ مِنْزَرَكَ، وَأَخْرُجْ

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١١٣/١٦ (و ٣١).

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٧٩ / ٥.

(٣) جمهرة الأمثال، العسكري: ١ / ٤٢٥، ٤٨١.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ٢٤.

مِنْ جُحْرِكَ، وَانْدُبَ مِنْ مَعَكَ، فَإِنْ حَقَّقْتَ فَاَنْفُذْ، وَإِنْ تَفَشَّتْ فَاَبْعُدْ، وَإِيْمُ اللّٰهِ لَتُوْتِيَنَّ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ وَلَا تُتْرَكَ حَتَّى يُخَلِّطَ زُبْدُكَ بِخَاثِرِكَ، وَذَائِبُكَ بِجَامِدِكَ، وَحَتَّى تُعْجَلَ عَنْ قَعْدَتِكَ، وَتَحْذَرَ مِنْ أَمَامِكَ، كَحَذْرِكَ مِنْ خَلْفِكَ))<sup>(١)</sup>.

تحدث الإمام (عليه السلام) في هذا النص الحافل بالدلالة والصوت إلى أبي موسى الأشعري حيث بلغه أنه يثبط الناس عنه فهو يأمره بأن يرفع ذيله ويشد متزره، وهما كنايةتان عن الاستعداد للقيام بواجبه والمسارة إلى ذلك، وأمره أن يخرج من جحره، وأراد بذلك أن يخرج من الكوفة، وقد استعار له لفظ الجحر ليشبه بالثعلب ونحوه، ثم توعده على قعوده وأقسم لياتينه بالمكان الذي هو به من لا يتركه حتى يخلط زبده بخاثره وذائبه بجامده وهو موضع التناص من المثل العربي ((ما يدري أيخترأم يذيب))<sup>(٢)</sup>.

قال ابن ميثم البحراني فيه: ((وهما مثلان كفي بهما عن خلط أحواله الصافية بالتكدير كعزته بذائه وسروره بغمه وسهولة أمره بصعوبته))<sup>(٣)</sup>، لقد أنصهر هذا المثل وذاب واختلط في هذا النص بحيث أصبح جزءاً منه يصعب فصله عنه وعزله، ثم يعجله عن قعدته وهي هيئة قعوده إذ أراد الإمام (عليه السلام) غاية الإعجال، ثم أتى بكناية وهي في قوله: ((وتحذر من أمامك كحذرِكَ من خلفك))، كناية عن غاية الخوف<sup>(٤)</sup>، لقد تماسكت هذه الفنون البيانية (الكنايات والاستعارة) في نص واحد وتلاحمت لتقدم صورة واحدة عن طبيعة المرسل إليه وموقف الإمام (عليه السلام) منه، وزاد هذا الترابط والتلاحم الدلالي المستوحى من التضاد الحاصل بين (زبدك وخواثرك)<sup>(٥)</sup> و (ذائبك وجامدك)<sup>(٦)</sup>، فضلاً عن التلاؤم الصوتي القائم على اختيار ألفاظ سارت على وفق نسق صوتي واحد متمثلاً بالسجع المـ طرف في (عليك ، ذيلك ، متزرك ، جحرك ، معك ، خاثرِكَ ، جامدك ، قعدتك ، أمامك ، خلفك). فأعاد الإمام (عليه السلام) صياغة المثل على نحو زاد من قيمته الأدبية والبلاغية فقد جمع النص بين الدلالة والصوت كما موضح في المخطط الآتي:

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧ / ٢٤٦ (ك ٦٣).

(٢) مجمع الأمثال: ٢ / ٢٨١.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٥ / ٢٥٣.

(٤) ينظر: نفسه: ٥ / ٢٥٣.

(٥) جاء في اللسان ((قالوا في موضع الشدة: أخلط الخاثر بالزباد، أي أخلط الخير بالشر والجيد بالردئ والصالح بالطالح))، لسان العرب، مادة (زبد): ٧ / ٨.

(٦) ((الجمد، بالتسكين: ما جمد من الماء، وهو نقيض الذوب))، نفسه، مادة (جمد): ٣ / ١٩.

حتى يخلط زبدك بخاترك  
وذائبك بجامدك

(دلالة صوتية)

السجع المطرف بين (خاترك وجامدك)

(دلالة بلاغية)

١- كناية (عن الارتباك لشدة الأمر)

٢- التضاد.

ليترابط مع الجمل والعبارات السابقة واللاحقة له ويقدم نصا واحدا متلاحما صهر فيه الإمام (عليه السلام) صور متعددة لترسم لنا صورة جديدة أكثر تأثيرا وإثارة للمتلقي.

### ١- التناص الشعري.

مثما كان للأمثال العربية نصيب في عملية التناص كان للشعر أيضا نصيب وإن كان على نحو أقل مما كان للمثل، وقد أثر التناص الشعري في النص من خلال تمهيده لرفد الدلالة وتعزيزها لما له من أثر في نفس المتلقي. ويقسم التناص الشعري في الرسائل والوصايا على قسمين:

(أ) التناص الشعري المباشر. (ب) التناص الشعري غير المباشر.

فلما القسم الأول فيتجلى باستحضار أنصاف الأبيات والأشطر فقط وهذا يعرف بـ (الإبداع) وهو أن يأتي الناثر بنصف بيت لغيره ويجعله في كلامه<sup>(١)</sup> دونما تغيير في بنيته أو تركيبه. وهذا النوع قليل جدا مقارنة بالتناص غير المباشر للأشعار العربية، إذ لم يستعمله الإمام (عليه السلام) إلا في كتاب واحد بعثه إلى معاوية جوابا وهو من محاسن الكتب إذ حصل التناص الشعري المباشر لأنصاف الأبيات في ثلاثة مواضع عبرت عن معان مختلفة، فالموضع الأول يتمثل في قوله (عليه السلام): ((وَرَعَمَتَ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ، وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتٌ، فَإِنْ يَكُنْ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَلَيْسَتْ الْجَنَابَةُ عَلَيْكَ، فَيَكُونُ الْعُذْرُ لِيَّكَ. وَتِلْكَ شِكَاةٌ ظَاهِرَةٌ عَنْكَ عَارَهَا))<sup>(٢)</sup>

فقد استشهد الإمام (عليه السلام) بشطر (عجز) بيت من قصيدة لأبي ذؤيب الهذلي، والبيت الذي

ورد فيه هو:

لُ و ظ شَ وَا نِهَ لِي نِيَّ ءَ أ ح بْ لِي أ ءَ ا ر ه ا

(١) ينظر: تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبغ المصري: ٣ / ٣٨٠.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٥ / ١٨٢-١٨٣ (ك ٢٨).

(٣) ديوان الهذليين: ١ / ٢١.

يريد الشاعر القول إن سعاية الواشين بحبه لصاحبه لا يعد عيباً ولو كان هناك عيب وعار فهو بعيد عنك، فهو لا يحبها أصلاً وقد أضحى هذا الشعر مثلاً يضرب لمن يحسب أمراً سيئاً في حين أنه لا يرتبط به، فأراد الإمام (عليه السلام) باستحضار هذا الشعر أن يوضح أن ما ذكره معاوية ليس مما وقع على معاوية، أو يخصه فيكون العذر له، فهذا ليس بعارض يلحق الإمام (عليه السلام) فجاء استشهاده بهذا الشطر متوافقاً مع سياق النص ونقض هذا الادعاء يتضح من استعمال الإمام (عليه السلام) لجملة (زمت) <sup>(١)</sup> التي تشير إلى أمرين أرادهما الإمام (عليه السلام) الأول: أن هذه النسبة التي تدعي أنني حسدت الخلفاء نسبة كاذبة، ولا سيما أنك زعمت في كلامك أنني شريك في قتل عثمان وحقيقة الأمر أنني كنت أذب عنه وأنهى الناس عن قتله. والآخر: على فرض أن هذه النسبة صحيحة فهي لا تتعلق بك يا معاوية <sup>(٢)</sup>.

وهكذا يظهر التناص الشعري مترابطاً مع غرض النص وهو (التوبيخ) وليعكس قوة هذا الترابط نلاحظ أن بداية الشاهد الشعري حرف عطف وهو (الواو) التي وصلت هذا الشاهد بالجملة السابقة لها فكانت، كلا واحداً متلاحماً إذ لم يكن هذا الشاهد مع أنه أنتج في سياق مختلف عن سياق هذا النص العلوي إلا أن الإمام (عليه السلام) كان موفقاً في توظيفه في رسالته إذ لم يشعرنا بغرابتة عنه.

أما الموضع الثاني من الرسالة نفسها فيتجلى في قوله: ((وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَدِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْتَمُ عَلَيْهِ أَحَدًا؛ فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهَدَايَتِي لَهُ فَرَبِّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ. وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظَّنُّ الْمَتَنَصِّحُ)) <sup>(٣)</sup>

تمثل التناص بشطر آخر هو (وقد يستفيد المتنصح) والشعر لأكثم بن صيفي وصدر

البيت:

أَأُثَارَ لَكَظْمٌ وَهِيَ كَيْفَةٌ زَصْدِي لِحُؤْمِهِمْ تَدَنِّ صَجٌ <sup>(٤)</sup>

ومعنى البيت أنك إذا بالغت في النصح لصاحبك ظن أنك تريد حطاً لنفسك، وأنتك إذا بالغت في النصيحة فتأهب للتهمة <sup>(٥)</sup>. يقول الشيخ محمد عبده في شرحه: ((الظنة بالكسرة، التهمة والمتنصح:

(١) أكثر ما يستعمل الزعم فيما كان باطلاً أو فيه ارتياب، ينظر: لسان العرب، ما دة (زعم): ٣٣ / ٧ - ٣٥.

(٢) ينظر: نفحات الولاية: ٣٧٤ / ٩.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨٣ / ١٥ (ك ٢٨).

(٤) جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري: ١٦١ / ٢، شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٥٣١ / ٤.

(٥) ينظر: جمهرة الأمثال: ١٦١ / ٢.

المبالغ في النصح لمن لا ينتصح أي ربما تنشأ التهمة من إخلاص النصيحة عند من لا يقبلها))<sup>(١)</sup>، فالإمام (عليه السلام) أكثر من نصحه لعثمان بن عفان وهذا ما ذكره في كلام سابق من الرسالة نفسها، فقال: ((فَأَيْنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ، وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ! أَمَنْ بَدَّلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكْفَهُ، أَمِنْ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاحَى عَنْهُ وَبَثَّ الْمُنُونِ إِلَيْهِ))<sup>(٢)</sup>.

ويقصد الإمام (عليه السلام) معاوية الذي تقاعس عن نصرة عثمان بن عفان في أحداث الفتنة، في حين كان الإمام علي (عليه السلام) قد وقف إلى جانبه إذ أرسل ولديه لحمايته، ولم يبخل بالنصيحة حتى لو أسيء الظن به ونتيجة لإسرافه في النصح والوعظ أتهم فتمثل بهذا الشطر من البيت ولو تأملنا هذا التناص لربنا أن هذا الشطر بدأ بحرف العطف الذي وصله بالكلام السابق له كما في التناص السابق وقد سبقته جملة (رب ملوم لا ذنب له) وهو مثل لأكثر من صيفي، ((ويضرب لمن قد ظهر للناس منه أمر أنكروه عليه وهم لا يعرفون حجته وعذره فيه))<sup>(٣)</sup> مما يصور ترابطهما المعنوي واشتراكهما في الحكم. فهذان التناصان وإن صدرا عن شخص واحد في سياقين مختلفين إلا إن استحضارهما جاء ليؤكد براءة الإمام (عليه السلام) من التهم التي وجهها معاوية إليه والرد عليه ويفهم ذلك من المعنى الذي يدركه المتلقي منهما بمجرد سماعه لهذه النصوص الأدبية. ففي الموضوعين السابقين اقتصر التناص على الشطر الثاني للبيتين، أما في الموضوع الثالث فقد استحضر الإمام (عليه السلام) الشطر الأول من البيت الذي ورد فيه، وذلك في قوله: ((وَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلَا صَحَابِي عِنْدَكَ إِلَّا السَّيْفُ، فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ! مَتَى أَلْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الْأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ، وَبِالسَّيْفِ مُخَوِّفِينَ.

#### لَبِثَ قَلِيلًا يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمَلٌ

فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ، وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوِكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِأِحْسَانٍ، شَدِيدِ زَحَامِهِمْ، سَاطِعِ قَتَامِهِمْ، مُتَسَرِّبِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ، أَحَبُّ النَّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءَ رَبِّهِمْ، وَقَدْ صَحِبْتَهُمْ ذُرِيَّةً بَدْرِيَّةً، وَسُيُوفَ هَاشِمِيَّةً، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَخَالِكَ وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ))<sup>(٤)</sup>.

حيث وقع التناص في القول: (لَبِثَ قَلِيلًا يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمَلٌ) وهو الشطر الأول (صدر) من

البيت

يَا جَدَّ أَسْطِنُوتِ نَزَلِ

(١) نهج البلاغة، الشيخ محمد عبده: ٤١٨ / ٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨٣ / ١٥ (ك ٢٨).

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٥٣٠ / ٤.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨٣ / ١٥ - ١٨٤ (ك ٢٨).

وقيل أصله أن مالك بن زهير توعد (حمل بن بدر)، فقال حمل: لبث قليلا يلحق الهيجا حمل (البيت)، فأرسل مثالا يضرب للوعيد، ثم أتى وقتل مالكا فظفر أخوه قيس بن زهير به وبأخيه حذيفة فقتلها<sup>(١)</sup>.

وقد استحضر الإمام علي (عليه السلام) بعد سؤال خرج لمعنى الاستغراب أراد به أن ينفي الخوف عن بني عبد المطلب من الأعداء والسيف فجاء التناص موظفا توظيفا دلاليا لإفادة التهديد (تهديد معاوية) والذي يؤكد ذلك قوله: ((فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ وَأَنَا مَرْقُلٌ نَحْوُكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ شَدِيدٍ زَحَامُهُمْ سَاطِعٌ قَتَامُهُمْ مُتَسَرِّبِينَ سَرَائِيلَ الْمَوْتِ أَحَبُّ الْقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ وَقَدْ صَحِبْتَهُمْ ذُرِّيَّةً بَدْرِيَّةً وَسَيْوْفٌ هَاشِمِيَّةٌ قَدْ عَرَفَتْ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَخَالِكَ وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ))، ففيه ((شروع في المقابلة بالوعيد بالسير الشديد إليه في الجيش العظيم، ووصفه بأوصاف تزلزل أركان العدو من شدة الزحام وسطوع القتام))<sup>(٢)</sup>.

فسر استحضار الإمام (عليه السلام) أشطر الأبيات الثلاثة بجوابه في رسالة إلى معاوية يعود إلى أن رسالة معاوية جاءت متضمنة موضوعات مختلفة يتهم فيها الإمام علي (عليه السلام) ب (حسد الخلفاء، قتل عثمان)، وتخويفه بالسيف فجاءت هذه المقتطعات الشعرية لتقييم علاقات سياقية وبنائية جديدة تشير إلى معان جديدة يتطلبا النص المتضمن لها فتنصهر في بناء مترابط ذي نسيج متساق.

ومن التناص الشعري غير المباشر (المعنوي) ما جاء في كتاب له (عليه السلام) إلى بعض عماله: ((أَمَا بَعْدُ، فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكَتُكَ فِي أَمَانَتِي، وَجَعَلْتُكَ شِعَارِي وَبِطَانَتِي، وَلَمْ يَكُنْ فِي أَهْلِي رَجُلٌ أَوْثَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي، لِمَوَاسَاتِي وَمَوَازَرَتِي، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَيَّ، فَلَمَّا رَأَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلَبَ، وَالْعُدُوَّ قَدْ حَرَبَ، وَأَمَانَةَ النَّاسِ قَدْ خَزَيْتَ، وَهَذِهِ الْأُمَّةُ قَدْ فَتَكَتْ وَشَفَرَتْ، قَلْبَتْ لِابْنِ عَمِّكَ ظَهْرَ الْمَجْنِّ، فَفَارَقْتَهُ مَعَ الْمَفَارِقِينَ، وَخَذَلْتَهُ مَعَ الْخَاذِلِينَ، وَخُنْتَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ فَلَا ابْنَ عَمِّكَ أَسَيْتَ وَلَا الْأَمَانَةَ أَدَيْتَ. وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ لِلَّهِ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ، وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ، وَكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ، وَتَنْوِي غَرَّتَهُمْ عَنْ فِيْنَهُمْ، فَلَمَّا أَمَكَّنْتَكَ الشَّدَّةَ فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْكُرَّةَ، وَعَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ وَاخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْمَصُونَةَ لِأَرَامِلِهِمْ وَأَيَاتِمِهِمْ، اخْتَطَفَ الذَّنْبُ الْأَزْلَ دَائِمِيَّةَ الْمَعْرَى الْكَسِيرَةِ، فَحَمَلْتَهُ إِلَى الْحِجَازِ رَحِيبَ الصَّدْرِ بِحَمَلِهِ، غَيْرَ مُتَأَثِّرٍ مِنْ أَخْذِهِ كَأَنَّكَ - لَا أَبَا لَغَيْرِكَ - حَدَرْتَ إِلَى أَهْلِكَ تَرَاثُكَ مِنْ أَبِيكَ وَأُمَّكَ))<sup>(٣)</sup>.

مع أن الكتاب وضع في الأصل تحت عنوان (إلى بعض عماله)، غير أن ما يذكره الشراح من أنه كتبه إلى ابن عمه (عبد الله بن العباس) لوجود قرائن استدلوها بها لإثبات ذلك كقوله: ((فَلَمَّا رَأَيْتَ

(١) ينظر: جمهرة الأمثال: ٢/ ٢٠٦، المستقصى: ٢/ ٢٧٨، شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٤/ ٥٣١.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٤/ ٥٣٢.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦/ ١٦٧ (ك ٤١).

الزَّمانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلَبَ)) و ((قَلْبَتَ لَابْنِ عَمِّكَ ظَهَرَ الْمَجَنِّ)) و ((ابْنَ عَمِّكَ أَسَيْتَ)) وذهب بعضهم أنه موجه لعبيد الله بن عباس<sup>(١)</sup>. وقد وقع التناص في قوله: ((قَلْبَتَ لَابْنِ عَمِّكَ ظَهَرَ الْمَجَنِّ)) وهو من قول الشاعر (معن بن أوس).

ا ل ف م ل ج ب ن ت ل ف ل م ل ا ر د ي م ل ث م ا ذ ك ا ت ج و ل

لقد جاء التناص معبراً عن الصورة الكنائية وهي التغير والتقلب والتنكر في الأحوال والأمور لهذا القول: ((يضرب مثلاً لمن يكون مع أخيه فيتغير عليه ويصير خصماليه، وأصله أن الرجل إذا كان سلماً لأخيه يكون بطن ترسه إليه فإذا فارقه وصار حوبالاًه يقلب له ظهر ترسه ليدفع به عن نفسه ما يلقاه من شره، فجعل ذلك كناية عن العداوة بعد الصداقة))<sup>(٢)</sup>، فعبر بقوله هذا عن تغير حال ابن عمه وهو تغير انقلب من النقيض إلى النقيض من الصداقة إلى العداوة فترجم التناص عن دلالة التوبيخ لابن عمه لتصرفاته وأحواله.

فبعد تقديمه (عليه السلام) صورة لطبيعة الواقع الذي تعيشه الأمة نجده ينتقل لتقديم صورة لخيانة القريب في خضم أحداث تكالبت وترافقت، قد اشترك فيها الزمن والعدو والأمة فقد أوجع قلب الإمام (عليه السلام) خيانة أقرب الناس إليه (ابن عمه) وتمثلت هذه الخيانة بالمفارقة والخذلان وسرقة أموال الناس، فقد عبرت الصورة الكنائية الثانية عن غضب الإمام (عليه السلام) من هذه الخيانة الظالمة: لذلك قال: ((واختطفت ما قدرت عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وإيتامهم اختطاف الذئب الأزل دامية المعزى الكسيرة)). فالذئب الأزل: الخفيف الوركين كناية عن شدة عدوه وسرعة وثبه على معزى دامية، وهي كناية عن ضعفها فكانت نهاية النص المحلل تكشف عن توبيخ الإمام (عليه السلام) لهذا العامل على نحو أشد وأقوى . فضلاً عن ذلك جاء التناص متوسطاً بين جمل مسجوعة (كلب ، حرب) ، (خزيت ، شغرت) وأخرى بعده (مفارقين ، خاذلين ، الخائنين) ، (أسيت ، أديت)، وكأنه يمثل نقلة موسيقية تتيح فرصة تنويعها على نحو منسجم ومتوازن، مما يشد انتباه المتلقي إلى طبيعة لغة النص وكيفية انتظامها لتعبر عن مقصدية المتكلم بصورة أكثر فاعلية.

ومن التناص المعنوي (غير المباشر) للشعر العربي أيضاً قوله (عليه السلام) في وصية له وصى بها شريح بن هاني، ل ما جعله على مقدمته إلى الشام: ((وَأَعْلَمُ أَنَّكَ إِن لَمْ تَرُدَّ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ مَكْرُوهِ سَمَتَ بِكَ الْأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ))<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦ / ١٧٠، شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ١١٢-١١٣.

(٢) ينظر: المستقصى من أمثال العرب: ٢ / ١٩٨.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٥ / ١١٤-١١٥.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٧ / ١٣٨ (و ٥٦).

وقع التناص هنا مع قول الشاعر:

أذغ ابنة أذ ذذذ " إرلى غ ب ق ت له يال " ت ق ن ج <sup>(١)</sup>

إذ استطاع الإمام (عليه السلام) من حل البيت الشعري ونثره في كلامه من خلال إعادة صياغته بما يتلاءم والسياق النصي للوصية بحيث تنسجم ألفاظه مع ما جاورتها من جمل ومفردات وتراكيب، فتعمل على إيصال المعنى إلى المتلقي، موظفا دلالة الفعل (تردع)<sup>(٢)</sup> الذي ((جسم النفس الإنسانية وأخرجها من عالم المعنويات إلى عالم الوجود المادي... وكأن النفس فرس جامع يحتاج إلى ردع حتى يورد صاحبه موارد الهلكة))<sup>(٣)</sup>.

إذ إن المتلقي يكاد يرى صورة النفس ماثلة أمامه مما عمق دلالة النص، فحين ((تصور المعاني بهيئة الأشخاص تكون أثبت في الأذهان لمقدرة المتلقي الاستعانة بحواسه في تصورها))<sup>(٤)</sup>، فالنفس هي الذات الفاعلة في كلا النصين إلا أن تجسيدها في كلام الإمام (عليه السلام) جعلها أكثر تأثيرا وجذبا للمتلقى مما في البيت الشعري.

### ثالثا التناص التاريخي.

هو تداخل نصوص تاريخية أو شخصيات أو حوادث مع النص المعني بالدراسة والتحليل والغاية من ذلك تأكيد فكرة أو مسألة معينة<sup>(٥)</sup>. وللتناص التاريخي أثر كبير عند وروده في النص، وهذا ما أكده بعض الباحثين بقوله: (( فللتناص التاريخي هدفه عند الكاتب: إيجاد تقارب فكري، ونفسي بين الماضي والحاضر لغرض كشف الحاضر والإشارة الصريحة إلى مساوئه))<sup>(٦)</sup>.

ويتمثل هذا النوع من أنواع التناص في نص واحد فقط، لكن وجوده يؤدي أثرا كبيرا من خلال التحامه مع المعنى الأصلي من أجل خدمة الفكرة المراد إيصالها إلى المتلقي، وذلك في قوله (عليه السلام) في كتاب له إلى شريح بن الحارث قاضي الإمام (عليه السلام) " ما بلغه أنه اشترى دارا بثمانين ديناراً: ((اشترى هذا المغتر بالأمل، من هذا المزعج بالأجل هذه الدار بالخروج من عز القناعة، والدخول في ذل الطلب والضراعة؛ فما أدرك هذا المشتري فيما اشترى منه من درك. فعلى مبيل أجسام الملوك، وسالب نفوس الجبابرة، ومزبل ملك الفراغنة، مثل كسرى وقيصر، وتبع وحمير، ومن جمع المال على المال فأكثر، ومن بنى وشيد، وزخرف

(١) ديوان الهذليين: ٣/١.

(٢) (الردع العنق: وسمي العنق ردعاً لأنه به يردع كل ذي عنق من الخيل وغيرها)، لسان العرب، مادة (ردع): ١٣٥/٦.

(٣) الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة، دراسة أسلوبية: ٢٢٦.

(٤) نفسه: ٢٢٦.

(٥) ينظر: المظاهر البديعية في خطب الإمام علي (عليه السلام)، دراسة بلاغية: ٢٢٥.

(٦) رؤيا الملك، أومانانا وستافروب، دراسة أسلوبية، (بحث منشور)، د. فاضل عبود التميمي: ١٧٢.



وَنَجِدَ، وَادَّخَرَ وَاعْتَقَدَ، وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ - إِشْخَاصُهُمْ جَمِيعًا إِلَى مَوْقِفِ الْعُرْضِ وَالْحِسَابِ، وَمَوْضِعِ التَّوَابِ وَالْعِقَابِ، إِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ بِفِصْلِ الْقَضَاءِ، ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى، وَسَلِمَ مِنْ عَلَاقِ الدُّنْيَا))<sup>(١)</sup>.

لقد تمثل: التناسل التاريخي في هذا النص في ما ذكره من حال ملوك الأمم السابقة مع ما لهم من عزوقه فهو إلى زوال بفعل الموت، إنها انتقاله من الماضي إلى الحاضر (زمن القاضي شريح بن الحارث) فهذا هو تأثير التناسل ((فالارتداد إلى الماضي، أو استحضاره من أكثر الأمور فعالية في عملية الإبداع، فقد يحدث تماس ... يؤدي إلى تشكيلات تداخلية))<sup>(٢)</sup>، تسهم في رقي النص وتزيد من قيمته الجمالية التي بدورها تعمل على إقناع المتلقي بالفكرة المعروضة عليه، فلا يشك بشيء، إذ توجه الإمام (عليه السلام) إلى التاريخ ليستخرج منه الدليل والبرهان على صدق ما يقول، والجامع بين الحاليين هو أن ((الملوك المضمون هو ما ستلقاه أماننا، وما نملكه في الدنيا إلى زوال، وإن لم يكن كذلك فنحن الزائلون، فلا ينفع ما بنينا، وما شيدناه، وزخرفناه))<sup>(٣)</sup>.

ومما يلفت الانتباه هنا تأكيدات الدلالة من خلال: التناسل القرآني: ((خسر هنالك المبطلون)) وهو تناسل من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِّنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>. لقد جاءت الآية الكريمة في النص في موقعها المناسب، فلولا ((ذكرها لبقى الكلام ناقصا ومثلوما وأوصلنا السامع إلى ساحة الاعتبار، والتفكير، وجعلته على مشارف نجدتين، كلاهما يدعوه ألا يكون من الخاسرين، وفي اسم الإشارة (هنالك) إحالة إلى المكان البعيد للدلالة على البعد الزمني الناتج من الإشارة إلى البعد المكاني، لأن الكاهن يوم القيامة وما كان الإمام (عليه السلام) في مقام الدعوة إلى التذكير والتقريع، والترهيب لزم استحضار آية تزيد من هذا كله، فكانت شديدة الوقع على النفس، لإيرادها بصورة مفاجئة، فأدت غرضها))<sup>(٥)</sup>.

إذن فالإمام في ضوء نصحه وإرشاده لقاضيه شريح بن الحارث عندما بلغه شراؤه داراً من غير ماله وحلاله ينطلق من تناسل أحدهما مكمل للآخر لخدمة الغرض الوعظي الديني بل أن من يهتم بالأمور الدنيوية الزائلة كمال هؤلاء الملوك الزائلين.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٧-٢٨ / ١٤ (ك ٣).

(٢) قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، د. محمد عبد المطلب: ١٤٢.

(٣) الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة، دراسة أسلوبية: ٤٠.

(٤) غافر: ٧٨.

(٥) الاقتباس والتضمين في نهج البلاغة، دراسة أسلوبية: ٤٠.

يتضح لنا في دراسة كل أنواع التناص أنها عملت على ربط أجزاء النص بعضها ببعض، وعلى تداخل وتعالق نص حاضر ونص غائب لخلق نص جديد يحمل دلالات جديدة؛ للتعبير عن ظروف أو مواقف تستدعيها ملغية كل الفوارق بين الأجناس الأدبية، فهو عملية دينامية مستمرة تحصل بين النصوص لتخدم كلا من الكاتب والمتلقي في عملية التواصل والتفاهم الناجح بينهما، إذ تلغى فيه كل الحدود بين الماضي والحاضر. فقد استطاع الإمام علي (عليه السلام) الإفادة من هذه المصادر في إثراء لغته وإبراز ثقافته الإسلامية، وأن يوظفها توظيفاً فنياً محكما تكاد تختفي معالمه وصوره إذ كانت جزءاً لا يتجزأ من كلامه، الذي لم يأت خالصاً لذاته، وإنما جاء مبنياً على طريقة المزج بينها، مما جعلها تسري في نصوص الرسائل والوصايا سرياناً انسيابياً وقد أدى ذلك إلى أن تكون تلك المصادر لبناً تزيد من قوة تماسك البناء الفني لنصوصه، كذلك عملت على نقل تلك النصوص من حيز البساطة إلى حيز الوعي الفني في صرح لغوي بناء بعيداً عن التقرير إلى الإيحاء.

## الخاتمة

- بعد هذه الرحلة الطويلة مع نصوص الرسائل والوصايا في نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) خُص البحث إلى جملة من النتائج، وهي:
- تتوافق رسائل الإمام (عليه السلام) ووصاياه مع مفهوم النص في الدراسات النصية، لذا صح دراستها في ضوء علم لغة النص.
  - لم تكن نصوص الرسائل والوصايا على مستوى واحد من حيث الإيجاز والإطناب فهي تقصر وتطول حسب موضوع النص والظرف الذي كتبت فيه وطبيعة العلاقة مع المرسل إليه، وعلى الرغم من ذلك فإن سمة الإطناب تظهر عمومًا في موضوع الوعظ والنصح، وقد يكون السبب في ذلك الجو السياسي العام، وتعدد الأحزاب والفرق، فكان لزامًا عليه العمل على إقناع الناس بوجهة نظره، فكان لابد من الإلحاح على الفكرة، وكأن تلك النصوص تشبه إلى حد ما القوانين والأنظمة التي نراها الآن، من حيث بيان الأسباب الموجبة والتعليل والأحكام ونحوها.
  - عدم استقرار بعض المفاهيم والمصطلحات التي دارت حولها هذه الدراسة عند الباحثين أو الدارسين في علم النص مما يعكس وجهات النظر لهذه المفاهيم واختلاف الخلفيات المعرفية لكل منهم.
  - تبين في البحث فعالية عناصر الاتساق (الصوتي، المعجمي، والنحوي) أثناء التحليل النصي، فهي تعين على الفهم، وترابط أجزاء النص من بدايته إلى نهايته.
  - إن الاستبدال الذي يتم على المستوى المعجمي تتحقق فيه علاقة بين طرفين مستبدل ومستبدل، ومن هنا يمكن النظر إلى وجود العنصر المستبدل في العنصر المستبدل واستمراره فيه، كما أنه تنشأ بينهما علاقة تقابل، فتأويل أحدهما وفهمه يتوقف على الرجوع إلى العنصر الآخر، وعليه يغدو الاستبدال عنصرًا مهمًا في اتساق نصوص الرسائل والوصايا.
  - الاتساق التام بين المتضادات على المستوى المعجمي، فشكل هذه المتضادات متناغم ومتشابه من خلال الائتلاف في مبانيها والمفارقة بينها لا تكون إلا في جهة المعنى فقط.
  - كان توظيف الألفاظ المترادفة مهمًا جدًا في رفع مستوى الكفاءة الإعلامية للنص على نحو أكثر من تكرار اللفظ نفسه في النص.
  - تعد الإحالة من أكثر مظاهر الاتساق النحوي في نصوص الرسائل والوصايا، فضلًا عن أن الإحالة بالضمائر كانت من أكثر أنواع الإحالات ورودًا في هذه النصوص فلا يكاد يخلو نص منها.
  - يتظاهر مظهر الحذف والعطف في تحقيق الإيجاز والاختصار داخل النص مما يجعله يتسم بالترابط والتماسك.

- إن توظيف الإمام (عليه السلام) للتوازي التركيبي جاء لخدمة النص فلم يجعله هدفاً يبتغيه أو عبئاً يثقل كاهل البنية الدلالية لنصوص الرسائل والوصايا، بل جاء متجاوباً مع حاجة النص ومتطلبات الدلالة.
- يعد الانسجام معياراً مهماً من المعايير التي يتم توظيفها في فهم نصوص الرسائل والوصايا في نهج البلاغة من خلال التمثل الدلالي للنص، ومن أبرز مظاهره التي أغلبها علاقات ضمنية، عملت بين القضايا على بناء موضوع الرسالة أو الوصية، فالانسجام مرتبط بالبنية الكلية للنص وموضوعه الأساس، كذلك يتجاوز إلى الحكم بالانسجام بين مجموعة من النصوص التي تتسم بوحدة الموضوع.
- إن عناصر الاتساق والانسجام قد تضافرت في تشييد البنية الدلالية لهذه النصوص المدروسة، مما دفع إلى نوع من اليسر في تحليلها، وهو مما يمكننا من الحكم عليها أنها نصوص مترابطة ومتماسكة.
- تعد القصيدة المعيار المهيمن على كل المعايير النصية، فكل لفظة يكتبها الإمام (عليه السلام) أو يختارها، وكل تركيب يذكره، وكل نص يوجهه لا يخلو من القصيدة التي يرجوها الإمام (عليه السلام) فيه، التي تكون إما مباشرة أو غير مباشرة.
- إن معيار المقبولية مترتب على معياري الاتساق والانسجام، ولا شك أن هذه المعايير تعمل متضافرة للوصول إلى الغاية المرجوة من كتابة الرسالة أو الوصية، وهي إيصال أفكاره (عليه السلام) فيما يتعلق بالجوانب السياسية والاجتماعية والدينية إلى المتلقي، فكانت طريقة إنتاج هذه النصوص لها تأثير كبير وبارز في قبولها.
- لقد كان التناس من المعايير النصية الحاضرة في معظم نصوص الرسائل والوصايا ويكثر ويتنوع كلما كبر حجم النص، كذلك يعد التناس الديني من أكثر أنواع التناس حضوراً فيها.
- أخيراً أظهر تطبيق هذا النوع من الدراسة انفتاح نصوص الرسائل والوصايا على كل الأزمان والأمكنة، فأوامر الإمام (عليه السلام) وتعليماته ونصائحه صالحة للتنفيذ في كل زمان ومكان شاملة لكل الأشخاص على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم ومستوياتهم.
- تم تعزيز الأطروحة بملاحق - جداول إحصائية - تؤكد - السجع، الجناس، الاستبدال، الإحالة، ... في الرسائل والوصايا في نهج البلاغة وتعزز الدراسة النصية.

## المصادر والمراجع

### القرآن الكريم

- أبنية الصرف في كتاب سيبويه، د. خديجة الحديثي، ط ١، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
- الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، د. علي عزت، ط ١، دار نوبار للطباعة، شركة ابو الهول للنشر، القاهرة، مصر، ١٩٩٦م.
- اجتهادات لغوية، د. تمام حسان، ط ١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- الإحالة في القرآن الكريم، د. عباس علي الأوسي، ط ١، دار ضفاف للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ٢٠١٢م.
- الإحالة في نحو النص، د. أحمد عفيفي، د. ط.، كلية دارالعلوم، جامعة القاهرة، د.ت.
- إحكام صنعة الكلام في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس، الكلاعي (ت ٥٥٠هـ)، تح: محمد رضوان الداية، ط ٢، بيروت، ١٩٨٥م.
- أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، فايز عبد النبي فلاح القيسي، ط ١، دار البشير، عمان، الأردن، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- أدوات النص، محمد تحريشي، د. ط.، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٠م.
- أساليب بلاغية (الفصاحة - البلاغة - المعاني)، د. أحمد مطلوب، ط ١، الناشر وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٩م - ١٩٨٠م.
- أساليب المعاني في القرآن الكريم، السيد جعفر السيد باقر الحسيني، ط ١، مطبعة مؤسسة بوستان، كتاب، قم المقدسة، إيران، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط ١، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م.
- أسرار البلاغة في علم البيان، الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، تح: ه. ريتز، (د. ط.)، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د. ت.
- الأسس الجمالية في النقد العربي (عرض وتفسير ومقارنة)، د. عز الدين اسماعيل، د. ط.، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- أسس لسانيات النص، مارغوت هاينمان وفولفغنغ هاينمان، تر: أ. د. موفق محمد جواد المصلح، ط ١، دار المأمون، بغداد، ٢٠٠٦م.

- الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د. مجيد عبد الحميد ناجي، ط١، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.
- الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)، أحمد الشايب، ط٧، مطبعة السعادة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.
- أسلوب طه حسين في ضوء الدرس اللغوي الحديث، البدر اوي زهران، د.ط.، دار المعارف، مصر، د.ت.
- أسلوب علي بن أبي طالب (عليه السلام) في خطبه الحربية، د. علي أحمد عمران، د. ط.، المكتبة المتخصصة بأمير المؤمنين (عليه السلام)، مشهد المقدسة، إيران، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.
- الإسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، د. فتح الله أحمد سليمان، د.ط.، الدار الفنية للنشر والتوزيع، ١٩٩٠م.
- أصوات اللغة، د. عبد الرحمن أيوب، ط٢، مطبعة الكيلاني، ١٩٦٨م.
- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ط٣، مطبعة محمد عبد الكريم حسان، الناشر، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٧م.
- الأصوات اللغوية، د. زين الخويسكي، ط١، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس (نحو النص)، محمد الشاوش، ط١، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د. محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.
- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، د. فاضل مصطفى الساقى، د.ط.، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
- الألسنية (محاضرات في علم الدلالة)، د. نسيم عون، ط١، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.
- انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، د. سعيد يقطين، ط٢، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م.
- أنوار الربيع في أنواع البديع، السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت ١١٢٠هـ)، تح: شاكراهادي شكر، ط١، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٨هـ - ١٣٨٩هـ / ١٩٦٨م - ١٩٦٩م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- بدائع الفوائد أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تح: علي بن محمد العمران، (د. ط.)، دار الحاكم للفوائد للنشر والتوزيع، د.ت.

- البديع، عبد الله بن المعتز (ت ٢٩٦هـ)، تح: اغناطوبوس كراتشكوفسكي، ط٣، دار المسيرة، الكويت، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، د. جميل عبد المجيد، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.
- البديع تأصيل وتجديد، د. منير سلطان، د. ط.، مركز دلتا للطباعة، الناشر منشأة معارف، الإسكندرية، ١٩٨٦م.
- البديع والتوازي، د. عبد الواحد حسن الشيخ، ط١، مطبعة الإشعاع الفنية، مصر، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
- بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، د. ط.، عالم المعرفة، ١٩٩٢م.
- البلاغة العربية أسسها وفنونها وصور من تطبيقاتها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط١، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٦م.
- البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم البديع)، د. بكري شيخ أمين، ط١، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.
- البلاغة العربية (قراءة أخرى)، د. محمد عبد المطلب، ط١، دار نويار للطباعة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، القاهرة، مصر، ١٩٩٧م.
- بلاغة الكتاب في العصر العباسي (دراسة تحليلية نقدية لتطور الأساليب)، د. محمد نبيه حجاب، ط٢، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، ط١، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- بلاغة النهج في نهج البلاغة، د. عباس علي الفحام، ط١، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
- البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، طبع في دار نويار للطباعة، القاهرة، ١٩٩٤م.
- بناء الأسلوب في شعر الحدائث (التكوين البديعي)، د. محمد عبد المطلب، ط٢، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٩٥م.
- بنية اللغة الشعرية، جان كوهن، تر: محمد الولي ومحمد العمري، ط١، دار توبقال، المغرب، ١٩٨٦م.
- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، الشيخ محمد تقي التستري، ط١، مطبعة سيمر، دار أمير كبير للنشر، طهران، إيران، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- بهجة خاطر ونزهة الناظر في الفروق اللغوية والاصطلاحية، الشيخ يحيى بن حسين بن عشيرة البحراني، تح: أميررضا عسكري زادة، د. ط.، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د. ت.

- البيان والتبيين، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٧، مطبعة المدني، الناشر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، تر: د. عبد الحكيم النجار، ط ٥، دارالمعارف، د. ت.
- تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، ط ٥، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
- تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بن هبة الله الشافعي بابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١هـ)، تح: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة، د. ط.، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
- تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع المصري (ت ٦٥٤هـ)، تح: د. حنفي محمد شرف، يشرف على إصدارها محمد توفيق عويضة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة أحياء التراث الإسلامي، (د. ط.)، الجمهورية العربية المتحدة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.
- تحليل الخطاب، بروان ويول، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، د. ط.، جامعة الملك سعود للنشر العلمي والمطابع، السعودية، ١٩٩٧م.
- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، د. محمد مفتاح، ط ٣، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٢م.
- التحليل اللغوي للنص (مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج)، كلاوس برينكر، تر: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط ١، القاهرة، مصر، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.
- التداولية عند العلماء العرب ((دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي)، د. مسعود صحراوي، ط ١، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.
- الترابط النصي بين الشعر والنثر، د. زاهر بن مرهون الداودي، ط ١، دار جرير للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ.
- تصنيف نهج البلاغة، لبيب بيضون، ط ٣، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، قم، إيران، ١٣٧٥هـ-١٤١٧هـ.
- التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، د. ط.، دار الشروق، (د. ت.).
- التعبير الفني في القرآن الكريم، د. بكري شيخ أمين، ط ٣، دار الشروق، حلب، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- التفاعل النصي (التناصية، النظرية والمنهج)، نهلة فيصل الأحمد، ط ١، شركة الأمل للطباعة والنشر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٠م.
- التقابل والتماثل في القرآن الكريم، د. فايز القرعان، ط ١، المركز الجامعي للنشر والدعاية والإعلان، ١٩٩٤م.
- التكرار، د. حسين نصار، ط ١، الشركة الدولية للطباعة، الناشر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
- التكرير بين المثير والتأثير، د. عز الدين علي السيد، ط ٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.



- التلقي والتأويل (مقاربة نسقية)، د. محمد مفتاح، ط ١، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤م.
- التنعيم اللغوي في القرآن الكريم، د. سمير إبراهيم وحيد العزاوي، د. ط، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- توضيح نهج البلاغة، السيد محمد الحسيني الشيرازي، ط ١، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
- جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، د. ماهر مهدي هلال، د. ط، دار الحرية للطباعة، دار الرشيد للنشر، ١٩٨٠م.
- الجملة الإسمية، د. علي أبو المكارم، ط ١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري (ت ٤٠٠هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ط ٢، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩هـ)، تح: فخر الدين قيادة، محمد نديم فاضل، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- حركة التاريخ عند الإمام علي (عليه السلام) دراسة في نهج البلاغة، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، ط ٤، المؤسسة الدولية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٧م.
- حسن التوسل إلى صناعة التوسل، شهاب الدين محمود الحلبي (ت ٧٢٥هـ)، تح: أكرم عثمان يوسف (د. ط)، دار الحرية للطباعة، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، مطبعة دار الكتب المصرية، د. ط، ١٣٧٦هـ / ١٩٧٥م.
- خصائص الأسلوب في الشوقيات، محمد الهادي الطرابلسي، د. ط، منشورات الجامعة التونسية، طبع بالمطبعة للجمهورية التونسية، ١٩٨١م.
- خصائص التراكم (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني)، د. محمد محمد أبو موسى، ط ٤، أميرة للطباعة، الناشر مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية (قراءة نقدية لنموذج معاصر)، د. عبد الله الغدامي، ط ٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م.
- خواطر من تأمل لغة القرآن الكريم، د. تمام حسان، ط ١، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

- الدراسات الهمجية والصوتية عند ابن جني، د. حسام سعيد النعيمي، د.ط.، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠م.
- دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، (د.ط.)، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- درس النحو النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، د. أشرف عبد البديع عبد الكريم، د.ط.، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- الدلالة والنحو، د. صلاح الدين صالح حسنين، ط١، توزيع مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، د.ت.
- دلائل الإعجاز، الإمام عبد القاهر الجرجاني قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاعر، ط٣، مطبعة المدني، شركة القدس للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي (شرح نهج البلاغة)، أبو الحسين يحيى بن حمزة بن علي الحسيني العلوي (ت ٧٤٩هـ)، ط١، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، اليمن، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- دينامية النص (تنظير وانجاز)، د. محمد مفتاح، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٧م.
- ديوان الهذليين، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م.
- رسائل الإمام علي (عليه السلام) (دراسة أدبية نقدية)، د. كامل حسن عزيز البصير، ط١، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- رسائل الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة (دراسة لغوية)، رملة خضير مظلوم البديري، العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف، العراق، ٢٠١٢م.
- سيميائية النص الأدبي، أنور المرتجي، د.ط.، أفريقيا الشرق، ١٩٨٧م.
- شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري (ت ٧٦٩هـ)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- شرح الرضي على الكافية، محمد بن الحسن الرضي الأسترابادي (ت ٦٨٦هـ)، تح: يوسف حسن عمر، ط٢، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، (د.ت.).
- شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الأسترابادي النحوي، تح: محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد، (د.ط.)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت.).
- شرح المفصل، موفق الدين بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ)، د.ط.، المنيرية، القاهرة، مصر، د.ت.
- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، تح: محمد ابو الفضل إبراهيم، ط٢، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

- شرح نهج البلاغة، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ)، ط١، مطبعة وفا، قم، إيران، ١٤٢٧هـ.
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي (ت ٣٩٥هـ)، تح: د. عمر فاروق الطباع، ط١، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أبو العباس أحمد القلقشندي، (ت ٨٢١هـ)، (د. ط.)، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م.
- الصورة الفنية في المثل القرآني، د. محمد حسين علي الصغير، د. ط.، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والأعلام، الجمهورية العراقية، بغداد، ١٩٨١م.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي، (د. ط.)، مطبعة المقتطف، ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م.
- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، د. طاهر سليمان حمودة، د. ط.، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.
- العربية الفصحى، هنري فليش، تر: د. عبد الصبور شاهين، ط٢، دار المشرق ش. م. م.، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.
- العلاماتية وعلم النص (نصوص مترجمة)، اعداد وترجمة: د. منذر عياشي، ط١، بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٤م.
- علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، د. صلاح فضل، ط١، منشورات دار الآفاق الجديد، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.
- علم الأصوات، د. كمال محمد بشر، د. ط.، دار غريب، القاهرة، مصر، ٢٠٠٠م.
- علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ط٥، مكتبة دارعالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م.
- علم اللغة العام، فردينان دي سوسور، تر: د. يؤئيل يوسف عزيز، (د. ط.)، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٥م.
- علم اللغة (مقدمة للقارئ العربي)، د. محمود السعران، (د. ط.)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د. ت.).
- علم اللغة المعاصر (مقدمات وتطبيقات)، يحيى عباينة وأمنة الزعبي، د. ط.، دار الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع، أربد، الأردن، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- علم اللغة النصي (دراسة تطبيقية على السور المكية)، د. صبحي إبراهيم الفقي، ط١، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

- علم لغة النص بين النظرية والتطبيق، د. عزة شبل محمد، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، سعيد حسن بحيري، ط١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر الجديدة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
- علم النص، جوليا كريستيفا، تر: فريد الزاهي، ط٢، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٧م.
- علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، تون أ. فان دايك، تر: سعيد حسن بحيري، ط٢، دار القاهرة، القاهرة، مصر، ٢٠٠٥م.
- علم النفس في نهج البلاغة، هاشم حسين ناصر المحنك، ط١، مطبعة القضاء، منشورات دار الوفاق، النجف، ١٩٩٠م.
- العمدة في محاسن الشعر وأدبه ونقده، ابو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٥٦هـ)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، سوريا، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- غريب نهج البلاغة (أسبابه، أنواعه، توثيق نسبه، دراسته)، د. عبد الكريم حسين السعداوي، مكتبة الروضة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
- الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٤٠٠هـ)، علق عليه ووضع حواشيه محمد باسل عيون السود، ط٢، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- فقه اللغة العربية، د. كاصد ياسر الزبيدي، ط١، دار الفرقان للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، ٢٠٠٥م.
- فقه اللغة وخصائص العربية - دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصل في التجديد والتوليد -، د. محمد المبارك، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٤م.
- فن الجناس (بلاغة- أدب- نقد)، علي الجندي، د.ط.، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، مصر، ١٩٥٤م.
- في أصول الخطاب النقدي الجديد، تزفتان توردورف - رولان بارت - امبرتوايكو، مارك انجينو، تر: أحمد المديني، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.
- في البنية والدلالة (رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية)، د. سعد أبو الرضا، د.ط.، منشأة المعارف بالإسكندرية، د.ت.
- في الشعر، أرسطو طاليس، نقل أبي بشرمتي بن يونس المقناني من السرياني إلى العربي، حققه مع ترجمة حديثة ودراسة لتأثيره في البلاغة العربية، د. شكري محمد عياد، د.ط.، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م.

- في الشعرية، كمال أبو ديب، ط١، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، ١٩٨٧م.
- في ظلال نهج البلاغة، الشيخ محمد جواد مغنية، تح: سامي الغريزي، ط١، مطبعة ستار، الناشر مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.
- في علم اللغة عند العرب ورأي علم اللغة الحديث، د. شرف الدين علي الراجحي، د.ط.، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م.
- في قراءة النص، د. قاسم المومني، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، ١٩٩٩م.
- في نظرية الأدب، د. شكري عزيز الماضي، ط١، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.
- قراءات أسلوبية في الشعر الحديث، د. محمد عبد المطلب، د.ط.، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م.
- قراءات بلاغية، د. فاضل عبود التميمي، ط١، دار الضياء للطباعة والتصميم، النجف، العراق، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، د. محمد عبد المطلب، ط١، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، ١٩٩٥م.
- الكامل في التاريخ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني بن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، مراجعة: د. سمير شمس، ط١، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م.
- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار ضياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.
- كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، العلامة محمد علي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تر: د. علي دحروج، نقل للض الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناتي، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م.
- الكلمة دراسة لغوية معجمية، د. حلمي خليل، ط٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٨م.
- الكلمة في اللسانيات الحديثة، د. عبد الحميد عبد الواحد، ط١، مطبعة النفير الفني، صفاقس، تونس، ٢٠٠٧م.
- لذة النص، رولان بارت، تر: د. منذر عباشي، ط١، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ١٩٩٢م.

- لسان العرب، الإمام العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١ هـ)، ط٧، دارصادر، بيروت، د.ت..
- لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، د. محمد خطابي، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩١ م.
- لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، د. أحمد مداس، ط٢، عالم الكتب، أربد، الأردن، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.
- لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمداني أنموذجا ليندة قياس، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، د.ط..، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤ م.
- اللغة والمعنى والسياق، جون لاينز، تر: عباس صادق الوهاب، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، ١٩٨٧ م.
- مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر، أ. ريتشاردز، ترجمة وتقديم وتعليق: د. مصطفى بدوي، مراجعة: د. لويس عوض وسمير القلماوي، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥ م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧ هـ)، تح: د. أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، د.ط..، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، د.ت.
- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني (ت ٥١٨ هـ)، تح: محمد محي الدين بن عبد الحميد، د.ط..، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م.
- مجهول البيان، د. محمد مفتاح، ط١، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠١٦ م.
- مدخل إلى الدلالة الحديثة، عبد المجيد جحفة، ط١، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ٢٠٠٠ م.
- المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري الحمد، د.ط..، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.
- مدخل إلى علم لغة النص، روبرت دي بوجراند، تر: إلهام أبو غزالة وعلي الحمد، د.ط..، مكتبة التربية، نابلس، مطبعة دار الكاتب- سمير أميس، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.
- مدخل إلى علم لغة النص، فولفجانج هاينه مان وديتر فيمفجر، تر: سعيد حسن بحيري، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ٢٠٠٤ م.
- مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه مان وديتر فيمفجر، تر: فالح بن شبيب العجمي، (د.ط.)، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٩ هـ.
- مدخل إلى علم النص (مشكلات بناء النص)، زتسيسلاف وأورزنيك، تر: د. سعيد حسن بحيري، ط١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.

- مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقاته، محمد الأخضر الصبيحي، ط ١، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر العاصمة، الجزائر، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- مدخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر مع ملحق قاموس المصطلحات الأدبية، د. سمير حجازي، ط ١، دار التوفيق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، بسام قطوس، ط ١، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٦م.
- مدرسة الكوفة ومنهجها في النحو واللغة، د. مهدي المخزومي، ط ٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م.
- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب المجذوب، ط ٢، بيروت، ١٩٧٠م.
- المستقصى من أمثال العرب، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، (ت ٥٣٨هـ)، ط ١، مطبوعات دار المعارف، حيدرآباد، الهند، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م.
- المستويات الجمالية في نهج البلاغة، دراسة في شعرية النثر، نوفل أبو رغيف، ط ١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ٢٠٠٨م.
- المصطلحات الأدبية الحديثة (دراسة ومعجم إنجليزي-عربي)، د. محمد عناني، ط ٣، طبع في دار نوبار للطباعة، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونغمان، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب (دراسة معجمية)، د. نعمان بوقرة، ط ١، دار الكتاب العالمي، عمان، الأردن، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٩م.
- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغنو، تر: محمد يحياتن، ط ١، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م.
- معاني الأبنية في العربية، د. فاضل صالح السامرائي، د. ط. جامعة الكويت/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية، الكويت، ساعدت جامعة بغداد على نشره، د. ت.
- معاني القرآن الكريم، النحاس (ت ٣٣٨هـ)، تح: الشيخ محمد علي الصابوني، ط ١، مركز احياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، السعودية، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.
- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، ط ٢، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.
- المعايير النصية في القرآن الكريم، د. أحمد محمد عبد الراضي، ط ١، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.
- المعجم الأدبي، جبور عبد النور، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.
- معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو - دومينيك منغنو، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، (د. ط.)، مطبعة المغرب للنشر، منشورات دار سيناترا المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠٠٨م.

- معجم اللسانيات، جورج موان، تر: جمال الحضري، د.ط.. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ٢٠١٢م.
- معجم مصطلحات النقد العربي القديم، د. أحمد مطلوب، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ٢٠٠١م.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي عن الكتب الستة وعن مسند الدرّامي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل، رتبه ونقحه لفيف من المستشرقين، نشره د. أ. ي. ونسنتك، مكتبة بريل، لندن، ١٩٦٣م.
- معجم النقد العربي القديم، د. أحمد مطلوب، ط١، طباعة ونشر دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية)، بغداد، ١٩٨٩م.
- المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، د. علي توفيق الحمد ويوسف جميل الزعبي، ط٢، دار الأمل، الأردن، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبد السلام محمد هارون، د.ط.. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- المعنى في الدراسات البلاغية (الثراء - التمكين - التوجيه)، د. مزاحم مطر حسين، ط١، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ٢٠١٣م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري، تح: د. عبد اللطيف محمد الخطيب، (د.ط.)، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبو بكر محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م.
- مقالات في اللغة والأدب، د. تمام حسان، ط١، عام الكتب، القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- من بلاغة النظم العربي (دراسة تحليلية لمسائل وعلم المعاني)، د. عبد العزيز عبد المعطي عرفة، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
- من النص إلى الفعل (أبحاث التأويل)، بول ريكور، تر: محمد برادة، حسان بورقيه، ط١، دار روتابرينت للطباعة، الناشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠١م.
- مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، د. ط.. دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م.
- مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، أمين الخولي د.ط.. دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٦١م.
- المنزح البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد القاسم السجلماسي (ت ٧٠٤هـ)، تح: علال الغازي، ط١، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م.



- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، العلامة المحقق ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، تح: علي عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبو الحسن حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ)، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط٣، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.
- نتائج الفكر، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت ٥٨١هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م.
- النثر في العصر الجاهلي، د. هاشم صالح متاع، ط١، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م.
- النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، د. هناء محمود إسماعيل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
- نحو المعاني، أحمد عبد الستار الجواري، د. ط.، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٦م.
- نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، د. أحمد عفيفي، ط١، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ٢٠٠١م.
- نحو النص (إطار نظري ودراسات تطبيقية)، عثمان أبو زنيد، ط١، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
- نحو النص بين الأصالة والحداثة، د. أحمد محمد عبد الراضي، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- نحو النص (نقد النظرية... وبناء أخرى)، د. عمر محمد أبو خرمة، ط١، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ١٤٢٥م/٢٠٠٤م.
- النداء في اللغة والقرآن، د. أحمد محمد فارس، ط١، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- نسيج النص (بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً)، الأزهر الزناد، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٣م.
- النص الغائب (تجليات التناص في الشعر العربي)، محمد عزام، د. ط.، دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.
- النص من القراءة إلى التنظير، د. محمد مفتاح، ط١، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، تر: تمام حسان، ط١، الناشر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، د. مصطفى حميدة، ط١، دار نوبار للطباعة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، القاهرة، مصر، ١٩٩٧م.

- نظرية أفعال الكلام كيف ننجز الأشياء بالكلام، أوستين، تر: عبد القادر قيني، د.ط.. أفريقيا الشرق، ١٩٩١م.
- نظرية علم النص (رؤية منهجية في بناء النص النثري)، د. حسام أحمد فرج، ط٢، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
- نفحات الولاية، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط١، دار جواد الأئمة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.
- نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٢٧هـ)، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، د.ط.. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.
- نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز، الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت ٢٠٩هـ)، تح: د. نصر الله حاجي مفتي أوغلي، ط١، دار صادر، بيروت، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.
- نهج البلاغة الإمام علي بن أبي طالب، ضبط نصه وابتكر فهارسه العلمية، د. صبحي الصالح، أنوار الهدى، بيروت، لبنان، ١٣٧٨هـ.
- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، تح: فاتن محمد خليل اللبون، د.ط.. دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الناشر، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، د.ت.
- الهاء في اللغة العربية، د. أحمد سليمان ياقوت، ط١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩م.

## الرسائل والأطاريح

- الاتساق في العربية (دراسة في ضوء علم اللغة الحديث)، (رسالة ماجستير)، جبار سويس حنيحن الذهبي، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- الاتساق في نهج البلاغة (دراسة في ضوء لسانيات النص)، (رسالة ماجستير)، رائدة كاظم فياض العكيلى، كلية التربية (ابن رشد) للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.
- الاتساق والانسجام في سورة الكهف، (رسالة ماجستير)، محمود بوسته، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة، ١٤٢٩هـ / ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٨م - ٢٠٠٩م.
- أثر التفكير الصوتي في دراسة العربية، (أطروحة دكتوراه)، مشتاق عباس معن علي، جامعة صنعاء/ كلية اللغات/ قسم اللغة العربية والترجمة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب (Oheionin English) لـ (م. أ. ك. هاليداي ورقية حسن)، (رسالة ماجستير)، شريفة بلحوت، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، ٢٠٠٥م - ٢٠٠٦م.
- أساليب البديع في نهج البلاغة (دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية)، (أطروحة دكتوراه)، خالد كاظم حميدي الحميداوي، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠١١م.

- اتجاهات لغوية معاصرة، د. سعيد حسن بحيري، مجلة علامات في النقد الأدبي، ع ٣٨، ٢٠٠٠م.
- أثر التكرار في التماسك النصي مقارنة معجمية تطبيقية في ضوء مقالات الدكتور خالد المنيف، د. نوال نيف إبراهيم الحلوة، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، ع ٨، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.
- الأثر الدلالي للأصوات في لغة الرسائل عند الأمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) في نهج البلاغة، د. عبد الكاظم محسن الياسري، ابحاث ودراسات مؤتمر نهج البلاغة سراج الفكر وسحر البيان، الكتاب الأول، ط١، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
- الإجمال والتفصيل، د. فايز الفرعان، مجلة ابحاث اليرموك، مج١٢، ع١٤، ١٩٩٤م.
- أدب الوصايا في العصر الإسلامي، د. سهام الفريح، المورد، مج١٣، ع٣٤، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.
- أدب الوصايا في نهج البلاغة (قراءة في خصائص الأسلوب)، د. مزاحم مطر حسين، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، مج١٤، ع٤، ٢٠١١م.
- الانسجام النصي وأدواته، الطيب الغزالي قواوة، مجلة المخبر، ابحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع٨، ٢٠١٢م.
- أنواع التماسك النصي (التكرار، الضمير، العطف)، مراد حميد عبد الله، مجلة جامعة ذي قار، العدد الخاص، مج٥، حزيران/ ٢٠١٠م.
- التوازي في نهج البلاغة (دراسة في الدلالة التركيبية)، د. فاطمة كريم رسن، مجلة العميد، مج٤، ع٦، شعبان ١٤٣٤هـ/ حزيران ٢٠١٣م.
- الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، د. نغمة رحيم العزاوي، مجلة المورد، مج١٠، ع٣-٤، ٤.
- حيك النصي (منظورات من التراث العربي)، مجلة الدراسات اللغوية، م٣، ع٣، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- رؤيا الملك أومانانا وستافروب (دراسة أسلوبية)، د. فاضل عبود التميمي، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، ع١٧، ٢٠٠٧م.
- السياقات الإنتاجية للخطاب الإنشائي في نهج البلاغة (أسلوب النداء إنموذجا)، د. رحيم كريم علي الشريف والدكتور حسين علي هادي، مجلة دواة، مج١، ع٣٤، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.
- ظاهرة التنغيم في العربية، الاء حسين داود الشرع ودريد عبد الجليل الشاروط، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، مج٣، ع١٤، تشرين الأول/ ٢٠٠٤م.
- ظاهرة التوازي في شعر الخنساء، د. موسى ربابعة، مجلة دراسات (العلوم الإنسانية)، مج٢٢، ع٥، ١٩٩٥م.
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (الخطابة النبوية نموذجا)، نادبة رمضان النجار، مجلة علوم اللغة، مج٩، ع٢، ٢٠٠٦م.
- عناصر الاتساق والانسجام قراءة نصية تحليلية في قصيدة (أغنية لشهر آيار) لأحمد عبد المعلي، مجلة جامعة دمشق، مج٢٩، ع١-٢، ٢٠١٣م.

- في التوازي اللغوي (المعادل الايقاعي والمعنوي، د. مصطفى الجوزو، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع (٦٨-٦٩)، ١٩٩٩م.
- في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم (دراسة نظرية، د. بشرى حمدي البستاني والدكتور وسن عبد الغني المختار، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، م ١١، ع ١، ٢٠١١م.
- القرآنية في نهج البلاغة، علي ذياب محمد العبادي، مجلة العميد، مج ٤، ع ٦٤، ١٤٣٤م/٢٠١٣م.
- القرآنية في نهج البلاغة، مجلة العميد، مج ٤، ع ٦٤، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- قضايا صوتية في النحو العربي، د. طارق عبد عون الجنابي، مجلة المجمع العلمي العراقي، ع (٢-٣)، مج ٣٨، حزيران/١٩٨٧م.
- مظاهر الاتساق في النص القرآني (دراسة وصفية لغوية)، لبنى عبد الرحمن و أكمل خزيري عبد الرحمن، شمس الجميل أيوب، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، عدد خاص، سبتمبر/٢٠١١م.
- من لسانيات الجملة إلى علم النص، د. بشير إبرير، مجلة الموقف الأدبي، ع ١٤-٤، الجزائر، أيلول/٢٠٠٤م.
- نحو أجرومية للنص الشعري، د. سعد مصلوح، فصول مجلة النقد الأدبي، مج ١٠، ع (١، ٢)، ١٩٩١م.

- الاتساق في العربية (دراسة في ضوء علم اللغة الحديث)، رسالة ماجستير، جبار سويس ضيحن الذهبي، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- الاتساق في نهج البلاغة (دراسة في ضوء لسانيات النص)، (رسالة ماجستير)، رائدة كاظم فياض العكيلي، كلية التربية (ابن رشد) للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.
- الاتساق في نهج البلاغة، رائدة كاظم فياض العليكي، رسالة ماجستير، جامعة بغداد/ كلية التربية (ابن رشد) للعلوم الإنسانية، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.
- الاتساق والانسجام في سورة الكهف، (رسالة ماجستير)، محمود بوسته، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة، ١٤٢٩هـ / ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٨م - ٢٠٠٩م.
- أثر التفكير الصوتي في دراسة العربية، مشتاق عباس معين علي، جامعة صنعاء/ كلية اللغات/ قسم اللغة العربية والترجمة، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- الإحالة دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب (Oheionin English) لـ (م. أ. ك. هاليداي ورقية حسن)، رسالة ماجستير، شريفة بلحوت، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، ٢٠٠٥م - ٢٠٠٦م.
- أساليب البديع في نهج البلاغة (دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية)، (أطروحة دكتوراه)، خالد كاظم حميدي الحميداوي، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ٢٠١١م.
- أساليب البديع في نهج البلاغة، دراسة في الوظائف الدلالية والجمالية، خالد كاظم حميدي الحميداوي، جامعة الكوفة/ كلية الآداب، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.
- الأسلوبية الصوتية، د. ماهر مهدي هلال، مجلة آفاق عربية، كانون الأول لسنة ١٧، ١٩٩٢م.
- أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، عبد الخالق فرحان شاهين، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، كلية الآداب، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
- الإضراب والاستدراك في نهج البلاغة (دراسة دلالية)، رسالة ماجستير، معتصم جابر محمود، جامعة القادسية، كلية الآداب، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.
- الأقتباس والتضمين في نهج البلاغة (دراسة أسلوبية)، أطروحة دكتوراه كاظم عبد فريح المولى الموسوي، جامعة البصرة، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- الانسجام في القرآن الكريم (سورة النور نموذجاً)، نوال الخلق، (أطروحة دكتوراه)، جامعة الجزائر، ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧م.
- الانسجام في النص القرآني (مظاهره وجمالياته)، (أطروحة دكتوراه)، عبد الله خليف خضير عبيد، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.
- الايقاع أنماطه ودلالاته في لغة القرآن الكريم (دراسة أسلوبية دلالية)، عبد الواحد زيادة اسكندر المنصوري، رسالة ماجستير، جامعة البصرة/ كلية الآداب، ١٩٩٥م.

- البناء الفني في شعر الحب العذري (أطروحة دكتوراه)، سناء البياتي، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩م.
- الحذف صورة ودلالة في كتاب نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، رسالة ماجستير، هادي شندوخ حميد السعيد، كلية الآداب، جامعة القادسية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م.
- خطب الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة مقارنة في ضوء علم لغة النص، رسالة ماجستير، راشد مدفون مخيف، جامعة القادسية، كلية التربية، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.
- دور المنهج الأستبدالي في وصف العربية وتقصيدها، (رسالة ماجستير)، وليد عبد الله، جامعة اليرموك، عمان، ٢٠٠٠م.
- رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية، رسالة ماجستير، سعد عزيز شنو، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠١٠م.
- رسائل الإمام علي (عليه السلام) دراسة في البنية الصوتية، سعد عزيز شنو، رسالة ماجستير، جامعة القادسية/ كلية الآداب، ٢٠١٠م.
- السبك النصي في القرآن (دراسة تطبيقية في سورة الأنعام)، رسالة ماجستير، أحمد حسن حيال، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، ٢٠١٢م.
- المطاوعة حقيقتها وأوزانها، د. هاشم طه شلاش، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، ع ١٤، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٤م.
- موضوع النثر في الشعرية العربية، كريمة بوطران، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باشة، الجزائر، ١٤٣٠هـ - ١٤٣١هـ / ٢٠٠٩م - ٢٠١٠م.
- النون في العربية، مشتاق عباس، رسالة ماجستير، كلية الآداب/ جامعة بغداد، ١٩٩٨م.

- نظرات في مصطلحات اللسانيات، د. أسامة عبد العزيز جاب الله

<http://www.alssunnah.com>

- الاستبدال ودوره في تماسك النص، أ. إبراهيم محمد عبد الله مفتاح

<http://www.ta5atub.com/montada>

-

## **Abstract:**

The current thesis entitled "Letters and Sermons in *Nehj Al-Balagha* (The Path of Eloquence): A Study in the Light of Textual Linguistics" is a study of a prose from the age of protest whose writer is acknowledged for his eloquence and rhetoric and in which I have investigated the seven textual standards approved by De Poe Grand i.e. consistency, harmony, intentionality, acceptability, publicity, position and textuality. The aim of this study is to prove that those standards are present in the letters and sermons texts.

The thesis is arranged in three chapters preceded by an introduction and a prologue and followed by a conclusion contains the findings of the research then a bibliography of its most important sources and reference books.

In the prologue, I have dealt with a presentation of the concepts of (text, message and instruction) in order to prove that those letters and sermons are texts; so it is right to be studied in accordance with the textual study.

In the first chapter "consistency in the letters and sermons", I have tackled the subject of textual consistency at three levels: Phonetic, lexical and grammatical.

In the second chapter "Harmony in the letters and sermons", I have considered the harmony aspects and mechanisms in addition to the semantic relations and top structures.

In the third chapter "Other textual standards", I have studied the standards related to the users of the text (addresser and addressee) i.e. intentionality, acceptability, publicity and standards connected with external effects represented by context and textuality. Then, the research is concluded with the findings I have reached which includes:

- The letters and Sermons are not at the same level in terms of their being concise or comprehensive as they are shortened and lengthened according to the text topics and circumstances and the nature of the relationship with the receiver though the expansion feature appears generally where the topic is giving lessons and advices.

- Instability in certain concepts and idioms discussed in this study for the researchers and scholars of texts reflects variances in their points of view towards those concepts and their different knowledge about them.



- Referring is considered the most occurrences in the letters and sermons texts and also the pronoun referring is the frequently occurred cases in those texts.
- The elements of consistency and harmony have worked together to build the semantic structure of the texts under study which leads to some kind of easiness in analyzing them and enables us to judge them as coherent and consistent texts.
- Intentionality is considered the dominant standard over all textual standard as all words written or selected, expressions mentioned and texts addressed by Imam Ali (Peace be upon him) have the intentionality which the Imam wanted to be either direct or indirect.
- Applying this kind of study has demonstrated that those letters and sermons are applicable in every time and place and for all people despite their race, class and status differences.

**Letters & Sermons in Nehj  
Al-Balagha  
(The Path of Eloquence)**

**A Thesis Submitted by:  
Worood Saadoon Abd**

**To the College of Arts Council, Qadisiyah University  
As Partial Fulfillment of the Requirements for  
Doctorate Degree in Arabic and its Arts**

**Supervised by:  
Asst. Prof. Dr. Turath Hakim Malik Al-Zayadi**

**2016 A.D.**

**1437 A.H.**